إعداد الجندي المسلم

أهدافه وأسسه

تأليف

عبد الله بن فريح العقلا

أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد
في كلية الملك عبد العزيز الحربية

إشراف وتقديم

د. محمد بن عبد الله بن عرفة

مكتبة الرشد
ناشرون

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

* المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ طريق الحجاز

ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١
E-MAIL: alrushd@suhuf.net.sa
www.alrushd.com



* فرع مكة المكرمة: ـ هاتف ٥٥٨٥٤٠١ ـ ٥٥٨٣٥٠٦
* فرع المدينة المنورة: ـ شارع أبي ذر الغفاري ـ هاتف ٨٣٤٠٦٠٠
* فرع القصيم بريدة طريق المدينة ـ هاتف ٣٢٤٢٢١٤
* فرع أبها: ـ شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
* فرع الدمام: ـ شارع ابن خلدون ـ هاتف ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في الخارج

* الكويت: ـ مكتبة الرشد ـ حولي ـ هاتف: ٢٦١٢٣٤٧
* القاهرة: ـ مكتبة الرشد ـ مدينة نصر ـ هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥
* بيروت: ـ الدار اللبنانية ـ شارع الجاموس ـ هاتف: ٠٠٩٦١٣٨٤٣٤٥٧
* عمان: الاردن - دار النبلاء - هاتف: ٥٣٣٢٦٥٨

إعداد الجندي المسلم

أهدافه وأسسه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال : ٦٠]

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العقلا ، عبد اللّٰه بن فريح
إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه . - ط٢ . - الرياض.
.. ص ؛ .. سم . ردمك : ٨-٣١٧-٣٩-٩٩٦٠
١- السير (فقه إسلامي) ٢- العسكرية الإسلامية أ- العنوان
ديوي ٢٥٦ ٢٢/١٦٣٦ رقم الإيداع : ٢٢/١٦٣٦ ردمك : ٨-٣١٧-٣٩-٩٩٦٠

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

الجندية في الإسلام ركيزة من ركائز الإسلام، ودعامة من دعاماته التي قام عليها، وانطلق -معتمدًا عليها بعد الله- إلى آفاق المعمورة، ينشر الخير والنور والهدى في ربوع الأرض، ويوطد دعائم الأمن والسلام فيها.

ومما يجعل للجندية أهميتها؛ ارتباطها بشرعة الجهاد في سبيل الله، وهو ذروة سنام الإسلام، والوسيلة الفاعلة لنشره والمحافظة على أرضه ومجتمعه.

كما إن مما يجعل للجندية أهميتها أيضًا سعة مفهوم الجندية في الإسلام بحيث تشمل كل فرد من أفراد المجتمع المسلم، كما يقول الرسول ﷺ: «**إن كلًّا منكم على ثغر من ثغور الإسلام فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ومن هنا ومن هذا المفهوم الشامل للجندية فإن إعداد الجندي المسلم معناه إعداد كل فرد من أفراد هذا المجتمع، وتنشئته وتهيئته لحمل رسالة الإسلام والذود عنها.

ومن هنا أيضًا فإن مفهوم الإعداد يتسع ليشمل كل جوانب الإنسان: الروحية، والعقلية، والخلقية، والجسمية، بالإضافة للإعداد الإداري أو المهني إذا صح التعبير. هذا هو المفهوم للجندية وللإعداد الجندي في الإسلام.

وكان هذا المفهوم الشامل هو السائد في صدر الإسلام الأول: كل فرد في المجتمع المسلم يعد جنديًّا من جنود الإسلام، ينبغي إعداده ذلك الإعداد الشامل؛ ليقوم بالواجب تجاه دينه وأمته ومجتمعه.

إلا أنه مع مرور الوقت اتسعت رقعة بلاد الإسلام، وكثرت أعداد الداخلين فيه، فاقتضت طبيعة المرحلة، وظروف الحياة حصر مفهوم الجندية بمصطلحها العسكري في أولئك الأشخاص المنتمين رسميًّا إلى تلك الأجهزة المسئولة عن حفظ الأمن الداخلي والخارجي للأمة. وبهذا أصبح الجندي المسلم المعني اصطلاحًا هو ذلكم الفرد المنتمي إلى جهاز من تلك الأجهزة.

إلا أن الإعداد بمفهومه الشامل السابق ذكره، ظل قائمًا كما هو؛ لأن العسكرية الإسلامية -وهي أداة مهمة من أدوات نشر الإسلام والمحافظة عليه- يهمها جدًّا أن يكون من يقوم بهذا العمل الكريم إنسانا متكامل صفات الإنسانية العالية قبل أن يكون عسكريا، هدفه نشر الهدى والنور والحب والسلام، وليس تحقيق النصر العسكري المادي المجرد فهو داعية قبل أن يكون مقاتلًا، وإنسانًا يفيض بمشاعر الإنسانية قبل أن يكون شجاعًا مقدامًا، وهو حامل لرسالة الهدى قبل أن يكون فاتحا؛ وذلك لأن الجندي المسلم يريد لهذا الدين الذي يحمله إلى العالم أن يبقى في ذلك البلد الذي دخله على يديه وحل فيه، ولن يتحقق هذا إلا إذا كان هذا الجندي يؤمن بتلك القيم العالية لهذا الدين، وأعطى القدوة من نفسه في امتثالها والتحلي بها.

هذا مع بقاء مفهوم الجندية الشامل قائماً في أذهان المسلمين متمثلين توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام أن كل فرد من أفراد المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام كل بحسب حاله.

ومن هذا المنطلق انطلق صاحب هذا البحث الأخ/ الدكتور عبدالله ابن فريح العقلا في طرحه وتناوله لموضوعه هذا «**إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه**».

إن أصل هذا البحث رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى قسم الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، حصل به على درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية.

ولقد أحسن الباحث صنعا في اختياره هذا الموضوع لسببين:

أولًا: لاتصاله بطبيعة عمله الوظيفي.

وثانيًا: لأهمية هذا الموضوع في عصرنا هذا، حيث تتجه الدول الإسلامية في الوقت الحاضر إلى إعادة بناء جيوشها متوخية أحدث الوسائل والأساليب.

فالبحث إسهام من الباحث في عرض منهج الإسلام في هذا باعتباره منهجا نابعا من دين الأمة وقيمها ومبادئها، فحري بالمسلمين وهم يعملون على إعادة إعداد جيوشهم أن ينطلقوا في هذا من ذلك المنهج فهو الحق.

إن الإسلام وهو يوجه إلى الأسس التي يجب أن ترسى عليها سياسة إعداد الجندي المسلم، وترتكز عليها خطط بناء الجيش المسلم وضع

في الاعتبار طبيعة رسالة الجندي المسلم في هذه الحياة النابعة من رسالة الإسلام.

ومن هنا كان توجيهه إلى ضرورة شمولية البناء والإعداد لكل الجوانب الروحية والخلقية والمادية معا جنبا إلى جنب.

ولقد حرص الباحث على أن يصور منهج الإسلام هذا متبعا في ذلك منهج البحث العلمي القائم على العرض والتحليل والاستدلال والمناقشة فوفق -في رأيي- في تقديم منهج الإسلام في إعداد وبناء الجندي المسلم والجيش المسلم إلى حد كبير، أحسبه كذلك إن شاء الله.

وبهذا أضاف إضافة علمية مهمة إلى المكتبة العسكرية الإسلامية، نسأل الله أن ينفع بجهده هذا، وأن يجزل له المثوبة.

وإن وزارة الدفاع والطيران في المملكة العربية السعودية ممثلة في إدارة الشئون الدينية في الوزارة وهي تقوم بطبع هذا البحث القيم ونشره[١]، إنما تنطلق في ذلك من السياسة العليا للدولة القائمة على منهج الله، ومن هنا كان اهتمامها بهذا البحث وأمثاله. ولا شك أن في عملها هذا خدمة للفكر الإسلامي، وتشجيعا للعاملين في هذا المجال، وتوكيدا لعرى الاتصال التي تربط بين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والوزارة؛ إذ تلتقيان في هدف هو إعداد الإنسان وتنشئته.

(١) أصل هذا الكتَاب رسَالة علميَّة تقدّم بَها المُؤلفْ لنيل دَرَجَة الماجسْتير من جَامعَة الإمَام مُحَمَّد بن سُعُود الإسْلامية كُليَّة الشريعَة قسمُ الثقافة الإسْلاميَّة وقَدْ تكونَتْ لجنَة المنَاقشَة منْ: فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالله بن عرفة. مشرفًا، فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن عبدالله الفنيسان. عضوًا، فضيلة الدكتور طاهر راغب حسين. عضوًا. وأجيزت بتقدير جيد جدًا وذلك في ٦/ ٣/ ١٤٠٩هـ

واليوم يقدم المؤلف الكتاب في طبعته الثانية إلى القارئ الكريم، والحاجة جِدُّ ماسة إلى تمثل المنهج الإسلامي في إعداد الجندي المسلم، ذلكم أن الإسلام بكل تعاليمه يتعرض في هذا العصر لهجمة شرسة من كل القوى العالمية بمختلف توجهاتها الفكرية والأيديولوجية، تشوه حقائقة وتعاليمه وأهدافه وخصوصًا ما يتعلق منها بالجهاد وبطبيعة الإنسان المسلم ومنه الجندي المسلم، ويصفون هذا الإنسان بالوحشية والدموية، وبالعداء للمدنية والحضارة والتقدم العلمي، وعشيت أبصارهم، وعميت بصائرهم عن حقيقة الرسالة السامية التي يحملها هذا الإنسان وهذا الجندي والأخلاقيات الراقية والقيم الرفيعة التي تحلى بها ويتفرد بها عن سائر من عداه.

إن هذه الرسالة التي يحملها المسلم للبشرية تؤمن بوحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير، والمحيا والممات، في الحقوق والواجبات أمام النظام وأمام الله في الدنيا والآخرة.

في نظر هذه الرسالة ليس هناك دم أزرق ودم عادي، وما خلق أحد من رأس وخلق آخر من قدم، «كلكم لآدم وآدم من تراب».

هذه الرسالة ترجع البشر جميعهم إلى أب واحد، وأم واحدة، هما آدم وحواء فتثبت بهذا الأخوة الإنسانية بين جميع الناس، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء آية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات آية: ١٣]

تؤمن هذه الرسالة بكرامة الإنسان -كل إنسان- بتكريم الله له، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء آية: ٧٠] .

ومن مظاهر تكريم الله للإنسان أن جعله خليفة في الأرض، له رسالة سامية كلف بتحقيقها، وهي تحقيق العبودية لله في الأرض وعمارتها حسب منهج الله، والقيام بما يحقق تلك الخلافة كما أراد الله، ولا شك أن عظم المسئولية يدل على قدر من يحملها وهو الإنسان.

هذه الرسالة، وهذه بعض سماتها لا يمكن أن تكون متنافية مع الحضارة والمدنية السليمتين، ولا يمكن أن يكون حاملها ومعتنقها دمويًّا متوحشًا وعدوًّا للتقدم العلمي والحضاري السويين، ولا يمكن أن يكون الجندي المسلم المكلف بحراسة هذا الدين وبحراسة هذا الإنسان ومنجزاته الحضارية - وقد تربى في مدرسة الإسلام - أن يكون معول هدم لمنجزات البشرية الحضارية، إنه الجهل بحقيقة هذا الدين وبطبيعة الإنسان المسلم والجندي المسلم يحمل أولئك على رمي الإسلام والمسلمين بما رموه به «والناس أعداء ما جهلوا».

وصلى الله وسلم على رسوله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم.

د. محمد بن عبدالله عرفه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين. وبعد:

فقد جاء الإسلام بمبادئ وقيم ومفاهيم نظم بها أمور الحياة الدينية والدنيوية كافة، وأقام دولته على نظام محكم رصين، وكان للجند المسلمين دورهم الفاعل في حماية هذا النظام، وفي قيام دولة الإسلام على مدار التاريخ الإسلامي؛ لذا عني الإسلام بإعدادهم، فجاء بالأسس التي تكفل هذا الإعداد روحيًا ونفسيًا وخلقيًا وجسمانيًا وعسكريًا، وتعاهدهم بالرعاية والتوجيه الدائم، الذي يكفل قيامهم بالواجبات الملقاة على عاتقهم من خلال تشريع الجهاد الذي وضع له منهجًا مميزًا ومحددًا بكل ما يتصل به من دوافع وغايات وأسس وآداب وغيرها.

وقد كان لتلك الأسس وذلك المنهج أثر كبير في تحقيق الأمن الداخلي والخارجي للمسلمين، وامتداد الفتوح الإسلامية إلى كثير من بقاع الأرض في مدة زمنية قصيرة.

ودراسة حال الجند الذين حملوا راية الإسلام، وتمثلت فيهم تلك الأسس، من الموضوعات التي ينبغي الاهتمام بها في هذا العصر الذي تُعِدُّ فيه الأمة الإسلامية نفسها لمواجهة حاسمة مع أعدائها، وليتم إعداد الجندي وفق تلك الأسس الإسلامية التي بموجبها أُعِد الجندي المسلم في

عصور الازدهار الإسلامي، ولن يتسنى ذلك إلا بمعرفة تلك الأسس، وفي ذلك إعداد للقوة التي أمر الله تعالى بها.

ولقد رأيت أن يكون موضوع رسالتي للماجستير في أحد الموضوعات التي تتعلق بمقتضيات عصرنا الحاضر والمناسبة له، بحيث تتلاءم مع احتياجات العصر وظروفه، فاخترت موضوع:

«إعداد الجندي المسلم، أهدافه، وأسسه»

ففي هذا العصر يُهتم بإعداد الجندي في البلاد الإسلامية إعدادًا علميًا وجسميًّا، إلا أنه يغفل في أكثر الأحيان إعداده الروحي والفكري، مع أن هذين الجانبين هما من أهم ما يميز الجندي المسلم عن غيره من الجنود وهما المرتكزان اللذان يرتكز عليهما النظام العسكري في الإسلام، هذا النظام الذي أحسب أنه لم يوفه الباحثون حقه من الدراسة والتمحيص فلا تزال موضوعاته متناثرة في بطون أمهات الكتب، تحتاج إلى المزيد من البحث والتجلية.

وبحثي هذا إسهام متواضع في الجهود التي تبذل في هذا المجال، آمل أن أضيف فيه جديدًا، فإن كان هذا فهو مقصدي وأملي، وإلا فحسبي أنني بذلت جهدي، واجتهدت قدر طاقتي، وما توفيقي إلا بالله.

ولأنني أحد منسوبي كلية الملك عبدالعزيز الحربية، الممون الرئيسي للجيش العربي السعودي بالرجال، رأيت أنه من الواجب عليَّ أن أبحث في موضوع يهم بصفة خاصة جهة عملي. تلك أبرز دوافع اختياري لهذا الموضوع.

وقد جعلت الرسالة في تمهيد وبابين وخاتمة، وقمت بعمل فهارس

للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والبلدان، والأماكن بالإضافة إلى فهارس المراجع ومحتويات البحث.

أما منهجي في البحث فقد رجعت إلى الكتاب والسنة وبحثت عمَّا ورد فيهما من توجيهات وتشريعات كريمة بهدف إعداد الجندي القادر على حمل راية التوحيد، وجمعت بينها عن طريق الشرح والتحليل، ثم رجعت إلى كتب السيرة النبوية والمغازي، والتاريخ الإسلامي، وبحثت فيها عن شواهد تطبيقية لذلك في التاريخ الإسلامي حتى الصدر الأول من عهد الخلافة العثمانية.

أما المباحث الميدانية فقد رجعت إلى الجهات المختصة بها، وجمعت المعلومات والوثائق اللازمة، وعملت على تحليلها واستخراج نتائجها.

أما أهم المصادر والمراجع التي رجعت إليها، فيأتي في مقدمتها الكتاب الكريم وتفاسيره، والسنة النبوية وشروحها، ثم كتب التوحيد، والفقه والسير، والمغازي والتاريخ، والجهاد الإسلامي، ثم كتب النظم الإسلامية والخراج، والأموال، والتراجم، والموسوعات اللغوية، القديم من ذلك والحذيث، بالإضافة إلى مجموعة من الكتب الحديثة والرسائل والبحوث الجامعية، والدوريات التي تعد مراجع مهمة في هذا البحث.

أما بالنسبة للمباحث الميدانية فتعد أنظمة الخدمة العسكرية في المملكة العربية السعودية، وإدارات الشئون الدينية، والشئون العامة، والثقافة والتعليم للقوات المسلحة، وتدريب القوات البرية، وبعض المؤسسات التعليمية أبرز الجهات والأنظمة التي رجعت إليها.

وقد التزمت في بحثي هذا بالطريقة العلمية في كتابة البحوث، حيث كان تركيزي دائماً على المصادر الأصلية، وعمدت إلى إرجاع الآيات القرآنية الكريمة إلى أماكنها في السور، والأحاديث النبوية إلى كتب الحديث وخرجتها بقدر الإمكان، كما قمت بترجمة للأعلام، وقد اتبعت في ذلك منهجًا خاصًّا، حيث لم أترجم لزوجات الرسول ﷺ وبناته والعشرة المبشرين بالجنة، ومن تولى خلافة أو ملكًا إسلاميًّا، وأصحاب المؤلفات وغير المسلمين.

كما قمت ببيان وإيضاح البلدان والأماكن عندما أرى لذلك حاجة وفائدة ظاهرة، كما أوضحت الألفاظ الغامضة من المصادر اللغوية.

كما التزمت ببعض المصطلحات التي من أبرزها:

أنني عندما أعبر بالجندي أعني به العسكريين من مختلف المناصب والرتب، ويدخل في ذلك القادة إلا عند الحديث عنهم والإشارة إليهم بالقادة، فكل قائد جندي بالنسبة لمن هو أعلى منه.

وعنيت بالأمن الداخلي والخارجي أمن الأمة الإسلامية، كما التزمت بوضع ما نقل نصًّا بين قوسين.

ولي في تدوين المصادر والمراجع عدة مصطلحات ثابتة، فعند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة يدون اسم المؤلف، والكتاب، والمحقق أو الشارح فقط، أما بقية المعلومات فأكتفي بذكرها في فهرس المصادر والمراجع.

وعندما يتكرر الاقتباس من مصدر أو مرجع اقترن اسمه بالمؤلف،

أو أمكن تمييزه بالجمع بينهما أكتفى بذلك، فمثلًا: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أكتفى بتدوين تفسير ابن كثير.

وعندما يتكرر الاقتباس من مصدر واحد دون أن يفصل بينهما مصدر آخر، سواء كان في صفحة واحدة أو في عدة صفحات يدون بالمصدر السابق، فإن فصل بينهما أكثر من مصدر في صفحة واحدة، أو فصل بينهما مصدر واحد فقط في أكثر من صفحة، يدون اسم المؤلف، ثم المصدر السابق. وعند التدوين بالمصدر السابق، فهذا يعني الرجوع إلى نفس الجزء والصفحة، فإن أضيف الجزء أو الصفحة فهذا يعني مخالفة المذكور منهما للسابق.

وقد أكرر اسم المحقق في بعض الكتب تمييزًا بينها وبين الطبعة التي لم تحقق، وعند الاقتباس من كتابين لمؤلف واحد يدون اسم المؤلف أولًا، ثم أسماء الكتب متعاقبة، وعند الاعتماد على أكثر من مصدر أو مرجع في أحد الهوامش، ثم يدون في الهامش التالي المصدر السابق، فهذا يعني آخر مصادر أو مراجع الهامش السابق، فإن دون بالمصادر أو المراجع السابقة، فهذا يعني الأخذ بالمصادر والمراجع السابقة على ترتيبها السابق.

وعند إيراد المصادر والمراجع في الهامش التزمت في ذلك بالترتيب الفقهي، أو الزمني لها.

كما التزمت بإيضاح درجة صحة الأحاديث في الهامش، ويعتبر المصدر أو المرجع المذكور بعدها المصدر في ذلك.

وبالنسبة للدراسات السابقة فقد كان موضوع البحث متناثرًا في بطون

أمهات الكتب والتاريخ والجهاد، والنظم الإسلامية. ولم أقف خلال بحثي على كتاب مستقل تناول هذا الموضوع.

وأما المراجع والبحوث المتأخرة: فالكتابة عن الجند ترد عرضًا ضمن الحديث عن الجهاد الإسلامي، وبشكل مختصر.

وهناك من كتب عن الجندية وركز على ناحية من نواحي الإعداد كالجانب التربوي، أو البدني.

فمثلًا أمين الخولي في كتابه «الجندية والسلم، واقع ومثال»، كتب عن تاريخ الجندية الإسلامية نشأة وتطورًا، ثم ركز على الناحية البدنية والتدريبية للجند فقط.

وممن كتب أيضًا الدكتور محمد إبراهيم نصر في كتابه «منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم»، وركز فيه على الناحية التربوية للجندي، مبينًا سمات الجندي المثالي.

وهناك من كتب عن الجندية في عصر من العصور، فقد كتب وفيق الدقدوقي عن الجندية في عهد الدولة الأموية، وركز في كتابه على نقل واقع الجندية في ذلك العصر، وعلى الناحية البدنية والتدريبية.

وقد لاحظت عزوفًا واضحًا من قبل الباحثين عن البحث في مجال العسكرية الإسلامية، والتي لم تأخذ حقها الكافي من البحث والتمحيص، وأخص في ذلك العسكريين المعاصرين، ممن يجب عليهم الاتجاه إلى البحث في ذلك؛ ليستفاد من خبرتهم العسكرية عند الكتابة في هذا المجال، وحسب معرفتي فإن هناك بحوثًا عسكريةً إسلاميةً يقدمها

طلبة كلية القيادة والأركان، فمثل هذه البحوث يجب الاستفادة منها وتطويرها، وتزويد المكتبة الإسلامية بالمتميز منها.

فمن خلال كتابتي في هذا البحث واجهت صعوبات مصدرها عدم معرفتي ببعض الأمور العسكرية. فمن الأولى إذًا أن يتجه الأخوة العسكريون إلى البحث في مجال العسكرية الإسلامية؛ لأنهم أهل ذلك ورواده.

وكغيري من الباحثين واجهت عدة صعوبات خلال البحث تجاوزتها بفضل من الله سبحانه وتعالى ثم بفضل توجيهات الأستاذ المشرف فضيلة الشيخ: محمد بن عبدالله عرفه، ومن أبرزها:

١- محاولة تفادي التكرار؛ نظرًا لطول البحث وتداخل بعض موضوعاته في بعضها الآخر.

٢- صعوبة الحصول على بعض المعلومات ذات الصبغة الخاصة والمتعلقة بالمباحث الميدانية.

وهنا أود القول بأن ما قدمت في هذا البحث لم يحقق الإحاطة الشاملة والكاملة بكل جوانب الموضوع، فذلك أمر عسير، ومطلب صعب المنال علي؛ لذا فإني أعد ما قمت به محاولة متواضعة للإسهام في الجهود التي تبحث في مجالات العسكرية الإسلامية، وأملي أن تكون فيه إضافة نافعة لما سبقها من بحوث ودراسات، كما آمل أن تتاح الفرص لآخرين ليسهموا أيضًا في الكتابة فيه، فلا يزال الموضوع -كما أسلفت- بكرًا يتسع لدراسات متعددة حتى يعطى حقه الذي يستحقه.

وبعد: فهذا جهدي حسب اجتهادي وقدرتي، ولا أدعي في ذلك الكمال والعصمة من الأخطاء، فالكمال من صفات الله، والعصمة لله وحده، إلا أنني بذلت قصارى جهدي، وغاية ما أملك؛ رغبة في الوصول إلى الأفضل، وأملًا في تقديم عمل يكون فيه نفع للمسلمين، فإن كان ذلك فهذا من فضل الله علي، وإن كان هناك خلل أو تقصير فمن نفسي، فأستغفر الله وأتوب إليه؛ راجيًا أن يوفقنا الله لعمل ما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الباحث

د. عبدالله بن فريح العقلا

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم الجندية قبل الإسلام وبعد مجيئه.

المبحث الثاني: مقارنة بين المفهوم العام للجندية والجهاد في الإسلام.

المبحث الأول

مفهوم الجندية قبل الإسلام وبعد مجيئه

الجندية قبل الإسلام:

الجند في اللغة: الأعوان والأنصار، والجُنْد: العسكر، والجمع أجناد وجُنْدٌ مجنَّد: مجموع. قال تعالى: ﴿... **إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾[(1)] والجنود التي جاءتهم هم الأحزاب، وكانوا قريشًا وغطفان وبني قريظة تحزبوا وتظاهروا على حرب النبي ﷺ.

وفي الحديث: «**الأرواح جُنودٌ مجندةٌ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[(2)] والمجندة المجموعة.

ويقال: هذا جند قد أقبل، وهؤلاء جنود قد أقبلوا[(3)]، قال تعالى: ﴿**جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ**﴾[(4)].

---

(1) سورة الأحزاب، آية ٩.

(2) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الأنبياء. باب ٢، مسلم. صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. كتاب البر والصلة والآداب. باب الأرواح جنود مجندة.

(3) محمد بن منظور. لسان العرب. ج٣ ص١٣٢، وانظر الفيروزابادي. القاموس المحيط. ج١ ص٢٩٥.

(4) سورة ص. آية ١١.

وفي الاصطلاح العسكري: الجندية لفظ يدل على عمل الجندي تقول: فلان تجنَّد، أي اتخذ الجندية له حرفة، ودخل مسلك الجندية والجند: العسكريون من مختلف المناصب والرتب[١].

وفي هذا التمهيد سأكتب عن الجندية قبل الإسلام وفي الإسلام، ولن أتطرق إلى تاريخ الجندية بالتفصيل، فهذا يحتاج إلى بحث مستقل، بل سأقتصر على ما يكفي للدلالة على مفهوم الجندية لدى بعض الأمم التي رأيت أنه يحسن الاستشهاد بمفهوم الجندية لديهم، وهم: الفراعنة، واليونان، والروم، والفرس، والعرب.

فأقول: الجندية قديمة قدم الإنسان، وقدم الخير والشر، فغريزتا الطمع وحب السيطرة موجودتان في الإنسان، حيث تدفعانه إلى الاعتداء على الآخرين طمعًا في خيراتهم، والشعور بالقوة يدفعه إلى حب السيطرة، وهذا يتطلب منه أعوانًا يساندونه، والمعتدى عليه يجمع جموعه وأعوانه من أجل دفع الاعتداء، وصد الباغي. وهذه الغرائز موجودة في بني البشر، ولها من يساندها، قال تعالى: ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[٣]، فكان الشيطان مساندًا لهذه الغرائز في الإنسان، وداعيًا إليها بخيله ورجله، كما أن الإنسان مدني بطبعه[٤]، يحتاج إلى بني جنسه

---

(١) انظر محمود خطاب. المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، ج١ص١٥٧-١٥٨.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، آية ٦٢.

(٤) انظر عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، ص٤١.

للاستعانة بهم على متطلبات الحياة، وصد الكوارث الطبيعية والوحوش ونحو ذلك. من هنا نشأت الحاجة إلى الأعوان والأنصار، فكان الرجل إذا أراد الاعتداء، أو الدفاع عن نفسه، جمع حوله الرجال والأعوان. فكانت الجندية في القديم بلا نظام ولا ترتيب، فإذا احتيج إلى قتال اجتمع الرجال، وجرى القتال دون نظام معروف، ولا ترتيب معين[١].

أ- الجندية عند الفراعنة:

أول دولة نظمت الجند الدولة الفرعونية في مصر، حيث جندت جندًا من الزنوج والأحباش، أخضعت بهم سكان سواحل البحر الأحمر لسلطانها، فالفراعنة أسبق الأمم إلى تنظيم الجند[٢]، وشهد ذلك التنظيم تطورًا مع الأيام، ففي عام (٢٨٩٥-٢٣٦٠ق.م) نجد أن الجيش الدائم لإمبراطورية منف القديمة يتكون من جنود مرتزقة، وعبيد، بالإضافة إلى الجنود الوطنيين الذين لا يطلبون للتعبئة إلا في الحروب الكبيرة. وهناك تجنيد إجباري، حيث يتم طلب مجموعة من الرجال من كل قبيلة يتحدد عددهم تبعًا للظروف والأحوال.

وقد كان الجنود منضبطين في عسكريتهم، حيث يَخْطُون خطوات منتظمة، في صفوف متعاقبة متراصة، قابضين على أسلحتهم بإسلوب واحد، ومجهزين بعتاد وسلاح حربي واحد، ولباس مميز، تحت قيادة ضباط محترفين ومتفرغين للأعمال العسكرية[٣].

---

(١) انظر جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١ص١٥٨.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر جورج كاستلان، تاريخ الجيوش، ترجمة: كمال دسوقي، ص١٤-١٥.

أما جيش الإمبراطورية الوسطى في مصر، فقد كان الجزء الأكبر منه يتكون من المجندين، وكان يجندهم ضابط الملك بمعدل جندي من كل مائة رجل، ويمنعون من الاختلاط بجمهور المدنيين[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى جند فرعون في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وهؤلاء الجنود هم عسكره وأعوانه، كان قد أرسل إليهم حاشرين يجمعونهم من الأقاليم والمدائن، قال ابن كثير «... أرسل في المدائن حاشرين أي من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه... ثم لما جمع جنده واستوسق له[3] جيشه، ساق في طلبهم...»[4].

ويفهم من كلام ابن كثير أن جند فرعون موسى كانوا موزعين في المدائن، وأنهم يمارسون حياتهم الاعتيادية رغم انتسابهم للجيش، أو أنهم كانوا موزعين في المدائن والأقاليم على شكل مجموعات ومعسكرات.

ب - الجندية عند اليونان:

اقتبس اليونان نظام الجندية من الدولة المصرية، فأنشئوا الكتائب، وهي أن تتراص الجنود صفوفًا متعاقبة، حيث يصطف الجندي بجانب الآخر

(١) انظر المرجع السابق، ص١٦-١٧.

(٢) سورة يونس. آية ٩٠.

(٣) تساوقت الإبل: أي تتابعت: انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٣ص٢٥٦.

(٤) تفسير ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج٣ص١٦١.

على بعد بضعة أقدام، ويشكلون صفوفًا متعاقبة الواحد وراء الآخر[١].

وفي المدن الإغريقية نماذج مختلفة للجندية، ففي أسبرطة كان النظام الاجتماعي يهدف إلى جعل المجتمع الأسبرطي مجتمعًا عسكريًّا في المقام الأول، مستعدًّا للقتال في أية لحظة[٢]، وبموجب هذا النظام فإن الأطفال الذين يولدون سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا يخضعون للجنة فحص حقيقية لها الحق في تقرير مصيرهم، فمن لا يستطيع أن يكون جنديًّا فيما بعد كالضعفاء أو المشوهين، فإنه يترك في العراء حتى يموت أو يلتقطه أحد العبيد، أما الأصحاء فتتم تربيتهم تربية خاصة تهيئهم للجندية. والتربية في أسبرطة عسكرية صارمة، يكرس فيها الفرد وقته للتدريب العسكري ويتفرغ للحياة العسكرية، أما شئونه المادية فتتم رعايتها من قبل الدولة. ويظل الفرد مجندًا طوال حياته حتى سن الستين، ويبقى تحت الطلب حتى في وقت السلم، وعليه أن يلبس الزي العسكري الرسمي دائماً، ويسكن في المدينة، ليتمكن من إجابة نداء الحرب في أسرع وقت ممكن. إذًا فالمواطن في أسبرطة جندي خاضع لنظام الجندية[٣].

وفي شتاء عام (٤٧٨-٤٧٧ق.م) تم تأسيس حلف بين أغلب المدن اليونانية ينص على أن تُسهم كل مدينة من المدن المتحالفة بتقديم عدد من أفرادها ليكونوا جنودًا في الجيش، أو التعويض عنهم بالمال إذا لم يوجد أفراد؛ ليؤتى بآخرين من مدينة أخرى[٤].

---

(١) انظر زيدان، تاريخ التمدن، ج١ ص١٥٨-١٥٩.

(٢) انظر لطفي عبدالوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، ص١٣٨.

(٣) انظر كاستلان، تاريخ الجيوش، ص١١، وانظر لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص١٣٨-١٤٠.

(٤) انظر المرجع السابق، ص١٦٣.

واحتفظت أثينا بالخدمة العسكرية الإجبارية ردحًا من الزمن، حيث يُقسم كل مواطن عند بلوغه السن القانونية يمين الولاء للوطن، ونصه: «إنني لن ألحق العار بهذه الأسلحة المقدسة، ولن أتخلى عن زميلي في المعركة، وسأقاتل دفاعًا عن آلهتي وبلادي، وحيدًا أو مع الآخرين، ولن أخلف الوطن وبه نقص، بل أموت عنه أكثر قوة وأشد بأسًا»[١]، ويبقى الجندي تحت الطلب من الثانية عشرة إلى الستين، وهو يؤدي بوصفه مجندًا سنتين من الخدمة العامة، وبعد ذلك يتم قيده بين المحاربين المقيدين من سن العشرين إلى التاسعة والأربعين، ويصبح من المحاربين القدماء من الخمسين إلى الستين[٢].

ومع مرور الأيام تغير الوضع في أثينا، ففي حوالي (٣٤٣ق.م) خطب ديموستينس (DEMOSTHENES) يوبخ أبناء أثينا عند تقاعسهم عن الالتحاق بالجندية، وكان مما قال: «الذين يقبعون في عقر دارهم ينتظرون أن تصلهم الأخبار بأن الجنود المرتزقة التي تحارب تحت قيادة فلان أو غيره من القواد العسكريين المرتزقة قد كسبوا نصرًا لأثينا»[٣]. ويفهم من كلامه هذا أن جنود اليونان في ذلك الوقت أو جُلهم من المرتزقة، حتى قادتهم وأن التجنيد لليونانيين لم يكن إلزاميًا، ومن هنا جاز لهم التقاعس الذي استحقوا عليه التوبيخ.

إذًا فالجندية لدى اليونان لها نظام خاص، وهو مقتبس من الفراعنة لكن طريقة التجنيد تختلف من مدينة لأخرى، ومن وقت لآخر.

---

(١) كاستلان، تاريخ الجيوش، ص١٢.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) لطفي عبدالوهاب، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، ص: ١٨٠.

جـ - الجندية عند الرومان:

اقتبس الرومان نظام الكتائب من اليونان[1]، وكان نظام التجنيد يختلف من عصر لآخر، ففي الأعوام السابقة لعام (٤٩٧ ق.م) كان التجنيد في الجيش الروماني يتم تطوعًا ودون أجر، سوى قطعة أرض لا تفي بالغرض المطلوب، حتى إن الجندي يستقرض المال قبل التجنيد ليؤمن المعيشة لأهله فإذا تكاثر عليه الدين استعبده الدائن، أو باعه. ورفض الشعب مرارًا التجنيد لعدم إعطائهم الأجر على الخدمة العسكرية؛ لأن التجنيد يعني دفعه إلى العبودية للدائن. وفي عام (٤٩٧ ق.م) كرر الشعب عامة رفضه التجنيد للأسباب السابقة. فما كان من المجلس الروماني إلا أن أمر بنقد الجندي في الجيش أجرة يومية تفي بحاجته، وليكون أطوع لأوامر قادته[2].

وفي رسالة من ثامسطيوس إلى يوليان الملك في السياسة وتدبير الملك توضيح وبيان لما يجب أن تكون عليه حياة الجندي، وطرق تدريبه ومعاملته، قال فيها: «وأما الجند والمحاربون، وبالجملة من يحمل السلاح، فلا يستعمل منهم من قد اعتاد الترفه والراحة، والتنعم بالمطعم والمشرب والسماع ولين الملبس، فإن هذه السيرة تعريهم من جميع ما يحتاجون إليه منهم من الشجاعة، وشدة البدن، والإقدام على الموت والصبر على الشقاء في البعوث من البرد والحر والجوع والعطش، وما لا يكاد ينفك منه المسافر. ويمنع الجند من انتحال المصانع. ويؤخذون دائماً

---

(١) انظر زيدان، تاريخ التمدن، ج١ ص١٥٩.

(٢) انظر نجيب طراد، تاريخ الرومانيين من بناء رومية إلى تلاشي الحكومة الجمهورية، ص٥٤-٥٥، ٨٢.

بالرياضة، كل فريق منهم بما يصلح من السلاح، ويتفقد أبدًا أحوالهم بالعرض في كل شهر مرة. ويقام لهم جميع ما يحتاجون إليه لئلا يشغلهم الطلب عما يحتاج إليه منهم، ويمنعون من أن يسيئوا آدابهم في الطلب فيكون في ذلك عفاء على المملكة؛ إذ كان عظم قوامها بهم، ويميز منهم الشيخ الفاني، ومن نالته آفة فأضعفت قواه، إلا أن يكون يصلح للمشورة والرأي والتدبير في الحرب»[1].

فهذه الرسالة فيها المنهاج الذي يتبع في إعداد الجندي الروماني، وقد كتبها ثامسطيوس في وسط القرن الرابع الميلادي، كما أنها تصور كيفية إعداد الجندي لدى الرومان قبل هذا التاريخ.

ويتضح أن الجند المذكورين هنا من المواطنين فقط الذين يتخذون الجندية مهنة لهم، ويتفرغون للخدمة العسكرية، كما يتضح عدم الاستعانة بالجنود المرتزقة خلال تلك الفترة.

وقد وُجِدَ الجنود المرتزقة في فترات متفرقة من التاريخ الروماني، ففي عام (٥٠٤ق.م) كان الجيش يتألف من الجند المرتزقة والمتطوعة، وفيما بعد القرن الثالث قبل الميلاد كان الرومان قلة في الجيش، وعادوا إلى الاستعانة بالجنود المرتزقة[2]، بل إن الجنود المرتزقة فاقوا بأرقام كثيرة جنود المواطنين في فترات كثيرة من التاريخ الروماني[3].

---

(١) ثامسطيوس، رسالة ثامسطيوس إلى يوليان الملك في السياسة وتدبير المملكة، تحقيق: محمد سليم سالم، ص٤٣-٤٤.

(٢) انظر كاستلان، تاريخ الجيوش، ص١٨-٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢٦.

د - الجندية عند الفرس:

عرف الفرس نظام الجندية كغيرهم من الأمم المعاصرة لهم، وكانوا يفضلون الجند على سائر الناس بحجة أنهم يبذلون نفوسهم ورءوسهم في خدمة الوطن، فكانوا يقدمونهم على غيرهم من الناس[(١)].

ويتم التجنيد عن طريق السخرة والتطوع على فترات متفاوتة، يذكر الطبري أن سابور كتب إلى جنده: «... من أحب أن ينصرف إلى أهله فلينصرف مأذونًا له في ذلك، ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه، عُرف ذلك له»[(٢)]، وكتب فيروز بن يزدجرد إلى جميع رعيته يعلمهم «أنه لا خراج عليهم ولا جزية، ولا نائبة ولا سخرة...»[(٣)] والسخرة تعني التكليف بالعمل من غير أجر[(٤)]، وذلك يدل على وجود التجنيد الإجباري قبل تلك الفترة وبعدها، فقد كان كسرى يحبس الجنود في الثغور، ولا يأذن لهم بالعودة أو الرجوع إلى أهليهم، ويفرق بينهم وبين أهاليهم[(٥)]. ويتم تسجيل الجند في ديوان الجند، ويتولى صاحب الديوان عرضهم بالسلاح التام[(٦)]، وتصرف لهم الأموال والأرزاق، فقد

---

(١) انظر الحسن بن عبدالله، آثار الأول في ترتيب الدول، ص٣٨.

(٢) أبو جعفر محمد الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ج٢ص٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص٨٣.

(٤) انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط ج٢ ص٤٧.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٢١٩-٢٢٠، وانظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١ص٢٩٤.

(٦) انظر المصادر السابقة، ص١٥٢-١٥٣، وانظر ص٢٦٨.

كان كسرى يقول: إنه «لا سبيل له إلى الكثيف من الجنود، والكثير مما يحتاج إليه إلا بكثرة الأموال ووفورها...»[1]، فكان ملوك الفرس يعزلون الأموال والأرزاق في بيوت المال لصرفها على الجند[2]، حيث تقام لهم المعسكرات في الآفاق المختلفة من البلاد، وبإزاء العدو، يذكر الطبري أن سابور كتب «إلى من في الآفاق من جنوده يعلمهم الذي لقي من لليانوس -أحد ملوك الروم- ومن معه من العرب، ويأمر من كان فيهم من القواد أن يقدموا عليه فيمن قبلهم من الجنود، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كل أفق...»[3]، والذي يظهر أنه يتم في المعسكرات تهيئة الجند للقتال وتدريبهم، فإذا عزم الملك على الغزو، أو داهم البلاد عدو، انتخب من هذه المعسكرات جندًا للخروج معه أو مع من يرشح من قواده، يدل على ذلك أنه لما عزم سابور على غزو بلاد العرب انتخب من الجند ألف مقاتل من صناديد جنده[4] وأبطالهم، ولما تكالب الأعداء على هرمز بن كسرى عرض من كان بحضرته من الديوانية، فكانت عدتهم سبعين ألف مقاتل، اختار منهم اثني عشر ألفًا وجههم إلى ملك الترك بقيادة أحد قادته[5].

ومما قاله أبرويز لابنه شيرويه في سياسة الجند المالية: «لا توسعن على

---

(١) المصادر السابقة، ص٢٢٥؛ ص ٢٩٥-٢٩٦.
(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٢٢٧.
(٣) المصدر السابق، ص٥٩.
(٤) انظر المصدر السابق، ص٥٧، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج١ ص٢٢٩.
(٥) انظر المصادر السابقة، ص١٧٤، وانظر ص٢٢٧.

جندك سعة يستغنون بها عنك، ولا تُضيِّقن عليهم ضيقًا يضجون به منك، ولكن أعطهم عطاءً قصدًا، وامنعهم منعًا جميلًا. وابسط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء»[١].

هـ - الجندية عند العرب:

كان العرب أهل بداوة ليست لهم حكومة تحكمهم، وإنما كل قبيلة تحكم نفسها، ولم يكن لديهم جنود نظاميون مهيئين للقتال، وإنما كانوا محاربين بطبيعتهم، فالبيئة الصحراوية التي يعيشون فيها، وظروف معيشتهم وحياتهم تتطلب ذلك؛ لذا كانت الشجاعة من الصفات التي يتفاخرون بها، ويسعون لإظهارها. وكانت تربيتهم لأبنائهم تنمي فيهم الشجاعة والإقدام، والاستعداد الدائم للقتال، فركوب الخيل، والرماية والطِّعَان، وفنون القتال المختلفة من الرياضات المحببة لهم، والتي يسعون إلى تنشئة أبنائهم عليها. وكان كل فرد قادر على القتال ومتمكن منه جنديًّا يلبي النداء عند إرادة القبيلة الغزو، أو عند الإغارة عليها، فإذا أرادت إحدى القبائل الحرب دعت رجالها القادرين على القتال، وفيهم الفرسان والمشاة، ويتجهون باتجاه عدوهم[٢]، وهكذا كانت أغلب القبائل العربية في حربها تعتمد على القدرات الفردية لدى أفرادها، وعلى نوعية المقاتلين. سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض بني عبس: كم كنتم يوم الهباءة[٣]؟ فقالوا: «كنا مائة كالذهب، لم نكثر فنتواكل، ولم نقل فنذل»،

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه وصححه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ج١ ص٣٠.

(٢) انظر جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤ ص٢٢٨، وانظر زيدان، تاريخ التمدن، ج١ ص١٦١.

(٣) أرض ببلاد غطفان. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص٣٨٩.

وقيل لعنترة العبسي[1]: كم كنتم يوم الفروق[2]؟ «قال: كنا مائة لم نكثر فنتواكل، ولم نقل فنذل»[3]؛ لأن الكثرة العددية ربما كانت مدعاة للتواكل والفشل.

وقد عُرِف لدى بعض البلاد العربية نظام خاص بالجند، وطريقة تجنيدهم، ففي البلاد العربية الجنوبية تقدم القبائل عددًا من أفرادها للخدمة العسكرية، يتكون منهم الجيش النظامي للدولة، وهذا الجيش يستخدم في وقت السلم والحرب، وفي حالة الحرب تشترك القبائل المتحالفة والمؤيدة مع الجيش في المعركة[4]، ويتولي إدارة وتدريب وقيادة الجيش أفراد مدربون على أساليب القتال، لهم دراية وخبرة بالحروب وسياستها، وغالبًا ما يتم التجنيد عن طريق السخرة، وهي ما يعبر عنه بالتجنيد الإجباري، حيث يطلب الملك من القبائل تسخير من يتمكنون من تسخيره، وذلك في حالة الحرب فقط، ويبقى المُسَخَّر في الخدمة العسكرية حتى تنتهي الحرب، ثم يسرح[5].

(١) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، عاش طويلًا، توفي قريبًا من اثنين وعشرين قبل الهجرة. وانظر الزركلي، الأعلام، ج٥ص٩١.

(٢) عقبة دون هجر إلى نجد، كان فيها يوم من أيام بني عبس. انظر الحسوي، المصدر السابق ج٤ ص٢٥٨.

(٣) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ص١٢٥، وانظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص١٢١.

(٤) انظر جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤ ص٢٢٨، وانظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٥ ص٤١٢.

(٥) انظر المرجع السابق، ص٤٠٥.

وفي الحيرة[1] يذكر عن النعمان بن المنذر[2] أنه جند الجند على نظام عرف به، فقد كان جيشه يتألف من خمس كتائب، الأولى (الوضائع)، وجندها من الفرس، استخدمهم النعمان لنصرة العرب، وكان يستبدلهم كل سنة، وعددهم ألف جندي، والثانية كتيبة (دوسر) وجنودها أخشن الجنود، وأشدهم بطشًا ونكاية، ويتألف أفرادها من كل قبائل العرب، قال شاعرهم:

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

والكتيبة الثالثة (الرهائن)، وقوامها خمسمائة جندي يستبدلون كل سنة، وهم رهائن من كل قبيلة من القبائل العربية، يقومون على خدمة الملك وتنفيذ أوامره. والكتيبة الرابعة (الصنائع) وهم صنائع الملك، من بني قيس، وبني تيم اللات ابني تغلب، وأكثرهم من بكر بن وائل. والكتيبة الخامسة (الأشاهب) وهم إخوة الملك وبنو عمه ومن معهم من الأعوان والعبيد، وسموا الأشاهب لبياض وجوههم[3] قال الأعشى[4]:

---

(١) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، على موضع يقال له النجف، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية، انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢ ص٣٢٨.

(٢) هو النعمان (الثاني) بن الأسود بن المنذر (الأول) بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي، ملك العراق في الجاهلية، انظر الزركلي، المرجع السابق، ج٨ ص٣٥.

(٣) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٢٠٤، انظر علي الأعظمي البغدادي، تاريخ ملوك الحيرة، ص٣٢، وانظر جواد علي، المرجع السابق ص٤١٠-٤١١.

(٤) ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، عاش عمرًا طويلًا، وأدرك الإسلام، مات في السنة السابعة للهجرة. انظر المرزباني. معجم الشعراء، ص١٢، وانظر الزركلي، المرجع السابق، ج٧ ص٣٤١.

وَصَحِبْنَا مِنْ آل جَفْنَةَ أَقْلا كًا كِرَامًا بالشَّام ذاتِ الرفيفِ[1]
وبَنَي المُنذِر الأشاهِبِ بالحيـ رَةِ يمشون غدوةً كالسيوفِ[2]

وهذه الكتائب مدربة على فنون القتال، ولها رؤساء يشرفون على تدريبها، وقد عُرِف عنها الشدة والبطش، ويعود ذلك إلى حُسن تدريبها وتنظيمها على وفق الأساليب الفنية العسكرية المشهورة في ذلك الزمن[3].

أما الغساسنة فلقربهم من الروم استفادوا من نظمهم وقوانينهم العسكرية، فقد جندوا جندًا منظماً ومدربًا على أحدث أساليب القتال في عصرهم، وجعلوهم على استعداد للدخول في أي حرب[4].

الجندية في الإسلام:

الجند في الإسلام هم روح الأمة، وحصنها الواقي بعد الله، وهم من أعز فئاتها وأعلاها، وأقربها إلى الله، كيف لا يكون ذلك وكلمة مجاهد تطلق عليهم، فهم قد جندوا أنفسهم وأعدوها ووهبوها فداءً وتضحية من أجل إعلاء كلمة التوحيد، ونشر رسالة الإسلام في أرجاء الأرض.

وفي بداية عهد الرسول ﷺ كان المسلمون جميعًا مجندين للعمل للإسلام، فكل من أسلم أصبح جنديًا في خدمة الإسلام، حيث كانت الدعوة في بدايتها، والمسلمون قلة، فكان المهاجرون والأنصار جندًا في

---

(١) الرفيف النبات الذي يهتز خضرة وتلألؤًا. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٩ ص١٢٧.

(٢) ديوان الأعشى، ص١١٤.

(٣) انظر جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤ ص٢٢٩، وانظر المفصل، ج٥ ص٤١٠.

(٤) انظر المرجع السابق.

جيش الإسلام وقائدهم النبي ﷺ، يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته وتبليغ رسالته، ولا يعذر في ذلك إلا من استخلفه الرسول ﷺ، أو كان ممن عذرهم الله عن القتال، قال تعالى:

﴿لَيسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ..﴾[1].

ومما يدل على أن المسلمين جميعًا جندٌ في خدمة الإسلام ما حدث في غزوة تبوك، فقد خرج المسلمون في ثلاثين ألف مقاتل[2] وتخلف ثلاثة من أصحاب الرسول ﷺ، فعاقبهم ﷺ ونهى الناس عن كلامهم أو التعامل معهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، حتى تاب الله عليهم[3]، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4].

والرسول ﷺ عاقب هؤلاء الثلاثة ولم يعاقب غيرهم؛ لتخلفهم دون عذر، ولما يترتب على ذلك من آثار، فقد يكونون قدوة لغيرهم لو تركوا بلا حساب، وإلا فغيرهم اعتذر وقبل منه، ووكلت سريرته إلى الله. وتبعًا لذلك فالتجنيد على عهد الرسول ﷺ لمن توافرت فيه شروط الجندية مبني على الإلزام الأدبي بين الرسول ﷺ والجندي، فالرسول قبل أعذار

---

(١) سورة التوبة، آية ٩١.

(٢) انظر محمد بن عمر بن واقد، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونسن، ج٣ ص٩٩٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٧٩.

(٤) سورة التوبة، آية ١١٨.

المتخلفين عن الجهاد، وأخذهم بظاهرهم، ووكل السرائر إلى الله، وعاقب من تخلف دون عذر، حتى جاءت توبتهم من عند الله.

وكان المسلمون (الجند) على عهد الرسول ﷺ يخرجون للقتال ويعودون إلى حياتهم الطبيعية بعده، فمنهم من كان يشتغل بالتجارة أو الزراعة أو غيرها من الحرف[1]، فإذا غزوا وغنموا أخذ كل جندي نصيبه من الغنائم حسب ما قررته الشريعة.

ولم يكن يشترط فيمن يريد التجند إلا القدرة على القتال، واكتمال اللياقة البدنية من حيث الصحة، والبنية القوية، ولم يكن ﷺ يسأل أحدًا عن عمره، وإنما كان يستعرض جنده فيجيز من يراه لائقًا وذا قدرة على القتال، ويرد من سواه.

ففي أُحد رد النبي ﷺ مجموعة من غلمان الصحابة، وفيهم رافع بن خديج[2]، وسمرة بن جندب[3] ولكل منهما خمس عشرة سنة[4]، ولما

---

(١) انظر عبدالرءوف، الفن الحربي في صدر الإسلام، ص٨٨.

(٢) ابن عدي بن يزيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي، أبو عبدالله أو أبو خديج، شهد أحُدًا وما بعدها، استوطن المدينة، وكان عريف قومه بها، مات سنة أربع وسبعين، وهو ابن ست وثمانين سنة. انظر ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١ ص٤٨٣.

(٣) ابن هلال بن جريج بن مرة بن حرب بن عمر بن جابر بن خنن بن لاي بن عاصم ابن فزارة الفزاري، يكنى أباسليمان، كان حليفًا للأنصار، قدمت به أمه بعد موت أبيه، نزل البصرة، وكان شديدًا على الخوارج، مات قبل سنة ستين. انظر المصدر السابق، ج٢ ص٧٧.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، قدم لها وضبطها: طه عبد الرءوف سعد، ج٣ ص١٨، وانظر ابن حزم، جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس، ناصر الدين الأسد، ص١٥٩، وانظر ابن عبدالبر، الدرر في اختصار المغازي والسير، خرجه وعلق عليه: مصطفى البغا، ص١٥٨.

علم ﷺ بأن رافعًا رامٍ أجازه لذلك، ولما ظهر له من مناسبة بنيته الجسمية، ولما علم بقوة سمرة البدنية وأنه يصرع رافعًا أجازه أيضًا(١).

وفي عهد أبي بكر سار التجنيد على ما كان عليه زمن الرسول ﷺ على مبدأ التطوع والرغبة في الجهاد، حيث يتم تجنيد كل من يصلح للقتال، ولم يتميز الجند عن سواد الأمة.

وفي بداية عهد عمر رضي الله عنه سار التجنيد على ما هو عليه في خلافة أبي بكر، فقد كان أول عمل بادر إليه بعد توليه الخلافة نَدْبَ الناس إلى الخروج إلى العراق، ولم يجبر أحدًا على الخروج، بل ندب الناس ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع تتابع الناس في الخروج رغبة في الجهاد(٢).

وتطور الحال إلى التجنيد الإجباري عند اشتداد خطر الأعداء على الأمة. فقد أورد الطبري أن عمر لما بلغه اجتماع الفرس واتحادهم لقتال المسلمين كتب إلى المثنى بن حارثة(٣) والمسلمين: «... ولا تدَعُوا في ربيعة أحدًا ولا مضر ولا حلفائهم أحدًا من أهل النَّجَدات، ولا فارسًا إلا اجتلبتموه فإن جاء طائعًا وإلا حشرتموه، احملوا العرب على الجد إذا جدَّ العجم فتلقوا جِدَّهم بِجِدِّكم»(٤)، وكتب إلى بقية عماله: «لا تَدَعُوا أحدًا له سلاح

(١) انظر الواقدي، كتاب المغازي، ج١ ص٢١٦، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٠٥-٥٠٦.

(٢) انظر المصدر السابق، ج٣ ص٤٤٤-٤٤٧، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٩٧.

(٣) ابن سلمة بن ضمضمة بن سعد بن مرة بن ذهل بن سنان الربعي الشيباني، أسلم وقدم على الرسول ﷺ سنة تسع وقيل عشر، بعثه أبو بكر في صدر خلافته إلى العراق، أبلى في حروب العراق بلاءً حسنًا، توفي سنة أربع عشرة قبل القادسية. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٣٤١.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٤٧٨.

أو فرس أو نجدة، أو رأي إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إليّ، والعَجَل العَجَل»[1]، وذلك يعني التجنيد الإجباري، إلا أنه كان في حالات طارئة كازدياد خطر الأعداء، والخوف من مداهمتهم للبلاد الإسلامية.

ومع التوسع في الفتوحات الإسلامية، وكثرة المسلمين، أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ديوان الجند)، فكان هناك من المسلمين من وقف نفسه على الجهاد، حيث يُصرف له ولأولاده العطاء من بيت المال، ولا يحق له الاشتغال بالزراعة أو التجارة أو حرفة أخرى، فقد أخرج ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية أن عطاءهم قائم، وأن رزق عيالهم سائل، فلا يزرعون ولا يزارعون[2]، ومن فعل ذلك عوقب. فكتب عمرو بن العاص[3] إلى عمر ابن الخطاب يخبره أن شريك بن سُمي الغطيفي[4] زرع من غير إذن عمرو، فكتب إليه عمر أن ابعث به إلي، فقال له عمر: لأجعلنك نكالًا لمن خلفك، قال: أوتقبل مني ما قبل الله من العباد. قال أوتفعل؟ قال: نعم. فكتب عمر إلى عمرو: إن شريكًا جاءني تائبًا فقبلت منه[5].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٧٨-٤٧٩، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣١١.

(٢) انظر ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص١٦٢، وانظر السيوطي، حسن المحاضرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص١١٥.

(٣) ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، أبو عبدالله أو أبو محمد أمير مصر وفاتحها، أسلم قبل الفتح، وهو أحد أمراء الأجناد في الشام، مات سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن تسعين سنة: انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٢.

(٤) المرادي، وفد على الرسول ﷺ، وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح مصر. انظر المصدر السابق، ج٢ ص١٤٨.

(٥) انظر ابن عبدالحكم، المصدر السابق.

ومن المسلمين من لم يقيد اسمه بالديوان، بل تجند تطوعًا حيث يشارك في القتال فقط، ويأخذ نصيبه من الغنائم وله الحق في ممارسة حياته الطبيعية من تجارة وصناعة وزراعة ونحوها[1]. وهؤلاء هم من خرجوا في النفير اتباعًا[2] لقوله تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾[3].

وعلى هذا المنوال استمرت الجندية في التاريخ الإسلامي، فهناك الجند النظاميون وهم أصحاب الديوان، والمتطوعة وهم من لا ديوان لهم. ذكر الطبري أن هارون الرشيد دخل أرض الروم في إحدى غزواته (... في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق، سوى الأتباع، وسوى المطوعة، وسوى من لا ديوان له...)[4] فالمرتزقة هم أصحاب الديوان، وما سواهم من المتطوعة.

يقول الماوردي: (المقاتلة صنفان: مسترزقة ومتطوعة، فأما المسترزقة فهم أصحاب الديوان من أهل الفيء والجهاد، يفرض لهم العطاء من بيت المال من الفيء بحسب الغناء والحاجة. وأما المتطوعة فهم الخارجون عن الديوان من البوادي والأعراب وسكان القرى والأمصار الذين خرجوا في النفير...)[5].

---

(١) انظر: كاستلان، تاريخ الجيوش، ص٦٥، وانظر عون، الفن الحربي، ص٩٩.

(٢) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣٦، وانظر أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، تصحيح: محمد الفقي، ص٣٩.

(٣) سورة التوبة، آية ٤١.

(٤) تاريخ الطبري، ج٨ ص٣٢٠، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٥ ص١٢٢.

(٥) انظر المصدر السابق، وانظر الفراء، المصدر السابق.

المبحث الثاني

مقارنة بين المفهوم العام للجندية والجهاد في الإسلام

أصل الجندية في الإسلام أن يجند المسلم نفسه في نصرة الإسلام وخدمته قولًا وعملًا.

وقد ورد لفظ الجند مطلقًا في القرآن الكريم والسنة النبوية على الملائكة والإنس والجن والشياطين، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً**﴾[(١)].

يقول الشوكاني: «﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ من الملائكة والإنس والجن والشياطين»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[(٣)]، وجند الله هنا هم الرسل وأتباعهم[(٤)].

وكان ﷺ يقول: «**لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شَيْء بعده**»[(٥)].

---

(١) سورة الفتح، آية ٧.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج٥ ص٤٦.

(٣) سورة الصافات، آية ١٧٣.

(٤) انظر المصدر السابق، ج٤ ص٤١٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٢٩، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

فلفظ الجند أطلق عمومًا على الملائكة، والإنس، والجن، والطير والريح، والشياطين، فالجمع من الخلق يطلق عليه (جند)، وينسب إلى من هم عون له، فالمسلمون جند الله، والكافرون جند الشيطان، وهذا الجمع جند فلان؛ لأنهم مناصروه ومعاونوه. والجميع جند الله؛ لأنهم تحت إرادته وتدبيره. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

قال الشوكاني: «أي ما يعلم عدد خلقه، ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم إلا هو وحده لا يقدر على علم ذلك أحد»[2].

ولفظ الجند في الإسلام لا يقتصر إطلاقه على الجندي العسكري، بل يتعداه بالعموم إلى كل مسلم يخدم دينه في أي مجال يهدف إلى توضيح العقيدة، والدعوة إليها والدفاع عنها.

فالداعية المسلم حينما يدعو إلى الله ويبذل جهده في ذلك يكون جنديًّا مسلماً؛ لأنه قد جند نفسه لهذا الغرض.

ورجال الفكر والعلم مجندون لرد الأفكار الضالة، وتفنيد الأباطيل وتوضيح ما يثار حول الإسلام من شبهات ونحو ذلك، فكما أن الجندي العسكري يقاتل أشخاصًا هدفهم القضاء على المسلمين، فرجال الفكر يدفعون أفكارًا وسمومًا هدفها إخراج المسلم من دينه أو تشكيكه فيه.

ورجال الحسبة قائمون بواجبهم في الأمر بالمعروف والتوجيه له والنهي عن المنكر والتحذير منه جنودًا في خدمة الإسلام.

---

(١) سورة المدثر، آية ٣١.

(٢) المصدر السابق، ج٥ ص٣٣٠.

والمعلم جند نفسه من أجل تعليم أبناء المسلمين جنود المستقبل، فهو يسهم في إعداد الجند، وبناء الحصن القويم الذي تعتمد عليه أمة الإسلام بعد الله.

والطبيب المسلم يعالج الجنود ويرعاهم بعد الله رعاية تساعدهم على تقديم الأفضل، وإذا احتيج إليه في المعركة لبى النداء، وقد يسهم -بإرادة الله- في إنقاذ حياة جندي أشرف على الموت، فهو أيضًا جندي.

والمهندس يبذل كل ما تعلمه من علم وخبرة، وما أعطاه الله من قدرة في الإعداد لتصميم الحصون والقلاع، والخنادق والمساجد، والمدارس وغيرها مما يحتاجه المسلمون في حياتهم المدنية والعسكرية، فهو أيضًا جندي.

كل هؤلاء وغيرهم ممن سخر ما أعطاه الله من علم وموهبة في سبيل تحقيق أهداف الأمة الإسلامية يعد من جنود الإسلام.

أما الجهاد في الإسلام فإن الأصل في كلمة (جهاد) يرجع إلى الجَهْدُ والجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة. وقيل الجَهْدُ بالفتح المشقة، من قولك أجْهد جَهْدَكَ في هذا الأمر، أي: ابلغ غايتك. والجُهْد بالضم: الوسع والطاقة، وقُرِئ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[1]، أي طاقتهم[2].

والجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ الوسع والطاقة من قول أو فعل. وجاهد العدو مجاهدةً وجهادًا: قاتله وجاهد في سبيل الله[3].

---

(١) سورة التوبة، آية ٧٩.

(٢) علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ج٤ ص١١١، وانظر ابن منظور، لسان العرب، ج٣ ص١٣٣-١٣٤؛ وانظر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج٢ ص٤٦٠-٤٦١.

(٣) انظر ابن سيده، المصدر السابق، وانظر ابن منظور، المصدر السابق ص١٣٥.

هكذا ورد مفهوم الجهاد في اللغة العربية، فلم تكن كلمة جهاد مرادفة (للحرب) كما يعتقد بعضهم الآن، بل هي كلمة مشتقة من الجُهْد أو الجَهد كما تبين، ويساند ذلك أنه لما جاء الإسلام جعل للجهاد مفهومًا إسلاميًّا مميزًا، أخرجه فيه من مفهوم الحرب الذي يعني في الأصل الاعتداء والانتصار للأهواء والأغراض الدنيوية، وقرنه بالقتال في سبيل الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فالله سبحانه وتعالى أمر ببذل الجهد والسعي في مجاهدة أعداء سبيل الله وشريعته من أجل مناصرة الحق، ووعدهم بالخير والفلاح المبين، وبهذا الربط بين الجهاد وسبيل الله علا بالجهاد وسما به إلى ما فيه سعادة البشرية وصلاحها في الدنيا والآخرة.

والقتال إذا لم يكن الهدف منه سبيل الله فلا يعدو أن يكون حربًا لمآرب شخصية، أو دنيوية الهدف منها السيطرة والاعتداء والانتقام، وليس وراءها هدف فيه مصلحة للبشر، وهذا سبيل الشيطان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[3].

وسئل ﷺ عن: الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أيُّ

---

(١) سورة المائدة، آية ٣٥.

(٢) سورة التوبة، آية ٤١.

(٣) سورة النساء، آية ٧٦.

ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»**[١].

وفي رواية أخرى: سئل ﷺ عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه. فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله»**[٢].

فما كان من قتال في سبيل الله فهو في مفهوم الإسلام (جهاد)، وما عدا ذلك فلا يعدو أن يكون عدوانًا وفي سبيل الشيطان ولا يطلق عليه لفظ (جهاد).

ومن قاتل في سبيل نفسه فهو كالحيوان الذي يجتهد في حياته لنفسه[٣] ويقاتل أقرانه لأتفه الأسباب، ويسعى لإدراك غايته والوصول إلى أهدافه بكل ما أوتي من قوة، ويتسلط في عالمه القويُّ على الضعيف. لكن الإسلام جعل للجهاد مبدءًا ساميًا ونبيلًا يهدف إلى نشر نور الحق والفضيلة، وتكوين نظام اجتماعي يكفل للبشرية سعادتها في الدنيا والآخرة؛ لاعتمادها على أسس العدل وموازين الحق.

وقد ورد لفظ (الجهاد) في القرآن الكريم والسنة المطهرة فيما هو أعم من القتال، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٤].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر أبا الأعلي المودودي، الجهاد في سبيل الله، ص١٨.

(٤) سورة التوبة، آية ٧٣.

فجهاد المنافقين باللسان، يُغلَّظ لهم في الكلام وتقام عليهم الحجة[1] قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[2].

أي جاهدهم بالقرآن، بأن يتلو عليهم ما فيه من القوارع والزواجر والأوامر والنواهي[3]. فلم تستعمل كلمة (الجهاد) هنا بمعنى القتال، بل بمعنى بذل الجهد والطاقة من أجل تبليغ الرسالة، قال ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه**»[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! نُرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد، قال ﷺ: «**لَكُنَّ أفضل الجهاد حجٌّ مبرور**»[5].

ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، قال: «**أحي والداك؟**» قال: نعم. قال ﷺ: «**ففيهما فجاهد**»[6].

ففي هذه الأحاديث وغيرها وردت كلمة (الجهاد) بمعنى أعم من القتال، مما يدل على أن هذه الكلمة كلمة إسلامية تحت مفهوم ومدلول إسلامي خالص.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٣٧٢.

(٢) سورة الفرقان، آية ٥٢.

(٣) انظر المصدر السابق، ج٣ ص٣٢٢، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٤ ص٨١.

(٤) حديث صحيح. انظر الترمذي، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، حققه وصححه: عبدالرحمن محمد عثمان، أبواب فضائل الجهاد، باب ماجاء في فضل من مات مرابطا، وانظر أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦ ص٢٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١.

(٦) المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ١٣٨، صحيح مسلم، كتاب البر، باب بر الوالدين وأيهما أحق به.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان، والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق، والعصيان»[1].

وقال أبو الأعلى المودودي: «الجهاد كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد»[2].

والقتال في سبيل الله صورة من صور الجهاد الإسلامي العديدة، وهو أعلى وأوضح هذه الصور. ومن هذه الصور:

جهاد النفس[3]:

حيث أودع الله سبحانه وتعالى في النفس البشرية قوى وطاقات ونوازع للخير والشر، وأودع فيها القوة المدركة وهي العقل، قال تعالى ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا • قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[4]، وقال تعالى ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[5]، وقال رسول الله ﷺ: «... **المجاهد من جاهد نفسه في الله** ...»[6]، ولأن النفس أمارة بالسوء، ومجبولة على حب الدنيا، فالمرء في جهاد مع نفسه بترك رغباتها وأهوائها، واتباع تعاليم دينه، وهو جهاد شاق ولازم مستمر، فمن لم يجاهد نفسه لم يجاهد غيره[7].

---

(١) العبودية، ص١٠٤.
(٢) الجهاد في سبيل الله، ص١٣.
(٣) انظر ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنئوط، ج٣ ص٩؛ وانظر محمد ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص٩؛ وانظر عبدالله القادري، الجهاد في سبيل الله، ج١ ص٣١١.
(٤) سورة الشمس آية: ٧-١٠.
(٥) سورة يوسف آية: ٥٣.
(٦) حديث صحيح. انظر السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٦٤، حديث رقم (٩١٧٥).
(٧) انظر القادري، المرجع السابق.

ويجاهد المرء نفسه على تعلم الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والعمل به[1]؛ لأن هذا هو الأساس والمنطلق للسير في الطريق الصحيح فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يَقْتَرِئُون منه عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه العشر من العلم والعمل، فتعلموا العلم والعمل[2].

ثم جهاد النفس على تعليم ما علمت، وفهمت من الكتاب والسنة والدعوة إليه[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ • إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4].

وفقدان هذا النوع من الجهاد فيه خطر عظيم؛ لأن ذلك يفسح المجال لأعداء الله لممارسة نشاطهم بنشر الباطل، والتصدي للحق بحرية تامة قال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه فتدعونه فلا يستجيب لكم»**[5].

ففقدان هذا النوع من الجهاد يؤدي إلى جهل الأمة، والجاهل مستعد

---

(١) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج٣ ص١٠، وانظر محمد ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص٩-١٢.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد، ج٥ ص٤١٠.

(٣) انظر ابن القيم، المصدر السابق، وانظر محمد ياسين، المرجع السابق، ص١٥.

(٤) سورة البقرة، آية ١٥٩-١٦٠.

(٥) حديث حسن. سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

للتوجه أينما وُجِّهَ سواء للخير أو للشر؛ لأن الجهل غطاء وستار بين المرء والحق.

وبعد ذلك يأتي الصبر على ما يواجه المسلم من مشاق، ومضايقات وله في ذلك المثل الأعلى، فرسولُ الله ﷺ وصحابته الكرام خير قدوة وأعلى مثل، فقد واجهوا طغيان قريش بالصبر والتحمل[١]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[٢].

جهاد الشيطان[٣]:

أخبر الله سبحانه وتعالى عن عدو الإنسان الأول، وكشف أساليبه وأساليب أعوانه وحذر منهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ • ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[٥].

وقال ﷺ: «... **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**...»[٦] وفي رواية: «**إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم**»[٧].

---

(١) انظر ابن القيم، المصدر السابق، وانظر محمد ياسين، المرجع السابق، ص١٠-١٦.

(٢) سورة البقرة، آية ١٥٣.

(٣) انظر المصادر والمراجع السابقة، وانظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج١ ص٣٩٢.

(٤) سورة فاطر، آية ٦.

(٥) سورة الأعراف، آية ١٦-١٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ٢١، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرمة أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السوء به.

(٧) المصدر السابق.

فمن رحمة الله بعباده أن عرَّفهم بعدوهم، وبين لهم وسائله وطرقه وحذرهم منه، ودلهم على طرق الوقاية منه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

واتخاذ الشيطان عدوا يدل على وجوب بذل كل جهد ووسع في مجاهدته بدفع الشبهات وما يزينه من شهوات دنيوية، ووساوس حول العقيدة وذلك بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والإكثار من ذكر الله والاعتصام بالطاعة وعمل الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2].

كل ذلك يدل على شدة خطورة هذا العدو على الإنسان، ووجوب مجاهدته واستفراغ الوسع في ذلك، وبذل كل جهد يؤدي إلى معرفة مداخل الشيطان إلى النفس الإنسانية، ليسد تلك المداخل، ويقطع الطريق عليه، والله سبحانه وتعالى عاصم من لاذ بجانبه[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[4].

جهاد الكفار:

أما جهاد الكفار فهو أرقى درجات الجهاد؛ لكونه بالنفس والمال واللسان والقلب[5]، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف، آية ٢٠٠.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٤٥.

(٣) انظر محمد ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص١٩.

(٤) سورة الإسراء، آية ٦٥.

(٥) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج٣ ص١١.

(٦) سورة التوبة، آية ٤١.

وقال الرسول ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[1].

فهؤلاء الكفار قد جندوا أنفسهم في خدمة الشيطان ومناصرة الباطل فأوجب الله جهادهم بكل الوسائل التي تؤدي إلى القضاء عليهم، أو دخولهم في دين الله؛ لأنهم جند استحوذ عليهم الشيطان، وسيطر عليهم، وسخرهم في السعي لتحقيق أهدافه، وجهاد الكفار غالبًا ما يكون بالسلاح ما لم يدخلوا في ذمة المسلمين أو يسلموا.

أما تركهم فيعني سعيهم لتحقيق أغراضهم، قال تعالى: ﴿**. . . وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا . . .**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾[3].

هذا هدف الكفار من معاداة المسلمين، فقطعًا لتحقيق هذا الهدف أوجب الله جهاد الكفار، لإزالتهم عن طريق الدعوة الإسلامية، وليبقى الإسلام نورًا يشع في أنحاء الأرض، وإذا لم يتم جهادهم فسيملئون الدنيا ظلماً وضلالًا، ويمنعون دين الله أن يشع، وستعلو كلمة الشياطين من الجن والإنس في غياب الجهاد.

وفي جهاد الكفار جهاد للنفس، وجهاد للشيطان، فالمرء يجاهد نفسه

---

(١) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٥٥٤، رقم الحديث (٣٥٧٨).

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٧.

(٣) سورة النساء، آية ٨٩.

على ترك الملذات الدنيوية في سبيل السعادة الأخروية، وجهاد للشيطان لأنه يزين للإنسان حب الدنيا، والركون إلى الراحة، قال ﷺ: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال له: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول! فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد للنفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال! فعصاه فجاهد، فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة**»[1].

جهاد المنافقين:

العدو الخفي خطره عظيم، وآثاره سيئة، والمنافقون يدَّعونَ الإسلام في ظاهرهم، مع أن باطنهم يخالف ظاهرهم؛ لهذا كان خطرهم على الإسلام شديدًا، وجهادهم واجب على كل مسلم، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ • وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4]

(١) صحيح. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج١ ص٣٣٩، رقم الحديث (١٦٥٢)، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٣ ص٤٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) سورة المنافقون، آية ٤.

(٤) سورة التحريم، آية ٩.

فحذر الله سبحانه وتعالى منهم، وأوجب على المؤمنين جهادهم، بعد أن فضحهم وبين صفاتهم، وأساليبهم في المكر والكيد، ولا أدل على وجوب جهادهم، واتخاذ الحيطة والحذر منهم من ذلك الحيز الكبير في كتاب الله الذي تحدث عنهم بإسهاب، حيث ورد فيهم عُشر القرآن الكريم وسورة كاملة سميت باسمهم[1]، وهي سورة (المنافقون).

أما جهادهم فيكون باللسان، وإقامة الحجة عليهم، وكشف أباطيلهم للمؤمنين، وترك موالاتهم أو التقرب إليهم، مع أخذ الحيطة والحذر منهم في كل أمر[2].

جهاد فساق الأمة وظلمتها:

ويكون جهادهم باليد عند القدرة عليهم، فإن عجز جاهدهم بلسانه عن طريق المناصحة والموعظة والإرشاد وتوضيح الحقائق بكل الوسائل المشروعة والمستطاعة، فإن عجز جاهدهم بقلبه[3]، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[4].

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[5].

---

(١) انظر محمد ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص ١١٣-١١٤.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٣٧٢، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٣٨٢.

(٣) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج٣ ص١١.

(٤) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

وجميع صور الجهاد السابقة داخلة في جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن اقتصر عليه هنا؛ لأن هؤلاء الفساق والظلمة لم يصدر منهم ما يوجب قتالهم، إلا أنهم اتبعوا الشيطان في بعض الأمور، لذا وجبت النصيحة، فيجتهد المسلم ويبذل كل ما في وسعه من أجل إنكار المنكر وإظهار المعروف، ولا يعذر في ذلك أحد، كل حسب استطاعته، قال ﷺ: «. . . **لا تمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه** . . .»[1].

والجهاد يتنوع في أساليبه ووسائله[2]، وذلك حسب استطاعة الإنسان وحسب ما يملك من وسائل وأسلحة، فقد يكون الجهاد بالعقل والفكر وذلك بتنفيذ ودفع وساوس الشياطين من الإنس والجن، وكشف أباطيلهم ومفترياتهم، والرد عليهم بالحقائق والأدلة الإسلامية القاطعة وتثبيت النفس على الحق بالتأمل والتدبر في ملكوت السموات والأرض قال تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾[3]، أي **جاهدهم** بالقرآن، وما فيه من زواجر وأوامر وأدلة قاطعة وموضحة للحق من الباطل.

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[4].

---

(١) حديث حسن. سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة.

(٢) انظر أحمد الحوفي، الجهاد، ص٥٧، وانظر محمد ياسين، حقيقة الجهاد في الإسلام، ص٧١.

(٣) سورة الفرقان، آية ٥٢.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٩١.

وقد يكون الجهاد باللسان واليد والقلب[1]، وذلك بقول الحق والجهر به، قال ﷺ: **«ما من نبيٍّ بعثه الله في أمةٍ قبلي، إلا كان لهُ من أمته حواريُّون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**[2].

وقد يكون الجهاد بالمال والنفس[3]، ببذل المال في سبيل الله تجهيزًا وإعدادًا لكل ما من شأنه تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، والجهاد بالنفس تضحية في سبيل الله بدفع الروح ثمنًا لعزة الإسلام، ورفعًا لراية الجهاد، وطلبًا لمرضاة الله، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾**[4].

وإذا عمل الإنسان بإحدى هذه الوسائل قاصدًا بها غرضًا دنيويًّا، أو مصلحة شخصية، أو تحقيق هوى في نفسه، فإن ذلك لا يُعد جهادًا، وإنما الجهاد ما قُصِد به وجه الله، وإعلاء كلمة التوحيد، قال تعالى: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾**[5]، أي في ذات الله ومن أجله، جهادًا خالصًا لوجهه[6].

---

(١) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج٣ ص١١، وانظر أحمد الحوفى، المرجع السابق، ص٧١-٧٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٣) انظر ابن القيم، المصدر السابق، وانظر الحوفي، المرجع السابق، ص٤٨-٥٣.

(٤) سورة الحجرات، آية ١٥.

(٥) سورة الحج، آية ٧٨.

(٦) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج٣ ص٤٧٠.

مما سبق يتبين أن الجهاد في الإسلام هو أن يبذل المسلم كل ما في وسعه وطاقته من أجل الحصول على ما يرضي الله، ودفع ما يغضبه في الدنيا والآخرة. والمرء الذي يقوم بعمل يخدم فيه الإسلام، يكون قد جنَّد نفسه لذلك العمل، ويكون مجاهدًا لأنه يبذل جهده في سبيل الوصول إلى الأفضل وتحقيق الهدف المرجو، ويجاهد من أجل ذلك. إذًا فكل جندي مجاهد.

كما تبين أن الجندية أصلٌ يُنْطَلَق منه للجهاد، فإذا تجنَّد المرء، أصبح مجاهدًا، وكل فرد يتجنَّد لخدمة الإسلام بدخوله. ولا يمكن أن يطلق على شخص لفظ مجاهد إلا وهو جندي. كما لا يطلق عليه لفظ جندي إلا إذا جاهد.

إذًا فالجندية والجهاد لفظان متداخلان متلازمان في الإسلام.

الباب الأول

الهدف من إعداد الجندي المسلم

تمهيد:

الفصل الأول : توفير الأمن الداخلي.

الفصل الثاني: تحقيق الأمن الخارجي.

الفصل الثالث: حماية الدين.



تمهيد

المبحث الأول: ضرورة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وحكم ذلك في الإسلام.

المبحث الثاني: الصيغ الملائمة لتحقيق دفاع المسلم عن عقيدته بكل الإمكانات.

المبحث الأول

ضرورة الدفاع عن العقيدة الإسلامية وحكم ذلك في الإسلام

لقد كرم الله سبحانه وتعالى بني آدم حيث خلق أباهم آدم بيده فأحسن خلقه، ونفخ فيه من روحه، وسخر لهم ما في السموات والأرض وأكرمهم أعظم تكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

وقد حدد الله سبحانه وتعالى وظيفة الإنسان بالأرض بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، فهو مستخلف في الأرض، والخليفة يقوم بأمر مستخلفه وفق إرادته، يعمل ما يُؤمر به وينتهي عما يُنهى عنه.

وهذا الاستخلاف للإنسان هو استخلاف تشريف وتكريم، رغم عِظم شأنه، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٧٢.

والأمانة هنا: القيام بكل عمل يتعلق بأدائه الثواب، وبتركه العقاب وقد تحمل الإنسان (الخليفة) تلك الأمانة على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفقه الله[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى • وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2]، فكانت بداية الصراع بين الحق والباطل منذ بدء الخليقة، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ • ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

ولقد أودع الله سبحانه وتعالى في النفس البشرية الاستعداد للخير والشر، ووهبها القوى المدركة لذلك، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا • قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[5].

ففي الحق تهذيب للأخلاق والضمائر، وتطهير للنفوس والعقائد

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٣ ص٥٢٣، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٤ ص٣٠٨.

(٢) سورة طه، آية ١٢٣-١٢٤.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٦-١٧.

(٤) سورة الأعراف، آية ٢٧.

(٥) سورة الشمس، آية ٧-١٠.

والنهوض بالإنسانية والسير بها نحو السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة. وفي الباطل انزلاق إلى الغي والفساد وغياهب الجهل والضلال، ونزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان لاتباعه الشهوات والنزوات وتخليه عن الأخلاق والمكرمات.

والله سبحانه وتعالى لم يكل بني آدم إلى عقولهم وفطرهم في معرفة الحق والباطل، ولا في تحديد مسئوليتهم؛ لأن غواشي الحياة تتجاذب النفس الإنسانية، فتتأثر بذلك، وقد تنحرف عن جادة الحق[1]، لذلك أرسل الله الرسل للحق مبينين ومؤيدين، ولحجة الخلق مسقطين، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً﴾[2].

فأرسل الله الرسل إلى جميع الأمم يدعون إلى الحق، ويساندون دواعي الخير في الإنسان، وينمونها بالتوجيه والإرشاد، ويحذرونها ويبعدونها عن طريق الغي والضلال، ويجاهدون في ذلك شياطين الإنس والجن الذين لا يملون ولا يفترون عن مساندة الباطل، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيماَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[4].

---

(١) مناع القطان، الحاجة إلى الرسل في هداية البشر، محاضرة ألقاها على طلاب الدراسات العليا بجامعة الإمام، للعام الجامعي ١٤٠٣-١٤٠٤هـ.

(٢) سورة النساء، آية ١٦٥.

(٣) سورة البقرة، آية ٢١٣.

(٤) سورة الأنعام، آية ١١٢.

والشيطان جلس لابن آدم في كل مرصد يزين له الشهوات، وينمي غرائز الباطل، ويدعوه إلى اتباع الهوى وملذات الدنيا، فهو قد نذر نفسه لذلك منذ أن أُهبط إلى الأرض متخذًا أولياء وشياطين من الإنس والجن يناصرونه ويدعون له بعد أن استحوذ عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ • ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1].

وختم الله سبحانه وتعالى رسالاته السماوية بالدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[2].

فأصبحت عقيدة الإسلام منهاجًا لهذه الأمة، ورسالة خالدة إلى الناس كافة، فيها القواعد والمبادئ التي تكفل للمرء حياة العطاء والحرث لليوم الآخر، شاملة لكل ما يتصل بالعقيدة والعبادات، والسلوك والمعاملات نظام حياة متكامل، فيها بيان وتحذير من الأعداء والشياطين، لتكتمل نعمة الله عليهم بمعرفتهم، وحتى يحذروهم ويتحصنوا بالإيمان عنهم.

وعقيدة الإسلام لا تنهض وحدها، بل ينهض بها الإنسان الذي هو مناط التكليف والمسئولية التي تحملها، وعنده من القدرة والإرادة ما يؤهله للنهوض بها وتبليغها والدفاع عنها، حيث قد وضح له الحق وعرف أعداءه وأساليبهم، وعاقبة أمرهم مع من اتبعهم.

فأمر المسلم بالثبات والاعتصام بالحق، والجهر به دون خوف أو جبن

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٦-١٧.

(٢) سورة المائدة، آية ٣.

وصد الباطل بكل ما أوتي من سلاح علم أو قتال، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[3].

وشياطين الإنس والجن أولياء الشيطان وجيشه المجند للصد عن الحق عن طريق الوساوس الباطلة، والدعاوي الكاذبة، وزخارف الدنيا الفانية، وشهوات النفس الجارفة، يبذلون كل جهد في مناصرة الباطل مقابل ما يبذل للنهوض بالعقيدة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[5].

وفي هذه المرحلة العصيبة من تاريخ أمتنا الإسلامية، والتي تواجه أممًا سخرت طاقاتها في خدمة الباطل، يدفعها الحقد والحسد، مستخدمة أساليب ووسائل لم تعرف من قبل، أوجدت لها من الأعوان والأنصار ممن يَدَّعُون

(١) سورة البقرة، آية ٢٥١.

(٢) سورة الزخرف، آية ٤٣-٤٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٤) سورة الأنعام، آية ١١٢.

(٥) سورة النساء، آية ١١٨.

الإسلام داخل البلاد الإسلامية ما يكفي لترويج آرائهم، وشبهاتهم ومفترياتهم ضد الإسلام، فهم قواعد كفر في قلب الأمة الإسلامية.

وهدف الأعداء من محاربة الإسلام والمسلمين قد بينه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3].

هذه أهداف الأعداء، زوال نعمة الإسلام باتباع الهوى والشيطان والمساواة في المآل والمصير، والإنسان المسلم إذا لم يقم بأداء الأمانة بإعلاء كلمة التوحيد والدعوة إلى الله والدفاع عن العقيدة، واستسلم لأعداء الحق، فقد خان الله ورسوله، وعرض نفسه لعقاب الله وسخطه؛ لأنه عرف الحق ولم يتبعه، وعرف العدو فلم يحاربه فكريا ولا ماديا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[4]، وقال تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، آية ٢١٧.

(٣) سورة البقرة، آية ١٠٥.

(٤) سورة النساء، آية ١١٥.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[١].

وقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لَتَدْعُنَّه فلا يستجيب لكم»**[٢].

إذًا فالدفاع عن العقيدة فرض على كل مسلم، وضرورة حتمية من أجل الحفاظ على الإيمان في القلوب[٣]، كل في ذلك حسب استطاعته فالمؤمن قد أقر بقلبه، وصدق بلسانه أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وهذه الشهادة بما تدل عليه تُلقي بالمسئولية على المسلم في الدعوة إلى الله والدفاع عن دينه، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٤]، فعلامة حب الله اتباع شرعه في جميع الأقوال والأفعال[٥]، فيدافع عن دينه قولًا وعملًا ويدعو إليه ويوالي أتباعه، والله تعالى ناصر من ينصره، قال تعالى: **﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[٦].

---

(١) سورة الشورى، آية ٣٠.

(٢) حديث حسن. سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٥ ص٣٨٨.

(٣) انظر محمد ياسين، الجهاد ميادينه وأساليبه، ص٩٣-٩٤.

(٤) سورة آل عمران، آية ٣١.

(٥) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٣٥٩.

(٦) سورة الحج، آية ٤٠.

المبحث الثاني

الصيغ الملائمة لتحقيق الدفاع عن العقيدة

أولًا: الدفاع عن العقيدة فكريًا:

الإسلام دين العزة والكرامة يأبى أن يكون المسلم ذليلًا أو خاضعًا لغير الله تعالى وقد رباه الإسلام على ذلك، قال تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[2].

فالإسلام يرفض الاستسلام لغير الله، ويأبى أن تكون أمة الإسلام أمة تقليد وتبعية، فهي الأعز والأكرم، وهي القدوة.

وكما أشرت سابقًا فقوة العقيدة تنطلق من إدراك المسلمين لدورهم الحقيقي في الدفاع عنها بكل الوسائل التي تضمن لها السمو والانتشار.

ومسئولية الدفاع عن العقيدة واجبة على كل من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام، كل حسب طاقته، قال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ**

(١) سورة المنافقون، آية ٨.
(٢) سورة النساء، آية ٩٧.

على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»[1].

فكل إنسان مسئول عمن تحت تصرفه، ونفس المسلم تحت تصرفه وهو مسئول عن عمله، قال تعالى: **﴿وَأَنْ لَيسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى • وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى • ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾**[2].

فإذا شعر المرء بتلك المسئولية، وصان نفسه عما يُعَاقَب عليه، صلحت نفسه، وإذا صلحت النفس صلح الفرد، وإذا صلح الفرد صلح المجتمع وإذا صلح المجتمع رفض ما يُدَسُّ له من قبل أعداء الإسلام بقوة إيمانه وتماسك أركانه، فينبذ الغريب، ويترك المريب.

إذًا فالمسئولية عامة، إلا أنها على من آتاه الله العلم والمعرفة أشد وأعظم؛ لما يملكه من قوة إيمان، وسعة علم، وبُعدٍ عن الأغراض الدنيوية، ومستوى عقلي وعلمي لا يشاركه فيه عامة الناس، والله سبحانه وتعالى قد فرض على هؤلاء إنكار المنكر، والجهر بالحق، وحرَّم عليهم الرضا بالحياة الزائفة، وبيع الضمائر بالعروض الفانية؛ لأنهم حياة الأمة وأساس منطلقها إلى الخير، وهم ورثة الأنبياء؛ لحملهم ميراث الأنبياء الذين لم يورثوا إلا العلم[3]، قال ﷺ: **«العلماء أمناء أمتي»**[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ١.

(٢) سورة النجم، آية ٣٩-٤١.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب١٠.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص١٩١، رقم الحديث (٥٧٠٢).

فوجب عليهم بذل الجهد في سبيل التصدي لكل ما من شأنه التعرض للعقيدة بسوء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ • إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[(١)].

وفي هذه المرحلة التي تُعد من أشد المراحل دقةً وتشابكًا، تواجه أمة الإسلام حربًا فكرية، وغزوًا حضاريًّا تخطى الحصون إلى الداخل، وبدأ الغزاة يحصدون الغنائم، ويُكوِّنون لهم في الداخل أنصارًا وأعوانًا.

ولو ترك هؤلاء الغزاة وحالهم فسيؤدي ذلك إلى سيادة الفساق والظلمة والسفهاء والجاهلين[(٢)]؛ لأن الباطل لا يقوم إلا في غفلة من الحق، فما دام أهل الحق يجهرون به ويعملون على نشره فلن يقوم الباطل[(٣)]، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[(٤)].

وهذه الحرب الفكرية لا يمكن القضاء عليها بسلاح القوة، بل تجابه بسلاح الضد بالضد، سلاح الفكر الإسلامي، ومسئولية التصدي لها بجميع أنواعها تقع على رجال الفكر الإسلامي عمومًا، ووجود هذه الطائفة فرض لازم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

(١) سورة البقرة، آية ١٥٩-١٦٠.

(٢) انظر أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة الإسلامية، ص٢٨٧.

(٣) انظر سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، ص٢٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٨.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

وأرى أن التصدي لهذه الحرب يجب أن يبدأ من الداخل أولًا، حيث إصلاح المجتمع، ومن ثم القيام بتبليغ الدعوة، وتوضيح حقائقها وذلك على النحو التالي:

١- تنشئة الفرد وإعداده وفق تعاليم الإسلام جسميًّا وعقليًّا وفكريًّا فهو مادة المجتمع الأولى، ففي قوته وسلامته قوة المجتمع وسلامته وصيانة له عن الزيغ والضلال[3]، وإذا لم يتم تزويد الفرد بسلاح الإيمان فمن السهولة السيطرة عليه وتوجيهه إلى خدمة أعداء الدين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[4].

والأولاد أمانة في أعناق آبائهم، وأمانة في أعناق معلميهم بتوجيههم الوجهة الصحيحة، وتزويدهم بالمعرفة المفيدة التي تحول دون وقوعهم في مصائد المخادعين، قال ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه . . .**»[5].

وقد كان السلف الصالح من سابقي هذه الأمة يهتمون بالتربية

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٢) سورة التوبة، آية ١٢٢.

(٣) انظر محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ص ٣٥١.

(٤) سورة المؤمنون، آية ٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ٨٠.

ويحرصون على اختيار المربي الصالح لأبنائهم[١]، إيمانًا منهم بأهمية التربية، ودورها في تنشئة النشء.

٢- مخاطبة الضمير لدى الفرد المسلم، وتنمية روح الإسلام فيه، وإحياء شعور المسئولية عنده. ففي ذلك إيقاظ للغافلين العارفين، وتزكية وتطهير للنفوس، وتذكير بالمآل والمصير، وتعريف بعواقب البعد عن تعاليم الدين الحنيف وتحقيق الأعداء لأهدافهم وآمالهم، قال تعالى: **﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٢].

وقال ﷺ: «**الدين النصيحة**» قيل: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٣].

وارتباط المرء بالله، ومراقبته الدائمة له، وخشيته في السر والعلن كل ذلك ينأى بالفرد عن الغي والفساد، ويجنبه الزلل والانحراف[٤]، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[٥].

٣- القيام بواجب تبليغ الدعوة حتى لا يبقى مكان في الأرض إلا وصلته، وهذا هو الهدف الأساسي للدعوة الإسلامية؛ ليشع نور الإسلام، ولتنعم البشرية بالسعادة في ظل مجتمع متعاضد اجتماعيًا

---

(١) انظر محمد علي الهرفي، خواطر العزة للإسلام، ص ١٢٦.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصحية.

(٤) انظر عمر الخطيب، المسألة الاجتماعية، ص٢٠٥.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٣٥.

وخلقيًّا، واقتصاديًّا، وسياسيًّا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]، ويُستغل في ذلك وسائل الإعلام المختلفة، حتى يصل الفكر الإسلامي إلى كل بلد، وكل بيت، ويَتعرف عليه كل إنسان مهما كان، وفي أي مكان كان، مع استخدام الأدلة العقلية والواقعية لإثبات أحقية العقيدة الإسلامية بالاتباع، وتبرئتها مما يُنسب إليها من تهم باطلة.

٤- الوقوف أمام البدع والخرافات والشبه والمفتريات التي تحاك ضد الإسلام، فيتصدى لها العلماء بالفحص والتمحيص، والكشف عن حقائقها، وبيان خطورة أهدافها، والرد على أصحابها بفكر إسلامي صحيح، يكشف الحق لمن جهله، أو التبس عليه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3].

وفقدان أحد هذه الأمور يخل بهدف العقيدة الإسلامية، فتبليغ الدعوة ونشرها مع إهمال الداخل يؤدي إلى الخلل والاضطراب، ولو أهمل تبليغ الدعوة وحوفظ على الداخل لتُرِك هدف سام من أهداف الإسلام، كما أن ترك الأعداء ينفثون سمومهم يجعل الأمة في خطر، والخطر أجسم إن تركت لهم الحرية في نشر أفكارهم ومبادئهم.

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٩.
(٢) سورة آل عمران، آية ١١٠.
(٣) سورة البقرة، آية ٢٥١.

ثانيًا: الدفاع عن العقيدة عسكريًّا:

الإسلام يهدف إلى تحقيق الأمن والسلام للناس أجمعين، يريد لهم السعادة والأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

والسلام من أسماء الله تعالى، وتحية أهل الجنة بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿... تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[3].

ويرددها المسلم في يومه وليلته، في عبادته ومعاملته، قال ﷺ: **«ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[4].

كل ذلك لأن الإسلام ينادي ويدعو إلى السلام والأمن، ويرفض الاعتداء والعدوان، وبرغم ذلك فالأعداء يتربصون به الدوائر ويتحدون مع اختلافهم من أجل القضاء عليه، مستخدمين في ذلك كل ما لديهم من سلاح فكري، أو عسكري.

ومسئولية الدفاع عن العقيدة عسكريًّا لضمان انتشارها، وصد عدوان المعتدي المعرض عن الدخول في سبيل السلام فرض على المسلمين، قال

---

(١) سورة الأنعام، آية ٨٢.

(٢) سورة المائدة، آية ١٦.

(٣) سورة إبراهيم، آية ٢٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون...، مسند الإمام أحمد، ج٢ ص٤٧٧.

تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[2] فأمر الله سبحانه وتعالى بإعداد القوة لصد العدوان وإرهاب العدو، ولم يكن الهدف من ذلك الاعتداء أو الظلم.

والدفاع عن العقيدة الإسلامية عسكريا فرض كفاية[3]، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

وقال ﷺ: «لِينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما»[5]، فإذا اندفع بهم العدو، وانْتُصِر للعقيدة، وإلا أصبح الدفاع فرض عين على كل مسلم[6]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ

---

(١) سورة النساء، آية ٩١.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٠.

(٣) انظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٣٤٥-٣٤٦.

(٤) سورة النساء، آية ٩٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

(٦) انظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص٣٤٦ - ٣٤٧.

(٧) سورة الأنفال، آية ٤٥.

إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1].

وقد يقول قائل: كيف يكون من صد الدعاة معتديًا؟ فيقال له: إن من صد الدعاة عن تبليغ الرسالة فقد صد عن سبيل الله، ودعا إلى سبيل الغي والفساد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[3].

ومن صد عن سبيل الله فقد اعتدى، ومن اعتدى وجب صد عدوانه وقتاله، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[5].

وجهاد الباطل والمنكر، وحرب أعداء الله في الأرض، وإبطال أساليبهم في الصد عن سبيل الله، كل ذلك يحتاج إلى صدق في العبودية لله تعالى، وقناعة عقلية وقلبية بالعقيدة الإسلامية، لتكون آثار هذه القناعة هي المنطلق للدفاع عن العقيدة[6]، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة في

---

(١) سورة التوبة، آية ٣٨.

(٢) سورة النساء، آية ١٦٧.

(٣) سورة الأعراف، آية ٤٥.

(٤) سورة البقرة، آية ١٩٠.

(٥) سورة البقرة، آية ١٩٣.

(٦) انظر محمد نعيم ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، ص٨-٩.

ذلك، فقد جاهد في تربية أصحابه عقيدة وخلقًا على ضوء تعاليم الإسلام[1]، متحملًا في سبيل ذلك كل أنواع الحرب العدوانية والنفسية، حتى وصل بهم إلى مرحلة الفداء والتضحية في سبيل الحق عند ذلك أذن لهم بالدفاع عسكريا عن أنفسهم وعن عقيدتهم، قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[2].

فمنه ﷺ نستلهم السبل في إعداد جند الإسلام الذين يدافعون عنه بكل الوسائل الممكنة، الفكرية منها والعسكرية.

فلنعد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة الصحابة الكرام والسلف الصالح، نبحث عن أسباب انتصاراتهم، لنستشف منها العبر والدروس، فهم السلف ونحن الخلف، وهم السابقون ونحن اللاحقون، وبإذن الله على خطاهم سائرون.

قال الرسول ﷺ: «**... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة**»[3].

---

(١) انظر محمد شديد، الجهاد في الإسلام، ص٥٣.

(٢) سورة الحج، آية ٣٩.

(٣) حديث صحيح، محمد الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين.

الفصل الأول

توفير الأمن الداخلي

مدخل

إذا أطلق لفظ جُنْد فإنه ينصرف إلى من هم في الخدمة العسكرية سواء في القوات المسلحة، أو قوات الأمن الداخلي. ويتضح الفرق بين القوات المسلحة، وقوات الأمن الداخلي، بمعرفة الغاية من وجودهما.

فالقوات المسلحة تُعنى بالدرجة الأولى بحفظ أمن البلاد الخارجي وصد العدوان.

وقوات الأمن الداخلي تُعنى بحفظ الأمن، وإقرار السلام داخل المجتمع، ولا يعني ذلك أن كلا منهما لا يُعنى بشئون الآخر بل يساند كل منهما الآخر عند الحاجة[1].

والجند في قوات الأمن الداخلي يطلق عليهم: رجال الأمن[2] أو الشرطة[3]، وعليهم تقع المسئولية الأساسية في توفير الأمن الداخلي، تحقيقًا لمبدأ السلام والأمن اللذين جاء بهما الإسلام.

---

(١) انظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة لقوات الأمن الداخلي في المملكة العربية السعودية، ص١٢.

(٢) الأمن: ضد الخوف، ومؤتمن القوم الذي يثقون إليه ويتخذونه أمينًا حافظًا، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣ ص٢١-٢٢؛ وانظر الزبيدي، تاج العروس، ج٩ ص١٢٤-١٢٥.

(٣) واحدها شُرَطة وشُرَطِيّ، والشَّرَط: العلامة، ومنه سمي الشُّرَطَ؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها، تقول أشْرَط فلان نفسه لكذا وكذا، أعلمها له وأعدها، والشُّرْطةُ في السلطان من العلامة والإعداد، ورجل شُرْطِيٌّ وشُرَطِيٌّ منسوب إلى الشرطة، وهم: طائفة من الأعوان يعملون على استتباب الأمن، وحفظ النظام، وعمل التدابير التي تكفل سلامة الجمهور وطمأنينته. انظر ابن منظور، المصدر السابق، ج٧ ص٣٢٩-٣٣٠، وانظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١ ص٤٦٠.

فتعاليم الإسلام ومبادئه جاءت لتحقق للأفراد والمجتمعات ما يتمشى مع طباعهم السليمة، وفي الوقت نفسه تحكم تصرفاتهم وتنظم علاقاتهم بربهم وبأنفسهم وبمجتمعهم وببني جنسهم جميعًا، ليعيشوا في مجتمع متعاون متعاضد في أمن وسلام، رباط العقيدة يربطه ويؤلف بينه. فقد نادى الإسلام ودعا إلى السلام، ورسم الخطة الموصلة إليه، فعمقه في القلوب؛ لأنه الغاية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

وتحقيق الأمن داخل المجتمع دافع للإنسان إلى التقدم والبحث ومحاولة الوصول إلى الرقي في كل شيء؛ لأنه قد أمن على نفسه وماله وعرضه فتفرغ لعمل ما فيه صلاح دينه ودنياه، ولايستطيع الإنسان تحقيق شيء من ذلك إذا لم يكن هناك أمن؛ لأنه في هذه الحالة سيبحث عن الأمن والاستقرار قبل البحث عن التقدم والرقي.

لذلك جاء الإسلام بالمنهاج المعتدل والنظام الصحيح المحقق للأمن والسلام، وحث على بذل الجهد في تحقيق ذلك، وحرم العمل على نقضه وزعزعته، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية ٨٢.

(٢) سورة يونس، آية ٢٥.

(٣) سورةالمائدة، آية ٢.

(٤) سورة النور، آية ١٩.

فحرم الإسلام نشر الجرائم وإشاعتها بين الناس، لما في ذلك من تخويف، وترويع، وخروج عن مبادئ الإسلام في تحقيق الأمن والسلام، كما جعل العلاقة داخل المجتمع الإسلامي مع غير المسلمين تقوم على مبدأ التعاون والعدل، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١].

وحارب الإسلام التسلط والغش والخداع، ونقض العهود والمواثيق قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣].

وقال ﷺ: «. . . من غشنا فليس منا»[٤].

وفي كل مجتمع توجد فوارق شاسعة بين أفراده. فيظهر من يعبث بمصالحه، وينشر الفساد، ويتلف ويخرب ويحتال، فحب التملك والسيطرة والعدوان من الطباع البشرية، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٥]

---

(١) سورة الممتحنة، آية ٨. (٢) سورة النحل، آية ٩١.

(٣) سورة الإسراء، آية ٣٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ (من غشنا فليس منا).

(٥) سورة آل عمران، آية ١٤.

وقال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

وهذا العنصر الشاذ لا يردعه عن ذلك دين أو ضمير أو تربية، فقد جُبل على حب الشر، وممارسة الظلم، وتجاوز الحد عند عدم وجود الرادع، وهو لا يعدو أن يكون منافقًا ذا ضمير عدائي، يحاول بطريق أو بآخر تدمير المجتمع وإشاعة الفوضى، أو حاقدًا على المسلمين، يُبطن الحقد خوفًا من ضرر مادي أو أدبي قد يقع عليه، يتمنى زوال النعمة عن المسلمين، ويعمل ما في وسعه من أجل ذلك بكل حيطة وحذر، وقد يكون صاحب أراجيف وأكاذيب يثيرها داخل المجتمع الإسلامي تنفيسًا عن بغضاء أو عداءٍ نفسي دفين. كل هؤلاء وأمثالهم من العناصر الهدامة داخل المجتمع الإسلامي تعمل على إثارة الفزع والخوف[2]، قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا • مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾[3].

ووضع الإسلام لهؤلاء الحلول، ولجرائمهم الحدود التي تكفل بترهم من المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . .﴾[4].

فإذا وقع أحد هؤلاء في قبضة المسلمين أخذ جزاءه الدنيوي عقابًا له وردعًا لمثيري الظلم والجرائم.

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٤.

(٢) انظر محمد البهي، الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم، ص ٤٣٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٦٠-٦١. (٤) سورة الحديد، آية ٢٥.

إلا أنه قد يقع اعتداء وظلم على حقوق الإنسان الأساسية، كالنفس والمال والعرض، وغير ذلك مما فيه ظلم وترويع للآمنين من أناس لا يعلم من هم؛ لتسترهم حين ارتكاب ظلمهم، فيثيرون الهلع والخوف لدى المسلمين، ومن الصعب معرفتهم؛ لأنهم اعتدو على حين غفلة من الناس.

لذلك احتيج إلى أناس متخصصين، يستطيعون القبض على هؤلاء ويعملون على تحقيق الأمن والوقاية من الجريمة والظلم ومكافحتهما؛ لأن المجرم لا يقدم على عدوانه إلا حينما يجد الفرصة مواتية لتحقيق هدفه لذلك لابد من وجود نوع من القوة لحفظ الأمن والعمل على محاصرة الأعضاء الفاسدة داخل المجتمع لعلاجها أو القضاء عليها، وتفويت الفرصة على المجرم لئلا يقدم على إجرامه. وهذا هو الدور الذي يجب أن يقوم به رجال الأمن كقوة منظمة مدربة، تعمل على حفظ الأمن واستقرار السلام، وحماية الأرواح والأعراض والممتلكات، وتتخذ الإجراءات والتدابير اللازمة لمنع الظلم، ووقوع الجريمة، والقبض عل الجناة المفسدين، فهم جند الله في أرضه يعملون لتحقيق مبادئ دينه بنشر العدل ودرء الظلم والجريمة مهما كانت، سواء في ذلك ما أوجب حدا، أو تعزيرًا أو مصادرة، أو حبسًا[1].

وفي عهد الرسول ﷺ كان المسلمون جميعًا جنود أمن، كل فرد منهم حارس على نفسه، وعلى جاره، وعلى دولته[2]، فلم تكن الشرطة

---

(1) انظر شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، ص١٠٣-١٠٤، وانظر أبو الحسين إسحاق الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، ص ٣٩٣، وانظر أبومحمد عبدالله بن محمد البلوي، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، ص ٢٠٥.

(2) انظر ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ص٦٣٢.

معروفة، ولم يكن هناك صاحب شرطة، إلا أن هناك أحداثًا وقعت في عهد الرسول ﷺ تشبه ما اختصت به الشرطة فيما بعد، فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه[1] أن قيس بن سعد رضي الله عنه[2] كان يكون بين يدي الرسول ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير[3]، فشبه أنس ما يقوم به قيس في عهد النبي ﷺ بما صار فيما بعد من اختصاص الشرطة. وأخرج أيضًا أن النبي ﷺ كان يغدو إلى المصلى والعنزة[4] بين يديه، تحمل وتنصب بالمصلى بين يديه فيصلي إليها[5]، كل ذلك يدل على وجود أحداث في عهده ﷺ كانت فيما بعد من اختصاص الشرطة، ولا يمارسها إلا من ينتسب إليها، فكانت تلك الأحداث نواة النظام الذي عرفت به الشرطة فيما بعد، قال علي رضي الله عنه لصاحب شرطته: «أبعثك لما بعثني له ﷺ، لا تدع قبرًا إلا سويته، ولا تمثالًا إلا وضعته»[6]. وهذا

---

(١) ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أبوحمزة الأنصاري الخزجي، خادم رسول الله ﷺ، قدم الرسول المدينة وله عشر سنوات، أحد المكثرين من الرواية عنه، أمه أم سليم، أقام بالمدينة بعد النبي ﷺ، ثم شهد الفتوح، قطن البصرة وكان آخر الصحابة موتًا بها سنة تسعين، وقيل إحدى وتسعين، وقيل ثلاث وتسعين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٨٤.

(٢) ابن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي، اشتهر بالرأي والمكيدة في الحرب، مع الخبرة والسخاء والشجاعة، حمل راية الأنصار مع الرسول ﷺ، وشهد المشاهد كلها، وكان شريف قومه، مات سنة خمس وثمانين. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٣ ص٢٣٩.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ١٢.

(٤) عصا على قدر الرمح، ولها سنان مثل سنان الرمح. انظر محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٤ ص٦٢.

(٥) البخاري، المصدر السابق، كتاب العيدين، باب ١٤.

(٦) مسند الإمام أحمد، ج١ ص١٤٥-١٥٠.

يفيد أن عليًّا رضي الله عنه كان من الرسول ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة، وأنه كان يقوم بالعمل الذي اختص به صاحب الشرطة فيما بعد. وهذا ينفي صحة القول بعدم وجود شيء يشبه الشرطة في فجر الدولة الإسلامية[١].

واستمر الحال في عهد أبي بكر رضي الله عنه على ما كان عليه في عهد الرسول ﷺ، فقد كلف أبو بكر عبد الله بن مسعود[٢] رضي الله عنه بالعس في الليل والإشراف والمراقبة بالنهار[٣]، أخرج أبو داود: «أن عبدالله بن مسعود أُتي فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا، فقال عبدالله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به»[٤]. كما عس عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهد أبي بكر[٥] رضي الله عنه.

وفي ذلك رد على من قال: إن أول من أدخل نظام العسس عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٦].

---

(١) انظر ذلك عند: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ص٦٣٢.

(٢) ابن غافل بن حبيب بن شخص بن قار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تيم ابن سعد بن هذيل الهذلي، أبو عبدالرحمن ابن أم عبد، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين شهد بدرًا والمشاهد بعدها، لازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه، حدث عنه كثيرًا وآخى الرسول بينه وبين سعد بن معاذ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وقيل ثلاث وثلاثين بالكوفة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٣٦٠-٣٦١.

(٣) انظر أحمد بن علي المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (المعروف بالخطط المقريزية)، ج٢ ص٢٢٣، وانظر عبدالحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية (المسمى التراتيب الإدارية)، ج١ ص٢٩٣.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس.

(٥) انظر المقريزي، المصدر السابق.

(٦) انظر ذلك عند: أبي هلال العسكري، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب، محمد المصري، ج١ ص٢٣٠، وانظر حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص ٢١٧، وانظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١ ص٤٦٠.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورد أنه كان يعس بنفسه ويرتاد منازل المسلمين، ويتفقد أحوالهم، وكان يصاحبه مولاه أسلم[١] وربما عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أو محمد بن مسلمة رضي الله عنه[٢]، فكان ينجد المصاب ويأخذ بيد المحتاج، ويتتبع أهل الريب؛ ليطهر المدينة منهم، كما قام بالحراسة مع عبد الرحمن بن عوف لمن هم في حاجة إليها[٣].

ولم يكن يطلق لفظ الشرطة على أي عمل من الأعمال في عهد عمر إلا في بعض ولاياته، فقد وَلّى عمرو بن العاص خارجة بن حذافة[٤] على شرطته في مصر[٥].

أما عثمان رضي الله عنه فقد اتخذ صاحب شرطة[٦]، وكان عليها

(١) يماني وقيل حبشي اشتراه عمر في حج سنة إحدى عشرة للهجرة، توفي سنة ثمانين. انظر ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١ ص٩٤.

(٢) ابن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي، أبو عبدالرحمن، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة، شهد المشاهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك، من فضلاء الصحابة، كان عند عمر معدا للكشف عن الأمور المعضلة في البلاد، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٣٦٣-٣٦٤.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٢٠٥-٢٠٦، وانظر ابن الجوزي، مناقب عمر، تحقيق: زينب القاروط، ص٦٨-٦٩، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص٣٠-٣١.

(٤) ابن غانم بن عامر بن عبدالله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي، شهد فتح مصر، استخلفه عمرو بن العاص على الصلاة ليلة قتل علي بن أبي طالب فقتله الخارجي. انظر المصدر السابق، ج١ ص٣٩٩.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٥ ص١٤٩، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص١٩٨.

(٦) انظر ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٣.

المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه[1]، وكان جهاز الأمن في عهده قويًا، يدل على ذلك أنه لما توفي العباس بن عبد المطلب[2] رضي الله عنه وتعذر دفنه لكثرة الخلق، ما استطاع تخليصه إلا أعوان الشرطة، والذين قدموا لهذا الغرض[3].

وفي عهد علي رضي الله عنه لما كثرت الفتن وتظاهر المفسدون بالمنكر في وضح النهار، أصبحت الشرطة من الوظائف التي لا يتولاها إلا علية القوم، وأطلق على رئيسها صاحب الشرطة، ونظمت بالشكل الذي عرفت به فيما بعد[4].

ومع تطور الدولة الإسلامية تطورت الشرطة، فبعد أن كانت تابعة للقضاء، استقلت واختص صاحبها بالنظر في الجرائم وإقامة الحدود[5] وبلغ صاحب الشرطة في الدولة العباسية مكانة لم يبلغها من قبل، فقد كان

---

(١) ابن عمير بن جدعان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، أحد السابقين للإسلام، سكن البصرة ومات بها. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٤٤٥.

(٢) ابن هاشم بن عبد مناف القرشي، عم الرسول ﷺ، أسلم بعد بدر وكتم قومه ذلك، هاجر قبل الفتح بقليل، شهد الفتح وثبت يوم حنين، مات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة ثنتين وثلاثين. المصدر السابق، ج٢ ص٢٦٣.

(٣) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤ ص٣٢.

(٤) انظر حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١ ص٤٦٠: وانظر حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص٢١٧.

(٥) انظر ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢٢، وانظر حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج٣ ص٢٧١، وانظر حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، المرجع السابق، وانظر منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، ص٣٦٨.

يعادل الأمير أو الوالي في بغداد، واتُّخِذَ في كل مدينة جماعة من الجند تخضع لصاحب الشرطة، تقوم بحفظ الأمن وإقرار النظام، وتنفذ الأحكام[1].

ومع مرور الأيام أصبحت الشرطة في وقتنا الحاضر تُعنى بحفظ الأمن الداخلي بشكل عام، ويعمل جهازها على اتخاذ التدابير والإجراءات النظامية لوقاية المجتمع من الظلم، والحيلولة دون إثارة الفوضى والإخلال بالأمن العام.

---

(١) انظر حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص٢٧٩.

المبحث الأول

ردع الظلم

في هذا المبحث سأتناول دور رجال الأمن (الشرطة) في رفع الظلم ودرء الجريمة عن أفراد المجتمع، وإحلال الأمن والعدل داخل كيانه.

والظلم لغة: وضع الشيء في غير موضعه، وأصله الجور ومجاوزة الحد[١].

وهو ثلاثة أنواع: ظلم بين الإنسان وربه، مثل الشرك والكفر والنفاق، قال تعالى: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[٢].

وظلم الناس بعضهم بعضًا، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٣].

وظلم الإنسان لنفسه[٤]، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**[٥].

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٢ ص٣٧٣، وانظر الزبيدي، تاج العروس، ج٨ ص٣٨٣.

(٢) سورة لقمان، آية ١٣.

(٣) سورة الشورى، آية ٤٢.

(٤) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٠ ص٩٨-١٠١، وانظر الإيمان، ص٧٥-٧٨، وانظر الزبيدي، المصدر السابق.

(٥) سورة يونس، آية ٤٤.

والظلم المراد هنا: هو الظلم الذي يقع بين أفراد المجتمع بظلم بعضهم بعضًا، بالتعدي على النفس أو العرض أو المال، وحقيقة الظلم كله أنه مرض من أمراض القلوب[1]؛ لأنه ظلم للنفس، وعاقبته على المرء نفسه، قال تعالى: ﴿. . . وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

ولإسهام رجال الأمن في منع الظلم ومكافحة الجريمة حالتان:

الحالة الأولى: قبل حدوث الظلم أو الجريمة.

الحالة الثانية: بعد حدوث الظلم أو الجريمة.

فيُسهم رجال الأمن باتخاذ التدابير والإجراءات المانعة للظلم، وتطبيق ما يُتخذ من لوائح وتدابير تكفل المحافظة على الأمن العام، وتحد من الفرص التي تعرض للمجرمين لتحقيق مشروعاتهم الإجرامية[3]، مع بذل كل ما يستطاع من جهد في سبيل تحقيق صالح المجتمع في جميع المجالات.

ومن الممكن حصر أبرز أعمال رجال الأمن التي تسهم في الحد من الظلم والجريمة قبل حدوثها في النقاط التالية:

أولًا: المراقبة والتحري:

١- المراقبة الفردية للأشخاص المشبوهين، وغير المرغوب فيهم، وكل

---

(١) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج١٠ ص١٠٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ١١٧.

(٣) انظر منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، ص٣٧٠-٣٧١، وانظر صادق حلاوة، الأمن العام فلسفته وخطته، ص١٧٦، وانظر يحيى المعلمي، الأمن والمجتمع، ص٣٧.

من يريد بالمجتمع الإسلامي شرًّا[1].

ففي عهد معاوية تم إنشاء سجل لحصر الأشخاص المشبوهين من ذوي النشاط الإجرامي، ونظمت إجراءات مراقبتهم، والتحري عنهم؛ للحد من نشاطهم الإجرامي[2].

كما عين زياد بن أبي سفيان[3] والي البصرة سنة (٤٥هـ) الجعد بن قيس[4] لمراقبة الفساق والمشبوهين، وتتبعهم في مظانهم[5].

وكتب الخليفة الطائع لله إلى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه، في جمادى الأولى سنة (٣٦٦هـ) رسالة ورد فيها أمر له بأن ينظر في الشرطة والأحداث نظرة عدل وإنصاف، وأمر بتتبع الأشرار وطلب الدعار، مستدلًّا على أماكنهم، ومتوغلًا إلى مكامنهم فيقبض على من وجده منهم، وليطهر المجتمع من جنسهم[6].

---

(١) انظر منير العجلاني، المرجع السابق، ص٣٧٠؛ وانظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة لقوات الأمن الداخلي في المملكة العربية السعودية ص١٥٥-١٨٢.

(٢) انظر مولى سي.أ.ق حسيني، الإدارة العامة، ترجمة إبراهيم العدوي، عبدالعزيز عبدالحق، ص٢٠٩.

(٣) ابن حرب بن أمية بن عبد شمس، كان يسمى زياد ابن أبيه، ولد بالطائف عام الفتح، ولم يكن من القراء ولا الفقهاء، وكان كاتبًا لأبي موسى الأشعري، تولى البصرة لمعاوية حين ادَّعاه، وضم إليه الكوفة التي مات بها سنة ثلاث وخمسين. انظر ابن سعد، الطبقات، ج٧ ص٩٩-١٠٠.

(٤) لم أجد له ترجمة فيما رجعت إليه من كتب المراجع.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٥ ص٢٢٣.

(٦) انظر أبـو العبـاس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج١٠ ص٢٢.

ففي مراقبتهم حدٌّ لتحركاتهم وتصرفاتهم، مما يؤدي إلى الإقلال من نشاطهم خشية القبض عليهم.

٢- مراقبة المناطق الهامة، كالأسواق والمحلات العامة، والتركيز في ذلك على الأماكن المريبة، والتي تزداد فيها دوافع الجريمة. ففي ذلك تقليل من الاعتقاد الكامن لدى المجرمين بتهيؤ الفرصة لهم لارتكاب جرائمهم[١].

ولما كانت دوافع الجريمة أيسر بالليل منها بالنهار، عرف المسلمون نظام العسس في عهد أبي بكر رضي الله عنه، فكان رجال العسس يتجولون في أحياء المدينة للنظر في أحوالها الأمنية، ولتضييق الخناق على متربصي الفرص للإخلال بالأمن[٢]، وكان عمر رضي الله عنه يقوم بالحراسة لما يخشى عليه من السراق[٣].

جاء في كتاب الحيوان للجاحظ: «لابد لأقاطيع المواشي من الكلاب وإلا فإنها نهب الذئاب والسراق، واتخاذ الكلاب للحراسة ضمان لكل محروس من السراق والمعتدين، إذًا: فالحرمات والأموال أحق بالمنع والحراسة والدفاع عنها بكل حيلة من حفظ الغنم»[٤].

---

(١) انظر ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص١٠٣، وانظر منير العجلاني، عبقرية الإسلام، ص٣٧١، وانظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص١٨٢، وانظر محمود السباعي، إدارة الشرطة في الدولة الحديثة، ج٢ ص٦٠٦-٦٠٧.

(٢) انظر الخطط المقريزية، ج٢ ص٢٢٣.

(٣) انظر ابن سعد، المصدر السابق، ج٣ ص٣٠١، وانظر تاريخ الطبري، الطبقات الكبرى، ج٤ ص٢٠٥، وانظر ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص٦٨.

(٤) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ج١٠ ص٣٠٢-٣٠٣.

ثانيًا: حسم مادة الشر:

ينبغي حسم مادة الشر والجريمة وسد الذريعة، ودفع ما يفضي إليها[1]، ويتأتى ذلك من خلال:

١- **حماية الآداب والأخلاق العامة**، بمنع كل ما يظهر في الأسواق والأماكن العامة بحالة قد تفضي إلى الشر والمفسدة، قال ﷺ: «**لايخلُوَنَّ رجل بامرأةٍ إلا مع ذي محرم**»[2] فخلو الرجل بالمرأة قد يفضي إلى الزنا الذي ما كان ليحدث لو لم يخل بها، فنهى ﷺ عن خلو الرجل بالمرأة حسماً لمادة الشر. كما يمنع النساء من الخروج متزينات متجملات لما في ذلك من الفتنة[3].

كما أمر ﷺ بمنع المخنثين من الدخول على النساء، قالت عائشة رضي الله عنها: كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي ﷺ يومًا وهو عند بعض نسائه، وهو ينعت امرأة، قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: «**ألا أرى هذا يعرف ما هاهنا. لا يدخُلَنَّ عليكُنَّ**» قالت: فحجبوه[4]. ولما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تقول:

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها … أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجاج؟[5]

---

(١) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ج٢٨ ص٣٧٠، وانظر السياسة الشرعية، ص١١٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب١١١.

(٣) انظر ابن القيم، الطرق الحكمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص٢٨٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب منع دخول المخنث على النساء الأجانب، وانظر البخاري، المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ٥٦.

(٥) ابن علاط السلمي ثم البهزي، شاعر من أهل المدينة، عاد إلى المدينة بعد مقتل عمر. انظر الزركلي، الأعلام، ج٨ص٢٢.

سأل عن نصر بن حجاج ودعاه، فلما رأى ما فيه من دعاوي الفتنة نفاه إلى البصرة[1]؛ حسماً لمادة الشر، وسدًّا لما قد يحدثه من فتنة فقد بلغ عمر أنه يدخل على النساء فلا يأمنهن عليه[2].

وأمر مزاحم بن خاقان[3] صاحب شرطته أن يمنع النساء من الحمامات والمقابر، وسجن المخنثين[4].

إذًا فحسم مادة الشر وقاية للمجتمع من الأشرار والمفسدين والعمل على توفير الوقاية خير من العلاج، فقد أجاز بعض العلماء قتل من لا يزول فساده وغيه إلا بالقتل[5]، منعًا لنشر مبادئه التي قد تحدث الفتنة و الفساد داخل المجتمع. قال ﷺ: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[6]. فلو لم يُقْتَلَ لَفَرَّق الجماعة، ولأخَلَّ بالأمن فوجب قتله.

٢- **مكافحة المخدرات والمسكرات**[7]: وذلك لما تحدثه من خلل في العقل يؤدي إلى ارتكاب المفاسد والجرائم حتى مع أقرب الناس إلى المرء

(١) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣ص٢٨٥، وانظر العسكري، الأوائل، ج١ص٢٣٠، وانظر ابن الجوزي، مناقب عمر، ص٨٦.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) ابن عرطوج، قائد من ولاة العباسيين، تركي الأصل، بغدادي المنشأ، توفي بمصر وهو على إمارتها سنة ٢٥٤هـ. انظر الزركلي، الأعلام ج٧ص٢١١.

(٤) انظر أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح درفن كتان، ص٢١٠.

(٥) انظر ابن القيم ، الطرق الحكمية ص٢٦٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٧) انظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص١٥٥.

ولما تسببه من أضرار صحية ومالية بالمرء نفسه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[١].

والخمر كل ما خامر العقل[٢]، أو أثر فيه، وحُرِّم لما فيه من المفاسد وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، وذلك مخالف لما يريده الإسلام من أتباعه من تعاون وتعاضد، وكثيرًا ما وقعت الجرائم بسبب المسكرات والمخدرات.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه حرق بيت رويشد الثقفي[٣]؛ لأنه كان يبيع الخمر، وقال له: أنت فويسق ولست برويشد[٤].

فيجب تعطيل الحانات والبارات، وتطهيرها من القبائح والمنكرات لما يحدث فيها من ركوب للمنكرات، واقتراف للمحظورات، فهي بيوت للشيطان، في عمارتها غضب للرحمن، وفي تعطيلها جلب للخير ورضا الله[٥].

---

(١) سورة المائدة، آية ٩٠-٩١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٩٣، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج١ ص٢١٩-٢٢٠.

(٣) صهر بني عدي بن نوفل بن عبد مناف، اتخذ دارًا بالمدينة في جملة من اختط بها من بني عدي، انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٥٠٧.

(٤) ابن القيم، الطرق الحكمية، ص٢٧٩.

(٥) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠ ص٢٣.

ثالثًا: التوعية العامة لأفراد المجتمع:

وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة[1]، حيث يتم الإرشاد والتوجيه إلى وجوب المحافظة على الأنفس والأعراض، والممتلكات واتخاذ الحيطة والحذر في ذلك، والإخبار عن الحيل والطرق التي يستغلها الخارجون على النظام، حتى يتم إيجاد الحلول الوقائية لذلك، مع بيان أهمية التعاون مع رجال الأمن في عملية القبض على الجناة، والإدلاء بما يفيد ويساعد على القبض عليهم[2]، قال تعالى: ﴿... **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3].

وكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذه الآية[4]، والتستر على المجرمين وحيلهم فيه مهلكة عظيمة للمجتمع فالمجرم عنصر فاسد يجب إصلاحه أو التخلص منه حسب إجرامه وبقاؤه على حاله يعني استمرار خطره وتهديده لأمن المجتمع، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[5].

وقال الرسول ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، فقال رجل: يا رسول الله: أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟

قال ﷺ: «**تحجزه، أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**»[6].

---

(١) انظر أحمد بن محمد مسكويه، تجارب الأمم، تصحيح: هـ.ف. آمدروز، ج١ ص٧٥.

(٢) انظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص١٣٠-١٣١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩٥.

(٤) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج١ ص١٩٣.

(٥) سورة المائدة، آية ٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب ٧.

وقال الرسول ﷺ: «. . . **لعن الله من آوى محدثًا**»[1].

فيطلب من العامة عدم إجارة المحدث، أو التستر عليه، أو تنبيهه للهرب، بل يجب الدلالة عليه، والمساعدة في القبض على كل محدث[2].

وقد كانت توعية المواطنين وتوجيههم إلى ما يسهم في تثبيت النظام واستقرار الأمن تتم من خلال المناداة في الطرق والأسواق، وإذاعتها على منابر المساجد[3]. وفي الوقت الحاضر يتم توعية المواطنين من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ويتم فيها تنمية الوعي الأمني بين المواطنين، وغرس الثقة بين رجال الأمن والمواطنين، ببيان رسالة رجل الأمن، ودور المواطن في إقراره[4].

رابعًا: حفظ النظام في المواكب والمناسبات[5]:

يقوم رجال الأمن بتثبيت النظام والعمل على استقراره عن طريق حراسة الولاة ومرافقة مواكبهم، إظهارًا للهيبة، ولدفع الناس عنهم.

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أرق[6] رسول الله ﷺ ذات

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

(٢) انظر ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص ١٠٤.

(٣) انظر ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج١ ص٧٥.

(٤) انظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص١٣٠-١٣٢.

(٥) انظر ابن مسكويه، المصدر السابق، ص٥٤-٥٥، وانظر منير العجلاني، عبقرية الإسلام، ص٣٧٠، وانظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، المرجع السابق، ص٢١٠-٢١٢.

(٦) الأرق: امتناع النوم ليلًا. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٣ ص٢١٥.

ليلة فقال: «**ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**» قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله! جئت أحرسك»[1].

وحُرس ﷺ أكثر من مرة[2]، وفي أكثر من مكان، كما سِيرَ بالعنزة بين يديه[3]، ووقف بلال بين يديه ﷺ متقلدًا سيفًا[4].

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه لما توفي العباس بن عبد المطلب وتعذر دفنه لكثرة الخلق، ما استطاع تخليصه إلا أعوان الشرطة الذين بعث بها عثمان لغرض تثبيت النظام ومنع الفوضى[5].

وأمر معاوية بحراسته في الليل، وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد[6].

وغالبًا ما يستغل ذووا الأهواء الضالة المناسبات من احتفالات وأعياد واجتماعات من أجل التعبير عما يكنونه من حقد وحسد، فيعملون على إثارة الفوضى، وزعزعة النظام، وإثارة الرعب، ويعملون على استغلال جميع الفرص الممكنة للتعبير عما يبطنونه، ولتعكير الأمن.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وانظر صحيح البخاري، كتاب التمني، باب ٤.

(٢) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج١ ص١٢٧.

(٣) انظر البخاري، المصدر السابق، كتاب العيدين، باب ١٤، وانظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣ ص١٥٣.

(٤) حديث حسن. صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الرايات والألوية.

(٥) انظر ابن سعد، المصدر السابق، ج٤ ص٣٢.

(٦) انظر تاريخ الطبري، ج٥ ص١٤٩، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص١٩٨.

قال البرك بن عبدالله[1] لمعاوية عندما قبض عليه بعد محاولته اغتياله: (إن عندي خبرًا أُسِرُّك به، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم قال: إن أخًا لي قتل عليا في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى، إن عليا يخرج ليس معه من يحرسه . . .)[2].

فهم ينتهزون الفرص، ويستغلون كل ما يمكن أن يساعدهم في تحقيق مآربهم، وعدم وجود الحراسة أمر يشجع على الإقدام وتنفيذ المخططات بكل ثقة في نجاحها.

كما أن تثبيت الأمن في الاجتماعات الرسمية دافع إلى التركيز ومضاعفة الجهد لأجل الوصول إلى نتائج جيدة، فالأمن مطلب أساسي في الحياة العادية، فكيف به في غيرها. لذا فمن واجبات رجال الأمن المحافظة على النظام في الاحتفالات والاجتماعات الرسمية، لمنع كل ما من شأنه الإخلال بالأمن[3].

الحالة الثانية: بعد حدوث الظلم أو الجريمة:

عند وقوع الجريمة أو الظلم يقوم رجال الأمن بمحاولة الوصول إلى المعتدي والقبض عليه؛ لتقديمه إلى القضاء. ومن الممكن حصر أبرز الأعمال المؤدية إلى القبض على الجاني:

---

(١) التميمي، أحد الخوارج الثلاثة الذي تعاهدوا على قتل علي ومعاوية و عمرو. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٣٢٦-٣٢٧.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٥ ص١٤٩، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣ ص١٩٧-١٩٨.

(٣) انظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص١٥٤-١٥٥.

أولًا: البحث والتحري:

وذلك باتخاذ الإجراءات والتدابير المؤدية إلى القبض على الجناة، فتجمع الأدلة والقرائن للاستفادة منها في الكشف عن الجاني(١).

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتي يومًا بفتى مقتول، فلم يقف له على خبر، وبعد عام وُجد صبي مولود مُلقىً بموضع القتيل، فأُتي به إلى عمر فدفعه إلى امرأة وقال لها: قومي بشأنه، وانظري من يأخذه منك، فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني، فلما أخبرته بمن قامت بذلك، ذهب إليها واستأذن أباها في سؤالها، وقام عليها حتى عرف منها الحقيقة، وعرف قاتل الصبي(٢).

فإلقاء الصبي والقتيل في مكان واحد، يوحي بوجود علاقة بينهما؛ لذا اتخذ عمر رضي الله عنه الإجراء المناسب في مثل هذه الحالة؛ لأجل الكشف عن العلاقة بينهما، ولغرض الوصول إلى القاتل.

ثانيًا: التحقيق:

بعد القبض على الجناة يتم التحقيق معهم عن أسباب ودوافع الجريمة ولينظر في الأدلة المختلفة للتأكد من الجاني، وتقريره بجنايته(٣).

---

(١) انظر المرجع السابق، ص١٦١، ١٨٣، وانظر علي علي منصور، نظم الحكم والإدارة في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ص٣١٦، وانظر حمود القثامي، رجل الأمن والممارسات والإدارية، ص١١١.

(٢) انظر ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص٧٩-٨٠، وانظر تاريخ عمر بن الخطاب، ص٧٣-٧٤، وانظر ابن القيم، الطرق الحكمية، ص٢٨-٢٩.

(٣) انظر إسحاق الكاتب، البرهان، ص٣٩٣، وانظر ابن خلدون، المقدمة، ص٢٢٢؛ وانظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص١٦١-١٦٣، ١٧٧، وانظر حمود القثامي، المرجع السابق، ص٢١٤.

فقد روي أن النبي ﷺ أمر الزبير بن العوام بتعذيب عم حيي بن أخطب حينما أخفى مال عمه، ولم يدفعه إلى المسلمين، فلما مسه الزبير بعذاب، أقر ببقية المال ودل المسلمين عليه[1].

وروي أنه ﷺ: «حبس رجلًا في تهمة»[2]، فلما لم يثبت عليه شيء مما اتهم به خُلِّي سبيله، فكان حبسه لكشف واستبراء حاله[3].

وكما مر في قصة الصبي والمقتول، فعمر رضي الله عنه لما اتهم تلك المرأة استأذن أباها ودخل عليها البيت ليحقق معها، وليعرف منها الحقيقة بعد أن ثبت لديه من الأدلة ما يمكن معه توجيه التهمة إليها، فأقرها حتى اعترفت بما حدث، وعرف منها أسباب ودوافع قيامها بذلك العمل.

ثالثًا: تقديم الجناة إلى الشرع:

بعد ثبوت إدانة الجاني يتم تقديمه إلى الشرع ليأخذ حكم الله فيما اقترفت يداه، وكذلك إحضار من يطلب الشرع إحضارهم إذا امتنعوا وسوقهم إلى الواجب إذا زاغوا عنه وانحرفوا[4].

أُخبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بأن نفرًا في مسجد بني حنيفة

---

(١) رجاله ثقات. انظر ابن حجر، فتح الباري، تصحيح وتحقيق وإشراف ومقابلة: الشيخ عبدالعزيز بن باز، ج٧ ص٤٧٩، وانظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٧٢، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٢١٧.

(٢) حديث حسن. انظر سنن الترمذي، أبواب الديات، باب ما جاء في الحبس، وانظر سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب في الحبس في الدين وغيره.

(٣) انظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٢٥٨.

(٤) انظر الكاتب، البرهان، ص٣٩٣، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠ ص٢٢، وانظر منير العجلاني، عبقرية الإسلام، ص٣٧١، وانظر علي علي منصور، نظم الحكم والإدارة، ص٣١٦.

يقولون: إن مسيلمة رسول الله، فبعث إليهم الشرطة فجاءوا بهم فاستتابهم فتابوا، فخلى سبيلهم[1].

رابعًا: تنفيذ الأحكام:

يقوم رجال الأمن بتنفيذ الأحكام الصادرة عن القضاء، سواء منها ما استوجب حدًّا، أو تعزيرًا، أو حبسًا، أو مصادرةً، أو نزع يد، أو هدم بناء، أو إزالة اعتداء، أو قتلًا[2].

فقد كان ﷺ يعهد إلى بعض أصحابه إقامة الحدود، وتنفيذ أحكام الشرع عند صدورها[3].

كما روي أن عليًّا رضي الله عنه كان يقوم بإقامة الحدود بين يدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالسيف والسوط[4].

خامسًا: الخدمة العامة:

هناك خدمات عامة يقدمها رجال الأمن لأفراد المجتمع من شأنها بث الطمأنينة ومساندة المظلوم، جدَّت مع تطور الحياة، ومنها:

١- الإسهام في تطبيق اللوائح النظامية سواء المرورية[5] منها أو

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج١ ص٤٠٤.

(٢) انظر ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص١٠٣-١٠٤، وانظر الكاتب، المصدر السابق، وانظر القلقشندي، المصدر السابق، ص٢٢-٣٩، وانظر ابن خلدون، المصدر السابق، ص٢٢، وانظر علي علي منصور، المرجع السابق، وانظر منير العجلاني، المرجع السابق.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ٣٩، وانظر صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا.

(٤) انظر إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٥١.

(٥) انظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص١٥٣.

التجارية، حيث يتم اتخاذ الترتيبات اللازمة والكفيلة بتسهيل حركة المرور، والنظر في الحوادث المرورية، وإجازة من يحق لهم القيادة. وكذلك مصاحبة عمال الخراج ومراقبي المحلات التجارية لتقويتهم والأخذ على يد المخالف للتعليمات والأنظمة، وعمل كل ما من شأنه نصر الحقوق العامة المؤدية إلى الصلاح الجامع[١].

٢- الاهتمام بنشر الفضائل، والنهي عن الرذائل، بمنع كل ما يظهر بحالة مخالفة للآداب العامة، مع استعمال اللين والشدة في ذلك حسبما يقتضيه الحال[٢].

٣- تتبع الإشاعات والأراجيف التي تثير الفزع والخوف بين الناس واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنعها، وتتبع مصادرها لاتخاذ الإجراء المناسب نحوها؛ لضمان عدم تكرار ما صدر منها[٣].

٤- مد يد العون والمساعدة للمحتاج، بنجدة المصاب، وإعادة التائه لأهله وذويه، والرفق بضعاف الحال من عجزة وشيوخ ومعوقين[٤].

٥- القبض على المجانين والمعتوهين ومنعهم من التجول في الشوارع لئلا يلحقوا الأذى بغيرهم[٥].

٦- منع المظلوم من الانتصار لنفسه، وحسن التصرف في المنازعات اليسيرة، وبذل الجهد في إخمادها لئلا يستفحل أمرها[٦].

---

(١) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص ٣٩.

(٢) انظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، المرجع السابق، ص١٥٥-١٧٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ص١٥٤.

(٤) انظر المرجع السابق ص١٥٦.

(٥) انظر المرجع السابق.

(٦) انظر المرجع السابق، ص١٥٤.

المبحث الثاني

ردع البغاة والمحاربين

مر بنا أن قوات الأمن الداخلي تُعنى بإقرار الأمن والسلام داخل المجتمع. إذًا فمن واجبها الحفاظ على سلامة الجبهة الداخلية، والمحافظة على تماسك وتآزر المجتمع بالقضاء على كل ما من شأنه إثارة الفتنة ونشر الفوضى. ومن أشد هذه الفتن وأخطرها ما يقوم به أفراد ينتسبون إلى الإسلام ويعيشون داخل كيانه، يعملون على إثارة الفوضى وإشعال نار الفتنة بين أفراده.

لذا كان من أهم واجبات رجال الأمن الوقوف بشدة ضد هذه الفتن التي يأتي في مقدمتها ومن أشرها خطرًا فتنتا البغاة والمحاربين.

١- البغاة:

البغي لغة: التعدي والظلم والجور، من بغى يبغي بغيًا، أي علا وظلم وعدل عن الحق. تقول: فلان يبغي على الناس، إذا ظلمهم وطلب أذاهم، وفئة باغية: أي ظالمة خارجة عن طاعة الإمام العادل[1].

---

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٤ ص٧٨، وانظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص٣٠٥-٣٠٦.

والبغي في الاصطلاح: الخروج عن طاعة إمام الحق بغير حق[1] وقيل: الامتناع عن طاعة من ثبتت إمامته في غير معصية بمغالبة ولو تأويلًا[2].

والبغاة: قوم من أهل الحق يخرجون عن قبضة الإمام ويرون خلعه لتأويل سائغ، وفيهم منعة، يحتاج في كفهم إلى جمع الجيش[3].

وهؤلاء خطرهم عظيم، وشرهم مستطير، وفتنتهم شديدة؛ لما يحدثونه من شق لنظام الحكم، وخروج عن الطاعة، وإثارة للفوضى والاضطراب داخل البلاد، لذا كان لابد من إجراء حاسم ضدهم لأجل ردعهم وكف أذاهم، وإراحة المسلمين من شرهم.

فعند خروجهم يُنظر في حالهم، فإن لم يكن لهم شوكة لكنهم خرجوا من الجماعة برأيهم، وابتدعوا مذهبًا لم يخرجوا به عن المظاهرة، ولم يخرجوا عن طاعة الإمام، ولم يتميزوا بدار تجمعهم، بل بقوا على تصرفهم لم يحاربوا، وأجريت عليهم الأحكام الشرعية فيما يجب لهم وعليهم[4].

وإن جاهروا باعتقادهم مع اختلاطهم بأفراد المجتمع وجب على الإمام

---

(١) انظر ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج٤ ص٤٠٨.

(٢) انظر الخرشي، الخرشي على مختصر سيدي خليل، ج٨ ص٦٠، وانظر أحمد بن محمد الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، تعليق: أحمد ابن إبراهيم المبارك، ج٦ ص١٣٧.

(٣) انظر الفيروزابادي، المهذب، ج٢ ص٢٧٩، وانظر ابن قدامة، المغني ج٨ ص١٠٧.

(٤) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ص٢٨٣، وانظر ابن مفلح، كتاب الفروع، ج٦ ص١٥٧، وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية ص٥٨، وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٥٤.

مناصحتهم، ودعوتهم إلى التوبة وبيان بطلان ما هم عليه، وجاز للإمام أن يعزِّر المجاهر منهم تأديبًا وزجرًا.

فإن اعتزلوا الجماعة، وتميزوا بدار، ولم يمنعوا ما وجب عليهم من حقوق لم يقاتلوا، أما إذا امتنعوا عن طاعة الإمام، ومن أداء الحقوق، وجب قتالهم ردعًا لهم عن البغي، وزجرًا عن المخالفة، حتى يعودوا إلى العدل[(١)].

قال ﷺ: «**إنه ستكون هنات وهنات**[(٢)]**، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[(٤)].

وقتال البغاة يختلف عن قتال المشركين والمرتدين من عدة أوجه هي:

١- أن يقصد بقتالهم كفهم، ودفع شرهم، والتمكن منهم، لا قتلهم والقضاء عليهم[(٥)].

٢- يقاتلون مقبلين لا مدبرين؛ لأن قتالهم لدفع محاربتهم، وفي هزيمتهم ترك للمحاربة، كما لا يجهز على جريحهم، فقد قال علي رضي الله عنه

---

(١) انظر المصادر السابقة، ص٢٨٤، وانظر ص١٥٨-١٥٩، وانظر ص٥٨-٥٩، وانظر ص٥٤-٥٥.

(٢) المراد بها: الفتن والأمور الحادثة. انظر النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢ ص٢٤١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ج٣ ص٢٨٠، وانظر الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٧ ص١٤٠، وانظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص١٠٨.

يوم الجمل: «لا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبرًا»[1]. وقيل: إن كان لهم فئة قُوتِلوا مقبلين ومدبرين، وأُجْهِز على جريحهم لئلا ينحازوا إليها فيكروا على أهل العدل[2].

٣- لا يقتل أسيرهم، فمن تاب وأُمنت رجعته إلى القتال أُطلق سراحه، ومن لم يؤمن حُبس إلى انتهاء الحرب وأطلق[3]. وقيل: إن شاء الإمام قتله استئصالًا لشره، وإن شاء حبسه لاندفاع شره بالأسر والحبس[4].

٤- لا تغنم أموالهم ولا تسبى ذراريهم[5].

٥- لا يستعان على قتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي[6].

٦- عدم مهادنتهم إلى مدة، أو موادعتهم على مال[7].

---

(١) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص١١٤، وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦٠، وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٥٥.

(٢) انظر الكاساني، المصدر السابق، ص١٤٠-١٤١، وانظر ابن الدردير، الشرح الصغير، ج٦ ص١٤١.

(٣) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ص٢٨١، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص١٠٨، ١١٤.

(٤) انظر الكاساني، المصدر السابق، ص١٤١.

(٥) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ص٢٨٢، وانظر ابن الدردير، المصدر السابق، ص١٤٠، وانظر الكاساني، المصدر السابق، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص١١٥.

(٦) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ص٢٨١، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص١١١، وانظر الماوردي، المصدر السابق.

(٧) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ص٢٨٠، وانظر الكاساني، المصدر السابق، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص١٠٨.

٧- لا تنصب عليهم العرادات[1]، ولا تحرق عليهم المساكن، ولا يقطع لهم شجر؛ لأنهم في دار الإسلام[2].

فإن علا أمرهم، وقويت شوكتهم، وخيف من الاصطدام بهم، جاز دفعهم بكل مستطاع من اعتماد قتلهم، واستعمال السلاح الممكن ضدهم، حتى العرادات ونحوها، فللمسلم الدفاع عن النفس بقتل طالبها إذا لم يندفع إلا به[3].

وبعد التمكن منهم يقوم جهاز الأمن باستجوابهم للكشف عن حالهم، ومعرفة دوافعهم للخروج، ومن يقف مساندًا ودافعًا لهم لأن من ناصر الظالم على ظلمه فقد ظلم، وليتم القضاء على جميع عناصر الفساد الظاهرة والباطنة.

وبعد ذلك يتم تقديمهم إلى القضاء، ليحاكموا شرعًا على فتنتهم وليأخذوا جزاءهم فيما ابتدعوا واعتدوا عليه من الأنفس والأموال والأعراض[4].

---

(١) آلة تشبه المنجنيق. انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبدالرءوف عون، ص٥٨.

(٢) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ص٢٨١، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص١١٠، وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦١، وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٥٦.

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر ذلك مفصلًا في كتب الفقه الأمهات.

٢- المحاربون:

الحرابة لغة: مصدر حارب يحارب محاربة وحرابًا. والحرب: نقيض السلم. وأنثوها لأنهم ذهبوا بها إلى المحاربة[١].

وفي الاصطلاح: البروز لأخذ مال، أو لقتل، أو لإرهاب، مكابرةً واعتمادًا على الشوكة، مع البعد عن الغوث[٢]. وقيل: إشهار السلاح وقطع السبيل خارج المصر[٣].

والمحاربون: هم الخارجون بلا تأويل، بمنعة وبلا منعة، سواء فرد أو جماعة يأخذون الأموال، ويقتلون الأنفس، ويخيفون الطريق بعيدًا عن الغوث[٤]. وقيل: هم الذين يعرضون للقوم بالسلاح في الصحراء فيغصبونهم المال مجاهرة[٥].

والحرابة من أكبر الجرائم الباعثة على الخوف والاضطراب داخل المجتمع، فالمرء يعيش حالة خوف وذعر، سواء داخل منزله أو خارجه في إقامته أو سفره، لا يأمن على نفسه أو ماله أو عرضه، فالمحاربون يعيثون

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١ ص٣٠٢، وانظر الزبيدي، تاج العروس، ج١ ص٣٠٦، وانظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١ ص٥٥.

(٢) انظر أبو يحيى زكريا الأنصاري، شرح روض الطالب من أسنى المطالب، ج٤ ص١٥٤، وانظر محمد بن أحمد الشربيني، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، ج٢ ص١٩٦، وانظر الشافعي الصغير، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج٨ ص٣.

(٣) انظر ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مراجعة وتعليق: عبدالحليم محمد عبدالحليم، ج٢ ص٥٥٧.

(٤) انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧ ص٩٠، وانظر ابن الهمام، شرح فتح القدير، ج٤ ص٢٦٨.

(٥) انظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٢٨٧.

في الأرض فسادًا من سلب ونهب واعتداء على الأعراض، وسفك للدماء، ويعملون على إثارة الرعب والخوف، وينشرون الفوضى في المجتمع، وهم قد حاربوا الله ورسوله بتعديهم على حدود الله وخروجهم على شرعه، وانتهاك حرماته.

لذلك وضعت الشريعة حدا لهذه الأعمال العدوانية ببتر العنصر الفاسد، حفاظًا على صلاح المجتمع، ومراعاةً لمصلحة الأفراد والجماعات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ • إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

فإن تابوا قبل القدرة عليهم وإلا فإنه يجب على رجال الأمن التمكن منهم للمحافظة على سلامة الأرواح والأعراض والأموال من أن يصيبها أذاهم.

ويختلف قتالهم عن قتال البغاة بأنهم يقاتلون مقبلين ومدبرين لاستيفاء الحقوق منهم، كما يجوز تعمد قتل من قتل منهم؛ لأن ذلك حكم الله فيه حتى بعد القدرة عليه، كما أنهم يؤاخذون بما استهلكوه من دم ومال سواء في الحرب أو في غيرها، ويجوز حبس أسيرهم حتى تؤمن عودته، ويتوب عما هو عليه[2]، فإن لم ينقادوا إلا بقتالٍ يُفضي إلى قتلهم جميعًا قوتلوا

---

(١) سورة المائدة، آية ٣٣-٣٤.

(٢) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦٣، وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٥٨.

وقوتل من قاتل معهم أو ساعدهم؛ لأن الغرض من قتالهم التمكن منهم لإقامة الحدود، وردعهم عن الفساد في الأرض[(١)].

وعلى جهاز الأمن بعد السيطرة عليهم القيام بالتحقيق معهم للكشف عن الأسباب المؤدية إلى قيامهم بالاعتداء، وللكشف عن أحوالهم لمعرفة من يحميهم ويمنعهم ويمد لهم يد العون والمساعدة، وذلك عن طريق الإقرار من غير إكراه، أو قيام البينة العادلة على من أنكر[(٢)].

وبعد إقرارهم يقدمون للمحاكمة شرعًا على ما اقترفت أيديهم من أخذٍ للأموال، وهتك للأعراض، وقتل للأنفس، فيقام عليهم حكم الله العادل[(٣)] ليرتدع بذلك غيرهم، وليستقيم الأمر ويعم الأمن.

وفي هذا العمل المنوط بجهاز الأمن وقاية للمجتمع من الفتن الداخلية، وحفاظًا على تماسكه وتعاضده وتعاونه، وتهيئته لأداء رسالته على الوجه الأكمل.

---

(١) انظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٧٣.

(٢) انظر الماوردي، المصدر السابق، وانظر الفراء، المصدر السابق.

(٣) انظر ذلك الحكم مفصلًا في كتب الفقه الأمهات.

المبحث الثالث

حماية المنشآت والمصانع(١)

تحقيق الأمن ضروري لأي مجتمع إنساني، ولا يمكن أن يحدث تقدم علمي أو صناعي أو زراعي إلا إذا توافر الأمن. وإقرار الأمن من شأنه الإسهام في زيادة الإنتاج وازدهار البلاد اقتصاديا؛ لأن ذلك يجعل المجتمع متفرغًا للعمل بأمن وطمأنينة، وفيه محافظة على الإمكانات البشرية والمادية، والوثائق السرية. لذا احتيج إلى تنظيم الأمن والحراسة حول المنشآت والمصانع؛ لأجل ضمان سير العمل فيها سيرًا يؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة، ومن أجل حمايتها من أي اعتداء قد تتعرض له.

وفي هذا المبحث سأكتب عن الأساليب والوسائل التنظيمية لحراسة وتثبيت أمن المنشآت.

فأقول المنشآت تشمل: المباني، والمصانع، والمرافق العامة، والمعدات المحققة منافع للأمة، سواء في ذلك ما كان ملكًا للدولة، أو للأفراد، أو مشاع الملكية بينهما.

فالمباني مثل: الدوائر الحكومية، والقواعد العسكرية وملحقاتها ومراكز

---

(١) انظر السباعي، إدارة الشرطة، ج٢ ص٧٠٥، وانظر محمد عبدالله المشرف، وسيد سالم، أمن وحراسة المنشآت الحيوية، ص١١-١٣.

البحوث العلمية، ومقار الاجتماعات السياسية، ومقار المنظمات الدولية والإقليمية.

والمصانع مثل: مصانع الصناعات الأساسية، والتكميلية، والمصانع الحربية، وكذلك المؤسسات والشركات ذات الطابع الصناعي، والتي تسهم بإنتاجها بصور مختلفة.

أما المرافق العامة فمثل: الموانئ، والمطارات، ومنشآت السكك الحديدية، ومنشآت المياه، والكهرباء، والجامعات، والمدارس المختلفة.

وتنقسم هذه المنشآت إلى منشآت حيوية، وهامة، وعادية، وذلك على حسب أهمية المنفعة التي تقدمها للأمة، وتكتسب أهميتها من أهمية جدواها الإنتاجية، سواء كانت علمية أو اقتصادية.

وكلما كانت المنشأة ذات أهمية خاصة، أو كان التخريب فيها ذا أثر أكبر وأشد، اكتسبت حيوية أكثر من غيرها، واحتاجت إلى تنظيم أكثر دقة في حراستها وتأمينها ضد الأخطار.

العوامل المؤثرة في أمن المنشآت:

هناك عوامل عديدة تهدد أمن المنشآت، يجب مكافحتها والوقاية منها لضمان استمرارية إنتاجها. وهذه العوامل قد تكون عوامل خارجية لا دخل لإرادة البشر فيها، كالكوارث الطبيعية، وهي وإن كانت خارجة عن الإرادة البشرية ولا يمكن منع وقوعها، إلا أنه يمكن التعرف والتوقع لأماكن حدوث بعض هذه الظواهر ووقتها، ومدى خطورتها، وذلك عن طريق رصد ما تتعرض له المناطق المختلفة من ظواهر طبيعية.

وبعد الدراسة الدقيقة لذلك، يمكن وضع الخطط الملائمة واللازمة لمواجهة هذه الأخطار، وبذل الأسباب للتقليل من آثارها عند الحدوث[1].

أما العوامل التي تحدث بفعل البشر، سواء ما كان منها مقصودًا، أو غير مقصود، فمن الممكن التدخل لمحاولة منع وقوعها، باتخاذ الوسائل والخطط المعينة على ذلك.

وهذه العوامل هي: كل نشاط هدام هدفه التأثير على الإنتاج أو السيطرة على المنشأة لتحقيق أهداف معينة. (ومن أهم هذه العوامل: التخريب، والتجسس، والخيانة، والنشاط الهدام. ويمكن أن يلحق بها الأفعال غير المتعمدة التي تعرض أمن المنشأة وسلامتها للخطر، كالإهمال وعدم الاحتياط والتحرز)[2].

وأكثر هذه العوامل شيوعًا:

١- التخريب:

هو عمل متعمد يهدف إلى عرقلة العمل، والإضرار بالمنشآت ماديا وإنتاجيا ومعنويا، وغالبًا ما تستهدف به المنشآت الحيوية، وذات الأهمية الخاصة، أو التي يكون لتخريبها صدىً إعلامي كبير.

وقد يحدث التخريب من مواطنين يوالون الأعداء لأغراض مادية، أو سياسية، أو من أفراد ينتمون إلى دول معادية، يخفون شخصيتهم العدائية

---

(١) انظر المراجع السابقة، ص٦٠٧، وانظر ص٢٠-٢١.

(٢) السباعي، المرجع السابق، وانظر المشرف وسالم، المرجع السابق، ص٢٢.

من أجل تحقيق أهدافهم، وقد يقع من عملاء مأجورين للعدو، أو بوساطة الغارات الجوية التي يقوم بها العدو[1].

وتختلف وسائل التخريب، فقد يكون بالمتفجرات[2] عن طريق وضع الألغام[3] والمفرقعات[4] داخل المنشأة، أو إلقائها بواسطة الطائرات وقد يكون بإشعال الحرائق، وهذه الوسيلة من أكثر الوسائل شيوعًا لسهولة إحداثها، وصعوبة التعرف على مرتكبيها، وقد يكون بوسائل أخرى كالتلاعب في مواد الإنتاج، بهدف التقليل من جودته، أو عن طريق وضع مواد سامة، أو ضارة في خزانات المياه، وفي الأطعمة التي يتناولها العاملون بالمنشأة[5].

٢- التجسس:

وهو نشاط سري يهدف إلى نقل معلومات ذات أهمية خاصة، إلى فئة لا يسمح بوصول تلك المعلومات إليها، بهدف التخطيط للتخريب أو التأثير على الإنتاج، أو العاملين داخل المنشأة.

وغالبًا ما يقوم به أشخاص ذووا مبادئ عدائية، سواء من أبناء البلد أو من غيرهم، ويمتازون بالتدريب والخبرة الجيدة التي تساعدهم على اختيار

---

(١) انظر المراجع السابقة، ص٧٠٧، وانظر ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) مواد كيماوية ناسفة تصنع منها القذائف والألغام. انظر المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم أنيس، عبدالحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، وأشرف على طبعه: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، ج٢ ص٦٧٥.

(٣) اللغم: علبة تحشى بمواد متفجرة. انظر المرجع السابق، ص٨٣٠.

(٤) مواد قوية الانفجار. انظر المرجع السابق، ص٦٨٦.

(٥) انظر المشرف، سالم، المرجع السابق، ص٢٣٧-٢٣٩.

الوقت المناسب لجمع وإرسال المعلومات المطلوبة. ونتائج التجسس لا تظهر بصورة سريعة أو مباشرة، إلا أنها أشد خطرًا وأثرًا من التخريب[1].

٣- السرقة:

عمل يقصد به نقل بعض المعدات والوسائل والبرامج الفنية المستخدمة داخل المنشأة إلى خارجها، للاستفادة منها في أعمال أخرى، وقد تكون السرقة لحساب الشخص نفسه، أو لجهة أخرى تستفيد منها.

وهي من أكثر الأخطار شيوعًا لسهولة ارتكابها[2]، وغالبًا ما تحدث من العاملين داخل المنشأة أثناء العمل.

٤- الأنشطة الهدامة:

هي أنشطة سرية تهدف إلى نشر أفكار ومبادئ هدامة، بهدف السيطرة على عقول وأفكار العاملين، وشحنها بالمبادئ والمعتقدات التي تحقق السيطرة على المنشأة، لتحقيق الأغراض في الوقت المناسب. وغالبًا ما يقوم بذلك مواطنون خونة، وعملاء يصعب اكتشافهم[3]؛ لأن ما يقومون به عمل لا يُعرَّف بالغرض منه إلا من أُمِن ووثق به.

٥- الأفعال غير المقصودة:

هي الحوادث التي تقع عن طريق الخطأ نتيجة الإهمال وعدم المبالاة وغالبًا ما تحدث من أشخاص جهلة لا يقدرون المسئولية، لقصور

(١) انظر السباعي، إدارة الشرطة، ج٢، ص٧٠٨.

(٢) انظر المشرف، سالم، المرجع السابق، ص٢٣.

(٣) انظر السباعي، المرجع السابق.

إدراكهم لحقيقة واجباتهم. ويكون نتيجة ذلك التسبب في اشتعال حريق أو تدمير يؤثر في المنشأة وإنتاجها[1].

تلك هي أهم الأخطار التي تهدد أمن المنشآت، وهي جرائم لا تحدث في مرحلة معينة أو وقت معين، أو جهة معينة، بل تقع كلما توافرت الفرص للقيام بها.

إذًا فلابد من وضع خطط وطرق للوقاية من تلك الأخطار، مع استخدام وسائل الأمن المادية المختلفة للمراقبة والتحري والكشف عن المجرمين وأخطارهم، وأن يكون إحكام ودقة تلك الخطط بحسب أهمية المنشأة وحيويتها والظروف المحيطة بها، فمن غير الملائم وضع خطة واحدة تطبق على جميع المنشآت في كل الظروف والأوقات[2]. فحراسة المصنع المنتج للمواد الأساسية تختلف عنه في المصنع المنتج للمواد التكميلية، وقواعد الأمن في الجامعات تختلف عنها في المدارس العامة كما يجب عدم إهمال الأمن والحراسة حول أي منشأة مهما كانت درجة أهميتها، فوجود نوع من الحراسة حتى لو كان بدرجة عادية يشكل عقبة في طريق مرتكبي الجرائم.

ويجب أن يسبق وضع الخطط الأمنية حول المنشأة دراسة وافية لطبيعة عمل المنشأة وأهميتها، ولتصميمها الهندسي، وموقعها الجغرافي، ولجميع الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها، وكذلك لدراسة

(١) انظر المرجع السابق، ص٧٠٧.

(٢) انظر المشرف، سالم، أمن وحراسة المنشآت، ص١٤١.

جميع عناصرها المادية والبشرية، ودراسة الأخطار التي تعرضت لها ومعرفة كل التفصيلات المتعلقة بها، والتي تساعد في وضع الخطة الأمنية المناسبة لحراسة المنشأة من جميع الأخطار[1].

وبعد تلك الدراسة يمكن وضع الخطط المناسبة واللازمة لحماية المنشآت وحراستها من الأخطار والكوارث.

إلا أن هناك قواعد عامة لتنظيم حماية المنشآت يجب التعرف عليها للاهتداء بها عند وضع الخطة لحماية أية منشأة، منها:

أولًا: الحراسة المباشرة:

للحراسة دور كبير في تثبيت الأمن، بل هي من أفضل الوسائل الأمنية وأكثرها فاعلية، ويدل على ذلك الثواب العظيم الذي وعد الله به من قام بها، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[2].

والمرابطة: الملازمة في سبيل الله[3] وحفظ ثغور المسلمين، وصيانتها عن دخول الأعداء، أو الاعتداء عليها[4]. ومنابع ثروة المسلمين من أقوى دعامات البناء والإعمار، وأساس للإنتاج الجيد الذي يكفل التقدم في كافة المجالات، ومنها بناء القوة العسكرية التي ترهب الأعداء لذلك

(١) انظر السباعي، المرجع السابق، ص٧٠٩-٧١١، وانظر المشرف، سالم، المرجع السابق، ص١٤١-١٤٢.

(٢) سورة آل عمران، آية ٢٠٠.

(٣) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤ ص٣٢٣.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٤٤٥.

فحراسة منابع الثروة والإقامة بالسلاح في المكان الذي يُخشى عليه من الأعداء سواء كان في أطراف البلاد، أو في داخلها، كل ذلك داخل في الرباط في سبيل الله.

قال ﷺ: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان**»(١).

ولقد كلف الرسول ﷺ أبا هريرة(٢) رضي الله عنه بحراسة وحفظ زكاة رمضان(٣)، أحد المصادر المالية للمسلمين. وقام عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن أرقم(٤) بحراسة أخماس غنائم جلولاء(٥) في صحن المسجد النبوي بالمدينة(٦).

وفي ذلك دليل على وجوب الاهتمام بحراسة منابع الثروة للأمة الإسلامية.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل.

(٢) عبدالله بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف بن عثمان بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران ابن كعب الدوسي، كان اسمه عبد الشرى، فلما أسلم سُمي عبدالله وكُني بأبي هريرة، وقيل اسمه عبدالرحمن بن صخر، أسلم بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجرًا وسكن الصفة، عاش ثمانيًا وسبعين سنة، ومات سنة سبع، وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين للهجرة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص٢٠٠-٢٠٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب ١٠.

(٤) ابن أبي الأرقم، واسمه عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أسلم يوم الفتح، كتب للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر، وتوفي سنة أربع وأربعين. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٢ ص٢٦٥.

(٥) إحدى فروج السواد في طريق خراسان. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص١٥٦.

(٦) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٣٠.

وفي غزوة ذات الرقاع[١] قام رجلان من المسلمين بحراسة معسكر الجيش الإسلامي[٢] من أجل حمايته من السراق والمعتدين، ومن يريد به شرا. وفي غزوة الخندق قام المسلمون بحراسة الخندق ونظموا حوله الحراسة، وركزوا في ذلك على الأماكن المتقاربة[٣]، منعًا لأي محاولة قد يقوم بها المشركون لردم الخندق أو محاولة تجاوزه.

وهذا يدل على ضرورة حماية المنشآت وترتيب الحراسة اللازمة حولها لما في ذلك من حماية لمصالح المسلمين وأمنهم.

وللحراسة أهمية بالغة (فجهاز الحراسة في أية منشأة يشكل العنصر الأساسي لتأمين سلامتها، وعليه الاعتماد الأول - بعد الله - في وقاية المنشأة من الأخطار والحوادث والجرائم التي تتعرض لها)[٤]. لذلك يجب أن تتنوع الحراسة من أجل القيام بالواجب على الوجه الأكمل. يقول الواقدي في سياق حديثه عن غزوة الخندق: (... والمسلمون على خندقهم يتناوبون، معهم بضعة وثلاثون فرسًا، والفرسان يطوفون على الخندق ما بين طرفيه، يتعاهدون رجالًا وضعوهم في مواضع منه)[٥].

---

(١) سميت بذلك لأنها أرض فيها بقع سوداء وبيضاء، وقيل لأنهم لفوا على أرجلهم الخرق. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٣ ص٥٦.

(٢) انظر الواقدي، كتاب المغازي، ج١ ص٣٩٧، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٢٢-١٢٣.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٤٥٧، ٤٦٤-٤٦٥، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج١ ص٦٠-٦١.

(٤) المشرف، سالم، أمن وحراسة المنشأة الحيوية، ص١٣٥.

(٥) الواقدي، المصدر السابق، ص٤٥٧.

فكان الحراس الثابتون في أماكن معينة، والحراس الراكبون الذين يتعاهدون أطراف المنشأة، والحراس الراجلون الذين يتعاهدون مناطق معينة ومساحات صغيرة.

وفي الوقت الحاضر يكون الحراس الثابتون في أبراج المراقبة، والأماكن ذات الأهمية الخاصة كالمنافذ والنقط الخطرة، والراجلون يتم تكليفهم بالدوران حول مناطق محددة بالمنشأة، والراكبون يكلفون بعمل الدوريات حول المنشأة بوساطة السيارات، أو الدراجات النارية، وذلك في المناطق والمساحات الكبيرة[(١)].

كما يجب تزويد الحراس بالأسلحة والأجهزة والملابس اللازمة، التي تساعد على أداء العمل وحماية النفس[(٢)].

ثانيًا: تحصين المنشأة وتأمينها من الداخل والخارج:

وذلك من خلال:

١- حراسة منافذ المنشأة، والتحكم في الدخول والخروج؛ لأجل التحقق من شخصية الزوار والعاملين ومراقبتهم[(٣)]. وكذلك مراقبة المركبات وتفتيشها والتحكم فيها عند الاقتراب من المنشأة وبعد دخولها[(٤)] وذلك منعًا لدخول الأشخاص غير المرغوب فيهم، والمركبات التي

---

(١) انظر السباعي، إدارة الشرطة، ج٢ ص٧٤٢-٧٤٣.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٧٤٥، وانظر المشرف، سالم، أمن وحراسة المنشأه الحيوية، ص٧٧.

(٣) انظر السباعي، المرجع السابق، ص٧١٣، ٧٤٣.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٧٣١، وانظر المشرف، سالم، المرجع السابق، ص١٧٩.

من الممكن أن تحمل موادًا تُعرّض المنشأة للخطر، ويجب تحري الدقة في ذلك، فهذان العنصران من أشد العناصر خطرًا على أمن المنشآت.

٢- تحصين المنشأة بالأسوار العالية التي يصعب تسلقها أو نقبها، وتسهل مراقبتها من الداخل والخارج، وكذلك إقامة أبراج المراقبة في أماكن تضمن مراقبة المنشأة من الداخل والخارج[١]. مع القيام بتنظيم الحراسة المستمرة حول الأسوار والأبراج والأماكن الخطرة.

٣- استخدام الإضاءة الوقائية التي تساعد في الكشف عن المتسللين والأشخاص غير المرغوب في وجودهم داخل المنشأة، كما أنها عامل نفسي للحراس، حيث يزيدهم ذلك اطمئنانًا، ويقوي فيهم اليقظة والانتباه، وفي مقابل ذلك فهي عامل يثبط همم المغرضين فيترددون في تنفيذ أهدافهم خشية انكشاف أمرهم، كما أنها تساعد على التحقق من طبيعة أي حركة داخل المنشأة ومتابعتها[٢].

ثالثًا التحري والملاحظة:

وذلك عن طريق إجراء تحريات لعاملي المنشأة، حيث يجب إعداد ملفات خاصة بكل فرد، تثبت فيها جميع المعلومات الخاصة بالعاملين، مع متابعة سلوكهم ومعرفة ما يتغير من أخلاقهم وتصرفاتهم داخل المنشأة وخارجها، ويقوم بذلك عدد من أفراد الملاحظة داخل المنشأة وخارجها[٣].

---

(١) انظر المراجع السابقة، ص٧٤٤، وانظر ص٩١-٩٥.

(٢) انظر المراجع السابقة، ص٧١٨-٧١٩، وانظر ص١٠٢-١٠٧.

(٣) انظر المراجع السابقة، ص٧١٢-٧١٣، وانظر ص٢٤.

رابعًا: توفير أجهزة وآلات الإنذار والمراقبة:

لهذه الأجهزة في المنشأة أهمية بالغة، وضرورة قصوى، خاصة في المنشآت ذات الأهمية الخاصة، أو التي يمنع حتى رجال الأمن من دخولها، وهذه الأجهزة تعطي رجال الأمن والحراسة وقتًا كافيًا لاتخاذ اللازم، ووقف النشاط العدواني، فهي تسهم بالإنذار المبكر عند وقوع حريق، أو وجود شيء محظور، فيهب الجميع لاتخاذ اللازم[1]. واستخدام هذه الأجهزة يدعو للاطمئنان؛ لكونها تعمل آليا وباستمرار فتعطي نتائج أفضل في هذا المجال.

خامسًا: تأمين الوثائق والمعلومات:

يجب إرشاد العاملين إلى وجوب المحافظة على هذه الوثائق، والتأكيد عليهم بعدم جواز إطلاع الآخرين عليها مع تذكيرهم بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2].

فتلك أمانة من الأمانات يجب على المسلم الحرص على الحفاظ عليها خاصة إذا كان في إفشائها ضرر على المسلمين، أو على أحد منابع الثروة لديهم.

فيجب القيام بحفظ الوثائق، وتغليفها تغليفًا جيدًا، ووضعها في خزائن خاصة تغلق بطرق خاصة، أما الوثائق التي فقدت قيمتها فيتم إعدامها بطريقة تضمن عدم التعرف على ما فيها.

---

(١) انظر المراجع السابقة، ص٧٢٥-٧٣٠، وانظر ص١١٩-١٢٥.

(٢) سورة الأنفال، آية ٢٧.

أما المعلومات الشفوية فيجب عدم التحدث عنها مع أي شخص كان بل يجب تجنب الحديث فيها، حتى في الأحاديث العادية بين العاملين، فقد يكون من بينهم ضعاف نفوس يلتقطون كل ما يدور للبوح به للأعداء.

أما الاتصالات الهاتفية واللاسلكية فيجب تجنب الحديث فيها عن المعلومات المهمة والسرية وذات الصبغة الخاصة، أو المؤثرة على سير العمل، وكذلك عدم كتابتها بريديًا، والاستغناء عن ذلك برموز يصعب التعرف على حقيقتها[١]. ولنا في الرسول ﷺ القدوة في ذلك، حيث إنه لما سمع بنقض بني قريظة للعهد بعث إليهم جماعة من الصحابة للتأكد من الخبر، وأمرهم بإظهار القول إن كان الخبر مكذوبًا، واللحن له بما يعرف إن كان صحيحًا، فلما عادوا قالوا له: «عضل[٢] والقارة»[٣]. ففهم ﷺ من ذلك أن الخبر صحيح[٤]، وأن بني قريظة قد نقضوا العهد وغدروا كغَدْر عضل والقارة بأصحاب الرسول ﷺ في الرجيع[٥].

لذلك يجب الحرص على تأمين المعلومات والوثائق والاتصالات المتعلقة بالمنشأة، والحرص على اختيار الموظف المسئول عنها بدقة متناهية، مع استمرارية إجراء التحريات الخاصة عنه لمعرفة استمرارية ولائه، ومحافظته على سرية تلك المعلومات.

---

(١) انظر المشرف، سالم، المرجع السابق، ص١٨٣-١٩٢.

(٢) موضع بالبادية كثير الغياض. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١٢٩.

(٣) إحدى القرى التي منها دومة وسكاكا. انظر المصدر السابق، ص٢٩٥.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٣٢-١٣٣.

(٥) موضع غدرت فيه عضل والقارة بأصحاب الرسول ﷺ. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٣ ص٢٩.

المبحث الرابع

الدفاع المدني

يهدد حياة الإنسان وممتلكاته في حياته اليومية بعض الأحداث التي تقع نتيجة إهمال أو جهل، أو تصرف خاطئ، أو نقص في وسائل الوقاية، أو بفعل الكوارث الطبيعية، ويكون ثمن ذلك خسائر في الأرواح والممتلكات.

فالحرائق والتي كثيرًا ما تحدث يكون أثرها بالغًا على المرء نفسه وعلى الآخرين. وسوء تصميم المنازل أو البقاء فيها مع قِدمها يجعلها عرضة للسقوط، خاصة عندما تكون عوامل الجو مؤثرة وغير طبيعية. كما أن هناك أحداثًا خارجة عن إرادة الإنسان كالكوارث الطبيعية. كل هذه الأمور ونحوها يحتاج فيها المرء إلى من يساعده سواء بعمل طرق الوقاية أو تقديم يد العون له بعد وقوعها. لذلك قال ﷺ دالا أمته على إحدى وسائل مكافحة الحريق: «**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**»[١]. وقال: «**غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج فإن الشيطان لا يحل سقاءً، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد**

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء.

أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا، ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة[١] تضرم[٢] على أهل البيت بيتهم»[٣].

وقال ابن عباس[٤] رضي الله عنهما مبينًا السبب الذي جعل الرسول ﷺ يأمر بإطفاء النار والسرج عند المنام: «جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخُمرة التي كان قاعدًا عليها، فأحرقت منها مثل موضع الدرهم»[٥].

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكد على عدم ترك المصابيح مضاءةً بعد النوم، وشدد في ذلك خوفًا من حدوث حريق، خاصة في المنازل التي سقفها من الجريد[٦].

وقد تم إنشاء أول فرقة نظامية مدربة على أعمال الدفاع المدني والسلامة من الأخطار في ولاية عبدالعزيز بن مروان[٧] على مصر، حيث أنشئ في

---

(١) الفأرة.

(٢) تحرق. انظر الرازي، مختار الصحاح، ص٣٨٠.

(٣) مسلم، المصدر السابق.

(٤) ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، حبر هذه الأمة، وترجمان القرآن، مات في الطائف سنة ثمان وستين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٣٢٢-٣٢٦.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في إطفاء النار بالليل.

(٦) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٢٥٠، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص٣٠.

(٧) ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الأصبغ، أمير مصر ولد في المدينة، وتولى إمارة مصر سنة خمس وستين، والد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، مات سنة خمس وثمانين. انظر الزركلي، الأعلام، ج٤ ص٢٨.

جزيرة الروضة(١) فرقة قوامها خمسمائة رجل، مهمتها الإسهام في إطفاء الحريق ومساعدة المنكوبين ممن هدمت عليهم منازلهم ونحو ذلك(٢).

وفي عهد الدولة الفاطمية تم إنشاء فرق لإطفاء الحرائق التي قد تحدث في أنحاء القاهرة، ففي عام (٣٨٣ هـ)، أمر الخليفة العزيز بالله بوضع أزيار مملوءة ماء أمام أبواب الحوانيت، لاستخدامها في إطفاء الحرائق(٣).

وفي عام (٥١٧ هـ) أمر المأمون البطائحي(٤) حاكم مصر: (بإحضار عرفاء السقائين، وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة إليهم ليلًا ونهارًا، وكذلك يعتمد في القربيين، وأن يبيتوا على باب كل معونة(٥) ومعهم عشرة من الفعلة بالطوارئ والمساحي)(٦). فتعين على السقائين وأصحاب قرب المياه إجابة أي نداء ليلًا أو نهارًا للإسهام في إخماد ما قد يقع من حرائق، لإغاثة من يحتاج إلى

---

(١) تقع بين مدينة مصر والجيزة، عرفت أول الإسلام بالجزيرة، وبجزيرة مصر، ثم قيل لها جزيرة الحصون، وعرفت فيما بعد بالروضة، انظر الخطط المقريزية، ج٢ ص١٧٧-١٧٨.

(٢) انظر ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص١٠٣، وانظر السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢ ص٣٧٨.

(٣) انظر المقريزي، المصدر السابق، ص١٠٧-١٠٨.

(٤) أبو عبدالله ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصري، اتصل بخدمة الأفضل ابن أمير الجيوش في شوال سنة إحدى وخمسمائة، قتل مصلوبًا سنة (٥٢٢). انظر المصدر السابق، ص٤٦٢-٤٦٣.

(٥) كلمة تطلق على الشرطة لقيامها بمعاونة الحكام والمواطنين. انظر الكاتب، البرهان، ص٣٩٣.

(٥) المصدر السابق، ج١ ص٤٦٣.

إغاثة، كمن وقع عليه منزله، أو تعرض لكارثة أخرى، وأن يكونوا قريبين من مراكز الشرطة لإجابة النداء.

وفي الوقت الحاضر تقع على عاتق الدفاع المدني مسئولية حماية السكان والممتلكات، ومصادر الثروة الوطنية من أخطار الكوارث بأنواعها في زمن السلم والحرب[١]، ولأجل ذلك فقد تم تشكيل فرق الدفاع المدني في جميع المدن موزعة على حسب وضعها السكاني والجغرافي والعمراني والصناعي.

وفي بعض المدن يوجد أكثر من فرقة لضمان سرعة التدخل عند الحاجة[٢]. ويوجد في كل فرقة قوة نظامية قادرة على التحرك السريع لمباشرة مسئولياتها، ومجهزة بأحدث الأجهزة اللازمة لمواجهة الأخطار والكوارث[٣].

ومن خدمات الدفاع المدني العمل على اتخاذ جميع التدابير الوقائية، مع تأمين وسائل الوقاية والإنذار من الأخطار، وذلك في المنشآت العامة والخاصة، وفي المنازل والمحلات التجارية، مع تزويدها باللوائح والأنظمة المستجدة والمتعلقة بالسلامة العامة؛ للحد من وقوع الأخطار والأضرار، ومراقبة تطبيقها في عموم المرافق والمنشآت.

---

(١) انظر ملخص مشروع الخطة الخمسية الرابعة للمديرية العامة للدفاع المدني من عام ١٤٠٥هـ إلى عام ١٤١٠ هـ، ص٨.

(٢) انظر كمال سراج الدين، علي أورفلي، الدفاع المدني في المملكة العربية السعودية، ص٢٨-٢٩، وانظر كمال سراج الدين، محمد مروان عداس، الواجبات العامة، ص٢٨٢-٢٨٣، وانظر الملخص، ص٩، ١٨.

(٣) انظر كمال سراج الدين، علي أورفلي، المرجع السابق، ص١٩-٢٠، وانظر الملخص، ص٢٠.

كما يقوم بتوعية المواطنين والعمال حول واجباتهم عند وقوع الحوادث مع تنظيم الدورات التدريبية لأعمال الدفاع المدني[1]، من أجل تثقيف المواطن وإعداده لمواجهة الأخطار، والمشاركة في مساعدة فرق الدفاع المدني عند وقوع الحوادث، وليكون المواطن نفسه رجل دفاع مدني.

كما يعمل جهاز الدفاع المدني على تهيئة عربات ومراكز الإسعاف الأولى. والعمل على تجهيزها باللوازم الطبية لإسعاف المصابين، ويعمل على تهيئة المعسكرات والمخابىء العامة لإقامة المنكوبين فيها، مع الاستعداد التام لتأمين المواد الغذائية والكسائية والطبية للمتضررين[2].

إذًا فجهاز الدفاع المدني يسهم في بث الطمأنينة والراحة في نفس المواطن، ويعمل على تأمين وسائل الأمن، للحد من الأخطار التي قد يتعرض لها. وهذا بدوره ينعكس على تثبيت الأمن الداخلي للمجتمع.

مما سبق تبين لنا الواجبات المنوطة بجهاز الأمن الداخلي والتي تركزت في تثبيت الأمن وإقراره، واتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة للحفاظ عليه، وعمل التدابير الواقية لمنع كل ما من شأنه الإخلال به.

وتبين أن هدفه الرئيسي يتركز في المحافظة على الأنفس، ثم على

---

(١) انظر كمال سراج الدين، علي أورفلي، المرجع السابق، ص٢١-٣١٥، وانظر كمال سراج الدين، محمد عداس، المرجع السابق، ص٢٩٠-٢٩٣، وانظر فايز العوفي، الدفاع المدني، إطفاء إنقاذ إسعاف، ص و، ز، من المقدمة، وانظر الملخص، ص٨، ١٧، ١٩.

(٢) انظر المراجع السابقة ص٢١، وانظر ص٢٩٢-٢٩٣، وانظر ص و، ز، من المقدمة، وانظر ص٨، ١٨، ٢٠.

الأعراض والأموال والممتلكات المادية، مع الإسهام في أن ينال الفرد جميع حقوقه الواجبة له دون أن يقف في طريق ذلك أي عائق.

ولم يقتصر دور جهاز الأمن على ذلك، فبالإضافة إلى ما سبق يعتبر جهاز إصلاح اجتماعي للعناصر المريضة داخل المجتمع، ويتضح ذلك من خلال قيام الشرطة بتضييق الخناق على الفئات المريضة، وهذا يدفعها إلى أن تسلك الطريق السوي، وتبتعد عن كل ما فيه شبهة.

كما أن معرفته لأسباب الجرائم داخل المجتمع تجعله يقدم العلاج الوقائي ضدها، ويقوم باتخاذ الإجراءات العلاجية المناسبة لتطهير المجتمع منها.

وهذا الدور الذي يقوم به جهاز الأمن أحد الأهداف النبيلة لتعاليم الشريعة الإسلامية التي جاءت بما يكفل المحافظة على جميع الحقوق الإنسانية لكل فرد، وبما يجعل المجتمع يعيش في أمن وسلام، ليقوم كل فرد بوظيفة الخلافة في الأرض على الوجه الأمثل.

الفصل الثاني

تحقيق الأمن الخارجي

مدخل:

المبحث الأول : حماية حدود الدولة.

المبحث الثاني: إظهار القوة لإرهاب العدو.

المبحث الثالث: رعاية أمن الدولة الخارجي.



مدخل

سيادة الأمن والسلام مع البلاد المجاورة عامل مساعد على العمل والعطاء، وعدم تعرض البلاد للغزو الخارجي مطلب حيوي وضروري. لذلك يُحرص على تحقيق الأمن الخارجي، ويُعمل على توفير العوامل المساعدة على ضمانه، سواء منها العسكرية أو السياسية أو غيرها، لتعيش البلاد آمنة من الغزو العسكري الذي يشيع فيها الخوف والاضطراب.

ويتحقق الأمن عن طريق السياسة السلمية البعيدة عن إثارة المشاعر العدائية للآخرين، والجنوح دائماً إلى السلم، والتصرف الحكيم في معضلات الأمور.

وربما لا تجدي السياسة السلمية في تحقيق الأمن، بل لابد من اتخاذ إجراءات وتدابير عسكرية، ينتج عنها الأمن من الغزو العسكري للبلاد. وقد يتحقق ذلك من خلال حماية حدود الدولة، وتأمينها بما يكفل عدم الاعتداء، وقد يكون بالمقدرة على صد أي عدوان يشن من قبل الأعداء.

فتلك الأمور كفيلة بأن تسهم في تحقيق الأمن الخارجي للبلاد.

المبحث الأول

حماية حدود الدولة

دولة الإسلام ليس لها حدود جغرافية تحدها، بل هي تمتد مع الإسلام وانتشاره، فكل أرض دخلها الإسلام فهي داخلة في حدود الدولة الإسلامية، وكلما انتشر الإسلام وجبت المحافظة على ما فتح وحمايته من أن يعتدى عليه[1].

وعندما يبدأ غزو عسكري لبلدٍ ما، يكون حراس الحدود والمرابطون بالثغور أول قوة دفاعية تواجه المعتدي، وأطراف البلاد أول أرض يصيب منها العدو، مهما كانت أهدافه ومطامعه داخلية.

لهذا أوجدت المراكز العسكرية في أطراف البلاد لتكون مراكز دفاع أولى، وقد تكون قواعد ينطلق منها الهجوم.

ولقد جاءت تعاليم الإسلام آمرة بالاهتمام بالأطراف، ووجوب المرابطة فيها، وجعل للمرابط الثواب العظيم، وفضل على العابد، حيث أنه قد بذل نفسه، وأقام في مكان بعيد عن أهله، قريب من عدوه فالاعتداء عليه وارد في كل وقت، كل ذلك من أجل إعزاز دينه، والدفاع

---

(١) انظر أبا الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، ص٤٣.

عن حرمات الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]. والمرابطة هنا مرابطة الجند في نحر العدو، لحفظ الثغور الإسلامية وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين[٢] والرباط: ملازمة ثغر يتوقع فيه نزول العدو بنية الجهاد والحراسة[٣]. والمرابطة: أن يربط كل من الفريقين خيلهم في ثغرٍ كُل مُعِدٌّ لصاحبه[٤]. والمرابطون: هم الجند الذين يقيمون في الثغور الإسلامية التي تكون موضع مخافة من فرج البلدان؛ ليواجهوا العدو[٥]. والثغر: كل موضع قريب من أرض العدو[٦].

ويدخل في الرباط تحصين الثغور الإسلامية، ومداخل الأعداء والمحافظة على المصالح الحيوية التي تكون هدفًا للاعتداء، قال تعالى: ﴿... وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾[٧].

---

(١) سورة آل عمران، آية ٢٠٠.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٤٤٥، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج١ ص٤١٥.

(٣) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٧ ص٣٠٢، وانظر محمود العالم، فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق، ص٢٩.

(٤) انظر الشيباني، شرح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ج١ ص٧، وانظر ابن منظور، المصدر السابق، انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢ ص٣٤٧.

(٥) انظر فرج غيث، غاية الإرشاد إلى أحكام الجهاد، ص٨٧.

(٦) انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢ ص ٧٩-٨٠.

(٧) سورة النساء، آية ١٠٢.

فالحذر من الأعداء، وأخذ الحيطة منهم بالاستعداد والتهيؤ لمواجهتهم، وعدم الغفلة عنهم واجب في كل وقت، وفي كل زمان ومكان، فهم يتربصون بالمسلمين الدوائر من أجل القضاء عليهم، ومن هذا الحذر الواجب على المسلمين الإقامة بالثغور وصيانتها، والاعتناء بالتسليح في تلك الأمكنة لئلا تكون موضع مخافة على المسلمين. قال تعالى محذرًا المسلمين من الأعداء المحيطين بهم: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

وفي ذلك تحذير للمسلمين من المحيطين بهم، وأنه يجب عدم الاطمئنان لهم، فمنهم منافقون يبطنون العداء للمسلمين ويعملون على الاعتداء عليهم.

ولقد حث الرسول ﷺ على الرباط وبين فضله وجزاء من قام به فقال: «**رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها . . .**»[2]، وقال ﷺ: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأُجري عليه رزقهُ، وأُمن الفتان**»[3]، وقال ﷺ: «**حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها**»[4] وقال ﷺ: «**عينان لا تصيبهما النار: عين بكت من خشية الله**

(١) سورة التوبة، آية ١٠١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٧٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٥٧١، رقم الحديث (٣٦٩٧)؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج١ ص٦١.

وعين باتت **تحرس في سبيل الله**»[١]، وما ذلك إلا لأن المرابط في مواجهة مستمرة مع العدو، يقف لحركاته بالمرصاد قبل أن يتمكن من الاعتداء على بلاد المسلمين.

ولقد عمل المسلمون على الاعتناء بثغورهم وأطراف بلادهم، وعملوا على حمايتها وصيانتها من أن يُعتدى عليها. ففي عهد الرسول ﷺ كانت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، وقاعدة انطلاق الجيوش للمناطق المجاورة. لذلك كانت هدفًا للعدوان من قبل أعداء الإسلام، وأصبحت أطراف المدينة المتاخمة للقبائل المجاورة هدفًا رئيسًا للأعداء. فكان الاعتداء يقع على أطراف المدينة بالسلب والقتل، ويخرج جند الإسلام منها لصد العدوان وحماية أطراف دولتهم. فقد أغار أبو سفيان[٢] في جمع من المشركين على ناحية يقال لها العُرَيض[٣]، فقتل وحرّق، وعلم به المسلمون، فخرج رسول الله ﷺ[٤] في جند الإسلام يطلبهم، فهرب المشركون، وحمى المسلمون أطراف دولتهم. وأغار عيينة بن حصن[٥]

---

(١) حديث صحيح. السيوطي، المصدر السابق، ج٢ ص١٨٤، رقم الحديث (٥٦٤٩).

(٢) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان القرشي الأموي مشهور باسمه وكنيته، والد معاوية بن أبي سفيان، أسلم عام الفتح، وشهد حنينًا والطائف، مات سنة أربع وثلاثين، وقيل إحدى وثلاثين، وقيل اثنتين وثلاثين وعاش ثلاثًا وتسعين سنة، وقيل ثمانيًا وثمانين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص١٧٢-١٧٣.

(٣) واد بالمدينة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١١٤.

(٤) انظر الواقدى، المغازي، ج١ ص١٨١، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٤٨٣-٤٨٤.

(٥) ابن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري، أبو مالك، أسلم قبل الفتح وشهدها، وشهد حنينًا والطائف، عاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٣ ص٥٥-٥٦.

على لِقَاح رسول ﷺ فقتل الراعي، وأخذ اللِّقَاح، وخرج جند الإسلام في أثره فاستردوا بعض اللِّقَاح[1]، وأبعدوا المشركين عن أطراف دولتهم.

وقد كان المسلمون يبادرون بالهجوم على من يحاول الاعتداء على أطراف دولتهم، فإذا بلغهم أن قومًا يُعِدُّون العدة للدنو من المدينة وتحققوا الأخبار في ذلك، بادروا بالهجوم، وعملوا على عدم إعطائهم الفرصة في الجمع والتهيؤ للاعتداء.

بلغ الرسول ﷺ أن جمعًا من ثعلبة ومحارب قد جمعوا جمعًا يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة ليصيبوا منها، فلم يمهلهم ﷺ، ولم يعطهم الفرصة في الاقتراب من المدينة، بل خرج إليهم في جند الإسلام وعسكر في معسكرهم، فخافوا من المسلمين، وتفرق جمعهم، ووهن الله كيدهم، ووقى المسلمين شرهم[2].

وفي آخر أيام الرسول ﷺ كان الإسلام قد عمَّ أنحاء الجزيرة العربية، ولم يكن هناك مراكز لحماية الثغور الإسلامية؛ لأن التهديد والخوف كان يأتي للمسلمين من الفرس والروم، فكانت المدينة ثغر الإسلام، ومركز الدعوة وقاعدة الإسلام العسكرية، أهلها جميعًا جند للإسلام، والرسول ﷺ قائدهم، فإذا وقع اعتداء على الأطراف أو بلغهم تهديد لذلك، أمر ﷺ جنده بالخروج، وعسكروا خارج المدينة حتى يتلاحق بقية الجند، ومن ثم تسير الجيوش عند الاكتمال.

---

(١) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٥٣٧-٥٤٩، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٧٥، وانظر الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، ج٣ ص٣-٤.

(٢) انظر الواقدي المصدر السابق، ص٢١٢، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١ ص٣٠٣.

لما علم الرسول ﷺ بأن الروم تحشد قواتها، وتعمل على إثارة القبائل العربية الموالية لها لغزو حدود المسلمين الشمالية، عمل ﷺ على تهيئة جنده لغزو الروم، وعسكر في ثنية الوداع[1]، حتى أتم تجهيز الجيش الإسلامي وسار باتجاه تبوك حتى وصلها، وضرب معسكره فيها وعمل على تأمين الحدود الشمالية بمصالحة بعض القبائل، وإظهار القوة للروم الذين انسحبوا لما علموا بمسير المسلمين إليهم[2].

ولما تُوُفِّيَ الرسول ﷺ ارتدت بعض القبائل العربية وخاف أهل المدينة على أنفسهم، عندها قام أبو بكر رضي الله عنه بعمل الاحتياطات التي تكفل حماية المدينة من المرتدين، فجعل على أنقاب المدينة جندًا يرابطون بها، ودونهم دورية متحركة بين القيادة في المدينة والمرابطين، ولما أغار المرتدون على المدينة ليلًا، جرى الاتصال بين القيادة والمرابطين عن طريق الدورية المتحركة، وأصدر أبو بكر أوامره بلزوم الأنقاب حتى يتم خروج جند المسلمين لمواجهة الأعداء[3].

وبعد انتهاء حروب الردة أصبحت الجزيرة العربية بلدًا إسلاميًا وانحصر التهديد في الأطراف الشمالية حيث الفرس والروم. وكان أبوبكر رضي الله عنه ببصيرته النيرة يعلم أن الفرس والروم سيعملون على إشغال المسلمين بالمناوشات، فعمل على وضع حزام أمني على أطراف

(١) ثنية مشرفة على المدينة، يطؤها من يريد مكة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٨٦.

(٢) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٣ ص٩٨٩-٩٩٥، وانظر محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص٢٧١.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٤٥، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٣٢.

الدولة الإسلامية، فبعث البعوث إلى العراق والشام، وسمي لكل قائد مصرًا من الأمصار. فقد وجه خالد بن الوليد[1] إلى العراق، وشرحبيل ابن حسنة[2] إلى الأردن، ويزيد بن أبي سفيان[3] إلى دمشق، وأبا عبيدة ابن الجراح[4] إلى حمص، وجعله أميرًا على الشام، ووجه عمرو بن العاص وعلقمة بن مجزز[5] إلى فلسطين، وولى المثنى بن حارثة على العراق بعد أن بعث خالدًا إلى الشام[6]، فكانت تلك المدن والمناطق قواعد عسكرية يسكنها الجند، وينطلقون منها لمباشرة مهامهم الحربية وحماية حدودهم الإسلامية.

---

(١) ابن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، أبو سليمان، سيف الله أسلم سنة سبع للهجرة، من أشهر قادة الفتح الإسلامي، مات بالمدينة، وقيل بحمص سنة إحدى وعشرين للهجرة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٥٣٥-٥٣٦.

(٢) (حسنة) هي أمه، وقيل ابنته، وأبوه عبدالله بن المطاع بن عبدالله بن الغطريف بن عبدالعزى بن جثامة بن مالك الكندي، ويقال التميمي، أسلم وهاجر إلى الحبشة، ثم المدينة، سيره أبو بكر إلى الشام، ولاه عمر على ربع من أرباع الشام، مات في طاعون عمواس وهو ابن سبع وستين سنة. انظر المصدر السابق، ج٢ ص١٤١-١٤٢.

(٣) ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي من فضلاء الصحابة أسلم يوم الفتح، وهو أحد أمراء أجناد الشام، مات في طاعون عمواس. انظر المصدر السابق، ج٣ ص٦١٩.

(٤) عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، مشهور بكنيته أمين هذه الأمة وأحد العشرة السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها، مات في طاعون عمواس. انظر المصدر السابق، ج٢ ص٢٤٣-٢٤٥.

(٥) ابن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمر بن مدلج الكناني المدلجي شهد تبوك، وكان عاملًا لعمر على حرب فلسطين. انظر المصدر السابق، ص٤٩٩.

(٦) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٤٣-٣٩٤، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٧٥-٢٧٨.

وفي آخر أيام أبي بكر وبداية خلافة عمر رضي الله عنهما ازدادت رقعة الإسلام، وبعدت المسافة بين المدينة المنورة مقر القيادة الإسلامية وأطراف الدولة الإسلامية، عند ذلك رأى عمر أنه لابد من تأمين وحراسة حدود البلاد الإسلامية، وإقامة الحصون وتسكين المرابطين بها، فعمل على إيجاد مراكز عسكرية بالقرب من تخوم الأعداء، لتكون قواعد انطلاق للفتوح الإسلامية ومراكز إعداد في حال العدوان، واتخذ رضي الله عنه قرارًا عسكريًّا بوضع تلك المراكز بين مقر القيادة والحدود بحيث تؤمن متطلبات الجند المرابطين، وفيها يستوطن العسكر ويلتقون، ولتكون ردءًا لمن يقاتل، وسميت تلك المراكز بالأمصار، وكان الرسول ﷺ قد أشار إلى ذلك بقوله: «**سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندةً، جندٌ بالشام وجندٌ باليمن، وجندٌ بالعراق**»[(١)].

قال عمر رضي الله عنه لعتبة بن غزوان[(٢)]: «انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب، وأدنى أرض العجم، فأقيموا»[(٣)]. قال الطبري في سياقه للقصة: «فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمربد[(٤)] وجدوا هذا الكذان[(٥)]، قالوا: ما هذه البصرة؟ فساروا حتى بلغوا حيال الجسر

---

(١) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج١ ص٦٨٢، رقم الحديث (٣٦٥٩).

(٢) ابن جابر بن وهب المازني حليف بني عبد شمس، أو بني عبد نوفل، من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد، بدرًا وما بعدها، ولاه عمر في فتوح العراق، فاختط البصرة وعاش سبعًا وخمسين سنة، انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٤٤٨.

(٣) تاريخ الطبري، ج٣، ص٥٩١، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٣٨.

(٤) اسم لموضع. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص٩٧.

(٥) حجارة كأنها المدر، فيها رخاوة، وأحدها كذانة. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٣ ص٣٥٧.

الصغير، فإذا فيه حلفاء[1] وقصب نابتة، فقالوا: هاهنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الفرات»[2].

فكانت البصرة أول قاعدة عسكرية قريبة من ساحات المعارك مع الفرس، ومع ازدياد الفتوحات الإسلامية ناحية الفرس، وتوغل المسلمين في بلاد فارس، رأى عمر رضي الله عنه بفكره العسكري الثاقب ضرورة إيجاد قاعدة عسكرية قريبة من ساحات المعارك وتخوم الأعداء، حيث إن أثر بُعد القاعدة العسكرية الأولى عن ساحات المعارك قد ظهر على هيئة الجند، فقد رأى منهم ما أنكره من تغير ألوانهم، ووهن أعضادهم[3]، عند ذلك قرر إيجاد قاعدة عسكرية أخرى، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يأمره: «بأن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانًا، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحرًا»[4]، ففعل سعد ما أُمر به، ونزل الكوفة وعسكر بها جند الإسلام. وعمل عمر على تأمينها بكل ما تحتاج إليه القواعد العسكرية، حتى قال عنها: «هم رمح الله، وكنز الإيمان، وجمجمة العرب، يحرزون ثغورهم، ويمدون أهل الأمصار»[5]. فكان أهل الكوفة يؤمنون لأهل الأمصار ما يحتاجون إليه من عساكر، ويكفون

---

(١) نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخيل والخوص، ينبت في الماء. انظر المصدر السابق، ج٩ ص٥٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣ ص٥٩١.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص٤١-٤٢، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٦٧-٣٦٨.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: لجنة تحقيق التراث في دار مكتبة الهلال ببيروت، ٢٧٠.

(٥) المصدر السابق، ص٢٨٣، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٩.

ثغورهم المتاخمة للأعداء. وقد كانت ثغور الكوفة أربعة هي: حلوان[(١)]، وماسبذان[(٢)]، وقرقيسياء[(٣)]، والموصل[(٤)].

أما أقاليم الشام فقد عُرِفت بالأجناد، وكانت مقسمة إلى خمسة أجناد هي: جند حمص، وجند قنسرين[(٥)]، وجند دمشق، وجند الأردن وجند فلسطين[(٦)]. فكانت تلك مراكز انطلاق للجيوش الإسلامية، فقد كان المسلمون يغزون ما وراء هذه المدن باتجاه العدو، ويعملون على سد الثغور بالمقاتلة، ويحرصون على شحن المناطق المخيفة بالسلاح والجند فكلما فتحوا مدينة في إحدى النواحي، رتبوا فيها على قدر ما تحتاج إليه من الجند والسلاح[(٧)].

كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة: «أن رتب بأنطاكية[(٨)] جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة، واجعلهم بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء»[(٩)].

---

(١) حلوان العراق في آخر حدود الشمال مما يلي الجبال من بغداد. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٢٩١.

(٢) أصله ماه سندان، مضاف إليه القمر، وهي إحدى مدن الفرس. انظر المصدر السابق، ج٥ ص٤١، ٤٩.

(٣) بلد تقع على مصب نهر الخابور في الفرات. انظر المصدر السابق، ج٤ ص٣٢٨.

(٤) المدينة المشهورة العظيمة، إحدى قواعد الإسلام، باب العراق ومفتاح خراسان. انظر المصدر السابق، ج٥ ص٢٢٣.

(٥) مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص. انظر المصدر السابق، ج٤ ص٤٠٤.

(٦) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٦٧، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٧٥.

(٧) انظر المصدر السابق؛ ص٢٦٩.

(٨) أحد الثغور الشامية. انظر الحموي، المصدر السابق، ج١ ص٢٦٦.

(٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٩.

وبعد فتح مصر عمل عمر رضي الله عنه على إيجاد قاعدة عسكرية تكون مستوطنًا للجند، فكتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه يأمره بأن ينزل بالمسلمين منزلًا ليس بينه وبينهم حائل لا شتاءً ولا صيفًا، فاختار عمرو الفسطاط[1]؛ لسهولة اتصالها بالمدينة، وأصبحت قاعدة للجيوش الإسلامية في مصر[2]، وعمل عمرو على شحن الإسكندرية ثغر مصر الساحلي بالمقاتلة، فقطع جزءًا من جنده للرباط فيها، فكان ربع الجند يرابطون، ثم يعقبهم الربع الآخر في الشتاء، أما النصف الآخر من الجيش فيقيم معه في الفسطاط[3].

وقد كانت تلك القواعد العسكرية في العراق والشام ومصر درعًا حصينة وواقية لشبه الجزيرة العربية، مقر عاصمة الخلافة، ومركز القيادة العسكرية الإسلامية، وكان لموقعها من الأطراف المتاخمة للفرس والروم دور بارز في ضمان سيطرة المسلمين على البلاد المفتوحة؛ لقربها من ساحات المعارك، الأمر الذي سهَّل على المسلمين معرفة تحركات الأعداء بسرعة ساعدتهم على وضع الخطط اللازمة للمواجهة قبل الاعتداء.

وقد كان لعمر رضي الله عنه رأي في تسليح تلك الأمصار عبر عنه بقوله: «أرأيتم هذه الثغور؟ لابد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن

---

(١) مدينة بمصر، بناها عمرو بن العاص سنة عشرين للهجرة. انظر الحموي، المصدر السابق ص٢٦١.

(٢) انظر ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٩١-١٩٢، وانظر الخطط المقريزية، ج١ ص٢٩٦.

(٣) انظر ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص١٩١-١٩٢، وانظر أمين الخولي، الجندية والسلم، ص٦٠-٦١.

العظام -كالشام والجزيرة[1] والكوفة والبصرة ومصر-؟ لابد لها من أن تشحن بالجيوش»[2]. وبيَّن الخطر المترتب على إهمال تسليحها بأنها: «إن لم تشحن هذه الثغور، وهذه المدن بالرجال، ويُجرى عليهم ما يَتَقَوُّونَ به، رجع أهل الكفر إلى مدنهم»[3]، وفي ذلك إشارة إلى أنه يجب إيجاد قوة رابطة في كل ثغر تقوم بعمل الدورية المتحركة لجمع المعلومات عن جيش العدو، والقيام بالإنذار المبكر عن محاولة الاعتداء، ولتكون هذه القوة خط دفاع أمامي لمنع اختراق الحدود عن طريق مشاغلة القوات المهاجمة من أجل توفير الوقت اللازم للقوات الموجودة في القواعد والمراكز العسكرية للاستعداد والتهيؤ من أجل الدفاع.

وقد عمل المسلمون على إنشاء الثغور كلما تقدم الجيش الإسلامي في فتوحاته، من أجل المراقبة والحراسة، وخصص لذلك عدد من المقاتلين يتبادلون المرابطة مع زملائهم من الأمصار، واعتمدوا عدم حبسهم في الثغور، وإطالة مدة رباطهم، خشية الفتنة لطول غيابهم عن أهلهم[4].

فعند الفتح لأي بلد، أو ناحية مهمة يتم ترتيب فرقة من الجند للمرابطة[5]، فإن حدث شيء من قبل الأعداء، أتاهم المدد من القواعد

---

(١) جزيرة بين دجلة والفرات مجاورة للشام. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص١٣٤.

(٢) القاضي أبو يوسف، كتاب الخراج، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ص٧٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٢٠٤.

(٥) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٩، ١٥١، ١٦٤، وانظر عون، الفن الحربي، ص٢٠٠.

والمراكز العسكرية[1]، وكان عمر رضي الله عنه يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية[2]، ولما أحس المسلمون من الروم التحرك لغزو الإسكندرية، أمر عمر بوضع مسالح مصر على السواحل[3]؛ لردع العدوان المحتمل من قبل الروم.

ولما قصدت الروم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ومن معه من المسلمين بحمص، كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد بن مالك رضي الله عنه: «أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو[4]، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وتقدم إليهم في الجد والحث»[5].

واتُّخِذ في كل قاعدة ومركز قوة للتدخل السريع، قوامها أربعة آلاف فارس تحت إمارة قائد ماهر، يتولى الإعداد والتدريب على فنون القتال المختلفة[6]، ومهمة هذه القوة تلبية حاجة القوات الإسلامية في ساحات المعارك المختلفة مع الأعداء. ففي خلافة عثمان رضي الله عنه أجلبت الروم على المسلمين في الشام، فأمدهم عثمان بالجند من الكوفة، حيث

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٥١.

(٢) انظر ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب، ص١٩١-١٩٢.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ص١١١-١١٢.

(٤) التميمي، أخو عاصم، أحد شجعان المسلمين وفرسانهم، شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق، وكان على كردوس في اليرموك، وقد أبلى بلاءً حسنًا في القادسية. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٢٣٠.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص٥١.

(٦) انظر المصدر السابق، ص٥٢، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٧١.

كتب إلى الوليد بن عقبة[1] يأمرهم بإمداد المسلمين في الشام، فانتدب ثمانية آلاف جندي من جند الكوفة وأمدوا جيش المسلمين بالشام[2].

واستمر اهتمام الولاة والقادة بأطراف البلاد، فكانوا يحصنون حدودهم بالثغور والمسالح، ويعملون على حماية تخومهم المجاورة للأعداء.

لما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة تتبع حصون السواحل الشامية ومدنها، والثغور المتاخمة للروم، فعَمَرها وحصَّنها وشحنها بالمقاتلة[3]. وكان من وصيته لابنه المهدي: (... اشحن الثغور، واضبط الأطراف...)[4]، فقام المهدي وأتم ما بقي من تعمير الثغور، وزاد في شحنها بالمقاتلة والسلاح، مما يدل على اهتمام الولاة بالأطراف[5].

وفي بداية عهد سيف الدولة الحمداني، وعندما كان مشغولًا بتثبيت ملكه أغار البيزنطيون على الثغور الإسلامية، ظنًّا منهم أنه مشغول عنهم وغير قادر على حماية تلك الثغور، إلا أنه كان يرى أن حماية الثغور الإسلامية أولى وأجدر بالاهتمام من تثبيت الملك حيث سارع إلى مواجهة الروم وأنزل بهم

---

(١) ابن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، أخو عثمان بن عفان لأمه، كان شجاعًا وشاعرًا جوادًا، ولاه عثمان الكوفة ثم عزله عنها، أقام بالرقة إلى أن مات في خلافة عثمان. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦ ص٢٤، وانظر ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٦٠١-٦٠٢.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٢٤٧-٢٤٨، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص١٥٠.

(٣) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٣.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٨ ص١٠٦، ابن الأثير، الكامل، ج٥ ص٤٤.

(٥) انظر البلاذري، المصدر السابق.

هزيمة منكرة[1]، ودعم الثغور الإسلامية بالمحاربين، وأعاد بناء الحصون، وعمر الكثير منها، وعمل فيها نقطًا للمراقبة والتحري عن حركات الروم وسكناتهم، وجعل فيها جندًا مدربين لمثل هذه الأعمال، إذا أحسوا بخطر الروم أعلموا من وراءهم للدفاع عن بلادهم[2].

ذلك هو منهج ولاة المسلمين وقادته تجاه ثغور وأطراف بلادهم، ومنه يتبين لنا أهمية حماية حدود الدولة الإسلامية، ودور ذلك في تحقيق الأمن الخارجي لها. ويؤكد ذلك الثواب العظيم الذي وعد الله به المرابط المحتسب ثم الاهتمام الكبير الذي يوليه الولاة والقادة تجاه الثغور والأطراف.

فحماية الحدود وصيانتها أُولى الترتيبات العسكرية المتخذة لتحقيق الأمن الخارجي، كما أنها من أهم الواجبات على الولاة تجاه رعاياهم، لئلا يظفر منهم العدو بغرةٍ أو غفلةٍ، فيسفك دمًا، أو ينتهك عرضًا، أو يسلب مالًا[3].

يقول ابن قدامة: «وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك، وينبغي أن يبتدئ بترتيب قوم في أطراف البلاد يكفون من بإزائهم من المشركين، ويأمر بعمل حصونهم وحفر خنادقهم، وجميع مصالحهم . . .»[4].

---

(١) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٦ ص٣١٢، وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج١١ ص٢١١، وانظر مصطفى الشكعة، سيف الدولة الحمداني، أو مملكة السيف ودولة الأقلام، ص١٢٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ص١١٤.

(٣) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣، وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٤.

(٤) المغني، ج٨ ص٣٥٢.

ويقول القاضي أبو يوسف: (ينبغي للإمام أن تكون له مسالح[1] على المواضع من الطرق التي تنفذ إلى بلاد الشرك، فيفتشون من يمر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه، وردوا من كان معه من رقيق، ومن كانت معه كتب قرئت كتبه، فما كان من خبر من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ الذي أصيب معه الكتاب، وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه)[2].

فدور المرابطين لا يقتصر على رصد التحركات العسكرية لمنع الاعتداء الخارجي، بل يقومون بالحراسة والمراقبة الفردية للداخل والخارج من البلاد لمنع ورود ما قد يثير ويزعزع الأمن الداخلي، وذلك يزيد من تماسك الجبهة الداخلية مما يقويها ضد الأعداء، ويسهم في عملية تحقيق الأمن الخارجي.

---

(١) قوم ذووا سلاح قد وكلوا برصد أحد الثغور، انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١ ص٢٣٧.

(٢) الخراج، ص٣٦٩.

المبحث الثاني

إظهار القوة لإرهاب العدو

العدو لا يكف عن مقاتلة عدوه وإلحاق الضرر به ومحاولة السيطرة عليه إلا إذا خاف منه، ولا يخاف منه إلا إذا تفوق عليه عدة وعددًا. فالقوة تجبر العدو على احترام إرادة الأمة.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بإعداد القوة، بهدف إرهاب الكفار وإذلالهم وإغاظتهم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

وفي هذه الآية تقرير للقاعدة العسكرية في العصر الحاضر، وهي أن الاستعداد للحرب قد يمنع الحرب ويحقق السلام.

وإطلاق لفظ القوة على العموم يقتضي أن تكون شاملة لكل آلات الحرب ومعدات القتال المناسبة لروح العصر، العلم بصناعتها وصيانتها والتدريب عليها، وكذا الأخذ بأسباب التطور العلمي والتقني؛ لأنه إن لم يؤخذ به فقدت القوة قيمتها، وعجزت عن إرهاب العدو، وعند ذلك تتعرض الأمة للخطر[2].

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

(٢) انظر محمد الحسيني، حسن الشاذلي، العلاقات الدولية، محاضرات في الفقه =

والإسلام لا يهتم بالكثرة في إعداد القوة بقدر ما يهتم بنوعها، قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

فالإعداد الشامل للقوة أفضل من الكثرة التي ينقصها الإعداد الجيد ولقد حذر الرسول ﷺ من الضعف والتهاون في إعداد القوة فقال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» قيل: يا رسول الله، فمن قلة يومئذ؟ قال: «**لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يُجعل الوهن في قلوبكم، ويُنزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا، وكراهيتكم الموت**»[2].

والقوة المنظمة المعدة إعدادًا جيدًا تثير الخوف والفزع في قلوب الأعداء، فتثبط من عزائمهم، وتربك صفوفهم، وتلحق بهم الهزيمة أكثر من أي وسيلة أخرى؛ لأن العدو يخاف من القوة المادية التي يراها ويسمع بها أكثر من الله، والله لا يخافه إلا المؤمنون به، قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾[4].

وأخذ الحذر لا يتم إلا بالإعداد الشامل، والتدريب الجيد، والتهيؤ

= الإسلامي، ص١١٤، وانظر سيد سابق، فقه السنة، ج٢ ص٦٥٠، وانظر محمد جمال الدين محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص٨.

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٩.

(٢) حديث صحيح. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج٢ ص١٣٥٩، رقم الحديث (٨١٨٣).

(٣) سورة الحشر، آية ١٣.

(٤) سورة النساء، آية ٧١.

الدائم. لذلك أوجب الله سبحانه وتعالى الاستعداد للحرب، وإعداد القوة لا لهدف الاعتداء والتسلط، وإنما لمنع وقوع الحرب بإرهاب العدو ودفع قوى الشر والطغيان والتسلط، ورعاية الحق، والعدل.

والقوة لا ترهب العدو إلا إذا عَلِم بها وظهرت له، وإظهارها يكون بأحد أمرين:

أولًا: التدريب الشامل.

ثانيًا: تسيير الجيوش.

وتفصيل ذلك كالآتي:

أولًا: التدريب:

السلاح يفقد قيمته عند عدم استعماله، والجندي لا يستطيع استعمال سلاحه بعناية وكفاءة إلا عن طريق التدريب الذي هو أحد عناصر تطوير الجيوش، وتنمية قدرات الجند عن طريق الاستخدام الأمثل للأسلحة والمعدات، واتباع الطرق السليمة للدفاع والهجوم، والتأكد من سلامة تطبيق الخطط العسكرية في كافة الظروف الزمانية والمكانية[(١)].

ومشروعية التدريب تؤخذ من قوله تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . . .﴾**[(٢)]؛ لأن الإعداد إنما يكون مع الاعتياد، فمن لا يحسن

---

(١) انظر محمود خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١٠٥، وانظر حازم عارف، الجيش العربي الإسلامي، ص٨٤-٨٥.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٠.

الرمي لا يسمى معدًّا للقوة، ومن لا يستطع استخدام سلاحه فليس مُعدًا للقوة[1].

وقد فسر الرسول ﷺ القوة بأنها الرمي، فقال: «**ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي**»[2]، وإطلاق لفظ الرمي هنا عام يشمل كل ما يرُمى به من سهم أو رمح أو منجنيق، أو دبابة أو طيارة ونحوها[3].

وقد كان المشهور في زمن الرسول ﷺ أن المقصود بالرمي هو الرمي بالسهام، وحصر ﷺ القوة بالرمي؛ لأنه السلاح النافذ في ذلك الوقت وكان المسلمون يشكون من ضعف في استخدامه، قياسًا على أعدائهم من الفرس والروم، فعمل ﷺ على رفع مستوى جنده في الرماية، فشجعهم على التدريب، وحثهم عليه، وبين لهم فضل ذلك، قال ﷺ: «. . . **ارموا واركبوا، وأن ترموا أحبُّ إليَّ من أن تركبوا** . . .»[4].

ولما مرَّ ﷺ بقوم من بني أسلم ينتضلون قال لهم مشجعًا ومؤيدًا: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا**»[5].

---

(١) انظر محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، راجعه وعلق عليه: محمد عبدالعزيز الخولي، ج٤ ص٧٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الرمي.

(٣) انظر محمد الغزالي، فقه السيرة، ص٢١٠.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص١٤٦، رقم الحديث (٩٥٥)، وانظر سنن أبي داود، المصدر السابق، وانظر سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٧٨.

وقال ﷺ: « . . . **كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رمي الرجل بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإنهن من الحقّ** . . . . »[1].

وعمل جند الإسلام على التدريب على الرماية للمحافظة على كفاءة المقاتل المسلم، والارتقاء بمستواه إلى الأفضل، ولم يمض زمن طويل حتى برعوا في الرماية، وصاروا يلقبون برماة الحَدَق[2]؛ لأن الجندي المسلم إذا صوب سهمه نحو عين عدوه لم يخطئها[3].

وعُني الرسول ﷺ بتطوير الجيش الإسلامي ورفع مستواه القتالي، وعمل كل ما من شأنه تحقيق ذلك. قال ﷺ: «**إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثةً الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، والممد به** . . . »[4].

وفي ذلك حث على إنشاء المعامل والمصانع العسكرية لصناعة الأسلحة المختلفة؛ للاستفادة منها في أغراض التدريب، وخوض المعارك، ولتكون صناعة الأسلحة بأيدٍ إسلامية، تعمل إخلاصًا لوجه الله تعالى، ورغبة في إعداد القوة المرهبة للأعداء، وفي هذه الحالة سيبذل المسلم جهده وطاقته من أجل إتقان صناعته وتطويرها؛ لتحقيق الهدف المرجو من إعدادها وفي المقابل فإن الاكتفاء باستيراد السلاح من الأعداء لن يحقق آمال الأمة؛ لعلم الأعداء بأن هذه الأسلحة قد توجه ضدهم، فيعملون على إيجاد نوع

---

(١) حديث حسن. السيوطي، المصدر السابق؛ وانظر سنن أبي داود، المصدر السابق، وانظر الترمذي، المصدر السابق.

(٢) الحدقة: سواد العين. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٣ ص٢٢٦.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص١١١.

(٤) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، المصدر السابق.

من الخلل فيها، لئلا يتحقق الغرض المرجو منها كما أن معرفتهم بخفايا صناعتها، ومدى فاعليتها، يجعلهم لا يأبهون بها؛ لوجود المضاد المناسب عندهم، ولمعرفتهم بنقاط القوة والضعف فيها كما قد يمتنع الأعداء من إمداد المسلمين بالسلاح، فتبقى القوة في أيديهم، ويرهب المسلمون جانبهم. إذًا فصناعة الأمة للسلاح ضرورة ملحة، يفرضها وجوب احترام إرادة الأمة الإسلامية.

وقد كان الفرسان القوة الرئيسة للجيوش في عهد الرسول ﷺ، وكان المسلمون يشكون من قلة الفرسان، ففي غزوة بدر كان في الجيش الإسلامي فرسان[1]، وتلك نسبة قليلة عند مقارنتها بفرسان الجيوش الأخرى، فعمل المسلمون على زيادة قوة الفرسان في جيشهم، وكان ذلك بأمر ورعاية الرسول ﷺ الذي حثهم على اقتناء الخيل، وبين لهم فضل رباطها في سبيل الله، قال ﷺ: «**من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا وتصديقًا بوعده، فإن شِبعهُ وريَّهُ وَرَوْثَهُ وبوله في ميزانه يوم القيامة**»[2].

ولما كانت الخيل أداة الحركة للجيش الإسلامي أثناء المعركة، ولما لها من دور رئيسي في التأثير على سير المعركة فقد جعل لها ﷺ من الغنيمة سهمين[3]، وذلك حثًا منه ﷺ على اقتنائها، فلما كانت غزوة تبوك بلغت قوة المسلمين من الفرسان عشرة آلاف فارس[4].

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٧، وانظر ابن حزم، جوامع السيرة، ص١١٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٤٥.

(٣) انظر المصدر السابق، باب ٥١.

(٤) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٣ ص١٠٠٢، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص٢١٦.

وأمر ﷺ بتدريب الخيل والتدرب عليها فقال: «**كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميهُ بقوسٍ، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله فإنهن من الحق**»[1].

فتدريب الرجل فرسه بالجري والكر والفر بنية الغزو والجهاد من اللهو المستحب في الإسلام[2]؛ لِمَا في ذلك من المردود الإيجابي على الفرس والفارس، والذي بدوره ينعكس على قوة الجيش الإسلامي.

ولقد أجرى الرسول ﷺ سباقًا بين الخيل[3] لتدريب الفرس والفارس على فنون القتال المختلفة، وعلى قوة التحمل والشدة في القتال.

وحصر ﷺ السبق الجائز فيما يكون فيه مصلحة للجيش، وقوة للجند وتنمية لمواهبهم وقدراتهم، قال ﷺ: «**لا سَبَقَ إلا في خفٍّ، أو في حافرٍ أو في نَصْلٍ**»[4].

ويُلحق بذلك كل سلاح يمكن أن يستفاد منه في المعركة برمي أو كر أو فر.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه سابق بين الإبل، فقد كانت له ناقة لا تسبق، وكانت تسمى (العضباء)، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه ﷺ فقال: «**حقٌّ على الله أن لا يرتفع شَيْء من الدنيا إلا وضعه**»[5].

---

(١) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرمي.

(٢) انظر السهارنفوري، بذل المجهود في حل أبي داود، ج١١ ص٤٢٧-٤٢٨.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٥٦.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٧٤٧، رقم الحديث (٩٨٨٨).

(٥) البخاري، المصدر السابق، باب ٥٩.

كما أجرى ﷺ المسابقة على الأقدام. قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني»[1].

كما تسابق الصحابة بين يديه ﷺ، قال سلمة بن الأكوع[2]: «كان رجل من الأنصار لا يُسبق شدًّا[3]، فجعل يقول: ألا مسابقٌ إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفًا؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ذرني فلأسابق الرجل. قال: «**إن شئت**»... فسبقته إلى المدينة»[4].

وجعل ﷺ المصارعة رياضة تميز الجندي القوي القادر على خوض المعارك، ففي غزوة أحد تصارع سمرة بن جندب ورافع بن خديج أمام رسول الله ﷺ، فلما صرع سمرة رافعًا أجازه في الخروج إلى الغزو، وكان ﷺ قد رده[5]، فلما رأى قوة سمرة وتوافر سلاح المصارعة فيه أجازه، قال ﷺ: «**المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير**..»[6].

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، مسند الإمام أحمد، ج٦ ص٢٦٤.

(٢) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبدالله بن بشير الأسلمي من شجعان المسلمين، كان يسبق الفرس عدوًا، شهد الحديبية وبايع عند الشجرة مات بالمدينة سنة أربع وستين وقيل: أربع وسبعين على الصحيح. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٦٥، ٢٤١.

(٣) يعني عَدْوًا على الرجلين. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢،١ ص١٨٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٠٥-٥٠٦.

(٦) مسلم، المصدر السابق، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز.

وروي أنه ﷺ صارع رُكانة[1] فصرعه عليه الصلاة والسلام[2]، وكان رُكانة من أشد الناس وأقواهم جسدًا.

ففي كل ذلك تدريب للجند على التحمل والمشقة، وبناء للقوة الجسدية. كل ذلك من أجل إظهار كفاءة الجندي المسلم عند القتال ليرهب العدو جانبه، ويخشى مواجهته.

ومن خلال التدريب الشامل الذي تلقاه الجيش الإسلامي في زمن الرسول ﷺ استطاع الجندي أن يرقى بمستواه القتالي، ويبرز قدراته وشجاعته في ساحات المعارك، فهاب الأعداء مواجهتهم لما تميز به الجندي المسلم من قدرة قتالية جيدة، وروح معنوية مرتفعة، وإيمان قوي، وأُجبر الأعداء بذلك على احترام إرادة الأمة الإسلامية.

وعلى هذا المنهج سار المسلمون في التدريب والإعداد، والأخذ بكل سلاح جديد.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أن علموا غلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمي[3]. وكان يذكر قادته بوجوب العناية بالتدريب الشامل للجند، وتمرينهم على ما يصلب أجسامهم،

---

(١) ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي، أسلم يوم الفتح وقيل: عقب مصارعته للرسول ﷺ، مات بالمدينة في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة معاوية، وقيل: سنة إحدى وأربعين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٥٠٦.

(٢) حديث غريب. سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ٤١؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في العمائم.

(٣) انظر ابن القيم، الفروسية، ص١٥.

ويعودهم على تحمل التعب والمشاق، وظروف الجو والأرض، قال رضي الله عنه في كتاب بعث به إلى أحد قادة الجيوش الإسلامية: «... اخشوشنوا واخلولقوا، واقطعوا الركب، وانزوا على الخيل نزوًا، وارتموا الأغراض»[١]. ليكون الهدف من الرمي الإصابة لا البعد[٢].

وقال في كتاب بعث به إلى خليفته على الشام: «انظر من قبلك فمرهم فلينتعلوا، وليحتفوا، وليأتزروا، وليرتدوا، وليؤدبوا الخيل»[٣] لتكون ألين عطفًا عند الحاجة[٤].

وكان للمسلمين في عهد عمر قوة في كل مصر من الأمصار[٥]، يتم تدريبها على فنون القتال المختلفة، والأسلحة المستخدمة، يتولى تدريبها والإشراف عليها أحدِ الجنود المهرة، ممن له معرفة وخبرة بذلك.

أما التدريب الجماعي فقد ذكر ابن الأثير أن أول مدربة في الإسلام كانت في عهد عمر رضي الله عنه سنة خمس عشرة[٦]، واشترك فيها أربع فرق من العراق والشام بقيادة كل من: عمر بن مالك[٧] حيث خرج

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق، ص١٥-١٦.

(٣) الشيباني، شرح السير الكبير، ج١ ص٥٥-٥٦.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٥٦.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٥٢، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٧١.

(٦) انظر المصادر السابقة، ج٣ ص٦٠١-٦٠٢، وانظر ص٣٤٤.

(٧) ابن عقبة بن نوفل بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أدرك النبي ﷺ، وشهد فتح دمشق، وتولى فتوح الجزيرة. انظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤ ص٧١-٨٢.

بفرقته من الكوفة من قبل قرقيسياء، وعبدالله بن المعتم[1] الذي خرج بفرقته من الكوفة عن طريق الموصل، ومن الشام خرج الوليد بن عقبة من بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة، والفرقة الرابعة بقيادة خالد بن الوليد وعياض بن غنم[2] خرجا من قنسرين، وأقيمت المناورة في الجزيرة مقابل القوات الرومية، وكان من أهداف المناورة، إرهاب جيش الروم وإخافتهم، وإظهار قوة الجيش الإسلامي، وكان من نتيجة ذلك هروب هرقل إلى القسطنطينية[3]. وهذه أول مناورة إجمالية يجريها الجيش الإسلامي، ففي السابق كانت التمارين والتدريبات تتم بشكل فردي لكل سلاح، ولبعض الجند كما مر معنا.

وبعد فتح مصر بلغ عمرو بن العاص من أهلها مقولة جعلته يخاف من نقضهم للصلح، فجمع أهل مصر، وعرض عليهم جنده بسلاح المعركة، وأظهر الجند مهارة وقوة وشدة خافها أهل مصر، وكان من نتيجتها تفرقهم وقد ذهب ما حدثتهم به أنفسهم[4].

وهكذا كان أثر إظهار القوة من خلال التدريب والمناورة على الأعداء حيث تراجعوا كثيرًا عن مواجهة المسلمين خوفًا ووجلًا من قوتهم

---

(١) العبسي، افتتح الموصل، وكان على إحدى مجنبتي الجيش الإسلامي يوم القادسية. انظر المصدر السابق، ج٣ ص٢٩٣.

(٢) ابن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، كان رجلًا صالحًا سمحًا، أسلم قبل الحديبية، وكان مع أبي عبيدة بالشام، ولاه عمر حمص حتى مات بالشام سنة عشرين، وهو ابن ستين سنة. انظر ابن سعد، الطبقات، ج٧ ص٣٩٨.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٦٠١-٦٠٢، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٤٤.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص١١٠.

الظاهرة، فهرقل هرب إلى القسطنطينية، وأهل مصر ظهر لهم من قوة المسلمين وشدة بأسهم ما جعلهم ينسون ما حدثوا به أنفسهم.

وعمل المسلمون بنظام الغزوات المنظمة في الشتاء والصيف، والتي كانت تسمى الشواتي والصوائف، وأول من سنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة[١]، وهي عبارة عن غزوات دائمة على الحدود لتأمينها ومراقبة تحركات الأعداء، فكانت هذه الغزوات عبارة عن تمرين عملي دائم للجند على القتال في مختلف الظروف المكانية والجوية[٢].

فازداد الجند من جراء ذلك خبرة قتالية مع استمرار اتصالهم بأجواء المعارك، وتدربهم على فنون القتال المختلفة، وكان في هذه الغزوات إظهار لقوة المسلمين العسكرية، خاصة وأنها تجري في مناطق متاخمة للأعداء حيث ترد إليهم أخبارها، فيزدادون رعبًا وخوفًا، ويسعون إلى المسالمة وطلب الصلح.

ففي أحداث سنة خمس وستين ومائة غزا الصائفة هارون الرشيد فتوغل في بلاد الروم وأرهبهم حتى طلبوا منه الصلح والموادعة على شروط شرطها عليهم[٣].

إذًا فالتدريب والمناورة أحد عوامل إظهار القوة للأعداء، وبواسطتها يعرف العدو مدى ما تتمتع به القوات الإسلامية من مهارة وقدرة قتالية

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٦٤.

(٢) انظر عون، الفن الحربي، ص٢٠١.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٨ ص١٥٢؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص١٤٧.

جيدة، الأمر الذي يدعوه إلى التفكير قبل الإقدام على عمل عدواني ضد المسلمين، وقد يدفعه ذلك إلى طلب الصلح، وتثبيت الأمن؛ خشية المواجهة مع تلك القوات المرهبة.

ثانيًا: تسيير الجيوش:

إذا شعر المرء من نفسه الضعف، وعدم القدرة على المواجهة، خشي الهزيمة، ومن خشي الهزيمة ابتعد عن الأسباب المؤدية إليها، وعمل على قطعها، ومن وجد في نفسه القوة والقدرة على المواجهة أقدم بلا خوف ولا وجل لثقته بنفسه وبقدراته.

والجيوش العسكرية كذلك عند الخوف والثقة، فمن وجد في نفسه القدرة على تحقيق النصر ووثق من قدراته أقدم على مجابهة الأعداء وسعى في تحقيق أهدافه، ورفض التنازل عنها بسهولة، ومن فقد القدرة والثقة سعى إلى التنازل عن بعض حقوقه ومطالبه؛ خشية المواجهة ووقوع الهزيمة.

إذًا فالخروج للغزو ومبادرة الأعداء المتربصين بالقتال دليل أكيد على وجود إرادة القتال التي تعني التصميم على تحقيق النصر أو الشهادة مهما كانت الخسائر، أما التردد في الخروج للغزو فعلى النقيض من ذلك.

وفي بداية عصر الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة كان الاعتقاد السائد لدى المشركين أن في المسلمين ضعفًا عسكريًا مرده حداثة دولتهم، وأن هذا الضعف يسمح بمهاجمتهم، والقضاء عليهم، فعمل الرسول ﷺ على تصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ، وإظهار أن لدى المسلمين من القوة والإرادة القتالية ما يؤهلهم لمجابهة المشركين عسكريًا، فعمد ﷺ إلى تسيير السرايا

والجيوش[1] لاعتراض تجارة قريش، ومحاولة السيطرة عليها. وكان يهدف من ذلك إلى إنذار المشركين، والقبائل الأخرى بأن لدى المسلمين قوة وإرادة قتالية قادرة على المواجهة، وتكرار اعتراض تجارة قريش تأكيد لذلك، فمن لا يستطيع الدفاع عن نفسه لا يمكنه أن يهاجم أعداءه ويستثيرهم، وكان من نتاج تلك السرايا والغزوات موادعة بعض القبائل[2] للمسلمين؛ لما رأت من قوتهم.

وفي اليوم التالي لمعركة أحد خرج الرسول ﷺ في جند الإسلام يتعقب جيش المشركين، محاولًا اللحاق بهم[3]. وكان من نتاج ذلك: أن رجعت قريش إلى مكة في حالة من الفزع والرعب، خوفًا من أن يلحق بهم المسلمون، وتحول نصر المشركين إلى هزيمة وتثبيط عزيمة. وكان في معرفة القبائل الأخرى بخروج المسلمين في أثر قريش بعد المعركة نصر

(١) منها:

١- سرية حمزة بن عبد المطلب. انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٩، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٧٤.

٢- سرية سعد بن أبي وقاص. انظر الواقدي، المصدر السابق، ص١١، وانظر الطبري، المصدر السابق، ج٢ ص٤٠٣.

٣- غزوة الأبواء. انظر الواقدي، المصدر السابق، ص١٢، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ص١٧٠.

٤- غزوة العشيرة. انظر المصادر السابقة، ص١٢-١٣، وانظر ١٧٦-١٧٧.

(٢) حيث وادع بني ضمرة في غزوة الأبواء. انظر المصادر السابقة، ص١٢، وانظر ص١٧٠. كما وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة في غزوة العشيرة. انظر ابن هشام، المصدر السابق، ص١٧٧.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق ص٣٣٤-٣٤٠، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٣ ص٤٤-٤٦، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٣٤ - ٥٣٦.

للمسلمين، حيث تأكدت القبائل بأن هزيمة المسلمين لم تكن نتاج ضعف في القوات الإسلامية، وإنما نتيجة خطأ وقع به المسلمون خلال سير المعركة، أدى إلى هزيمتهم.

وبعد غزوة تبوك[1] كان في انتصار المسلمين المعنوي على الروم عامل أزال تردد المتخلفين عن الإسلام من القبائل العربية في الأقاليم المتاخمة للروم، وذلك لشعورهم بمدى قوة الجيش الإسلامي، وقدرته في التصدي والتفوق على الروم، فإذا كانت قوات المسلمين بهذه القدرة والكفاءة التي أخافت الروم، فكيف تستطيع قوات القبائل الأخرى مواجهة المسلمين، لذلك عقدت كثير من القبائل عهودًا ومواثيق مع المسلمين، ودخل بعض رجالها في الإسلام.

وبعد وفاة الرسول ﷺ أمر أبو بكر بتنفيذ ما أمر به الرسول ﷺ قبل وفاته، فبعث أسامة بن زيد[2] إلى الشام، رغم ما يحيط بالمسلمين في المدينة من اضطراب في الأمن الخارجي؛ لارتداد كثير من القبائل وتهديدها للمدينة، إلا أن ذلك لم يمنع أبا بكر من تسيير جيش أسامة حيث خرج من المدينة وسط تلك الظروف المضطربة، وأمره بأن يسلك

(١) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٣ ص٩٨٩، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٤ ص١١٨.

(٢) ابن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي، الحب ابن الحب، يكنى أبا محمد، ولد في الإسلام، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان، مات سنة أربع وخمسين بالمدينة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٤٦.

الطريق الذي رسمه له ﷺ، فمضى أسامة على ما أمره به الرسول ﷺ وبث قواته في قبائل قضاعة، وآيل، فسلم وغنم[1]، وحصل المسلمون من جراء ذلك على فوائد عظيمة، حيث أرهبوا كل من مرّوا به من القبائل العربية، حتى إنهم قالوا: «لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش»[2]. وكان ذلك سببًا في كف الكثير منهم عما كانوا يريدون أن يفعلوه.

إذًا فتسيير الجيوش لغزو الأعداء عامل إذلال للكفر وأهله، فكثيرًا ما أُرعب الكفار كلما توجه الجيش الإسلامي إلى ناحية من النواحي فيُسقط في أيديهم قبل وصول الجند وعند سماعهم بنبأ مسير الجيش الإسلامي إليهم.

ففي سنة اثنتين وتسعين غزا قتيبة بن مسلم[3] سجستان[4] يريد ملك الترك، فلما سمعوا بذلك رُعِبوا وخافوا، وما أن انتهى قتيبة إلى حدود مُلكهم، حتى تلقوه بالهدايا والأموال وطلَب الصلح، فقبل ذلك منهم وانصرف، بعد أن تحقق للمسلمين الأمن من جانبهم[5].

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٢٥ - ٢٢٧، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٢٧.

(٣) ابن عمرو بن حصين الباهلي، أبو حفص، أمير فاتح، تولى الري أيام عبد الملك بن مروان، وخراسان أيام ابنه، وثب لغزو ما وراء النهر فتوغل فيها، وفتح كثيرًا من المدائن، غزا أطراف الصين، وكان عظيم المكانة مرهوب الجانب. انظر الزركلي، الأعلام، ج٥ ص١٨٩-١٩٠.

(٤) ولاية واسعة، أرضها كلها سبخة، والرياح فيها لا تسكن. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص١٩٠.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٦٨.

وبعد فتح القسطنطينية، سار السلطان محمد الفاتح بجيوشه لتأمين جبهته الخارجية، فقصد بلاد مورة[1]، وما أن علم أميرها بذلك حتى دخله الرعب، وسارع إلى طلب الصلح ودفع الجزية، فقبل السلطان ذلك بعد أن تحقق له مبتغاه[2].

وهكذا نرى أثر تسيير الجيوش باتجاه الأعداء، وكيف كانت تحدث لهم حالة من الرعب والخوف. فالإحجام من دون سبب دليل على الضعف، والإقدام دليل على القوة والثقة بالنفس.

ومما سبق يتبين لنا أثر إظهار القوة على الأعداء، وكيف كانوا يطلبون الصلح والموادعة، رهبةً ورعبًا من تلك القوة الظاهرة، الأمر الذي ساعد على تحقيق الأمن الخارجي للبلاد الإسلامية. وفي مقابل ذلك حينما فَقَدت القوات الإسلامية قوتها المادية والمعنوية رأينا كيف تداعت الأمم على المسلمين، وأصبح تحقيق أمنهم الخارجي مسئولية أعدائهم!!

---

(١) لم أجد لها ترجمة فيما رجعت إليه من كتب المعاجم، والذي ظهر لي أنها أحد جزر اليونان الجنوبية. انظر الخرائط عند محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ص١٦٦، ٦٢٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ص١٦٥.

المبحث الثالث

رعاية أمن الدولة الخارجي

جاء الإسلام ليقيم نظامًا صالحًا في الأرض، يقرر عبودية الله وحده ويلغي عبودية البشر للبشر، تصان فيه الحرمات، وتحفظ الحقوق وتكفل الحرية لكل إنسان، وكانت بداية ظهور معالم ذلك النظام، عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأسس دولة الإسلام فيها، وكان أصحاب النظم الطاغية يحيطون بها من كل جانب، يؤلبون الأعداء لمحاربتها في السر والعلن، ويبذلون جهدهم لتحقيق أهدافهم قال تعالى: ﴿**إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾[١].

فقوى الشر والطغيان لا تريد لهذا الدين الظهور، ولا لدولته العزة والمنعة؛ لأنه يناقض قيمها الباطلة، ومبادئها الشريرة. ولمواجهة هذا البغي والعدوان حث الإسلام على العمل على رعاية الأمن الخارجي للمسلمين؛ ليعيش الفرد والمجتمع المسلم في أمن وسلام. قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا**

---

(١) سورة الممتحنة، آية ٢.

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3]، فالقتال في الإسلام ضرورة يلجأ إليها المسلم، وهي وسيلة أخيرة لغاية نبيلة يسعى إليها الإسلام.

وباستقراء التاريخ الإسلامي يتبين لنا كيف استطاع المسلمون صيانة أمنهم الخارجي على النحو التالي:

أولًا: الموادعة:

لما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وادع اليهود[4] وعاهدهم على المناصرة وعدم مظاهرة من اعتدى على المسلمين، وذلك ليأمن المسلمون جانبهم ولتكون المدينة منطقة أمن وطمأنينة، وعمل المسلمون بمقتضى تعاليم الإسلام على احترام العهود والمحافظة على المواثيق، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[5].

ومن نقض العهد وأظهر الخيانة فقد أعلن العداء، وهنا يجب على

---

(١) سورة آل عمران، آية ٦٤.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩٠.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٠٦-١٠٧، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣ ص٢٢٤.

(٥) سورة النحل، آية ٩١.

المسلمين قتاله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[١].

ومن خُشِيَ منه الغدر ونَقْضَ العهد، فعلى المسلمين المبادرة بنبذ العهد وإعلان ذلك له، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٢].

فكان ذلك منهج المسلمين في معاملتهم لأهل العقود والمواثيق.

ولقد استمرت المعاهدة بين المسلمين واليهود حتى أظهر اليهود ما يُثبت نقضهم للعهد، فيهود بني قينقاع نقضوا العهد باعتداء رجل منهم على إحدى المسلمات ومناصرتهم لقاتلها، ولقتلهم رجلًا مسلمًا[٣]، وبذلك أظهروا العداوة للمسلمين، واعتداء اليهودي على المرأة المسلمة لم يكن تصرفًا فرديًا منه، وإلا لما قام بنو قينقاع بمناصرته، وبذلك اعتبروا نابذين للعهد محاربين للمسلمين. عند ذلك عمل الرسول ﷺ على تحقيق الأمن من جانبهم، فخرج إليهم وحاصرهم حتى تم إجلاؤهم من المدينة.

أما بنو النضير فقد نقضوا العهد بمحاولتهم الاعتداء على رسول الله ﷺ حيث كان ذلك إعلانًا قويًا للعدوان، الأمر الذي خرج بموجبه الرسول ﷺ في جند الإسلام لإجلائهم، وتطهير المدينة منهم، وتم له ذلك[٤].

---

(١) سورة التوبة، آية ١٢.

(٢) سورة الأنفال، آية ٥٨.

(٣) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦-١٧٧، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٥-٦.

(٤) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٣٦٣-٣٨٠، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٥٠-٥٥٥.

أما بنو قريظة فقد أعلنوا محاربتهم للمسلمين عندما ناصروا المشركين في غزوة الخندق، بالإضافة إلى ما وقع منهم من سب للإسلام وللرسول ﷺ وللمسلمين، وعندما ظهرت عداوتهم عمل الرسول ﷺ على تحقيق الأمن للمسلمين، حيث خرج بجند الإسلام لإزالة هذا الخطر المحدق بالمسلمين وتحقق له ذلك(١).

وبذلك حافظ المسلمون على أمن بلادهم من جهة اليهود عن طريق اتباع المنهج الأمثل لحالتهم، حيث الموادعة والمعاهدة أولًا، ثم القتال لمن جنى على نفسه، ونقض العهد، وهدد أمن المسلمين.

وقد يقول قائل إن اليهود داخل المدينة، والأمن من جانبهم أمن داخلي فأقول: يعتبر اليهود مصدر خطر خارجي للمسلمين، ففي حال عدم موادعتهم قد يعملون على موالاة وجلب الأعداء من خارج المدينة وتحزيبهم ضد المسلمين، فكأنهم بذلك يعملون على زعزعة الأمن الخارجي للمسلمين، وفي موادعتهم قطع لصلتهم بالأعداء الذين تجمعهم مع اليهود عداوة المسلمين، وضمان لعدم استثارتهم للأعداء الخارجيين كما يعتبر اليهود داخل المدينة في حالي السلم والحرب مصدر إرجاف وتخذيل، وهم بذلك يخدمون الأعداء خارج المدينة.

كما وادع ﷺ بعض القبائل العربية وعاهدها؛ ليكفل للمسلمين الأمن من جانب هؤلاء، فقد عاهد بني مدلج، وبني ضمرة من كنانة على أن

---

(١) انظر المصادر السابقة، ج٢ ص٤٩٦-٥٢١، وانظر ص٥٨١-٥٩١.

لا يكثروا عليه جمعًا، ولا يعينوا عليه أحدًا[1]. وبهذه المرادعة أمن جانبهم ووثق من جهتهم.

ولما صدت قريش الرسول ﷺ عن البيت الحرام، بايع ﷺ أصحابه على المناجزة، حتى يتحقق لهم الأمن في زيارة البيت الحرام، فالمبايعة لم تكن بهدف الاعتداء، إنما القصد منها تحقيق الأمن للمسلمين في زيارتهم للبيت الحرام. ولما جرى الصلح بين المسلمين وقريش، كفَّ المسلمون عما تبايعوا عليه من مناجزة المشركين؛ لحصول الأمن لهم من طريق آخر وهو طريق الصلح، والذي بمقتضاه دخل المسلمون البيت الحرام آمنين مطمئنين في عبادتهم[2].

وعلى منهجه ﷺ سار المسلمون خلال تاريخهم، يحترمون العهود والمواثيق، ويعملون على إتمامها ما دامت تحقق لهم الأمن، فإن وقع من الأعداء ما يخل بها، عملوا على تثبيت الأمن ولو بالقوة العسكرية. ففي السنة التسعين صالح قتيبة بن مسلم أهل السغد[3]، فأمن المسلمون جانبهم، ووفوا لهم بعهدهم حتى أخلوا به، عند ذلك خرج إليهم قتيبة[4] وخطب في جنده قائلًا: (. . . هذه السغد شاغرة برجلها، قد نقضوا العهد

(١) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج١ ص١٢، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٧.

(٢) انظر المصادر السابقة، ج٢ ص٦٠٢-٦٠٣، ٦٠٥-٦١٣، ٧٣١-٧٤١، وانظر ج٣ ص٢٠٢- ٢٠٣، ج٤ ص٣-٤.

(٣) ناحية كثيرة المياه والأشجار، تمتد خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها فيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وربما قيلت بالصاد. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٢٢.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٤٥، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١١٤.

الذي كان بيننا، منعونا ما كنا صالحنا عليه طرخون، وصنعوا به ما بلغكم وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١]، فسيروا على بركة الله . . .)[٢].

ولما نقض ملك الروم العهد الذي بينه وبين المسلمين خرج إليه هارون الرشيد، ودخل بلاد الروم، ففتح وغنم، حتى طلبوا منه الموادعة فأجابهم لطلبهم، رغم ما وقع منهم في المرة الأولى، وأثناء عودته نقضوا العهد مرة أخرى، فعاد إليهم ولم يبرح بلادهم حتى تحقق له ما أراد من تثبيت الأمن من جانبهم، وعدم تهديدهم لبلاد المسلمين[٣].

وعمل السلطان مراد على تأمين الجبهة الخارجية لبلاده، حيث أمضى عدة معاهدات مع بعض الدول المجاورة له، وبموجبها أمن المسلمون جانبهم. ففي سنة (٨٤٨هـ) تعاهد السلطان مع ملك المجر، وأمضيا معاهدة لمدة عشر سنوات يسود فيها الأمن بينهما، ويوضع السلاح، وبعد تنازل السلطان مراد عن العرش لابنه، قام ملك المجر بنقض المعاهدة وغدر بالمسلمين. فلما بلغ السلطان ذلك عاد إلى السلطة وجهز الجيوش وعمل على تحقيق الأمن لبلاده من جانب ملك المجر، وتحقق له ذلك بعد أن انتصر عليه[٤].

---

(١) سورة الفتح، آية ١٠.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص٤٧٢-٤٧٣.

(٣) انظر المصدر السابق، ج٨ ص٣٠٧-٣١٠، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥ ص١١٨، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص١٩٣-١٩٤.

(٤) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، ص١٥٧-١٥٨.

وهكذا كانت الموادعة أحد عوامل تثبيت الأمن الخارجي للمسلمين، وقد احترموها وصانوها ما دامت محققة لهم الأمن، فإذا حدثت الأعداء أنفسهم بنقضها، وتحقق للمسلمين عدم جدواها، عملوا على البحث عن وسيلة أخرى تحقق لهم الأمن.

ثانيًا: تحسس الأخبار في حال السلم والحرب:

عند وضع خطة لمواجهة عدوان ما، ولضمان نجاح هذه الخطة، فإنه يجب معرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات عن حال العدو، كعدد قواته وكفاءتها، ونوع سلاحه، وخطة معركته، ودرجته المعنوية، خططه المستقبلية له، وهذه المعلومات مجتمعة توفر الإنذار المبكر عن محاولة الاعتداء، كما أنها تتيح للقيادة فرصة الاستعداد، واتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة العدوان المحتمل، وإذا لم يتم جمع هذه المعلومات قبل محاولة العدوان فمن الصعب الحصول عليها في حال الحرب؛ لأن العدو سيكون أكثر حرصًا على كتم المعلومات وصيانتها.

إذًا فمعرفة المعلومات الضرورية عن العدو عنصر أساسي للتخطيط السليم لمواجهة العدو، كما أنها مظهر من مظاهر إعداد القوة التي أمر الإسلام بها، قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . . .**﴾[1].

ومظهر من مظاهر الحيطة والحذر، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ. . .**﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

(٢) سورة النساء، آية ٧١.

ولقد كان الرسول ﷺ شديد الحرص على معرفة حال عدوه، فكان يختار الرجال الصالحين القادرين على القيام بعملهم على أكمل وجه، ويحرص على حسن اختيارهم، لِعلمه ﷺ بخطورة النتائج المترتبة على تلك المعلومات. والدليل على شدة حرصه ﷺ أنه لم يرد في كتب السيرة النبوية أن أحدًا من رجال النبي ﷺ قد انكشف أمره أثناء تحسسه لأخبار العدو[١].

لما اضطرب الأمن بين المسلمين وقريش بعث ﷺ عبدالله بن جحش رضي الله عنه[٢] في سرية ومعه كتاب أمره بالنظر فيه بعد مسيرة يومين، ثم يَمضي لما أُمِر به مع عدم إكراه أحد بالمسير معه. فكان الكتمان أحد عوامل حجب المعلومات عن الأعداء، وهو أسلوب إسلامي الابتكار[٣] كما أن عدم الإكراه أحد عوامل نجاح المهمة ودقة معلوماتها، فسار ابن جحش كما أمره ﷺ، وبعد أن اطلع على فحوى الكتاب ساروا جميعًا لرصد تحركات قريش، وجمعوا المعلومات التي طلبها منهم ﷺ؛ ليتمكن بموجبها من وضع الخطة المستقبلية المناسبة للوضع المحيط بالمسلمين من قبل قريش، وعادت السرية بعد أن حققت الهدف المطلوب بنجاح[٤].

---

(١) انظر محفوظ، المدخل، ص١٥١-١٥٣.

(٢) ابن رئاب بن معمر الأسدي، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا، قتل يوم أحد ودفن مع العباس في قبر واحد، وله أربعون سنة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) انظر محمود خطاب، الرسول القائد، ص٦١.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص١٣-١٨، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٧٨-١٨٨.

ولما بلغ النبي ﷺ انصراف عير قريش من الشام، ندب طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه، وسعيد بن زيد رضي الله عنه لرصد تحركات العير، وجمع المعلومات اللازمة عنها، فخرجا يرقبان العير، وعملا على اتخاذ الاحتياطات الكفيلة بعدم انكشاف أمرهما، حيث نزلا على كَشَدٍ الجهني[١] بالنخبار[٢]، فأقاما عنده حتى مرت العير ونظرا فيها وفي القوم، وكشد يُطمئن أصحاب العير إلى عدم وجود عيون للرسول ﷺ في تلك المنطقة، وبعد جمع المعلومات المطلوبة، عاد طلحة وسعيد إلى النبي ﷺ يحملان إليه الأخبار[٣] التي بموجبها ندب ﷺ جند الإسلام لاعتراض هذه العير.

ولما خرج المسلمون ونزلوا قريبًا من بدر، ركب الرسول ﷺ مع أحد أصحابه لتحسس الأخبار، وجمع المعلومات عن قريش، حيث وقفا على شيخ من العرب، وسألاه عن قريش وعن يوم خروجها من مكة والمكان الذي من المحتمل أن تكون فيه الآن، ولحجب الأخبار عن قريش، فقد أخفيا شخصيتهما عن الرجل[٤].

فلما تيقن النبي ﷺ مكان نزول قريش، بعث علي بن أبي طالب، والزبير ابن العوام رضي الله عنه، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في دورية

---

(١) وقيل كسد، رأى النبي ﷺ. انظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤ ص١٧٣، وانظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٢٧٧.

(٢) موضع قريب من المدينة ناحية الساحل. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٣٤٢.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص١٩-٢٠.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٥٠، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ص١٨٨-١٨٩، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٤٣٥-٤٣٦.

استطلاعية لمعرفة الأخبار التفصيلية عن العدو، فأصابوا راويةً لقريش، وأتوا بهما الرسول ﷺ الذي عرف منه عدد قوات الأعداء وقادتهم[١].

ولمعرفة درجة استعداد قريش للمعركة والحالة النفسية لهم بعث ﷺ دورية أخرى مكونة من عمار بن ياسر رضي الله عنه[٢]، وابن مسعود رضي الله عنه حيث اقتربا من معسكر قريش، وطافا حوله، ثم رجعا إلى الرسول ﷺ، وقالا له: القوم مذعورون، فعرف ﷺ من ذلك أن قريشًا في حالة اضطراب وقلق، وأن استعدادهم النفسي للمعركة سيئ[٣].

وفي ليلة الأحزاب بعث الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٤] لاستطلاع أحوال المشركين، حيث دخل معسكرهم، وجلس بينهم، فسمع وعرف حالهم، وعاد إلى الرسول ﷺ يحمل إليه ما رأى وما سمع[٥].

ولما بلغ الرسول ﷺ أن يهود خيبر يعملون على جمع القبائل لغزو

---

(١) انظر المصادر السابقة، ص٥١، وانظر ص١٨٩، وانظر ص٤٢٢، ٤٣٦.

(٢) ابن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم، أبو اليقظان، من السابقين إلى الإسلام هو وأبوه، شهد المشاهد كلها واليمامة، واستعمله عمر على الكوفة، قتل مع علي بصفين وله تسعون سنة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٥٠٦.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٥٤-٥٥.

(٤) العبسي واسم والده: حسيل بن جابر بن ربيعة بن فروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس، من كبار الصحابة، وصاحب سره ﷺ، شهد أحدًا والخندق وما بعدها، وفتوح العراق وله ذكر حسن، استعمله عمر على المدائن ولم يزل بها حتى مات سنة ست وثلاثين. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج١ ص٣١٦-٣١٧، ٣٣٠.

(٥) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٤٨٨-٤٨٩، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٣٩-١٤٠، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٨٠-٥٨١.

المدينة، بعث ﷺ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه[1] في دورية استكشافية، ليستطلع أخبار يهود خيبر وحال أهلها، وما يريدون وما يتكلمون به، فدخلوا خيبر وجمعوا المعلومات المطلوبة منهم، وعادوا بها إلى الرسول ﷺ الذي عمل على وضع خطة مناسبة لحال أهل خيبر، كفيلة بالقضاء على ما يدبرونه، حيث انتدب نفرًا من أصحابه للقضاء على رأس الفتنة والمدبر لها اليهودي: أسير بن زرام، وبالقضاء عليه زال الخطر الذي هدد المدينة في تلك الفترة[2] من تلك المنطقة.

وقد كان للرسول ﷺ عيون خارج المدينة يرقبون له تحركات قريش والقبائل الأخرى. ففي مكة كان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عينًا للرسول ﷺ يرصد له تحركات قريش وخططها، فقبل غزوة أحد، وحينما أجمع المشركون على غزو المسلمين، بعث العباس كتابًا إلى الرسول ﷺ يخبره بعزم قريش على المسير إليه، ويبين له عدد قواتها، ونوع سلاحها[3] ليعمل على اتخاذ الحيطة والتدابير اللازمة لمواجهة هذا العدوان.

كما كانت قبيلة خزاعة عينًا للرسول ﷺ، لا يخفون عليه شيئًا مما يجري في تهامة ومكة[4].

(١) ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، من السابقين الأولين من الأنصار، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا وما بعدها، واستشهد بمؤتة. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٢ ص٢٩٨.

(٢) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٥٦٦-٥٦٧.

(٣) انظر المصدر السابق، ج١ ص٢٠٣-٢٠٤، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص٢-٣.

(٤) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٥٩٣، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٩٩.

ذلك منهجه ﷺ في تحسس أخبار عدوه، حيث يعمد إلى مراقبته أولًا بأول، ويبحث عن أدق التفاصيل عنه، والتي تساعده في عمل ما يكفل تحقيق الأمن الخارجي للمسلمين، وكان الرسول ﷺ يحرص على كتمان أمر رجاله حيث قال لحذيفة ليلة الأحزاب: «**اذهب، فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليَّ**»[1]، أي لا تفزعهم ولا تحركهم عليَّ بعمل شيء يكشف أمرك، فينكشف أمري؛ لأن الكتمان أحد عوامل نجاح المعلومات، ولأن معرفة العدو بوصولها إلى المسلمين يدعوه إلى تبديل خططه، وهذا يجعل تلك المعلومات عديمة الفائدة، وقد يكون لها أثر عكسي، حيث تبنى الخطة على معلومات خاطئة، ويفاجئون أثناء المعركة بعدو مغاير في عدته وخطته.

كما عمد ﷺ إلى تركيز عيون له في المناطق المخيفة لمراقبة تحركات الأعداء حيث كان العباس وقبيلة خزاعة يُطلعانه على ما يدبر الأعداء في تلك المناطق.

وسار جند الإسلام على نهجه ﷺ في إذكاء العيون، واستطلاع أخبار العدو، وعنوا بذلك عناية فائقة.

فهذا عمر بن عبد العزيز يأمر أحد قادته بأن يجعل له عيونًا ترقب العدو وتأتي إليه بالأخبار، وأمره بأن يختار لهذه المهمة من يطمئن إليه ويثق به لخطورة تلك المعلومات، فالكذوب لا ينفع خبره، والغاش عين للعدو. لذا حثه على العناية باختيار الأكفاء لذلك[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب.

(٢) انظر ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، تصحيح وتعليق: أحمد عيد، ص٧٣.

إذًا فتحسس الأخبار، ومعرفة كل ما يتصل بالعدو جزء مهم من مهام الجيش الإسلامي، فكان جند الإسلام يعملون على أخذ الحيطة والحذر من عدوهم مهما كان حاله سلماً أو حربًا، ولم يتركوا وسيلة يعرفون بها أخبار العدو إلا أخذوا بها؛ ليكونوا على بينة من أمرهم، فلا يؤخذوا على غرة.

ثالثًا: صد العدوان:

القتال في الإسلام حالة استثنائية يُلجأ إليها عند الضرورة، وعند تعذر الطرق السلمية المؤدية إلى السلام، وبمقدار ما يتحقق به كف الأذى وصد العدوان، قال تعالى: ﴿... **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[(١)].

فمن اعتدى على بلاد المسلمين، أو وقف في وجه تبليغ الإسلام للناس وجب قتاله حتى يتحقق الأمن والسلام من جانبه، قال تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[(٢)].

فالغاية أنه يجب الكف عمن لم يقاتل المسلمين، ولم يظاهر عليهم أحدًا كما يجب عليهم الوقوف أمام كل من يريد بهم سوءًا ويدبر لهم كيدًا.

والتاريخ الإسلامي يبين لنا كيف واجه المسلمون من اعتدى عليهم. ففي السنة الثانية للهجرة أجلبت قريش بخُيَلائها تُحاد الله ورسوله، وتناصب المسلمين العداء، وتعلن ذلك للقبائل الأخرى، وعسكر المشركون في بدر

(١) سورة البقرة، آية ١٩٤.

(٢) سورة الممتحنة، آية ٨.

وخرج إليهم جند الإسلام بعزيمة المتقين، وإخلاص المؤمنين، فقاتلوهم ورد الله كيدهم ونصر عباده، فكان يومًا أعز الله به الإسلام وجنده، فقويت عزائمهم، وتحقق لهم الأمن بصد العدوان الطاغي[1].

وعادت قريش مرة أخرى تحاول الاعتداء على المسلمين، فجمعت الجموع، وخرجت بحدها وجدها، تحاد الله وتناصب عباده العداء وظاهرها في ذلك بعض القبائل العربية واليهودية والمنافقون، فوجد المسلمون أنفسهم في حرج أمام عدوان جديد، فاجتمعوا لبحث الموقف وتبادلوا الرأي لأجل وضع خطة يُضمن بها صد العدوان، وتحقيق الأمن الخارجي لهم. فخرج الجيش الإسلامي لمدافعة الباطل وكسر قوى الطغيان، ودارت المعركة، وفشل أعداء الإسلام في تحقيق أهدافهم ومآربهم بالقضاء على المسلمين وانصرفوا إلى مكة، وخرج المسلمون في طلبهم، فخافوا اللقاء، وولوا الأدبار فزعين مرعوبين، وعسكر المسلمون في حمراء الأسد[2]، وسمعت بهم قريش والقبائل الأخرى فخافوا، فكان لهم بذلك نصر وتأكيد قوة[3].

وعندما تحزَّبت قريش مع اليهود والقبائل العربية الأخرى، واتحدوا للعدوان على المدينة، عمل المسلمون على وضع الخطة الملائمة لمثل هذه الظروف، فحفروا الخندق حول المدينة، لِما رأوا فيه من تحقيق لأهدافهم الدفاعية، وعسكر الكفار خارج المدينة، وحال جند الله بينهم وبين ما

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص١٩، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٨٢.

(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٣٠١.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص١٩٩، ٣٣٤، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٣ ص١٤، ٤٤.

يبتغون، وهُزِموا هزيمة منكرة بما حل بهم من خوف وفزع وحالة يأس[1].

كما كانت بعض القبائل العربية ممن لا عهد لها عند الرسول ﷺ تحاول غزو المدينة بين الحين والآخر، فكان الرسول ﷺ يعمل على صد عدوانهم والقضاء على محاولتهم بالطريقة المناسبة لحالهم، فحين بلغه أن بني سليم قد جمعوا رجالهم، وأعدوا أنفسهم لغزو المسلمين، خرج إليهم ﷺ في جند الإسلام للقضاء عليهم قبل إنجاز استعدادهم لغزو المسلمين، فكان له ما أراد، حيث تفرَّق الجمع عند سماعهم بمسير المسلمين إليهم[2].

ولما بلغ الرسول ﷺ أن حي سعد بفدك[3] يسعون لجمع الجموع، وإعداد القوة لإمداد يهود خيبر من أجل مساعدتهم على غزو المسلمين، عند ذلك بادرهم ﷺ الغزو، ولم يترك لهم الفرصة في الجمع والإعداد، حيث بعث سرية فرَّقت جمعهم، وغَنِمت مالهم وعِدتهم[4]، وأمَّنت المسلمين جانبهم.

ذلك منهجه ﷺ في مواجهة من يحاول الاعتداء على المسلمين، يسير في الطريق الذي يُحقق الأمن والسلامة، ويضمن عدم تكرار العدوان.

وبعد وفاة الرسول ﷺ، وارتداد كثير من القبائل العربية، أصبحت المدينة المنورة في خطر، حيث أحدق بها الأعداء من كل جانب، الأمر الذي جعل أبا بكر رضي الله عنه يقوم بعمل الاحتياطات الأمنية الكفيلة برد العدوان المحتمل، وخاطب المسلمين قائلًا: «إن الأرض كافرة، وقد

(١) انظر المصادر السابقة، ج٢ ص٤٤٠، وانظر ص١٢٧.

(٢) انظر المصادر السابقة، ج١ ص١٩٦-١٩٧، وانظر ج٣ ص٣.

(٣) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص٢٣٨.

(٤) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٥٦٢-٥٦٣، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٤٢.

رأى وفدهم منكم قِلَّة، وإنكم لا تدرون أليلًا تُؤتون أم نهارًا، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا»[1]. فاستعد المسلمون لصد العدوان، وأعدوا عدتهم، ولما وقع الاعتداء خرج جند الإسلام لصده فأوقعوا السيف في أعدائهم حتى تحقق لهم النصر الذي زادهم ثباتًا ووهن عضد المشركين، فأمِنت المدينة من العدوان، وعادت بعض القبائل إلى رشدها[2].

وفي سنة أربع وعشرين دخلت الروم إلى الشام في ثمانين ألف جندي من الرومان والترك، فكان الموقف عظيماً، والخطر جسيماً، وتبلغت القيادة الإسلامية هذا النبأ، فعمل عثمان رضي الله عنه على ردع ذلك العدوان حيث عزز القوات الإسلامية في الشام بأن ندب إليها ثمانية آلاف جندي من أهل الكوفة، فخرجوا مددًا لإخوانهم في الشام. ولما اجتمع الجند عملوا على صد عدوان الروم، فشنوا عليهم الغارات فغنموا وأمِنوا[3].

وفي سنة (٢٤١ هـ) أغارت البجة[4] على أرض مصر، وقتلوا عددًا من المسلمين، وسبوا عددًا من ذراريهم ونسائهم، واستفحل أمرهم بتهديدهم لأمن المسلمين في كل وقت، عندها عمل المتوكل على تثبيت الأمن وصيانة البلاد الإسلامية من المعتدين، حيث جهز جيشًا قوامه

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٤٥.

(٢) انظر المصدر السابق، ص٢٤٤-٢٤٧، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٣) انظر المصادر السابقة، ج٤ ص٢٤٦-٢٤٨، وانظر ج٣ ص٤٣، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص١٥٠.

(٤) طائفة من سودان بلاد المغرب. انظر المصدر السابق، ج١٠ ص٣٢٤.

عشرون ألف جندي، وأمَّن لهم الزاد والعتاد، وساروا باتجاه البجة جنوب مصر، وعملوا على ردع المعتدين حتى جرى بينهم صلح ساد بموجبه الأمن بين الجانبين[1].

وفي سنة (٥٧٠ هـ) أغار الفرنج على السواحل المصرية في أسطول عظيم، كثير المراكب وآلات الحرب والحصار والجند، حيث نزلوا البر وتقدموا باتجاه الإسكندرية، ونصبوا حولها عظيم سلاحهم، وبرز لهم أهل البلد فقاتلوهم أشد القتال، وصمدوا لهم بكل شجاعة وثبات وتوافدت العساكر الإسلامية من كل مكان قريب من الإسكندرية واستمر القتال على أشده، وعمل جند الإسلام كل ما في وسعهم وطاقتهم لدحر هذا العدوان، ولما وصل الخبر صلاح الدين سار بعساكره إلى الإسكندرية، وكان ذلك دافعًا قويا للمسلمين، حيث عادوا للقتال بكل قوة وعزيمة على تحقيق النصر، حتى تحقق لهم ذلك، وهرب الأعداء من كل جانب، بعد أن قهرهم المسلمون قتلًا وأسرًا[2].

هكذا يتبين لنا كيف قام جند الإسلام بصد الاعتداءات، والدفاع عن دين الله، والوقوف أمام قوى الظلم والطغيان، لإيمانهم بأن الإسلام دين العزة والكرامة لا يرضى لأتباعه الخضوع والخنوع، فلم يستسلموا للأعداء، بل وقفوا بكل شجاعة وثبات، ولم يأبهوا بما مع عدوهم من سلاح وعتاد، بل كانوا يرون سلاح الإيمان أقوى سلاح وأمضاه، فثبتوا أمام كل اعتداء، حتى تحقق لهم النصر، وساد بلادهم الأمن.

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٩ ص٢٠٣-٢٠٩، وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج١٠ ص٣٢٤-٣٢٥.

(٢) انظر ابن الأثير، الكامل ج٩ ص١٢٩-١٣٠، وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج١٢ ص٢٨٧.



الفصل الثالث

حماية الدين

مدخل:

المبحث الأول: تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين.

المبحث الثاني: حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعًا.

المبحث الثالث: إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم.



مدخل

الصراع بين الحق والباطل قائم ومستمر منذ أن خُلق آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد سخر الله سبحانه وتعالى مِن خلقه مَن يقوم بالدعوة إلى الحق وإلى الباطل، ويكافح دونهما، ليبتلى بعضهم ببعض وكل فريق يحاول كسب الأنصار والمؤيدين، والانتصار لنفسه ولمعتقده ويعمل جاهدًا لأجل القضاء على خصمه بكل ما أوتي من قوة.

ودين الإسلام دين الحق فى خصومة مستمرة مع أعدائه، وقد جعل الله سبحانه وتعالى مسئولية حمايته على عباده المؤمنين، ليدافعوا عنه، وليعملوا على توضيحه للناس والتمكين له فى الأرض، ولن يُمكنهم الأعداء من ذلك بسهولة، بل سيعملون على وقف المد الإسلامي بالطرق الممكنة لهم.

وفي هذا الفصل سأكتب عن السبل -حسب رأيي- التي يحقق بها المسلمون الحماية للدين الإسلامي ضد كيد الأعداء وأنصار الباطل.

المبحث الأول

تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين

جاء الإسلام ليحقق للإنسان السعادة الأبدية فى الدنيا والآخرة وذلك بما حمله من تعاليم ومبادئ كفيلة بتحقيق ذلك، قال تعالى: ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ • يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[(١)].

ومع أنه جاء بمنهج واضح، ودستور كامل لإقامة حياة إنسانية رفيعة فقد أمر الناس أن يتدبروا في هذا الكون الفسيح، وأن يستخدموا عقولهم في حدود إدراكها لمعرفة آيات الله وسننه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ • الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[(٣)].

---

(١) سورة المائدة، آية ١٥-١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩٠- ١٩١.

(٣) سورة الحج، آية ٤٦.

ونهى سبحانه وتعالى عن تعطيل قوى الإدراك والفكر في الإنسان، قال تعالى: ﴿... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(١)، لأن هذا التعطيل يهبط بالإنسان إلى منزلة غير لائقة به، بل قد تصل به إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٢).

وبهذا يتحرر العقل والضمير الإنساني من التبعية والتقليد المانعين عن التفكير، فقد ذم الله سبحانه وتعالى المقلدين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٣).

إذًا فالإسلام يدعو إلى حياة «يتحرر فيها العقل والضمير، وتستقل فيها الإرادة والتفكير، ويشعر فيها كل فرد بأنه سيد نفسه، ومالك أمره، وأنه لا سلطان لأحد عليه، سوى سلطان الحق، الذي يعلو ولا يعلى عليه»(٤).

وبهذا منح الإنسان إرادة واختيارًا في طاعة الأوامر واجتناب النواهي بها يرتفع إلى عليين، أو يهبط إلى أسفل سافلين، فكان الاختيار والاقتناع طريق اتباع الحق، يقول سيد قطب: «إن قضية العقيدة كما جاء بها هذا

---

(١) سورة الإسراء، آية ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٧٩.

(٣) سورة البقرة، آية ١٧٠.

(٤) سيد سابق، إسلامنا، ص٩.

الدين قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار... ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته. يخاطب العقل المفكر والبداهة الناطقة...»[(1)].

فبعد البيان والإيضاح يجب أن يكون المرء حرا في الاتباع بدون مؤثرات أو عوائق في ذلك. فالله سبحانه وتعالى كلف عباده بالدعوة إلى هذا الدين وحمل لوائه حتى يبلغ كل شبر من هذه المعمورة، ولم يوجب عليهم إكراه الناس على اتباع الإسلام، فدور الدعاة ينتهي عند البيان والإيضاح، قال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾**[(2)].

ولقد أدرك الرسول ﷺ وصحابته ذلك جيدًا، فعملوا على اتباع الأسلوب الأمثل في الدعوة كما بينه لهم القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**[(3)].

وعلى هذا المنهج سار دعاة الإسلام في دعوتهم متى سارت الأمور طبيعية ودون عوائق أو مؤثرات. إلا أنه قد يقع من الطغاة أفرادًا وحكامًا ما يمنع المرء من حقه المشروع في أن يستمع إلى الدعاة، ليدرك ما يدعون إليه، وليقرر ما فيه مصلحته الدنيوية والأخروية، وهم بهذا يحرمون الفرد من حقه في اختيار العقيدة التي يقتنع بها، ويكرهونه على عقيدة معينة.

---

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع وإعداد: أحمد فائز، ج١ ص٢٨٦.

(٢) سورة يونس، آية ٩٩.

(٣) سورة النحل، آية ١٢٥.

يقول سيد قطب: «إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان، فالذي يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء»[1]. ولما كان من الواجب على الأمة الإسلامية تبليغ الدعوة إلى الناس كافة، دخل في هذا الواجب وجوب إزالة كل عامل مؤثر على حرية التدين للمؤمنين والاعتقاد للناس، سواء كان هذا العامل حسيا كالتعذيب لمن آمن، أو معنويا كإيجاد عوامل تحجب استماع الناس إلى الدعاة، أو من شأنها التأثير في العقول والأفكار في مجالات الحياة المختلفة، ففي ذلك صد للناس عن الحق، وإفساد لفطرهم بتوجيهها الوجهة السيئة، وفي هذه الحالة يجب على المسلمين العمل على إزالة تلك الفتن والمؤثرات بالحسنى إن أمكن، وإلا فالقوة العسكرية، قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**[2].

وفتنة المؤمن في دينه عن طريق الاضطهاد والتعذيب، وغيرها من الأساليب التي يراد بها الصد عن سبيل الله، وقمع الناس عن الدخول فيه، عدَّها الإسلام أشد من القتل؛ لأن ذلك العمل يحرم المرء الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ. . .﴾**[3].

فأي فتنة في الدين، بأي سبب كان، وعلى أي صورة كانت أشد من القتل؛ لأنه يجني عليه ما لا يجني عليه قاتل حياته[4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٣.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩١.

(٤) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج١ ص١٩١، وانظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١ ص١٨٩.

ولقد قام الرسول ﷺ بالدعوة إلى الله، وتبليغ الناس ما أرسل به، إلا أن قريشًا وقفت بهمجية الطغاة ضد الناس، حيث سلبوهم حرية الدين والاعتقاد، فعذبوا من آمن، وآذوه بالقوة والفعل، وبكل الوسائل الممكنة لهم، من أجل صرفهم عن دينهم، وإخافة الآخرين لئلا يقدموا على الإسلام، فينالوا من الفتنة مثل ما نال من سبقهم. لذلك عمل الرسول ﷺ بأمر ربه على إزالة تلك العوائق والمؤثرات، فكان تأمين حرية التدين والاعتقاد أحد الغايات السامية التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام. وباستقراء التاريخ الإسلامي يتبين لنا كيف عمل المسلمون على جعل حرية التدين والاعتقاد حقيقة لا تشوبها شائبة. ويوضح ذلك المعنى النبيل الذي من أجله خاض الرسول ﷺ والمسلمون كثيرًا من المعارك والتي لم تكن لحمل الناس على الدخول في الإسلام، وإنما لوقف إكراه الناس على عدم الدخول فيه، ولضمان عدم فتنة من دخله فقد قاتل المسلمون لإيجاد المجتمع الصالح الذي يستقر فيه المرء المسلم على دينه ونفسه وماله، ليقوم بأداء الأمانة المناطة به في هذه الأرض، ويؤكد ذلك أن المسلمين سمحوا لغيرهم بالبقاء في البلاد المفتوحة، بشرط عدم التعرض لحرية التدين والاعتقاد، وجعل لهم الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية. أما مناهضو الدعوة، فقد عمل المسلمون على إزاحتهم عن طريقها؛ لأنهم حاجز يمنع سماع الحق، بل ويعملون على تربية أبنائهم وشعوبهم على مناهج فاسدة، تخالف الفطرة، تحجب العقل أن يفكر ويميز بين النافع والضار، وكفى بذلك فتنة[1].

---

(١) انظر محمد الجعوان، القتال في الإسلام، ص٩٢-٩٤، وانظر علي نفيع العياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، ص١٧٢-١٧٥.

كان الرسول ﷺ إذا بعث سرية أمرهم بالدعوة إلى الإسلام أولًا والخروج من عبادة العباد إلى عبادة الله، فإن استجابوا لذلك كف عن قتالهم، وإلا فالجزية؛ ليحصل الناس على حريتهم الدينية والاعتقادية وليستمعوا إلى دعاة الحق بدون تأثير أو إكراه، أو تشويه لعقيدة معينة، أو تنشئة تفسد العقل والفطرة، فإن أبوا ذلك لجأ المسلمون إلى تأمين حرية الدين والاعتقاد بالقوة العسكرية، قال تعالى: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**(١).

وكان ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية، قال له: «**إذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ... فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ...**»(٢).

فتلك غاية ينتهي إليها القتال في الإسلام، فمتى تحققت الحرية الدينية للمؤمنين، والحرية الاعتقادية للذميين كف المسلمون عن القتال، فلا عدوان على الأعراض، ولا تخريب للبلاد، ولا نهب للأموال، وإنما إصلاح للمجتمع، ونشر للخير والعدالة، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾**(٣).

---

(١) سورة التوبة، آية ٢٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

(٣) سورة الحج، آية ٤١.

وقال النبي ﷺ: **«اغزو باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا . . .»**[١].

فغاية الجهاد في سبيل الله أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يأمن المسلم على عقيدته ونفسه الفتنة، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين[٢].

لما خرج الرسول ﷺ من المدينة قاصدًا مكة للعمرة، كان يعلم أن في مكة أشد الأعداء، فقد غزوه في عقر داره، وقتل من أشرافهم وكبارهم وهم مُعِدُّون لقتاله، ومع ذلك خرج إليهم المسلمون من دون سلاح المعركة، ما عدا بعض الأسلحة الشخصية كالسيوف والدرق[٣][٤]، وأهلوا بالعمرة، حيث ساقوا الهدي، وأحرموا من ذي[٥] الحليفة[٦].

وخروج المسلمين بتلك الهيئة، دليل أكيد على الرغبة الجادة في إحلال السلام، وتثبيت الحرية الدينية والاعتقادية، وكأنهم بذلك أرادوا إعلام المشركين من قريش والقبائل العربية الأخرى، بأن المسلمين إنما يقاتلون لأجل إقرار حقهم المشروع في أداء عبادتهم بحرية تامة، وأنه عندما يُترك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٠٤.

(٣) آلة يحملها المقاتل بيده، يتقي بها ضربات الأعداء. انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٧٤-٧٥.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٥٧٢، ٥٧٣، وانظر مسلم، المصدر السابق، باب غزوة ذي قرد.

(٥) قرية بينها وبين المدينة ستة أو سبعة أميال، ومنها ميقات أهل المدينة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٢٩٥.

(٦) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٣٥، كتاب الحصر، باب١.

المرء حرا في دينه لا يصد عن أدائه، وحرا في معتقده لا يكره على عقيدة معينة، فلا قتال في الإسلام. وفي العامين التاليين لصلح الحديبية، وبعد معرفة الناس بحقيقة الدعوة الإسلامية، دخل في الإسلام مثل ما دخل فيه من قبل وأكثر[1].

ومع انتشار الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية، أقدم كثير من رجال القبائل العربية في الشمال على اعتناق الإسلام، الأمر الذي أزعج الروم فعند إسلام فروة بن عامر الجذامي[2] قائد إحدى الفرق الرومانية التي قاتلت المسلمين في غزوة مؤتة قبض عليه الروم، واتهموه بالخيانة، وطلبوا منه الرجوع عن الإسلام للإفراج عنه، لكنه أصر على إسلامه فقتلوه[3].

ولما قدم دحية بن خليفة[4] رضي الله عنه رسول رسول الله ﷺ إلى هرقل، قال له: إني أعلم أن ما جاء به رسول الله حق، ولكني أخشى الروم على نفسي اذهب إلى صغاطر الأسقف، فاذكر له أمر صاحبكم، فجاءه وأخبره، فقام صغاطر ودخل الكنيسة وقال: «يا معشر الروم، إنه جاءنا كتاب من أحمد، يدعونا فيه إلى الله عز وجل، وإني أشهد أن لا إله

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٦٣٨، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٣٩.

(٢) أو ابن عمرو، أسلم في عهد النبي ﷺ، ولم يجتمع به. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٢٠٧.

(٣) انظر خطاب، الرسول القائد، ص٢٧٠.

(٤) ابن وفرة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وقيل أحد، كان يضرب به المثل في حسن الصورة، شهد اليرموك وكان على كردوس، نزل دمشق وعاش إلى خلافة معاوية. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج١ ص٤٦٣-٤٦٤.

إلا الله، وأن أحمد عبده ورسوله»[1]، عند ذلك وثب عليه الروم وثبة رجل واحد فقتلوه.

فكان في ذلك العمل سلب لحرية الاعتقاد والتدين، الأمر الذي جعل من الواجب على المسلمين أن يتحركوا لإيقاف تلك الفتنة، ومنع فَتْنِ المسلمين في دينهم، وتحقيق الحرية الدينية، فكانت تلك الحروب بين المسلمين والفرس والروم[2]، والتي كانت نواتها غزوة تبوك.

وبسبر الأمان الذي عقده عمر رضي الله عنه لأهل إيلياء[3]، نجد فيه التأكيد على توفير الحرية الدينية والاعتقادية لغير المسلمين، حيث «أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شَيْء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم . . .»[4]، فإذا وفر المسلمون ذلك لغيرهم فمن باب أولى أن يكون توفير الحرية الدينية والاعتقادية للمؤمنين من المهمات الرئيسة والغايات النبيلة التي يسعون إلى تحقيقها بوساطة الجهاد الإسلامي. وتلك سمة تميز بها المسلمون عن غيرهم. ففي سنة (٤٩٢ هـ) حينما دخل الصليبيون - لعنهم الله - بيت المقدس، جمعوا فيه من المسلمين نحوًا من سبعين ألفًا ما بين

---

(١) تاريخ الطبري، ج٢ ص٦٥٠.

(٢) انظر توفيق على وهبة، الجهاد في الإسلام، ص٤٠.

(٣) اسم مدينة القدس. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٢٩٣.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٣ ص٦٠٩.

عابد وزاهد وقاطن، فقتلوهم جميعًا[1]، وبذلك جمعوا بين السيئتين القتل، وسلب حرية الاعتقاد والتدين لمن بقي.

وبعد ذلك العمل المشين عمل المسلمون طيلة إحدى وتسعين سنة على تحقيق الحرية الدينية للمؤمنين، وتلك غاية طريقها شاق، فالأعداء يسيطرون على القدس، وإخراجهم يحتاج إلى بذل جهد وقتال، لذلك جاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتى تحقق لهم إخراج الأعداء[2]. وأصبحت حرية الاعتقاد والتدين حقيقة واقعة لا مراء فيها.

وفي الأندلس تكرر ما حدث في بيت المقدس، فقد لاقى المسلمون الويلات، ونزل بهم الكثير من التعذيب والأذى والقتل، حتى فُتِنوا عن دينهم، وتنصر أكثرهم، وأصبح المسلمون فيها قلة لا حول لهم ولا قوة القتل أهون عليهم مما هم فيه؛ لسلب أول حقوقهم الإنسانية حرية التدين والاعتقاد، فلا المساجد أبقيت، ولا الشعائر الدينية أقيمت، وتلك طريقة غالبًا ما تثمر عن القضاء على الإسلام والمسلمين أين ومتى حلت.

إذًا فتأمين الحرية الدينية للمؤمنين من أولى الواجبات التي أذن لأجلها في القتال، فالمرء مأمور بالدفاع عن نفسه وماله، والعقيدة مقدمة على ذلك لأن فتنة المسلم في دينه التي بها يفقد عقيدته أشد من القتل الذي به يفقد المرء نفسه وماله؛ لذا فتحقيق الحرية الدينية للمؤمنين هدف رئيس للجهاد الإسلامي، يجب عليهم السعي لتحقيقه في كل زمان ومكان، وهم بذلك يحمون الدين الإسلامي من كيد الكائدين، ويمكنون له في الأرض.

---

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٨ ص١٨٩، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص١٥٦.

(٢) انظر المصادر السابقة، ج٩ ص١٨٢-١٨٣، وانظر ص٣٢٤-٣٢٥.

المبحث الثاني

حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعًا

الإسلام دين ارتضاه الله سبحانه وتعالى للبشرية عامة رحمة بهم، ونورًا يستضاء به في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

فهو دعوة إنسانية عالمية، عرفه بعض الناس وجهله بعضهم الآخر وأوجب سبحانه وتعالى على من عرفه أن يدعو له، ويعمل على نشره وإيصاله لجميع بني البشر في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، آية ١٧٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٤) سورة المائدة، آية ٦٧.

(٥) سورة يوسف، آية ١٠٨.

فالإسلام دين الحق وما عداه باطل، ولا عزة مع عزة الكافرين؛ لأن عزة الكافرين تعني مضاعفة جهدهم للقضاء على الإسلام وأهله، ولا عزة للإسلام إلا بالقضاء على أعدائه وإذلالهم، فأعداء الإسلام لا يريدون مهادنة المسلمين إلا في حال ضعفهم، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

فتلك غايتهم في حال عزهم وظهورهم، وهذا مرادهم من عداوتهم للمسلمين، لذلك بذلوا الأنفس والأموال في سبيل تحقيق تلك الغايات قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[2].

فهم ينفقون الأموال في جمع الجيوش وتجهيزها؛ ليصدوا عن سبيل الحق، وليمنعوا انتشاره، محاربة ومشاقة لله ورسوله[3]، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4].

لذلك أوجب الله على عباده قتالهم ومدافعتهم، لإبعادهم عن طريق المد الإسلامي، مهما كانت قوتهم، وكثرتهم، فذلك لا يزيد المسلمين إلا قوة وثباتًا، وحرصًا على إعلاء كلمة الحق مهما كان الثمن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا

---

(١) سورة التوبة، آية ٨.

(٢) سورة الأنفال، آية ٣٦.

(٣) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٣٠٦.

(٤) سورة الحشر، آية ٤.

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[(٢)].

فمن صد عن سبيل الله، ووقف ضد الدعوة الإسلامية قوتل واستؤصل بالمحق، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[(٣)].

فالقتال من أجل درء الخطر الذي يقف في وجه دعاة الإسلام واجب من أجل إبعاد أنصار الشر ودعاة الطغيان عن المجتمع الإنساني، سواء كان مصدر الخطر شخصًا واحدًا، أو جماعة، أو نظامًا قائمًا، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[(٤)].

فبما أن المسلم مطالب بتبليغ الدعوة إلى الناس جميعًا؛ لتكون كلمة الله هي العليا، فعليه أداء هذا الواجب مهما كلفه ذلك من مال أو نفس أو جهد، فيعمل على تهيئة الطريق بإزالة الحواجز والعوائق المانعة من وصول الدعوة إلى الناس جميعًا. فالإسلام رسالة اجتماعية إصلاحية شاملة متضمنة لأفضل المبادئ والمثل النبيلة، وموجهة إلى الناس كافة، ولابد أن تصلهم؛ ليعرف موقف كل فرد وكل أمة منها بعد البلاغ، وعلى أساس هذا الموقف تتحدد كيفية معاملة الإسلام وأهله لمن بلغتهم الدعوة[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٧٣.

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٠.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٤١.

(٤) سورة النساء، آية ٩١.

(٥) انظر حسن البنا، السلام في الإسلام، ص٣١-٣٢.

إذًا فصيانة الدعوة حتى تبلغ إلى الناس كافة واجب شرعًا على المسلمين، حتى ولو اضطروا في سبيل تحقيق ذلك إلى استخدام القوة العسكرية. والتاريخ الإسلامي يبين أن الإسلام قد بادل الود من لم يعترض طريق الدعوة الإسلامية، فقد اقتصر القتال في الإسلام على الجيش المحارب، وحرَّم التعرض لمن ليس من أهل القتال، ومن ليس عنده قدرة عليه. فقد نهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان، وأنكر ذلك العمل حينما وجد امرأة مقتولة في بعض مغازيه[1] وكان ﷺ يوصي جيوشه بقوله: «**اخرجوا باسم الله، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع**»[2].

كما لا يقتل الشيخ الهرم ممن ليس فيه قوة على القتال ولا معونة عليه برأي ولا تدبير، ومثله الأعمى والزَّمِن والراهب ونحوهم، ومن قَتَل منهم بقول أو فعل قُتل[3].

قال أبو بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه: «إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له . . . ولا تقتلن امرأةً ولا صبيا ولا كبيرًا ولا هرمًا . . .»[4].

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٤٨، وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب.

(٢) إسناده حسن. انظر مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، ج٤ ص٢٥٧. رقم الحديث (٢٧٢٨).

(٣) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤١، وانظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٤٧٧، وانظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٠٤.

(٤) الإمام مالك، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٧٧.

وقال عمر رضي الله عنه لبعض قادته: «. . . لا تقتلوا هرمًا ولا امرأةً ولا وليدًا»[1]، فمن لا يستطيع معاونة الكفار على القتال، ومن كان منقطعًا عنهم للعبادة لا يجوز قتله في الإسلام؛ لأن القتال لمن يقاتل المسلمين، ويصد عن سبيل الحق، قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**. . .﴾[2].

وكذلك أصحاب الصناعات والحرف إذا تركوا قتال المسلمين ولم يعينوا عليهم بقول أو فعل لم يجز قتالهم، قال عمر رضي الله عنه: «اتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب»[3].

كما أمر الإسلام بالإحسان إلى الأسرى، وإظهار محاسن الإسلام لهم ودعوتهم إليه، وتعريفهم بغاياته وأهدافه، قال تعالى مادحًا المحسنين إلى الأسارى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيماً وَأَسِيرًا**﴾[4].

وقال ﷺ: «**استوصوا بالأسارى خيرًا**»[5]. فالأسير يكون في حال لا يستطيع معها قتال المسلمين، ولا الصد عن سبيل الله. وعلى الإمام أن يختار فيه الأصلح للمسلمين من القتل، أو النفي، أو المن، أو الفداء بمال أو نفس[6].

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٠٧.

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٠.

(٣) ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٤٧٩.

(٤) سورة الإنسان، آية ٨.

(٥) حديث حسن. انظر السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص١٥٣، رقم الحديث (١٠٠٩).

(٦) انظر الفيروزابادي، المهذب، ج٢ ص٣٠٢، وانظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٣٧٢، وانظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٠٥.

فقد فدى ﷺ رجلين من المسلمين برجل من المشركين[1]، ومنّ على ثمامة بن أثال[2] بإطلاق سراحه بعد أن أكرمه المسلمون وتبين له حقيقة الإسلام الأمر الذي دفع به إلى إعلان إسلامه[3].

ولما كان الملوك والأمراء وأصحاب السلطة وكبار القوم يكوِّنون العامل الرئيس في التأثير على الشعوب والأفراد في رفض الدين الإسلامي وقبوله، وصد الدعاة عن نشره، فقد بعث إليهم ﷺ يدعوهم إلى الإسلام[4]، ويحذرهم من الوقوف ضده، ويبين لهم حقيقة الدعوة، ومن عاند بعد ذلك فقد عرفه المسلمون، وأصبحوا على بصيرة من أمره وعملوا على إزاحته عن طريق المد الإسلامي، مهما كلفهم ذلك من ثمن.

فقد كان كعب بن الأشرف يؤذي المسلمين، ويُحرض على قتالهم ويعمل ما في وسعه لعرقلة الدعوة الإسلامية، وتشويه الإسلام، فكان يهجوهم بالشعر الذي كان يُعَدُّ في ذلك الوقت صوتًا إعلاميًا بارزًا، وبالغ في عدائه للإسلام والمسلمين، ووقف ضدهم في كل أمر، حتى إنه تعرض للنساء المسلمات، وعمل لإدخال كل دسيسة تنقص معالم الإسلام. فلما

(١) حديث حسن صحيح. انظر سنن الترمذي، أبواب السير، باب ما جاء في قتل الأسارى والفداء.

(٢) ابن النعمان بن سلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي، من بني حنيفة أُسر في أحد سرايا المسلمين قبل نجد، ورُبط في إحدى سواري المسجد، ولما أطلق سراحه، عاد وأسلم ومنع عن قريش الميرة حتى يأذن الرسول ﷺ بذلك، قتل في حرب المرتدين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٢٠٤.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه.

(٤) انظر المصدر السابق، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، وباب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، وانظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٨٢.

كان من الرسول ﷺ إلا أن عمل على استئصال هذا المرض، والتخلص من هذا المعوق الذي يسعى للوقوف في طريق الدعوة، حيث بعث إليه محمد بن مسلمة فقتله[1]، وتخلص المسلمون من أذاه وشره.

ووقف أبو رافع بن أبي الحقيق -اليهودي المعروف- ضد الدعوة الإسلامية موقف الطغاة من الحق، حيث آذى المسلمين وجلب خيله ورجله لمنع الدعوة الإسلامية من الانتشار، وأسهم في تحزيب الأحزاب ضد المسلمين، وبذل ماله لأجل الصد عن سبيل الله، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن بعث سرية لإزاحته عن طريق الدعوة الإسلامية، وتم القضاء عليه[2].

وهكذا بذل ﷺ الجهد لإزاحة كل من اشتهر بالوقوف ضد الدعوة الإسلامية؛ لأجل حماية الدعوة، وتهيئة الطريق أمام الدعاة؛ ليبلغوا الدعوة إلى الناس أجمعين من دون حواجز أو عوائق تعوق ذلك.

لما خرج الرسول ﷺ من المدينة معتمرًا وصده المشركون عن البيت الحرام، قال أبو بكر «يا رسول الله خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه». قال: «**امضوا على اسم الله**»[3]. فمن صد عن سبيل الله وجب قتاله، والمسلمون لم يخرجوا للقتال لكنهم لما صُدوا عن الحرم بايعوا الرسول ﷺ على إزاحة من صد عن سبيل الله.

(١) انظر البخاري، المصدر السابق، باب ١٥، وانظر مسلم، المصدر السابق، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود.

(٢) انظر البخاري، المصدر السابق، باب ١٦، وانظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٩١.

(٣) البخاري، المصدر السابق، باب ٣٥.

وقد كان الرسول ﷺ إذا بعث جيشًا أو سرية للقتال، أمرهم أن يدعوهم قبل القتال إلى الإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن قبلوا إحدى هاتين الخصلتين كف عن قتالهم[1]؛ لتحقق الحرية التامة واللازمة لوصول الدعوة إلى الناس بدون أي عائق، فإن لم يقبلوا ذلك، عمل المسلمون على تحقيق الحرية للدعوة وحمايتها بالقوة العسكرية؛ لوجوب إزالة كل عقبة تحول دون إبلاغ الدعوة للناس أجمعين. قال ﷺ موصيًا أحد القادة: «. . . **فإن هم أبوا** -الإسلام أو الجزية- **فاستعن بالله وقاتلهم** . . .»[2].

وعلى هذا المنهج السوي سار المسلمون خلال تاريخهم، فكان أول ما يدعون إليه عدوهم الدخول في الإسلام أو الجزية، وهي مبلغ من المال يؤخذ ممن تجب عليه من أهل الكتاب ومن في حكمهم مقابل حماية المسلمين لهم ولأموالهم ولعقائدهم ولأعراضهم ولأولادهم، مع إعفائهم من الجندية، والتزامهم بأحكام الإسلام، ويكون ذلك بموجب عقد معهم[3]، يلتزمون فيه بما يشترطه المسلمون عليهم، ويكون ضمن هذه الشروط: عدم التعرض للدين الإسلامي بسوء، أو الوقوف ضد الدعوة الإسلامية وإعاقة وصولها للآخرين.

لما أمر أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه بالمسير إلى العراق، أمره أن يتألف الناس ويدعوهم إلى عبادة الله عز وجل، فإن

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر الكاساني، بدائع الصنائع، ج٧ ص١١٠، وانظر ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج١ ص٤٦٨-٤٦٩، وانظر الفيروزابادي، المهذب، ج٢ ص٣٢٠، ٣٥٥، وانظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٧.

أجابوه لذلك وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم[1]. فلما نزل خالد الحيرة قال لأشرافها: «أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوامٍ هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم»[2].

وقال النعمان بن مقرن[3] رضي الله عنه ليزد جرد: «. . . نحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسَّن الحسَن وقبَّح القبيح كلَّه، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء، فإن أبيتم فالمناجزة . . .»[4].

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه لرسل المقوقس: «. . . نحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة . . .»[5].

فالمسلمون تكبدوا المشاق، وفارقوا الأهل والأوطان، وساروا في أرجاء الأرض المختلفة، لا لطلب رغد العيش والمال، أو الحصول على السيطرة والجاه، وإنما لإبلاغ الدعوة للناس أجمعين، والعمل على إزالة العقبات التي تقف في طريقها.

---

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣٤٢.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٤٤.

(٣) ابن عائذ المزني، قدم على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة، له ذكر كثير في فتوح العراق، سكن البصرة ثم الكوفة، قاد المسلمين في نهاوند، واستشهد بها. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٥٣٥-٥٣٦.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٤٩٩.

(٥) المصدر السابق، ج٤ ص١٠٧.

ففي بداية الفتح الإسلامي قال خالد بن الوليد رضي الله عنه لجيش المسلمين بعد أن رأى ما يطيب به المقام والعيش: «. . . وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل، ولم يكن إلا المعاش، لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به . . .»(١).

وقال المسلمون لرستم قبل معركة القادسية: «. . . فوالله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم . . . ووالله إن لو لم يكن ما نقول حقًّا، ولم يكن إلا الدنيا لما كان لنا عما ضَرِينا به من لذيذ عيشكم، ورأينا من زِبْرِجكم من صبر، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه»(٢).

فتلك الأمور الدنيوية لم تكن هدفًا لهم في جهادهم، وإلا لتحقق لهم ذلك في بداية عهد الفتوح الإسلامية، ولقاتلوا بدون الدعوة إلى الإسلام أو الجزية.

ومع التوسع في الفتوح الإسلامية، وكثرة الموارد المالية، يواصل المسلمون جهادهم في أرجاء المعمورة، ويعرضون أنفسهم للخطر مع قدرتهم على اجتنابه بالبقاء في بلادهم، والبلاد المفتوحة. فهذا عقبة بن نافع(٣) ينزل بالمسلمين منزلًا في إفريقية(٤) لم يكن به ماء حتى لحق بالمسلمين

---

(١) المصدر السابق، ج٣ ص٣٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص٥٢٨-٥٢٩.

(٣) ابن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري، ولد على عهد النبي ﷺ ولم يصح له صحبة، ولاه عمرو بن العاص إفريقية، وغزا الكثير من بلادها، اختط القيروان، وأقام بها ثلاثين سنة، قتل سنة ثلاث وستين. انظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣ ص٥٥٦.

(٤) اسم لبلاد واسعة، ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، ينتهي آخرها قبالة جزيرة الأندلس. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٢٢٨.

عطش كبير، أشرفوا به على الهلاك[1]. فمن لاقى مثل ذلك وهو يسعى لتحقيق هدف دنيوي، هل يستمر وقد تحقق له الكثير والكثير مما يفي بحاجته وزيادة؟ فما سعى ويسعى إليه المسلمون أسمى من ذلك، وقد حدده قائدهم عقبة عندما رأى البحر المحيط بقوله: «يا رب، لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك»[2]، فهم قد تحملوا أمانة إبلاغ الدعوة إلى الناس جميعًا، ولأجل ذلك تحملوا الصعاب والمشاق، وساروا في أنحاء الأرض يؤدون ما كلفوا به، مهما كلفهم ذلك وعرضهم للخطر.

وهذا عبد الملك بن مروان يحدد لأحد قادته الغاية من قتال الروم بقوله: «أنت تاجر الله لعباده، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحًا تَجَر. وإلا تحفظ برأس المال، ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة ...»[3]، فهو ليس بتاجر للدولة الإسلامية، أو للمسلمين يسعى للحصول على منافعهم الدنيوية، بل هو تاجر لله، يسعى لإيصال بضاعته إلى الناس، فمن رغب فليُقدِم، ومن لم يرغب فقد عُرِض عليه البيع وسقطت حجته، والمسلمون يعملون على إفساح المجال أمام هذه التجارة؛ ليتم عرضها على أكبر قدر ممكن من الناس.

ولما شكا أهل سمرقند[4] إلى عمر بن عبدالعزيز ظلماً وقع عليهم من قتيبة بن مسلم بمخالفته المنهج الإسلامي المتبع قبل القتال أجلس لهم

---

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص٣٠٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص١٣٣.

(٤) بلد مشهور، قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٢٤٦.

قاضيًا مسلماً ينظر في دعواهم، فلما ثبت لديه صحة ما ادعوا من أن قتيبة قد دخل بلادهم وأخرجهم منها عنوة قبل أن يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية قضى القاضي بوجوب خروج المسلمين من سمرقند، ومنابذتهم لأهلها على سواء[1].

فالمسلمون يقاتلون لأجل تقرير نشر الدعوة، ويسعون إلى ذلك بأيسر الطرق وأسهلها، متى تحقق لهم ذلك كفوا عن القتال، فالقتال لا يكون إلا حينما يتعذر تحقيق الغاية بالطرق السلمية والمشروعة.

وعندما أرسل السلطان سليمان الأول رسولًا إلى ملك المجر يطلب منه الصلح ودفع الجزية ليضمن بذلك حرية نشر الدعوة ووصولها إلى الناس فاجأه الملك بقتل الرسول، فعندئذٍ تيقن السلطان أنه لا يمكن أن تبلغ الدعوة إلى الناس في تلك البلاد مع وجود هذا الطاغية المانع من وصول الحق، والذي يقف حاجزًا يمنع إشعاع نور الهدى، ولذلك جهز السلطان جيشه وسار بجند الإسلام إلى تلك البلاد؛ ليعمل على حماية نشر الدعوة الإسلامية، ففتح بلجراد ومنها شعَّ نور الهدى في المناطق المجاورة لها[2].

تلك صفحات بيضاء تضيء التاريخ الإسلامي المجيد، وتؤكد أن حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعًا أحد الأهداف الرئيسية التي قاتل من أجلها جند الإسلام، حيث عملوا على إزالة الحواجز والحكومات التي تمنع الناس من الاستماع إلى دعاة الحق، وتعمل على تشويه الإسلام بأعين

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٥٦٧-٥٦٨.

(٢) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، ص١٩٩-٢٠٢.

أفرادها، وبزوال تلك العقبات قام الدعاة بإبلاغ ما جاء به الرسول ﷺ من الخير والهدى والصلاح، وكفلوا الحرية الدينية للجميع، فلم يكرهوا أحدًا على الدخول في الإسلام، ولم يضطهدوه في دينه، بل تركوا الصلبان والكنائس قائمة، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

مما سبق يتبين لنا كيف قام المسلمون بحماية وتأمين حرية الدعوة الإسلامية، وذلك عن طريق ردع وإزالة كل من يقف في سبيلها، ويعمل على إعاقة إبلاغها للآخرين، وأن ذلك العمل أحد الغايات السامية التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام.

وبهذا العمل يكون المسلمون قد قاموا على حماية الدين الإسلامي خير قيام، وجابهوا به دعاة الباطل، ولم يتركوا لهم الفرصة في التشويه، أو الصد عنه، والانتصار لباطلهم.

المبحث الثالث

إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم

المرء لا يمكن أن يهدأ له بال، وترتاح له نفس، ويستقر له عيش وأحد أعضاء جسده يشكو ألمًا، ويعاني مرضًا؛ لأن هذا العضو جزء منه يشعر بآلامه فيتألم لها، لذلك تجده يسعى بكل ما أوتي من قوة وقدرة على التخلص من هذا الألم، فيبحث عن العلاج الشافي في كل مكان، حتى لو كلفه ذلك الشيء الكثير من الجهد والمال، فإذا شفي من المرض وذهب عنه الألم هدأ باله، واستقر عيشه، وسعى في أرض الله يؤدي ما عليه من واجب وأمانة.

والرسول ﷺ وصف الأمة الإسلامية بالجسد الواحد، حيث قال: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[١].

فالمسلم في أية دولة كانت، وفي أي مكان كان، عضو في الجسد الإسلامي، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، ويشكو لألمه، فالجسد الإسلامي يتداعى بعضه لبعض؛ لوجود الرباط القوي والوثيق بين أعضائه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . .﴾[٢].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٠.

وقال ﷺ: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلِمُهُ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كُربة، فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»**[1].

وفي ذلك بيان لحقوق المسلمين بعضهم على بعض، مهما اختلفت ديارهم وأجناسهم، فهم أمة واحدة، وجسد متماسك متعاضد، إذا وقع اعتداء أو ظلم على أحد أعضائه شعر به الباقون، وعند ذلك يجب على بقية الأعضاء السعي في رفع هذا الظلم والاعتداء، مهما كلفهم ذلك من جهد ومال، قال تعالى: **«وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . . .»**[2]. وقال ﷺ: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . . .»**[3]، والخذل ترك إعانته ونصره إذا استعان به في دفع ظلم أو اعتداء بدون عذر شرعي[4]، فالمؤمن مأمور بالتعاون مع أخيه على فعل البر، ومن البر التعاون على رفع الظلم وصد الاعتداء ونحوه، وابتلاء المؤمن في دينه من أشد الكربات التي يحتاج فيها إلى من يسانده وينصره، لذلك أوجب الله سبحانه وتعالى الدفاع عن المستضعفين وحمايتهم من الاضطهاد والتعذيب أينما كانوا، قال تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ • الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾**[5].

(١) مسلم، المصدر السابق، باب تحريم الظلم.

(٢) سورة المائدة، آية ٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦ ص١٢٠.

(٥) سورة الحج، آية ٣٩، ٤٠.

فبسبب ما كان يقع على المسلمين من سب وضرب واضطهاد[1] أذن الله لهم بقتال المشركين لرفع الظلم الذي أوقعه عليهم أعداء الدين وإحلال العدل والحق مكانه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[2].

وفي ذلك حث من الله سبحانه وتعالى للمسلمين على الجهاد في سبيله من أجل استنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال[3] الذين يعيشون تحت وطأة المشركين، ويمارس ضدهم التعذيب والاضطهاد ليرتدوا عن دينهم، فجعل نصرة هؤلاء ومساعدتهم واجبًا شرعيًا، فلا يجوز للمسلم ترك أبناء دينه يعيشون في ضيم وذل ينزله بهم أعداء الإسلام، فأنظمة الشرك والفساد تبذل جهدها للقضاء على الإسلام وأهله الذين هم خارج بلادها، وتعمل لذلك بكل الوسائل الممكنة لها، فإذا كان ذلك دأبها مع من هم خارج سيطرتها، فكيف سيكون الحال مع من هم داخل بلادها؟ قال تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4].

---

(١) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج٣ ص٤٥٦.

(٢) سورة النساء، آية ٧٥.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٥٢٦.

(٤) سورة الأنفال، آية ٧٢.

فيجب على كل مسلم قادر إغاثة من استغاث به من المسلمين ممن يعيشون تحت سلطان دولة جائرة، فإن لم يستطع لوجود عهد بينه وبين من هم تحت سيطرته، فعليه مشاركتهم بأحاسيسه؛ ليشعروا بمدى اهتمامه بهم، وليخفف بذلك مما هم فيه. فقد كان الرسول ﷺ يعلم بالظلم الذي يقع على بعض المسلمين ممن يعيش تحت سيطرة المشركين، فكان ﷺ يدعو في قنوته أن يفرج الله عنهم ما هم فيه من كرب وضيق، فكان يقول في قنوته: «**اللهم أنج الوليد بن الوليد**(١)، **اللهم نج سلمة بن هشام**(٢) **اللهم نج عياش بن أبي ربيعة**(٣)، **اللهم نج المستضعفين من المؤمنين**»(٤).

فكان في ذلك إحساس منه ﷺ بما يعانون، واهتمام بأمرهم.

وعند عقد الاتفاقات والعهود بين المسلمين وغيرهم، يجب مراعاة حقوق المسلمين داخل تلك البلاد، لئلا تكون المعاهدة وسيلة إلى اضطهاد المسلمين وتعذيبهم، أو عقبة دون نصرتهم، فالتعاون على البر واجب

---

(١) أخو خالد بن الوليد، خرج مع المشركين إلى بدر فأسر وفداه إخوانه، ثم أسلم وحبس في مكة، فأفلت من الوثاق والحبس وقدم المدينة ومات بها. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص١٠٣.

(٢) ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي أبو هاشم، حبسه المشركون في مكة فآذوه، وفر منهم ولحق بالرسول ﷺ، ولم يزل معه حتى مات، ثم خرج إلى الشام واستشهد بمرج الصفر وقيل بأجنادين. انظر المصدر السابق، ج٢ ص٦٧.

(٣) اسمه عمرو بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، يلقب بذي الرمحين، من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، ثم خدعه أبو جهل وأرجعه إلى مكة فحبس بها، ثم فر إلى المدينة، مات بالشام سنة خمس عشرة، وقيل باليمامة، وقيل باليرموك. انظر المصدر السابق، ج٣ ص٤٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة وانظر صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ٢.

وعقد المعاهدة مع إهمال حقوق المسلمين وتعرضهم للظلم مخالف لذلك.

إذًا فالمسلمون أمة واحدة، وبلادهم دار واحدة، يجب عليهم جميعًا الجهاد لحمايتها، والدفاع عن إخوانهم المستضعفين والمضطهدين في كل زمان ومكان، ليعيش الفرد المسلم معززًا مكرمًا، مرفوع الرأس مرهوب الجانب، كما جعله الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ . . .﴾[1].

والتاريخ الإسلامي يحكي لنا أمثلة من تلاحم الجسد الإسلامي، تدل على التلاحم والتناصر، وإغاثة المظلومين أينما كانوا، لشعور المسلمين بآلام بعضهم بعضًا.

لما قدم الرسول ﷺ المدينة وادع اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم ليأمن جانبهم، ومما جاء في المعاهدة: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[2] إلا نفسه، وأهل بيته . . .»[3]. فكان في ذلك صيانة لحقوق المسلمين الدينية والدنيوية من أن يعتدى عليها، وعندما اعتدى رجل من يهود بني قينقاع على إحدى نساء المسلمين بكشف عورتها انتصر لها رجل من المسلمين، وقتل ذلك اليهودي المعتدي على حرمة تلك المرأة، لكن اليهود قتلوا الرجل المسلم ظلماً وإصرارًا على الاعتداء الذي قام به أحدهم، وهم بهذا

---

(١) سورة المنافقون، آية ٨.

(٢) الوتغ: الإثم والهلاك. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٣ ص١١٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٠٧.

العمل يؤيدون الظلم الذي وقع على المرأة، فكان في ذلك نقض للعهد، وظلم لأحد أعضاء الجسد الإسلامي، عند ذلك قام الرسول ﷺ والمسلمون بمناصرة إخوانهم الذين ظلموا وقتلوا، فخرج ﷺ بجيش الإسلام إلى يهود بني قينقاع، وكاد أن يقتلهم أجمع لولا الله ثم شفاعة ابن أبي، فأخرجهم من المدينة جزاء ظلمهم وعدوانهم[1]. وهكذا عمل ﷺ على الانتصار للمظلومين من المسلمين بالطريقة التي تكفل عدم تكرار ذلك الظلم مرة أخرى ضد أحد أعضاء الجسد الإسلامي.

ولما ارتدت القبائل العربية بعد وفاة الرسول ﷺ، خرج المسلمون لقتالهم، وبلغ أبا بكر رضي الله عنه إقدام بعض القبائل على قتل من فيها من المسلمين عند ذلك حلف أبو بكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة؛ انتصارًا لمن ظُلِم وقُتِل[2]. وكان لهذا الحلف الأثر الكبير في نفوس المسلمين، حيث ازدادوا عزًّا وثباتًا على دينهم، لشعورهم بأن هناك من يساندهم، ويعمل على إزالة الظلم والطغيان الذي يقع عليهم. وهذا دليل على تلاحم الجسد الإسلامي بعضه مع بعض، وسعيه لإزالة أسباب وقوع الظلم والاضطهاد عن أعضائه.

حينما خرج الخزر على الناس ناحية أرمينية[3] أوقعوا بالمسلمين وعاثوا

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦-١٧٩، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٣ ص٥-٦.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٤٦-٢٤٧، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣١٣-٣١٤.

(٣) بلد لم ير أوسع منه، ولا أكثر عمارة، عدة ممالكها مائة وثماني عشرة مملكة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص١٦١.

في الأرض فسادًا، وانتهكوا أمرًا عظيماً لم يسبقهم إليه أحد، حيث قتلوا خلقًا كثيرًا، وسبوا المسلمين وأهل الذمة، ونكحوا المسلمات، وكان لذلك العمل الوقع العظيم على نفس الرشيد، فعمل للانتصار للمسلمين ورفع الظلم الذي وقع عليهم، حيث أرسل إليهم الجيوش الكثيفة[(١)] لإصلاح ما أفسِد في تلك البلاد، وتأديب المعتدين؛ لضمان عدم تكرار مثل ذلك مستقبلًا. فكأن الاعتداء الذي وقع على المسلمين في تلك الناحية اعتداء على المسلمين في عاصمة الخلافة، حيث تداعى له سائر المسلمين وتألم له خليفتهم.

وفي سنة (٢٢٣ هـ) أوقع ملك الروم بالمسلمين من أهل ملطية[(٢)] من المسلمين وما والاها، حيث قتل وأسر عددًا كبيرًا من المسلمين، وسبى من المسلمات ألف امرأة، ومثل بالأسرى، فقطَّع آذانهم، وجَدَع أنوفهم، وسمل عيونهم[(٣)] فاستغاثت امرأة من المسلمين بالمعتصم، وهي أسيرة بأيدي الروم وأطلقت صرخة استغاثة مدوية (وامعتصماه)[(٤)] اهتز لها قصر المعتصم وتداعى لها سائر الجسد الإسلامي، وتألم لها كل فرد مسلم، وأجابها المعتصم نيابة عن أعضاء الجسد الإسلامي، لبيك لبيك، ونهض منزعجًا ومتألمًا لما حصل، فأعلن النفير والتعبئة العامة للجيش الإسلامي، انتصارًا وإغاثةً لتلك المرأة ولغيرها من المسلمين المظلومين، فسار في جيش

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٨ ص٢٧٠، وانظر ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج٨ ص٢٥٩، وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ج١٠ ص١٨٣.

(٢) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة، تتاخم الشام، وهي للمسلمين. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٥ ص١٩٢-١٩٣.

(٣) سَمَلُ العين: فقؤها بحديدة محماة. انظر الرازي، الصحاح، ص٣١٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٥ ص٢٤٧.

المسلمين وعمل على إعزاز الإسلام وأهله، فقصد أمنع المدن الرومية (عمورية)[1]، ففتحها وأنقذ المظلومين، ونكل بالمعتدين أشد تنكيل[2].

هكذا كان تلاحم الجسد الإسلامي، تتفاعل أعضاؤه بعضها مع بعض، لإيمانهم بخطورة اضطهاد المسلمين وظلمهم، لأن المسلم المضطهد سواء كان في بلد كفر أصلي، أو في بلد إسلامي حكامه ينتسبون إلى الإسلام بالاسم، يفقد الحرية في كل شيء يتمتع به في ظل القيادة الإسلامية. فهو يفقد الحرية الدينية بأداء شعائر الدين كاملة؛ لتسلط الكفرة وأنصار الباطل عليه، ومحاربتهم ممارسة تلك الشعائر، ويفقد حريته الاجتماعية لوجود بيئة كافرة عاداتها وتقاليدها الاجتماعية تغاير المثل الإسلامية، ويفقد حريته الاقتصادية بإجباره على الأخذ بنظام اقتصادي يخالف التعاليم الإسلامية.

ويفقد حريته في التعليم حيث لا يجد مناصًا سوى الأخذ بمناهج أهل الكفر التعليمية، والتي وضعت أصلًا لتحقيق أهداف وغايات كافرة، والتي أبرزها الابتعاد عن الإسلام وتعاليمه.

ويفقد حريته في التربية الإسلامية لأبنائه، لوجود المناقض لما يقوم به من تربية لأبنائه في البيئة، والمدرسة، والشارع، وفي كل مكان يذهب إليه الأولاد، مما يؤثر على تربيتهم؛ لتفوق وكثرة عوامل الهدم على البناء.

---

(١) بلد في بلاد الروم سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣ هـ . الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١٥٨٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٩ ص٥٥-٥٦، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٤٦-٢٤٧، وانظر البداية والنهاية، ج١٠ ص٢٨٥-٢٨٦.

كما يفقد حريته في إنكار المنكر وإحقاق الحق مهما كان نوعه.

إذًا فالمسلم في المجتمع الكافر، وتحت ضغط الحكام المتنسبين إلى الإسلام بالاسم يكون عرضة لأن يفقد كل شيء أساسه الإسلام وتنفصم الروابط بينه وبين العروة الوثقى، وينسلخ من الإسلام شيئًا فشيئًا، وذلك ما يهدف إليه الأعداء من الضغط على المسلمين.

وإذا لم يقم المسلمون بمناصرة إخوانهم المظلومين والمضطهدين في أنحاء الأرض، وتركوهم تحت وطأة الطغاة والكفرة، فسيأتي والله أعلم يوم يكون فيه المسلم الملتزم بالإسلام عرضةً للأخطار والمهالك، وفي ذلك خطر عظيم، وبلاء جسيم؛ لأنه يعني ظهور الكفار على المسلمين وسيطرة الباطل على الحق، كما يعني أن المسلمين قد تركوا واجبًا عظيماً عليهم، وهو الجهاد في سبيل الله، وما أُذل المسلمون وقُهروا في فترة من الفترات إلا عند تخليهم عن الجهاد الإسلامي، فدخول الصليبيين بيت المقدس، والتتار بغداد، واليهود بيت المقدس مرة أخرى، ووضع العالم الإسلامي اليوم خير شاهد على ذلك.

مما سبق يتبين لنا أن ظلم المسلمين واضطهادهم طريق الأعداء للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وفي مقابل ذلك فإن مناصرة المظلومين والوقوف معهم يعني حمايتهم وحمايتهم تعني حماية الدين بالحفاظ على بقائه في القلوب، واستعلاء المرء المسلم بدينه وربه، انتصارًا لعلو الحق وسقوط الباطل.



الباب الثاني

أسس إعداد الجندي المسلم

الفصل الأول : الأساس العقدي.

الفصل الثاني: الأساس النفسي.

الفصل الثالث: الأساس اللياقي - (البدني).

الفصل الرابع: الأساس الخلقي.

الفصل الخامس: الأساس الإداري.



الفصل الأول

الأساس العقدي

المبحث الأول : ترسيخ أسس العقيدة الصحيحة.

المبحث الثـــاني: ربط النصر بالإيمان.

المبحث الثـالث: مكانة المجاهدين في الإسلام.

المبحث الرابـــع: منزلة الشهداء عند الله.

المبحث الخامس: دراسة ميدانية وثائقية لإعداد الجندي في الجيش العربي السعودي إعدادًا عقديا سليماً.



المبحث الأول

ترسيخ أسس العقيدة الصحيحة

العقيدة أساس كل بناء، سواء كان دينيا، أو سياسيا، أو اجتماعيا وهي أهم ما يطلب من الإنسان؛ لأن العمل إنما يتبع الاعتقاد الذي يُعتبر الطاقة التي تمد الروح المعنوية بالقوة، لذا فالإنسان بحاجة ماسة وضرورية للعقيدة.

ولقد أُقيم الإسلام على عقيدة واضحة لتكون المحرك الأساسي للمسلم، من أجل البذل والعطاء، والتضحية والفداء، في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وكذا كانت الرسالات السماوية الأخرى.

ولقد لبث الرسول ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا ينزل عليه القرآن الكريم بالأسس والأدلة، لغرس الإيمان في النفوس، وتربية جيل يحمل العقيدة مطمئنا بها قلبه، مستقيماً بها عمله.

يقول سيد قطب رحمه الله: «ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا كاملة، يُحدِّثه فيها عن قضية واحدة، قضية واحدة لا تتغير، ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر . . . لقد كان يعالج القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد . . قضية العقيدة . . ممثلة في قاعدتها الرئيسية . . الألوهية والعبودية، وما

بينهما من علاقة . . ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التفريعات المتعلقة بنظام الحياة، إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان، وأنها استقرت استقرارًا مكينًا ثابتًا في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان التي قدر الله أن يقوم هذا الدين عليها وأن تتولى هي إنشاء النظام الواقعي الذي يتمثل فيه هذا الدين»[١].

إذًا فالعقيدة جوهر الإسلام وأساسه، والمنطلق الذي يحدد الطريق السليم للعمل، لذلك وجب أن يكون الإقرار بالعقيدة الصحيحة أول عمل يُدعى إليه الإنسان.

يقول سيد قطب: «ينبغي أن يكون مفهومًا لأصحاب الدعوة الإسلامية أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولًا إلى اعتناق العقيدة - حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون! - يجب أن يعلموهم أن الإسلام هو (أولاً) إقرار عقيدة: (لا إله إلا الله) بمدلولها الحقيقي، وهو رد الحاكمية لله في أمرهم كله، وطرد المعتدين على يد سلطان الله بادعاء هذا الحق لأنفسهم، وإقرارها في ضمائرهم وشعائرهم وإقرارها في أوضاعهم وواقعهم . . ولتكن هذه القضية هي أساس دعوة الناس إلى الإسلام، كانت هي أساس دعوتهم إلى الإسلام أول مرة . . إن القلوب يجب أن تُخلص أولًا لله، وتعلن عبوديتها له وحده، بقبول شرعه وحده، ورفض كل شرع آخر غيره . . من ناحية المبدأ قبل أن تخاطب بأي تفصيل عن ذلك الشرع يرغبها فيه»[٢].

---

(١) معالم في الطريق، ص٢٠-٢١. (٢) المرجع السابق، ص٣٥-٣٦.

فالعقيدة الثابتة الراسخة هي التي يكون الإيمان بها عن بينة وبرهان، وقد أخذت من الوقت ما يكفي لإرسائها وصقلها في قلوب أتباعها بالتجارب.

قال خباب بن الأرت رضي الله عنه[1]: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً له في ظل الكعبة، قلنا ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فقال: «**كان الرجل فِيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليَتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[2].

فكان ﷺ يحثهم على الصبر على ما يلاقونه من أذى، ويربيهم على الاستعداد لبذل الحياة في سبيل العقيدة، فصبروا على الأذى والتعذيب حتى استشهد منهم من استشهد، وهاجر إلى الحبشة من هاجر، تاركًا الأهل والمال والولد، فارًّا بعقيدته، ليجد مكانًا يطمئن فيه من الفتنة، لا خوفًا على نفسه، ولا لما يصيبه من أذى، وإنما خوفًا من أن يفتن في دينه.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة هي التي وردت تفاصيلها في القرآن

---

(١) ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، التميمي، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكان من المستضعفين، وهو أول من أظهر إسلامه، وعذب عذابًا شديدًا لأجل ذلك، شهد المشاهد كلها، نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٤١٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ٢٥، وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الكفر.

الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وسار على نهجها الخلفاء الراشدون والسلف الصالح من أهل السنة والجماعة، بعيدًا عن كل تحريف أو تغيير.

وسأعرض بإيجاز فيما يلي لأهم مسائل العقيدة الإسلامية، كما وردت في الكتاب والسنة، مع اجتناب كل ما فيه جدل كلامي أو فلسفي.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2].

وقال ﷺ لما سئل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه، ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله . . .**»[3].

فتلك أركان الإيمان الذي عرَّفه علماء الإسلام بأنه: تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح[4]، فهو يشمل عقائد القلوب وأعمالها وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فما وقر في القلب، واعتقده الإنسان فهو عقيدة يظهر مصداقها في القول والعمل.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١٣٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان . . .، وانظر البخاري، المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب ٣٧.

(٤) انظر ابن تيمية، الفتاوي، ج٣ ص١٥١، وانظر ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ص ٢٧٨، وانظر أحمد بن إبراهيم الشرقي، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، ج٢ ص١٣٩.

إذًا فالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، هي أسس العقيدة التي جاء بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

الأساس الأول: الإيمان بالله: ويتضمن أربعة أمور هي:

١- الإيمان بوجود الله تعالى:

فالمسلم يؤمن ويصدق بوجود الله تعالى، وأن لهذا الكون قوة عليا تحكمه وتدبره، وتشرف عليه، قال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**(١).

فهذا الكون الفسيح، والعوالم المختلفة من المخلوقات، لابد لها من خالق ومدبر، فلا يمكن أن توجد نفسها، أو توجد مصادفة، فليس هناك مَوجُود بلا مُوجِد، والشيء لا يوجد نفسه(٢).

ولقد فطر الله سبحانه وتعالى الخلق على الإيمان بوجوده، ولا ينصرف عن ذلك إلا من طرأ على قلبه صارف من المؤثرات الخارجية، قال تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**(٣)

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٢) انظر محمد العثيمين، رسائل في العقيدة، ص١١-١٢.

(٣) سورة الروم، الآية ٣٠.

وقال ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»[1].

كما أن الكتب السماوية كلها دليل على وجود الله عز وجل، وما جاء فيها من شرائع وأحكام منظمة لمصالح الخلق دليل على أنها من عليم بمصالح الخلق، وما جاء فيها من أخبار كونية شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

كما أن الرسل جميعًا خاطبوا أممهم خطاب من لا شبهة عنده في الإقرار بوجود الله[2]، قال تعالى: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .**﴾[3].

ولم ينكر وجوده تعالى إلا فئة قليلة نفى القرآن عنهم العلم أو وجود الحجة، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾[4].

٢- الإيمان بربوبيته تعالى:

يؤمن المسلم بأن الله رب كل شَيْء ومليكه، وأنه الخالق المدبر لا شريك له، فليس في العالم صانعان متكافئان في الصفات، ويؤمن بأنه الخالق الرازق، المحيي المميت، النافع الضار، القادر المقتدر الذي يفعل ما

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٢) انظر العثيمين، المرجع السابق، ص١٢-١٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية١٠.

(٤) سورة الجاثية، الآية ٢٤.

يشاء ويحكم ما يريد، وذلك توحيد الله بفعله[1]. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[3].

ولم ينكر أحد من الخلق ربوبيته تعالى إلا من كان مكابرًا كفرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾[4].

وكان يعلم بطلان قوله، إلا أن الكبر والغرور أوصلاه لذلك، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ...﴾[5].

٣- الإيمان بألوهيته تعالى للأولين والآخرين:

يؤمن المسلم بأن الله تعالى إله الأولين والآخرين، وأن كل معبود سواه باطل، وذلك ما دعت إليه الرسل وجاءت به الكتب من عند الله، قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[6].

---

(١) انظر أبو العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص٢٠، وانظر سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٣٣، وانظر العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص٦، وانظر صالح البليهي، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، ج١ ص٣٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٣) سورة يونس، الآية ٣١.

(٤) سورة القصص، الآية ٣٨.

(٥) سورة النمل، الآية ١٤.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٦٣.

فلا يشرك في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، قال تعالى: ﴿... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1].

ولا يوالي من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ...﴾[2].

وهذا التوحيد متضمن لتوحيد الربوبية، وهو التوحيد المطلوب الذي لأجله أرسل الرسل، وأنزلت الكتب، ولأجله خلق الخلق؛ لأنه مبني على أفعالهم، فيجب إخلاص الأعمال والعبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا • إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾[4].

٤- الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته:

يؤمن المسلم بما لله تعالى من أسماء حسنى وصفات عليا، لا يشرك فيها مع الله أحدًا، لا يتأولها فيعطلها، ولا يشبهها فيكيفها أو يمثلها، بل يثبت لله ما يجب إثباته من صفات الكمال اللائقة بجلاله وعظمته، كما وصف

(١) سورة المائدة، الآية ٧٢.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٣) انظر أبو العز الحنفي، المصدر السابق، ص٢٢، ٢٨، ٣٦، وانظر سليمان بن عبدالوهاب، المرجع السابق، ص٣٦، ٣٩.

(٤) سورة النساء، الآية ١١٦، ١١٧.

بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، وينفي عنه ما يجب نفيه مما نفاه عن ذاته الكريمة، أو ما نفاه عنه رسوله ﷺ[١]، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣].

الأساس الثاني: الإيمان بالملائكة:

يؤمن المسلم بأن لله ملائكة، وأنهم خلق من أشرف خلقه، خلقهم من نور وأنهم: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ • لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٤]، ولطاعته منقادون، وأن الله موكلهم بوظائف هم بها قائمون، وأنهم متفاضلون، فمنهم المقربون ومنهم دون ذلك[٥]، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٧].

---

(١) انظر ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ص٧-٨، وانظر الفتاوي، ج٣ ص١٢٩-١٣٠، وانظر أبو العز الحنفي، المصدر السابق، ص٣٨-٤٠، ٦٢، وانظر العثيمين، رسائل في العقيدة، ص١٥-١٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٠.

(٣) سورة الشورى، الآية ١١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٦، ٢٧.

(٥) انظر أبو العز الحنفي، المصدر السابق، ص٢٤٥-٢٤٧، وانظر العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص١٦-١٨، وانظر أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص٣٢.

(٦) سورة فاطر، الآية ١.

(٧) سورة النساء، الآية ١٧٢.

وقال ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**»[1]، فهم من خلق الله، ينفذون أمره، ليس لهم من الأمر شيء، يعجز البشر عن رؤيتهم في صورتهم التي خلقهم الله عليها، إلا من أيده الله، فوجب الإيمان بوجودهم، وما علمنا من أسمائهم، وأعمالهم، وما لم نعلمه من ذلك، فالإيمان بهم وسيلة إلى معرفة عظمة الخالق، وقوة سلطانه، ومدى عنايته بعباده، حيث وكل بهم الحفظة.

الأساس الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى:

يؤمن المسلم بجميع ما أنزل الله تعالى على رسله من كتب حجة على العالمين ومحبة لهم، يُعلموهم بها الحكمة ويزكوهم، يؤمن بما سمى الله منها في كتابه، وبأن له كتبًا أنزلها على من اصطفى من رسله وأنبيائه لا نعرف أسماءها ولا عددها، يؤمن بها إجمالًا، وأنها وحي من عند الله ومن كلامه، ويؤمن بالقرآن إيمانًا زائدًا على الإيمان بغيره، وبأنه أعظمها والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه منزل من عند الله غير مخلوق[2]، قال تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المواقيت، باب ١٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) انظر أبو العز الحنفي، المصدر السابق، ص٢٥٧، وانظر العثيمين، رسائل في العقيدة، ص٢٣، وانظر الجزائري، المصدر السابق، ص٣٦.

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(1).

الأساس الرابع: الإيمان بالرسل:

يؤمن الفرد المسلم بأن الله تعالى قد اصطفى من عباده رسلًا بعثهم إلى خلقه مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة أرسلهم بالبينات، وأيدهم بالمعجزات، ويؤمن بأنهم بشر لا ينفعون ولا يضرون، فهم عبيد من عباد الله، نؤمن بهم جملة وتفصيلًا، من علمنا اسمه ومن لم نعلم، لا يتم إيمان عبد إلا بالإيمان بهم جميعًا، ومن كفر برسالة أحدهم فقد كفر بالجميع(2)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . . . ﴾(3)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا • أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا • وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(4).

الأساس الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

يؤمن المسلم بكل ما أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمن بأن لهذه الحياة الدنيا نهاية، قال تعالى:

(1) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

(2) انظر أبو العز، المصدر السابق، ص٢٥٦-٢٥٧، وانظر العثيمين، المصدر السابق، ص١٩-٢٠.

(3) سورة غافر، الآية ٧٨. (4) سورة النساء، الآية ١٥٠-١٥٢.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ • وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[1].

ويؤمن بفتنة القبر وبعذابه أو نعيمه، وسؤال الملكين[2] ويؤمن بالبعث وأنه حقيقة لا مراء فيها، قال تعالى: ﴿... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3].

ويؤمن بالحشر يوم القيامة، وبالميزان وبالجزاء على الأعمال، وبالعرض والحساب، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا • وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا • وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[4].

الأساس السادس: الإيمان بالقضاء والقدر:

يؤمن المسلم بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله تعالى وأن كل ما هو كائن إلى يوم القيامة قد كُتب في اللوح المحفوظ قبل خلق الكائنات[5].

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٢٦-٢٧.

(٢) انظر ابن تيمية، الفتاوي، ج٣ ص١٤٥، وانظر أبو العز الحنفي، المصدر السابق، ص٣٤٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

(٤) سورة الكهف، الآية ٤٧-٤٩.

(٥) انظر المصادر السابقة، ص١٤٨-١٤٩، وانظر ص٣١١-٣١٢، وانظر العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص٣٢.

قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ • وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[1].

تلك هي أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة كما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة واضحة جلية، ليحصل الإيمان بها عن بينة وبرهان، واقتناع قلبي وعقلي جازم، ولتكون تلك المبادئ والقيم عقيدةً وسلوكًا وخلقًا وتفكيرًا يتحلى بها الجندي المسلم، حتى يبلغ إيمانه مبلغًا يدفعه إلى الرغبة الجازمة والجادة في التضحية والفداء، والبذل والعطاء والصبر والثبات في سبيل نشر هذه العقيدة وإعلاء كلمة الله، بعيدًا عن اليأس والقنوط، أو الاستسلام والخضوع. وقد تجلت قوة العقيدة في الرعيل الأول من المسلمين ممن عُذِّب وأوذي، فصبر وتحمل وصمد أمام الطغاة والمشركين، أو من هاجر إلى الحبشة مخافة الفتنة، فترك أهله وماله وولده بحثًا عن مكان آمن لعقيدته، ثم فيمن خرج مجاهدًا في سبيل الله لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

وقد كان لهذه العقيدة الأثر البالغ في جنود الإسلام وجيوشهم خلال خوض المعارك، فكانت الروح والطاقة الدافعة للجندي المسلم إلى خوض المعارك، وهي المحرك لهم في زحفهم وضربهم ونزالهم، وفي كل خطوة يخطوها كانت هي المدد في أحرج لحظات القتال، فرغم قلة عدد جند الإسلام في عهد النبي ﷺ وقلة عتادهم، وكثرة عدد وعدة أعدائهم، إلا أنهم قد تسلحوا بتزكية النفوس، وتطهير القلوب، ومحاربة الأهواء فكان سلاحهم أقوى من أن تنتصر عليه قوى الدنيا مجتمعة، يقول أنور

(١) سورة القمر، الآية ٥٢-٥٣.

الجندي: «إن التماس المسلمين للعقيدة الصحيحة كان من أهم العوامل في انتصارهم، ذلك أن هذه العقيدة إذا ما انحرفت عن أصولها الأصلية لا تكون حائلًا دون تحقيق النصر فحسب، بل تصبح عاملًا من عوامل الهزيمة والتخلف والضعف»[١]. فتأصل العقيدة في نفوس تلك الفئة من المسلمين جعل من قلتهم كثرة، ومن ضعفهم وتفرقهم قوة ووحدة ومن خوفهم أمنًا.

وفي التاريخ الإسلامي صفحات بيضاء تصور مدى فاعلية العقيدة لدى جند الإسلام، تلك العقيدة التي جعلت من روحهم المعنوية قوة لا تعرف اليأس ولا ترضى بالهزيمة، تطلب المدد ممن بيده المدد والأمر كله لا تعرف المهادنة إلا بالله ولله، فقاتل الجندي المسلم أباه وأخاه وعمه وخاله وعشيرته، وكل من وقف ضد الدعوة الإسلامية.

ولقد عمل قادة الجيوش الإسلامية على إحياء هذه العقيدة، وإثارتها في نفوس الجند، وحمايتها بالتحذير مما قد يدنسها ويؤثر فيها؛ لإيمانهم بأن الجندي لا قيمة له بدون عقيدة راسخة صافية من المؤثرات.

وكان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله في خاصته، وبمن معه من الجند[٢]، وهو بذلك يحذره من مغبة المعاصي وسوء عاقبتها، ويحثه على تقويم المقاتلة، بتقوية الرباط الروحي بينهم وبين ربهم، وتزكية النفوس وتطهير القلوب ومحاربة الأهواء.

---

(١) بماذا انتصر المسلمون، ص١١.

(٢) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

قبل معركة بدر وأثناء التهيؤ لمواجهة المشركين أراد ﷺ أن يعرف مدى تأثير قوة العقيدة في الجند، فشاورهم لأجل اعتراض عير قريش فأجابوه: «لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها[١]، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها[٢] إلى بَرْكِ الغِمادِ[٣] لفعلنا»[٤]، فكان ذلك الجواب دليلًا على سلامة العقيدة، وقوة الروح المعنوية لدى الجندي، والثقة بالنفس التي لا يكتسبها إلا ذو عقيدة راسخة، فالعدو أكثر عدةً وعتادًا، وهم يعلمون ذلك إلا أنهم وزنوا القوة بقوة العقيدة لا بغيرها.

ولقد قاتل جند الإسلام في ظروف صعبة جدًّا، فلم يهنوا ولم يضعفوا قال أبو موسى[٥]: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقِبُهُ، قال: فَنَقِبَتْ أقدامنا، فَنَقِبَتْ قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصِّبُ على أرجلنا من الخرق»[٦].

وكان لقوة العقيدة وتأصلها في النفوس أثر كبير في إصرار كثير من

---

(١) يعني الخيل. (٢) كناية عن ركضها.

(٣) موضع وراء مكة بخمسة أميال مما يلي البحر. انظر الحموى، معجم البلدان، ج١ ص٣٩٩.

(٤) مسلم، المصدر السابق، باب غزوة بدر.

(٥) عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، اشتهر بكنيته، أسلم وقيل هاجر إلى الحبشة، استعمله عمر على البصرة، وعثمان على الكوفة، وكان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفريقين. مات سنة اثنتين أو أربع وأربعين. وهو ابن نيف وستين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٣٥١-٣٥٢.

(٦) مسلم، المصدر السابق، باب غزوة ذات الرقاع.

المسلمين على الخروج لملاقاة المشركين يوم أحد[1]؛ لرغبتهم في كسب الثواب وتعويض ما فاتهم يوم بدر من الأجر العظيم، والفضل الكبير.

وفي الليلة التي كان في صبيحتها قتال أحد، تزوج حنظلة بن أبي عامر[2]، فلما صلى الصبح أخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ تاركًا[3] زوجته في يوم عرسها، منطلقًا إلى ساحة المعركة، ساحة الطعن والطعان والقتل والقتال، وما يُقدم على ذلك العمل إلا ذو عقيدة راسخة، متأصلة في النفس، تدفعه إلى التحرر من كل سلطان غير سلطان الله. وفي أحد، همَّ أبو بكر رضي الله عنه أن يبارز ابنه[4]. وفي بدر قام حذيفة بن اليمان ليبارز أباه[5] لولا أن مُنِع من ذلك، وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاله العاص بن هشام بن المغيرة[6]. وقال سعد بن أبي وقاص: «والله ما حَرَصت على قتل رجل قط ما حَرَصت على قتل عتبة بن أبي وقاص»[7]؛ لِما فعله برسول الله ﷺ والمسلمين يوم بدر.

فلو لم تكن العقيدة المحرك الأساسي لهؤلاء، لما أقدموا على مثل ذلك ولما استعدوا لمثل هذه التضحيات.

---

(١) انظر ابن إسحاق، كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ص٣٢٤، وانظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) ابن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس الأنصاري الأوسي، غسيل الملائكة، استشهد بأحد. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٣٦٠.

(٣) انظر الواقدى المصدر السابق، ج١ ص٢٧٣، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٢٢.

(٤) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٠٨.

(٥) انظر الواقدي، المصدر السابق ص٧٠.

(٦) انظر المصدر السابق، ص٩٢.

(٧) الطبري، المصدر السابق، ج٢ ص٥١٩.

لما رجع عبدالله[1] ورافع[2] رضي الله عنهما ابنا سهل من أحد وبهما جراح كثيرة، أتاهما نبأ خروج الرسول ﷺ في طلب العدو، ولم يكن بهما قدرة على الخروج بسبب تلك الجراح، لكنهما خرجا يتجاران ويزحفان ويحمل أحدهما الآخر على ظهره[3]؛ لأن استعدادهما قد تجاوز ذلك إلى بذل النفس فداءً للحق، ولا يعوقهم عن ذلك عائق مهما كان.

إن قوة العقيدة وتأصلها في النفس دفع عبدالله بن رواحة رضي الله عنه أن يقول في غزوة مؤتة عندما طلب منه المسلمون الكتابة إلى رسول الله ﷺ بطلب المدد بالرجال: «... ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به»[4] فمنه يجب أن نطلب المدد والعون، لا من الرسول ﷺ ولا من المسلمين. فالقوة المادية والكثرة العددية إذا لم يصاحبها قوة عقدية فهي لا شيء.

وعند محاصرة المسلمين لحديقة الموت يطلب البراء بن مالك[5] رضي الله عنه من المسلمين أن يلقوه داخل الحديقة، فيلقوه بين أعداء

---

(١) ابن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، شهد بدرًا وأحدًا واستشهد يوم الخندق. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣ ص٤٤٦.

(٢) (تقدم نسبه)، شهد أحدًا، وسائر المشاهد بعدها، واستشهد يوم اليمامة. انظر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١ ص٤٨٦.

(٣) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٣٥-٣٣٦، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٣٤-٥٣٥.

(٤) المصدر السابق، ج٣ ص٣٧.

(٥) ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، أخو أنس، شهد أحدًا وما بعدها، وله في اليمامة ذكر حسن استشهد يوم تستر في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر ابن حجر، الإصابة ص٨٤، ١٤٧.

شاكي السلاح، فيقاتلهم وحده، ويفتح الباب للمسلمين[1]، فما الذي دفعه إلى ذلك، وأي قوة معه يثق بها حتى يقدم على هذه التضحية، إنها العقيدة الراسخة المتأصلة.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يتعاهد أمراء جيوشه بالموعظة، والوصية بالتقوى بقدر المستطاع، فكان مما قاله لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما سيره لحرب المرتدين: «أما بعد يا خالد: فإني قد أمرتك بالجد في أمر الله، والمجاهدة لمن تولى عن سبيل الله . . . وعهدي إليك يا خالد أن تتقي الله وحده لا شريك له . . . واستوص بمن معك من المسلمين خيرًا . . . »[2].

وقال للجند الذين وجههم إلى الشام: «ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد؛ فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لَـمَا ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة»[3].

وكان قادة الجيوش يحرصون على تعاهد جندهم بالموعظة، وإحياء أصول العقيدة في نفوسهم.

لما وصل إلى خالد بن الوليد كتاب أبي بكر الذي يأمره فيه بالتوجه إلى

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٢٩٠، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٤٦.
(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج١ ص٢٦-٢٧.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص٣٩٠.

الشام لمعاونة إخوانه هناك، كان الطريق شاقا وصعبًا، عند ذلك أدرك خالد أن إيمانه في موضع امتحان، وهو يؤمن بأن كلمة الله يجب أن تكون الأعلى، وأن تنتشر متخطية في ذلك كل الصعوبات والعقبات، فقام في جنده قائلًا: «لا يختلفن هديكم، ولا يضعفن يقينكم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، وإن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له»[1]، فكان في ذلك إيقاظ لأصول العقيدة فيهم، حيث ساروا في عزيمة صادقة، مستمدين قوتهم من عقيدتهم، مستسهلين كل صعب وشاق في سبيلها، وفي آخر أيام المسير نحو الشام فقدوا الماء، إلا أنهم لم يفقدوا إيمانهم، بل تحملوا وصبروا وعلموا أنهم في امتحان آخر، فلم يتخل أحد منهم عن إيمانه، حتى جاءهم الفرج ممن بيده الفرج[2].

وكان المثنى بن حارثة يطوف في صفوف جنده، ويقف عند كل راية يحضهم على القتال، ويأمرهم بأمره، ويثير فيهم مشاعر الإيمان الصادق[3]. وقال عمرو بن العاص لأبي بكر رضي الله عنهما لما أراد أن يوجهه إلى الشام: «إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي»[4].

(١) المصدر السابق، ص٤٠٩.
(٢) انظر المصدر السابق، ص٤٠٩، ٤١٠.
(٣) انظر المصدر السابق، ص٤٦٥، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٠٤.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٣٨٩.

ولما أصيب مسعود بن حارثة[1] في وقعة البويب[2] لم تشغل الإصابة باله، ولم يطلب النجدة لإسعافه، بل كان يرقب سير المعركة، ورأى تضعضعًا من قومه فنادى فيهم: «ارفعوا رايتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرعي»[3]، فالدفاع عن العقيدة يجب أن يكون مقدمًا على كل شيء حتى على النفس، فهو يصارع الموت، لكن حسه وتفكيره منشغل في أمر العقيدة وكيف يسهم في إعلائها، فلم يجد إلى ذلك سبيلًا سوى حثهم على رفع رايتهم، والسعي في ذلك مهما حل بهم. فكان كل شيء فيه مصلحة للدين، وإعلاء كلمة التوحيد، فهو مقدم على ما سواه.

تلقى المثنى بن حارثة أمر أبي بكر بأن يتولى خالد بن الوليد قيادة الجيش الإسلامي في العراق، وكان قبل ذلك هو القائد المنتصر الذي لم يتضعضع ولم يبخل بجهد، فتنازل عن القيادة راضيًا، وعمل جنديًّا تحت قيادة خالد[4] ولم يؤثر ذلك في نفسه؛ لأن في كل ذلك خدمة للدين. وتكرر الموقف نفسه مع المثنى حيث ترك القيادة في عهد عمر لأبي عبيد بن مسعود[5]، ثم آلت

---

(١) الشيباني، أخو المثنى بن حارثة، من شجعان العرب في الجاهلية والإسلام، سكن الشام وشهد وقائع الفرس وله فيها ذكر حسن، استشهد في وقعة البويب سنة ثلاث عشرة للهجرة. انظر الزركلي، الأعلام، ج٧ ص٢١٧.

(٢) نهر كان بالعراق موضع الكوفة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٥١٢.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٦٧.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٣٤٤-٣٤٥، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٦٢.

(٥) ابن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي أسلم في عهد الرسول ﷺ، واستعمله عمر سنة ثلاث عشرة، وسيره إلى العراق في جيش كثيف إليه ينسب الجسر المعروف بجسر أبي عبيد؛ لأنه كان أمير الجيش في تلك الوقعة التي كانت عند الجسر، قتل ذلك اليوم شهيدًا. انظر ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥ ص٢٠٥.

إليه بعد مقتله[١]، وتركها مرة أخرى لسعد بن أبي وقاص[٢]. فكان يتنازل عن القيادة طائعًا مختارًا، ويتحول إلى جندي، كل ذلك وهو في غاية الرضا، لا يجزع إن كان جنديًّا، ولا يفرح إذا كان قائدًا، فأي روح يحملها هذا الرجل؟ إنها روح العقيدة الإسلامية التي فيها تذوب الذات الإنسانية.

وفي اليرموك[٣] قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر وخلافة عمر رضي الله عنهما، وعزل خالد عن القيادة، وتأمير أبي عبيدة، وكانت صولة الحرب قد احتدمت من كل جانب، فلما وصل البريد إلى خالد لم يغضبه ذلك، بل كان همه الأول المحافظة على الروح المعنوية للمسلمين، فأسر الخبر لئلا يحصل ضعف أو وهن، واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة، ولما تحقق النصر للمسلمين بقيادته تنازل عن القيادة[٤]، ورضي بأمر الخليفة، وصار جنديًّا عاديًّا في جيش المسلمين بعد أن كان قائدًا عامًّا قبل ذلك بروح عالية اكتسبها من عقيدته القوية الراسخة، فالقيادة ليست غاية يسعى إليها، إنما الجهاد في سبيل الله غايته، وتلك غاية تتحقق عن طريق القيادة والجندية على حد سواء.

ولما وجه عمر رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى العراق،

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٤٤٥، ٤٥٥-٤٦٠، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٩٧، ٣٠١.

(٢) انظر المصادر السابقة، ص٤٨٣، وانظر ص٣١٠.

(٣) واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن جرت به الوقعة الشهيرة بين المسلمين والروم. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص٤٣٤.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٣٩٨، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٣.

قال له: «إنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق فعود نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتادًا فعتاد الخير الصبر، فالصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . . .»[1]. وكتب إليه مرة أخرى: أما بعد: «فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما، والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، والحذر الحذر على من أنت عليه وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) . . .»[2]. فكان تقويم المقاتلة من أولى اهتمامات القادة والولاة. قبل القادسية أمر سعد بن أبي وقاص مجموعة من الوعاظ وأهل الرأي أن يقوموا في الناس بما يحق عليهم عند مواطن البأس، فقاموا وذكروا الناس وحرضوهم على القتال[3]، فكان مما قيل: «إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفي الصبر الراحة، فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوها الجزع فتعتادوه»[4]، ولما ندب سعد ابن أبي وقاص الناس إلى عبور دجلة أحجم الناس عن الخوض في النهر فتقدم رجل من المسلمين، فقال: أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا

(١) الطبري، المصدر السابق، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص٤٩١.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٥٣٣، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٢٥.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٥٣٥.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا...﴾[1]، ثم اقتحم بفرسه، وعبر النهر، وتبعه المسلمون[2]، فإيمان هذا الجندي بالله، وعقيدته الراسخة، دفعه إلى ذلك العمل النبيل.

ولما قال رجل من أهل فارس للمغيرة بن شعبة[3]: إن الملك كان منجماً قد حسب لك ونظر في أمرك، غدًا ستفقأ عينك، قال له المغيرة: «بشرتني بخير وأجر، ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين؛ لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضًا»[4]. فهو يتمنى بقاء عينه لا ليتمتع بها في حياته ولكن ليجاهد بها في سبيل الله.

وفي المقابلات التي كانت تتم بين رسل المسلمين والأعداء تجلت قوة العقيدة الإسلامية فيهم، فكانت تصرفاتهم جميعًا موافقة لمبادئ العقيدة إجابتهم واحدة، وسلوكهم واحد، وتفكيرهم ورأيهم متفق، ومعاملتهم للأعداء واحدة، لم يضعف أحد منهم أمام الأعداء، ولم يذل أو يهن، فهذا المغيرة بن شعبة وجماعة من المسلمين يسيرون إلى يزدجرد، ويمرون على رستم أحد عظماء الفرس فلا يلتفتون إليه، ولا يلقون له بالًا أو أهمية

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٥.

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٦٤.

(٣) ابن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، أبو عيسى أو أبو محمد، أسلم قبل عمرة الحديبية. وشهد بيعة الرضوان. واليمامة وفتوح العراق والشام، كان من دهاة العرب، ولاه عمر الكوفة وأقره عثمان، ثم عزله وولاه إياها معاوية بعد ذلك، فاستمر على إمارتها حتى مات سنة خمسين للهجرة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٤٣٢.

(٤) انظر الطبري، ج٣. ص٥٢٤، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٢٢.

ويواصلون سيرهم إلى يزدجرد في هيئة يعلوها الوقار والعزة، حتى إن الناس خرجوا ينظرون إليهم، فهالهم ما رأوا من اعتزاز وثقة بالنفس فكان الرجل من المسلمين يعدل عشرة، فرعب منهم أهل فارس ووجلوا، ودخلوا على يزدجرد في مجلسه، فكلموه بين وزرائه وحجابه وأنصاره، فلم يداهنوه في كلامهم، بل هددوه وتوعدوه[1]، فكان مما قال له المغيرة: « . . اختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تُسلم فتُنجي نفسك. فقال: أتستقبلني بمثل هذا؟ فقال: ما استقبلت إلا من كلمني، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به . . . »[2]. ولما سأل عن معنى صاغر، أجابه المغيرة بقوله: «الصاغر أن تؤدي الجزية وأنت قائم، والسوط على رأسك!»[3].

ولقد عبر يزدجرد عما رأى منهم بقوله لرستم: «ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي، وما أنتم بأعقل منهم، ولا أحسن جوابًا منهم . . . لقد وعد القوم أمرًا ليدركُنَّه أو ليموتُنَّ عليه . . . »[4].

فكانت العقيدة الإسلامية هي التي أبدلتهم من حالهم السابقة قبل الإسلام، حال الذل والهوان إلى هذه الحالة التي دفعت بهم إلى تهديد يزدجرد في سلطانه بين جنده وأنصاره، حتى إن أحدهم ليمتهن ويحتقر ما لديهم من زخارف الدنيا، ويشعرهم بأن ذلك لا يعني له شيئًا، فلا

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ص ٤٩٧-٥٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص٥٠٠، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٤٢.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج١ ص٢٠٠.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٥٠١.

يحتفل به. عندما أقبل ربعي بن عامر[1] على رستم، أظهر له أهل فارس الزبرج[2]، وبسطوا له النمارق[3] ولبس رستم زينته وجلس على سريره المذهب، ومن حوله النمارق والوسائد المنسوجة بالذهب. وأقبل ربعي على فرسه، فلما وصل إلى الوسط قيل له انزل، فحمل على فرسه ودخل بها، فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين مذهبتين، ولم يستطيعوا أن ينهوه، وطُلِب منه وضع سلاحه فرفض ذلك، ودخل على رستم وهو يتوكأ على رمحه ويقارب خطاه، ويزج النمارق والبسط، فما ترك منها شيئًا إلا خرقه وأفسده، فلما دنا من رستم جلس على الأرض، وركز رمحه على البسط، فلما سئل عن ذلك العمل قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه[4]. فكان في ذلك احتقارًا وامتهانًا لهم ولما عندهم من زخارف الدنيا.

وعندما كتب ملك الصين إلى قتيبة بن مسلم أن ابعث إلينا رجالًا منكم يخبرونا عنكم وعن دينكم بعث إليه اثني عشر رجلًا من المسلمين دخلوا عليه في ثلاثة أيام متتالية، وفي كل يوم يأتون بهيئة مختلفة عن السابق، ففي اليوم الثالث: (نظر إليهم صاحب الصين، فرأى أمثال الجبال مقبلة، فلما دنوا ركزوا رماحهم، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين، فقيل لهم قبل أن يدخلوا: ارجعوا؛ لما دخل قلوبهم من خوفهم)[5].

---

(١) ابن خالد بن عمرو. أمد به عمر المثنى بن حارثة. وكان من أشراف العرب. له ذكر في غزوة نهاوند. ولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٤٩١.

(٢) جوهر معروف. انظر الرازي، الصحاح، ص٢٦٨

(٣) النمرقة: وسادة صغيرة. انظر المصدر السابق، ص٦٨٠.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٣، ص٥١٩-٥٢٠، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٢٠.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٦ ص٥٠٢.

فرجعوا، فقال الملك لأصحابه: كيف رأيتموهم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء. وبعث إليهم مرة أخرى طالبًا مقابلة زعيمهم فقط، فجاء هبيرة ابن مشمرج[1]، فلما هدده بالقتل، قال له: لسنا نكره القتل ولا نخافه لأن لنا آجالًا إذا حضرت فأكرمها القتل، وإن أميرنا حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويُعطَى الجزية[2]. فلم يقابل تهديده بعدم المبالاة فحسب، بل هدده بسلب ملكه.

هكذا أذل المسلمون الكفر وأهله، وملأوا قلوبهم رعبًا وخوفًا حتى أصبح الجندي المسلم لا يتجه إلى ناحية من النواحي إلا أُرعب أهلها وخافوا، وما ذلك إلا لصدق الإيمان وقوة العقيدة التي كانوا يحرصون عليها أكثر من حرصهم على السلاح المادي، كتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد قادته كتابًا يأمره فيه: «بتقوى الله على كل حال نزل به من أمر الله فإن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة . . .»[3]. وتفاعل جند الإسلام مع العقيدة فتحرروا من سلطان الدنيا وما عليها، فلم يركنوا إليها ولم يطمئنوا لما فيها.

وجد صلاح الدين أحد رجاله قد بنى له دارًا كبيرة في أحد القلاع فغضب عليه وقال له: «إنا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد

---

(١) الكلابي، أحد الأشراف والشجعان الفصحاء، كان مع قتيبة حين غزا الصين، توفي بفارس سنة ست وتسعين. انظر الزركلي، الأعلام، ج٨ ص٧٦.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٠١-٥٠٢، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٣٥-١٣٦.

(٣) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص٧١.

وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله، وهذا الذي عملته مما يثبط النفوس، ويقعدها عما خلقت له»[1].

وهكذا نجد أثر العقيدة الإسلامية في نفوس جند الإسلام، وكيف صنعت منهم رجالًا لا يهابون أحدًا إلا الله مهما بلغت قوته المادية ووجاهته الدنيوية، لا يؤثر فيهم التهديد والوعيد؛ لأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وهبوا أنفسهم لهذه العقيدة فأعرضوا عن معوقات خدماتها من زخارف الدنيا الفانية، وحملوا أرواحهم مقبلين فيها غير مدبرين في أوقات الشدة والبأس، وتعاونوا مع إخوانهم في سبيل نصرة الحق، فلم يذلوا ولم يستسلموا، ولم يخضعوا لمخلوق، حتى نالوا مجدًا لم يبلغوه من قبل، فقادوا العالم، وخُطِب ودهم ورُهِب جانبهم، فخافهم جبابرة الخلق، وخشي لقاءهم الأكاسرة، وساد الأمن والسلام بلادهم الفسيحة.

فقبل معركة القادسية هاب أهل فارس وأشفقوا من قتال المسلمين وجعل رستم وغيره من قادتهم يتهربون من اللقاء والمواجهة، بل إن يزدجرد كان خائفًا وجلًا، فاتقى اللقاء بالضغط على قائده رستم الذي لم يكن بأحسن حالًا منه، فطلب إعفاءه أكثر من مرة، وكان يتحجج لذلك بحجج واهية[2]، أملاها عليه الرعب والخوف الذي سيطر على حواسه وشل جوارحه وتفكيره، ودفعه إلى أن يقول: «. . . لا أرى هؤلاء القوم

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٢٩.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٨٢، ٥٠٣، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣١٤-٣١٥.

إلا سيظهرون علينا، ويستولون على ما يلينا . . .»[1]، قال ذلك وهو القائد الذي يجب عليه الحرص على رفع الروح المعنوية لجنده، إلا أن الرعب أنساه كل شيء.

بل إن خشية لقاء المسلمين وقتالهم دفع بالكثير إلى تسليم بلدانهم بدون قتال.

واستمر المسلمون في ذلك المجد والعز قرونًا طويلة، قدموا خلالها للبشرية شتى العلوم والمعارف، وأناروا لهم الطريق بتحريرهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، وصنعوا أعظم الحضارات وأمثلها واستمروا في ذلك العز حتى غيروا وبدلوا في أنفسهم، فغير الله حالهم بعد أن غيروا نواياهم وأعمالهم وسلوكهم، قال تعالى: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[2].

فسلبهم الله ما وهبهم من نعم، فضعفوا بعد قوة، وحلت بهم البلايا والمصائب، وتخلفوا عن غيرهم من الأمم، وتعرضوا للغزو والاستعمار وسلبت بلادهم، وبلغ بهم الضعف مبلغه، كل ذلك بسبب ضعف العقيدة عندهم، وجهلهم بمبادئها وتعاليمها رغم ما بأيديهم من الأموال والأعداد البشرية الهائلة، إلا أن ذلك لم يغني عنهم شيئا وأصبحت جيوشهم كبيرة العدد والعتاد، قليلة التأثير والإرهاب حتى أنهم طلبوا النصر والحماية من أعدائهم.

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص٥٠٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٥٣.

عملوا على إعداد الجندي العسكري إعدادًا بدنيًّا وماديًّا، ورأوا في ذلك طريقًا لتحقيق النصر، وأهملوا الجانب الروحي للمقاتل؛ لأن ذلك ما أوحى به إليهم أعداء الإسلام الذين عرفوا أن قوة المسلمين أساسها ومنبعها العقيدة، فصاروا يحسبون لها ألف حساب، فحذروا أجيالهم منها، وتواصوا فيما بينهم على أن لا يبقوا لها أثرًا في نفوس أبناء المسلمين فعملوا في محاربتهم فكريًّا على إبطال فاعلية العقيدة الجهادية لدى المسلمين، وهذا ما نعيش نتائجه اليوم.

إذًا فالجندي المقاتل، والإنسان عمومًا: «لا قيمة له من الناحية العسكرية بدون عقيدة تجمع شمله، وتوحد صفوفه، وتشيع فيه الانسجام الفكري الذي بدونه لا يتم تعاون ولا اتحاد. وروح الإنسان أغلى ما يملكه الإنسان، فمن المستحيل أن يضحي بها مقبلًا غير مدبر إلا إذا كانت لديه عقيدة راسخة، وأهداف سامية، وكتل الحديد التي هي السلاح والعتاد لا جدوى منها ولا فائدة فيها إذا لم يستعملها إنسان ذو عقيدة راسخة ومثل عليا»[١].

(١) محمود خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص٣٣-٣٤.

المبحث الثاني

ربط النصر بالإيمان

النصر غاية يسعى إليها كل إنسان في كل عمل دنيوي أو أخروي وكل يعد العدة لأجل تحقيق النصر والظفر به، ومن بيده النصر في أمر ما يبذله لأوليائه وأصفيائه ممن تتحقق فيهم موجبات نصره وتأييده.

والنصر الإلهي وعد الله به فئة من عباده المؤمنين، وقيده بشرط، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١] وقال تعالى: ﴿. . . وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢] فهذا وعد من الله وقسم بأن ينصر من ينصره من المؤمنين[٣].

وكيف ينصر المؤمنون الله ليتحقق لهم النصر من عنده؟ أجاب الله سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٤].

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.

(٢) سورة الحج، الآية ٤٠.

(٣) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج٣ ص٤٥٧.

(٤) سورة الحج، الآية ٤١.

فالمراد بنصر الله: نصر دينه ونبيه وأوليائه[1]، والامتثال لأوامر هذا الدين أولى أمارات نصره.

وقال ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[2]. فالعبادة والإخلاص من مقومات نصر الله لعباده، يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «عمل صالح قبل الغزو، فإنكم إنما تقاتلون بأعمالكم»[3].

ويقول سيد قطب: «إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وأن لا تشرك به شيئًا، شركًا ظاهرًا أو خفيا، وألا تستبقي فيها معه أحدًا ولا شيئًا، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها، ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحركاتها وسكناتها وسرها وعلانيتها ونشاطها كله وخلجاتها، فهذا نصر الله في ذوات النفوس، وأن لله شريعة ومنهاجًا للحياة تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة»[4]. ويقول محمود خطاب: «نصر الله إيمان به، وثقة بقدرته، وعمل بتعاليمه، ثم إعداد لمتطلبات القتال التي أمر الله بها»[5].

---

(١) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص٧٢، وانظر الشوكاني، المرجع السابق.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصحيح، ج١ ص٤٠١، رقم الحديث (٢٦٢٠)، وانظر سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف.

(٣) عبدالله بن المبارك، كتاب الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، ص٦١، وانظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٣.

(٤) طريق الدعوة في ظلال القرآن، ج١ ص٣٤٦.

(٥) الإسلام والنصر، ص٥٥.

فنصر الله ليس مع ادعاء الإيمان، بل مع الالتزام التام بها تمليه عليهم كلمة الإيمان من معان[1]، فالنصر ارتبط بالإيمان وجودًا وعدمًا، والإيمان ارتبط بالعمل الصالح الدال على صدقه.

ولم تكن سنة الله أن يؤيد مخلوقًا بدون عمل، ولو كان ذلك لأيد نبيه محمدًا ﷺ من دون عمل، فهو الأولى بذلك.

والنصر المرتبط بالإيمان سنة الله في الأولين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ • وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[3].

فجرت السنة الإلهية أن يكون نصر الله وتأييده لمن امتلأ قلبه إيمانًا وحافظ على واجبات دينه، ونصر نهجه في الحياة، قال تعالى: ﴿... وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وقال تعالى موجهًا عباده إلى الاقتداء بأسلافهم من أتباع الأنبياء: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ • وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[5]، فما أصابهم لم يكن ليؤثر فيهم، بل توجهوا إلى الله

---

(١) انظر شوقي خليل، عوامل النصر والهزيمة، ص٩.

(٢) سورة الصافات، الآية ١٧١-١٧٣.

(٣) سورة غافر، الآية ٥١.

(٤) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٤٦-١٤٧.

يستغفرونه ويطلبون منه الثبات والنصر، فجعلوا من إيمانهم بالله سلاحًا يواجهون به الأعداء، قال تعالى مبينًا الإيمان الذي يجب أن يكون عليه مبتغي نصر الله وتأييده: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(١).

هذا هو الإيمان الذي يجب أن يتحلى به طالب النصر، إيمان خالص من الشوائب، صادر من القلب، يجعل المسلم لا يعيش لنفسه، بل لإخوانه إيمان يزيل من النفس جميع أنواع الشر، وينمي فيها الإيثار والفداء والتضحية في سبيل الله، فمن قاتل حمية، أو شجاعة، أو عدوانًا فليس له من نصر الله نصيب(٢).

إذًا فصلاح الجند وقوة إيمانهم يستدعي نصر الله وتأييده مهما بلغت قوة الأعداء المادية، وكثرتهم العددية، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(٤)، فالله هو العلي الكبير وهو الحق، وأولياؤه هم أولياء الحق، فلابد أن ينصروا إذا حققوا الولاية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(٥).

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٥.
(٢) انظر عبدالرحمن عزام، الرسالة الخالدة، ص٣٤-٣٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٠.
(٤) سورة الحج، الآية ٦٢.
(٥) سورة النساء، الآية ٧٦.

لذا كان تأييده تعالى في جانب القوم الذين يوالونه ويوالون أولياءه، قد ملأ الإيمان قلوبهم، وأحاطت بهم الثقة بالله، وحافظوا على واجبات شريعته ما استطاعوا، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١)، فلم تقتلوا أيها المسلمون أعداءكم بحولكم وقوتكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم، بل الله سبحانه وتعالى هو الذي قتلهم، وأنت يا محمد لم تكن الرامي حينما رميت المشركين بالتراب، بل الله هو الذي رمى وبلغ ذلك إليهم، وعون الله هو الذي أثر فيهم(٢). وهذا توجيه لجند الإسلام، فصلاح الجيش قوة لا يضاهيها قوة مادية ولا معنوية، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(٣).

والنصر من عند الله لا من عند غيره، لا تنفع فيه الكثرة البشرية ولا المادية ولا جودتها فقط، وإنما بقوة الإيمان، والثقة بالله مع إعداد العدة المأمور بها يتحقق النصر الإلهي للمؤمنين.

والإيمان الصادق هو جوهر الاستعداد للقاء العدو الذي أمر الله به قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . . .﴾(٤)، فالقوة الروحية

---

(١) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٢٩٦، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٢٩٤-٢٩٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

التي تتمثل في الإيمان الصادق، والقلب المطمئن لوعد الله، والنية الخالصة داخلة في هذه القوة، فهي الدافع إلى الثبات والإقدام والتضحية في لقاء العدو.

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من وجود من لا يملأ الإيمان قلبه داخل الجيش الإسلامي، قال تعالى: ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾[1].

كما حذر تعالى من أن يدخل في إيمان المجاهد ما يؤثر عليه من أمور الدنيا فتكون العاقبة الهزيمة، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2]، هذا هو طريق النصر الإلهي كما بينه الله سبحانه وتعالى لمن رغب فيه.

في زمن الرسول ﷺ لم يكن يخرج للقتال إلا من بلغ به الإيمان حد الرغبة الجادة في البذل والتضحية في سبيل الله، وأدرك وفهم أن إيمانه تحت الاختبار، وأن الله قد يبتليه بالمخاوف والشدائد[3]، قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٣) انظر محمد فرج، الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، النظرية والتطبيق، ص٢٤٤، ٢٤٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

فلابد من الابتلاء ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، ولكي تعز عليهم بمقدار ما بذلوا في سبيلها، فيصبروا على مجالدة الأعداء ويستمدوا ذلك الصبر من الاتصال بالقوة العظمى[1]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾[3].

وكان ﷺ يأمر أصحابه بالصبر عند اللقاء، قال ﷺ لجنده في أحد أيامه: «**يا أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**»[4]؛ لأن في تمني لقاء العدو إعجابًا بالنفس، واتكالًا على القوة المادية، وعدم اهتمام بالعدو، كما كان ﷺ يوصي جنده وقادته بتقوى الله في السر والعلن، مبينًا أن القتال الذي لا يقوم على إيمان، ولا ينبعث من عقيدة، يؤدي إلى الهزيمة، والعاقبة الوخيمة، قال ﷺ: «**اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا . . .**»[5]، وكان ﷺ يوجه جنده إلى الاتصال بالقوة التي لا تغلب، واستحضاره تعالى في المعركة، وكثيرًا ما دعا ﷺ ربه قائلًا: «**اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، وبك أقاتل**»[6].

---

(١) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١ ص١٣٦-١٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء.

(٥) المصدر السابق، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث . . . .

(٦) حديث حسن غريب. سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٣ ص١٨٤.

وهو بذلك يسلِّم ويفوِّض الأمر كله لله بعد بذل الجهد، قال تعالى: ﴿... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

وفي بدر اطلع سبحانه وتعالى على جنده، فوجد قلوبًا مؤمنة، متوكلة عليه، راجية نصره وتأييده، غير مقترنة بسلاح ولا عدد، قد حققوا في أنفسهم وحياتهم أسباب النصر الذي وعدهم الله به، فأنجز لهم الوعد قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ • وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

ولما وقع منهم وما وقع في أحد رفع الله عنهم تأييده ونصره، وفي حنين كان الجيش الإسلامي في كامل عدته وعتاده، فداخلهم الغرور وأعجبتهم قوتهم وكثرتهم، وركنوا إليها في تحقيق النصر فلم تغن عنهم شيئًا، وحلت بهم الهزيمة فولوا الأدبار، وثبت ﷺ ونادى فيهم الإيمان الصادق الواثق من نصر الله الخالي من الإعجاب والغرور بالنفس، فعادوا وصدقوا الله فنصرهم[3]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ • ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[4].

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٩-١٠.

(٣) انظر مسلم، المصدر السابق، باب في غزوة حنين.

(٤) سورة التوبة، الآية ٢٥-٢٦.

ولتذكير المسلمين بما يجب عليهم اتباعه في قتال الأعداء، وما ينبغي أن يكونوا عليه من الثبات والصبر والاعتصام بالله للوقوف في وجه الباطل فقد كان الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح يحرصون على قراءة سورة الأنفال عند كل لقاء[1]؛ لما تضمنته من توجيهات إلهية يجب اتباعها عند قتال الأعداء.

والواقع التاريخي يقرر في ثقة تحقق وعد الله لمن نصره، ويبين أن ما لحق بالمسلمين من هزائم، كان بسبب نقص في حقيقة الإيمان، قال عباس بن عبادة بن نضلة[2] رضي الله عنه في أحد: «يا معشر المسلمين . . . هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم، وعدكم النصر فما صبرتم! . . .»[3]. فالهزيمة لم تكن لتلحق بهم لو لم يكن هناك ثغرة في إيمانهم.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي جنده بتقوى الله، ويحذرهم من أن يدخل في إيمانهم ما يسبب لهم الهزيمة، فالنصر أقرب لمن كان أقوى إيمانًا، قال رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين أمره بالتوجه إلى الشام: « . . . أتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتُخذل، وإياك أن تُدِل بعمل، فإن الله له المنّ، وهو ولي الجزاء»[4]. فالتجرد لله،

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٧.

(٢) ابن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف الأنصاري الخزرجي، بايع الرسول ﷺ بيعة العقبة، وأقام بمكة حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة فهاجر، فكان أنصاريا مهاجرًا، استشهد في أحد. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٢٦٢-٢٦٣.

(٣) الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٥٨.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٣٨٥، ٤٠٧، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣٥٢.

والاتجاه إليه بكل عمل من موجبات نصره وتأييده. وكتب إلى أمراء الشام يأمرهم بالاجتماع لحرب الروم في اليرموك، وقال لهم موصيًا: «... إنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب ...»[1]. وقال عمر رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص: «أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك بأن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عُدَّتنا كعُدتِهم، فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا»[2].

فللمعاصي آثار سيئة على مرتكبها، ويكفي أنها سبب لهوان العبد على ربه، قال تعالى: ﴿... **وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾[3].

فلا عزة إلا بعزة الله، ولا نصر إلا بنصره تعالى، مهما اجتهد المجتهدون، كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما حينما سأله

---

(١) المصادر السابقة، ص٣٩٣، وانظر ج٧ ص٥.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص١٣٠.

(٣) سورة الحج، الآية ١٨.

المدد لمواجهة الروم «جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا، وأحضر جندًا الله عز وجل، فإن رسول الله ﷺ قد نُصِر في يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا، فقاتلوهم ولا تراجعوني»[1].

وقال علي بن أبي طالب لعمر رضي الله عنهما عندما أراد الخروج إلى العراق: «... إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعز، وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده والعرب اليوم وإن كانوا قليلًا فهي[2] كثير عزيز بالإسلام ...»[3] وقال: «... إنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكنا كنا نقاتل بالنصر»[4]. فلم يكن النصر مرتبطًا بالقوة المادية، ولم يلجأ المسلمون إلى ذلك في يوم من الأيام، لذا فهم يحرصون على اجتناب كل ما من شأنه قطع صلتهم بالقوة العظمى، التي يلجئون إليها كلما اضطربت بهم الدنيا.

وعلى هذا المنهج الإسلامي القويم تعاهد قادة الجيوش الإسلامية جندهم بالوعظ والإرشاد، والحث على طهارة الضمير ونقاوة السريرة ليتحقق لهم النصر الإلهي؛ لإيمانهم بأن الإسلام لا يكلفهم فوق طاقتهم وإنما يطلب منهم بذل المستطاع، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء.

لما نزل خالد بن الوليد رضي الله عنه على غير ماء لمقاتلة هرمز في وقعة

---

(١) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٢٨.

(٢) هكذا ورد. والذي أراه كما ورد في بعض الطبعات: فهم.

(٣) تاريخ الطبري، ج٤ ص١٢٣-١٢٤، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص١٠٧.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٥، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص٣.

ذات السلاسل[1] طلب منه الجند الماء فقال لهم: «. . . جالدوهم على الماء، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، وأكرم الجندين . . .»[2]، ثقة منه بوعد الله تعالى، وإشارة إلى ما يجب أن يكون عليه المسلمون من الصبر والثبات والإيمان الصادق، وهما مفتاح النصر، فحط الجند أثقالهم، وقاتلوا الأعداء بعزيمة صادقة، وإيمان قوي، فجاءتهم تباشير النصر، بأن أرسل الله سبحانه وتعالى سحابة أغزرت ما وراءهم، فتقووا بها، وزادهم ذلك ثقة وأملًا بنصر الله.

قال سعد بن أبي وقاص لجنده وهو في طريقه إلى المدائن:[3] «. . .بادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا . . .»[4]، وقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات»[5]. فلم تكن القوة المادية تشغلهم، بل كانت القوة المعنوية قوة الإيمان همهم الأكبر، يحرصون على إحيائها وتقويتها وصيانتها، وبيان عاقبة الخلل فيها.

---

(١) سميت بذلك لأن الفرس اقترنوا بالسلاسل لئلا يفروا. انظر المصادر السابقة، ج٣ ص٣٤٨، وانظر ج٢ ص٢٦٢.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص٣٤٨، ٣٤٩، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق.

(٣) سبع مدائن هي مساكن الملوك من الأكاسرة، حيث كان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها، وسماها باسمه، فسميت مجتمعة بالمدائن. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص٧٤-٧٥.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص٩، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٦٤.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٢، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٣٥٧، وانظرابن كثير، المصدرالسابق، ص٦٥.

لما طال حصار الإفرنج لعكا[١] سنة (٥٨٦ هـ)، كتب القاضي الفاضل[٢] بمصر كتابًا يذكر فيه سبب طول الحصار وعدم تحقيق المسلمين للنصر: «. . . سبب هذا التطويل في الحصار كثرة الذنوب، وارتكاب المحارم بين الناس، فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ولا يُفرِّج الشدائد إلا بالرجوع إليه، وامتثال أمره، فكيف لا يطول الحصار وفي كل مكان فاشية، وقد صعد إلى الله منها ما يتوقع بعده الاستعاذة منه . . .»[٣]. وقال في كتاب آخر: «إنما أُتِينا من قبل أنفسنا، ولو صدقنا لعجَّل الله لنا عواقب صدقنا، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله ولا يرج إلا ربه، ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان، ولا فلان الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها، وإنما النصر من عند الله، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها، والنصر به واللطف منه، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا، فلولا أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل، وفيض دموع الخاشعين قد غسل، ولكن في الطريق عائق. . .»[٤]. فكانوا يبحثون عن العوائق التي تؤخر نزول النصر

(١) بلد على ساحل بحر الشام، ويقال لها عكة. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٤ ص١٤٣.

(٢) عبدالرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي بن القاضي السعيد أبي محمد ابن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني، أبو علي والملقب مجير الدين، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان، وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين، توفي سنة ست وتسعين وخمسمائة. انظر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج٣ ص١٥٨-١٨٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٣٩.

(٤) المصدر السابق.

فيجتنبوها، ويعملون على توثيق الصلة بالله والمداومة عليها، واللجوء إليه في كل أمر وعند كل ظرف.

خطب أسد بن عبد الله القسري[1] في جنده قائلًا: «وإن يرد الله نصركم لم يضركم قلتكم وكثرتهم، فاستنصروا الله. وقال: إنه بلغني أن العبد أقرب ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله، وإني نازل وواضع جبهتي فادعوا الله واسجدوا لربكم، وأخلصوا له الدعاء. ففعلوا، ثم رفعوا رءوسهم وهم لا يشكون في الفتح...»[2]، ولما شاور جنده في الخروج إلى خاقان قالوا له: اخرج إليهم، واستنصر الله عليهم[3]. فردوا تحقيق النصر إلى القوة التي لا تغلب، ولم يكن للقوة المادية تأثير عندهم؛ لثقتهم بأن النصر من عند الله لا يُقدِّمُ فيه ولا يؤخر نوع السلاح المادي أو البشري.

وفي ليلة معركة حطين[4] بات المسلمون ليلتهم يُحرض بعضهم بعضًا وقد وجدوا رائحة النصر والظفر، فأكثروا من التهليل والتكبير والتحميد وكأنه سلاحهم الذي يعدونه لمقاتلة العدو، وفي يوم المعركة كان صلاح الدين يطوف بين الصفوف يحرض على القتال، ويأمر الجند بما يصلحهم من الأقوال والأعمال، وينهاهم عما يضرهم ويؤثر في صلتهم بالله[5].

---

(١) البجلي، ولد ونشأ في دمشق، أمير من الأجواد والشجعان، تولى خراسان، سنة ثمان ومائة، توفي في بلخ سنة عشرين ومائة. انظر الزركلي، الأعلام، ج١ ص٢٩٨.

(٢) تاريخ الطبري، ج٧ ص١١٩، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٢٢٨.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق.

(٤) موضع بين طبرية وعكا. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٢٧٤.

(٥) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩ ص١٧٧.

وفي ليلة فتح القسطنطينية أعد الجند أنفسهم لمقاتلة الأعداء عن طريق إحياء الليل بالتهليل والتكبير والتحميد، وسؤال النصر ممن بيده النصر[1].

وهكذا نجد نتائج المدرسة الإسلامية في هؤلاء الجند الذين آمنوا بأن النصر ليس من أدواته العدة المادية، ولا من صنع الأيدي البشرية فقط، بل هو قبل ذلك حقيقة ربانية، يؤتيها الله من يشاء من عباده، متى شاء وكيف شاء، ويؤمنون بأن من نصر الحق في نفسه وفي منهج حياته كلها فقد نصر الله، ومن نصر الله نصره الله كما وعد بذلك، ومن حلت الهزيمة في نفسه وحاد عن طريق الله ولو كان منتسبًا للإسلام، فلن يكون لنصر الله إليه طريق.

ولقد ظل النصر ملازمًا للمسلمين أينما كانوا، حتى بدلوا وغيروا وفرطوا في جنب الله، ونسوا الله، واعتمدوا على عددهم وعدتهم، قال تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾[2].

سأل هرقل وهو على أنطاكية[3] حينما هَزَمَ المسلمون جيوشه: «أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى. قال فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن

---

(١) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، ص١٦٤.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٩.

(٣) أحد الثغور الشامية، من أعيان البلاد وأمهاتها. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٢٦٦.

المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض. فقال أنت صدقتني»[1].

وقال ملك الصين لرسول يزدجرد: «إن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدًا حتى يُحِلُّوا حرامهم ويُحرِّموا حلالهم»[2].

واليوم والمسلمون يطلبون ويرغبون في نصر الله لهم، أين هم منه يجيب عن ذلك الأمير شكيب أرسلان بقوله: «... الأمم الإسلامية تريد حفظ استقلالها بدون مفاداة ولا تضحية، ولا بيع أنفس ولا مسابقة إلى الموت، ولا مجاهدة بالمال، وتطالب الله بالنصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿... **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ**...﴾[3]، ويقول: ﴿... **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[4].

ومن المعلوم أن الله تعالى غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته تعالى إطاعة أوامره واجتناب نواهيه. ولكن المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم في ذلك أو أكثر، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالأنفس والأموال، ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة؛ لأنه يجده

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ص١٥.

(٢) تاريخ الطبري، ج٤ ص١٧٢، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص١٨-١٩.

(٣) سورة الحج، الآية ٤٠.

(٤) سورة محمد، الآية ٧.

أيسر عليه من القتل والبذل. ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي ﷺ وصحابته وسلف هذه الأمة، فإنهم الطبقة التي هي أولى بأن يسمع الله دعاءها. ولو كانت الآمال تبلغ بالأدعية والأذكار دون الأعمال والآثار، لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع، ألا ينظر الناس إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[1]، ولم يقل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ . . .﴾[2].

ولم يقل للمعتذرين عن القتال: ﴿. . . لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ . . .﴾[3].

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام، وكل ما لا يكلفهم بذل دم ولا مال، وانتظروا على ذلك النصر من الله. وليس الأمر كذلك، فإن عزائم الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام، ولا في الدعاء والاستغفار، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا»[4].

---

(١) سورة النجم، الآية ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ٩٤.

(٤) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مراجعة: حسن تميم، ص٤٧-٤٨.

المبحث الثالث

مكانة المجاهدين في الإسلام

الجهاد أمره عظيم، وفضله كبير؛ لشرف غايته، وعظيم نفعه، فغايته إعلاء كلمة الله ليكون الدين كله لله، ونفعه عام لفاعله ولغيره من الناس في الدنيا والآخرة. وقد ورد في فضله الشيء الكثير، ووعد المجاهدين بما لم يوعد به غيرهم.

ومن الممكن معرفة مكانة المجاهدين في الإسلام عند معرفة الثواب العظيم، والفضل الكبير، الذي وعد الله به المجاهدين وأعده لهم جزاء ما قاموا به من بذل لأنفسهم ولأموالهم.

الجهاد تجارة رابحة:

يعتبر المجاهد في تجارة مع الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[1].

وهذه التجارة كما بينها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2].

---

(١) سورة الصف، الآية ١٠.

(٢) سورة الصف، الآية ١١.

وثمنها ربح مضمون بيّنه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

فالجهاد تجارة رابحة ولو كانت يسيرة، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، ثم تقدم فقاتل حتى قتل، فقال النبي ﷺ: «عَمِل هذا يسيرًا، وأُجر كثيرًا»(٢).

وفي رواية: أَتى النبي ﷺ رجـلٌ مقنع بالحديد، فقال يا رسول الله: أقاتل وأسْلم قال ﷺ: «أسلم ثم قاتل» فأسـلم ثم قاتلَ فقُتِل، فقال رسول الله ﷺ: «عَمِل قليلًا، وأجر كثيرًا»(٣).

فهذا العمل لا جزاء له إلا الجنة، قلَّ أو كثر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٤).

وقال ﷺ لأبي سعيد الخدري(٥): «يا أبا سعيد من رضي بالله ربا،

---

(١) سورة الصف، الآية ١٢-١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٣.

(٤) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٥) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر وهو عذرة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج الأنصاري الخزرجي مشهور بكنيته، استصغر بأحد، مكثر من الحديث ومن أفقه أحداث الصحابة، مات سنة أربع وستين أو سبعين وقيل ثلاث أو خمس وستين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٣٢-٣٣.

وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا وجبت له الجنة»، فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليَّ يا رسول الله! ففعل، ثم قال ﷺ: **«وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض»** قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله. الجهاد في سبيل الله»**[١]. فتلك الدرجات لا يبلغها إلا المجاهدون، وهي أعلى درجات الجنة، قال ﷺ: **«... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة»**[٢].

وتلك المرتبة لا يبلغها إلا من جاء بمثل ما عملوا.

ذلك ثمن تجارة الجهاد في الآخرة، أما في الدنيا فالنصر والغنيمة وإذلال الكفر وأهله، قال تعالى: **﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾**[٣].

وقال ﷺ: **«تكفَّل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله، وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر أو غنيمة»**[٤].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله للمجاهدين في الجنة من الدرجات.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥٢.

(٤) مسلم، المصدر السابق، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

فالمجاهد فائز على كل حال، وهذا فضل عظيم، ودليل على مكانة المجاهدين في الإسلام.

وقد حرم الله سبحانه وتعالى النار على من جاهد في سبيله، قال ﷺ: «**لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدًا**»[١]، وقال: «**ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**»[٢]، فإذا كان ذلك لمجرد مس الغبار، فكيف بمن سعى وجاهد بماله ونفسه.

وقال ﷺ في فضل الجرح في سبيل الله: «**والذي نفسي بيده، لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم، والريح ريح المسك**»[٣]، ليكون معه شاهد بفضيلته لبذله في سبيل الله[٤].

والجهاد في سبيل الله أفضل ما تطوع به الإنسان، باعتباره وسيلة إلى إعلان هذا الدين، ونصره ونشره، وإخمادًا للكفر وأهله، ولاشتماله على العديد من ألوان العبادات الظاهرة والباطنة، فالزهد في الدنيا، ومفارقة الأهل والديار، وهجر الرغبات والملذات، والتوكل على الله، واليقين والإخلاص والتضحية بالنفس والمال والرغبة في الآخرة[٥]، الأمر الذي

(١) المصدر السابق، باب من قتل كافرًا ثم سدّد .

(٢) البخاري، المصدر السابق، باب ١٦ .

(٣) المصدر السابق، باب ١٠ .

(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٢٠٥ .

(٥) انظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٠٢-١٠٤، وانظر صديق بن حسن القنوجي البخاري، العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، تحقيق: محمد السعيد، ص١٦٤ .

جعل النبي ﷺ يصفه برهبانية الإسلام، حيث قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لرجل جاءه فقال له، أوصني. فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، «أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام ...»[1].

وسئل ﷺ أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[2].

وقيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «**لا تستطيعوه**»[3]، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، وقال في الثالثة: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت -أي المطيع- بآيات الله. لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى**»[4].

فالصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، والمجاهد في سبيل الله مثل من لا يفتر عن تلك الأعمال لحظة واحدة، وهذا لا يتأتى لأحد لقوله ﷺ: «**لا تستطيعونه**» لكن بالجهاد يستطيع المرء أن يحصل على ثواب ذلك وزيادة[5]؛ لأن لهم في كل حركاتهم وسكناتهم أجرًا، فعند عطشهم أو تعبهم أو جوعهم أو نزولهم منزلًا فيه إرهاب وإغاظة للأعداء يكتب

---

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٤٢٧، رقم الحديث: (٢٧٩١)، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٣ ص٨٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ١٨.

(٣) كذا هو في معظم النسخ، وفي بعضها: لا تستطيعونه.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله.

(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣ ص٢٥.

لهم فيه أجر وثواب[1]، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقال ﷺ: **«الغزو غزوان: فأما من غزا ابتغاء وجه الله تعالى، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد في الأرض، فإن نومه، ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرًا ورياءً وسمعة، وعصى الإمام وأفسد في الإرض، فإنه لن يرجع بالكفاف . . .»**[3].

والخروج في سبيل الله ولو لوقت قصير يحصل به الثواب العظيم قال ﷺ: **«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»**[4].

فالغدوة الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة من زوال الشمس إلى غروبها، وذلك وقت يسير، إلا أن فيه من الثواب ما يفوق نعيم الدنيا كلها لو ملكها الإنسان[5]، فإذا كان ذلك الثواب

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٤٠١.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

(٣) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٢٠٤، رقم الحديث (٥٧٩٧)، وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب في فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، وانظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٥.

(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج٣ ص١٦-١٧، وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص١٤.

العظيم لمن خرج غدوة أو روحة في سبيل الله، فما ظنك بمن خرج أيامًا وشهورًا عديدة، ومن قضى عمره في سبيل الله.

وقد أوجب الله تعالى لمن خرج مجاهدًا في سبيله أن ينال الخير على كل حال، فهو قبل خروجه إلى المعركة قد خاض جهادًا مع نفسه والشيطان مع هواه ومطامعه، ومع كل دافع غير دافع الإسلام، كل ذلك انتصر عليه وخرج من أجل تحقيق نصر سلطان الله في الأرض، فكان حقًّا على الله إعانة من ينصر سلطانه، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1]، وقال ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**»[2].

فضل المجاهدين على القاعدين:

يتفاضل أهل الإيمان في الدرجات على قدر تفاضلهم في العمل بتكاليف الإيمان، والمجاهد قد تميز عن غيره من المؤمنين بخروجه مجاهدًا بماله ونفسه؛ لذلك كان أجره عظيماً، ودرجته أعلى من درجات القاعدين عن الجهاد غير أولى الضرر. قال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً**﴾[3]، وقال تعالى:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٢) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٥٣٩، رقم الحديث (٣٤٩٧)، وانظر سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والمكاتب والناكح وعون الله إياهم.

(٣) سورة النساء، الآية ٩٥.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى جعل للمجاهدين أرفع الدرجات، وذلك دليل على علو مكانتهم عند الله.

فضل الرباط:

للمرابط في سبيل الله فضيلة ظاهرة يختص بها لا يشاركه فيها أحد وهي نمو عمله بعد الموت كما لو كان حيا، فهو قد فدى نفسه بها يعود نفعه على المسلمين، كما أنه من المقدمات الأساسية للجهاد التي لا يحصل غالبًا إلا بها، قال ﷺ: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه. وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأُمِن الفتان**»[2]، وقال: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر**»[3].

فالمرابط مطمئن القلب، ناهض العزيمة على انتشار نور الحق، فلهذا أمن الفتان.

وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[4]،

(١) سورة التوبة، الآية ٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل.

(٣) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ماجاء في فضل من مات مرابطًا، وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في فضل الرباط.

(٤) مسلم، المصدر السابق، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد الموت.

وهذا الحديث يدل على أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في الحالات التي ذكرها؛ لكونه سببها[1].

وحديث: «**كل ميت يختم على عمله إلا المرابط . . .** » يدل على أن غير المرابط لا ينمو له عمل، فكأن بين الحديثين تعارضًا، وللجمع بينهما يقال: إن ازدياد الأجر قد يكون بواسطة عمل إنسان آخر غير الميت، عن طريق انتفاعه بما تصدق به الميت، كمن تصدق بصدقة يدعى له عند الانتفاع بها، أو بواسطة دعاء ولده الصالح، أو دعاء من علَّمه علماً، وقد يكون ازدياد الأجر عن طريق عمل الإنسان نفسه من غير واسطة إنسان آخر، والمرابط من هذا النوع[2].

فضل رباط الخيل في سبيل الله:

قال ﷺ: «**من احتبس فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة**»[3].

وقال: «**الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال في مرج[4] أو روضة[5]، فما أصابت في طيلها[6] ذلك من المرج أو الروضة كانت له**

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١١ ص٨٥.
(٢) انظر السهارنفوري، بذل المجهود، ج١١ ص٤٠٦.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٤٥.
(٤) مرعى الدواب. انظر الرازي، الصحاح، ص٦٢٠.
(٥) الأرض ذات الخضرة. انظر المعجم الوسيط، ج١ ص٣٨٢.
(٦) الطيل: حبل تشد به الدابة، يمسك طرفه ويطول لها لترعى. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص٩.

حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت[1] شرفًا أو شرفين كانت أرواثها وآثارها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له، وأما الرجل الذي هي عليه وزر، فهو رجل ربطها فخرًا ورياءً ونواءً لأهل الإسلام، فهي وزر على ذلك ...»[2].

فالمرء يؤجر بنيته، ولو لم يباشر العمل[3]؛ لأن هذا العمل من مقدمات الجهاد الرئيسة التي لا يتحقق الجهاد غالبًا إلا بها.

فضل الحراسة:

قال ﷺ: **«حُرِّم على عينين أن تنالها النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر»[4]**، وقال: **«حرس ليلة في سبيل الله عز وجل أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها»[5]**؛ وذلك لأن الحراسة أحد مقدمات الجهاد الرئيسة.

فضل الرمي:

قال ﷺ: **«من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عَدل[6] محرر»[7]** فالرماية إحدى أدوات القتال التي يُكاد بها العدو، ويدخل في ذلك كل ما يرمى به في زماننا هذا.

---

(١) استن الفرس: جرى في نشاط؛ انظر المعجم الوسيط، ج١ ص٤٥٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٤٨.

(٣) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص:٥٧.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٥٧٢، رقم الحديث (٣٧٠٠).

(٥) حديث حسن. المصدر السابق، ص٥٧١، رقم الحديث (٣٦٩٧).

(٦) أي عدل تحرير رقبة.

(٧) حديث صحيح، المصدر السابق، ج٢ ص٦٠٥، رقم الحديث (٨٧١١)، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٤ ص١١٣.

فضل النفقة في سبيل الله:

يحتاج الجهاد إلى المال كما يحتاج إلى الرجال، فقد يوجد من لديه الرغبة في الجهاد، ولكنه لا يجد الزاد ولا الراحلة، فيكون ذلك عائقًا له عن الجهاد؛ لذلك كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية التي تدعو إلى الإنفاق في سبيل الله، والحث على كل ما أعان على الجهاد، وتُبين الفضل الكبير في ذلك، وكثيرًا ما جاءت الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله، وإعانة المجاهدين مقترنة بالدعوة إلى الجهاد، مما يدل على أنها بمنزلته، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١)، وقال تعالى مبينًا آثار النفقة: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

فترك النفقة تهلكة للنفس وللأمة؛ لما يترتب عليه من ترك للجهاد الذي تعتبر النفقة إحدى مقوماته الأساسية.

قال تعالى مهددًا تاركي النفقة في سبيل الله: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(٣).

وقال تعالى مبينًا فضلها: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٥.
(٣) سورة محمد، الآية ٣٨.

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وقال ﷺ: «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فُل[2] هَلُمَّ[3]**». قال أبو بكر: يا رسول الله، ذلك الذي لا توى[4] عليه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأرجو أن تكون منهم**»[5].

وجاء رجل بناقة مخطومة[6] فقال: هذه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة، كلها مخطومة**»[7]. ومثل النفقة كل عمل نافع يترتب عليه مساعدة المجاهدين ونصرة المسلمين، قال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[8].

فكل من أعان على الجهاد فهو بمنزلته في الأجر والثواب، كخلافة المجاهد في أهله، قال ﷺ: «**من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**»[9].

وكإعداد مُعَدات القتال وصناعتها، قال ﷺ: «**إن الله ليدخل بالسهم**

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦١.

(٢) أي فلان: انظر أحمد بن محمد القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج٥ ص٦٤.

(٣) تعال. انظر المصدر السابق.

(٤) لا بأس عليه. انظر المصدر السابق.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٣٧.

(٦) الخطام: الزمام. انظر الرازي، الصحاح، ص١٨١.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله، وتضعيفها.

(٨) المصدر السابق، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله.

(٩) المصدر السابق.

الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، والممد به . . .»[1].

ويدخل في إعانة المجاهد العمل على زيادة إنتاج البلاد لتغطية نفقات المجاهدين. وكذلك المحافظة على أمن البلاد الداخلي ليكون سندًا لهم.

ذلك قليل من كثير، وإلا ففضل الجهاد في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، ويكفي دليلًا على عظيم ثواب المجاهدين أن النبي ﷺ وهو سيد الأولين والآخرين يقول: «**والذي نفسُ محمد في يده! لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعةً فأحملهم ولا يجدون سعةً فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي**»[2].

وذلك رغبة منه ﷺ في ثواب الجهاد.

وما هذا الفضل العظيم والثواب الجزيل للمجاهدين إلا لأنهم:

١- حملة لواء الإسلام:

اقترن الجهاد في الإسلام بسبيل الله، أي مبادئه ومنهجه، فالمجاهد يقاتل لأجل التمكين لدين الله في الأرض، ومن قاتل لغاية أخرى فليس بمجاهد.

سئل ﷺ: عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، وفي رواية: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى

---

(١) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله.

(٢) مسلم، المصدر السابق، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1].

فالمقاتل لا يسمى مجاهدًا في سبيل الله إلا إذا قصد بجهاده إعلاء كلمة الله مخلصًا في ذلك، قال ﷺ: «**من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالًا فله ما نوى**»[2].

إذًا فالمجاهد في سبيل الله يسعى لإعلاء كلمة الله، والتمكين لدينه في الأرض، بحمله لواء الإسلام، ومشعل الهداية.

٢- أكمل الناس إيمانًا:

قال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ • إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾[3].

فالمؤمنون دأبهم المبادرة إلى الجهاد من غير توقف ولا انتظار الإذن من الرسول ﷺ، فضلًا عن أن يستأذنوه في التخلف، فهم يرون الجهاد قربةً إذا دعوا إليه بادروا وامتثلوا[4]. أما من استأذن واعتذر، فما ذلك إلا لأن في إيمانه خللًا ونقصًا.

---

(١) المصدر السابق، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، وانظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٥.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٢٥، رقم الحديث، (٨٨٧٤)، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٥ ص٣٢٩.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٤-٤٥.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٣٦١، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٣٦٦.

يقول ﷺ: «**من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق**»[1]، وقال: «**من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة**»[2] فمن نوى الجهاد ومات قبل أن يتمكن منه فليس عليه حرج، أما من مات ولم ينو الجهاد ولم يحدث به نفسه، فقد أشبه المنافقين.

٣- أفضل الناس:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟ فقال ﷺ: «**رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه**»، قال: ثم من؟ قال ﷺ: «**مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ربه، ويدع الناس من شره**»[3]، فالمجاهد أفضل ممن اعتزل الناس وتفرغ للعبادة؛ لما في عمله من النفع المتعدي لغيره من الناس[4].

والجهاد مادة ابتلاء يعرف بها أنصار الله، قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾[5].

فهو مادة يظهر بها حزب الله وأولياؤه، وهم من جاهدوا وصبروا على القتال، وتلك سنة الله في خلقه. قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[6].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو.

(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٤٤، رقم الحديث (٩٠١٢).

(٣) مسلم، المصدر السابق، باب فضل الجهاد والرباط؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٢.

(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٦.

(٥) سورة محمد، الآية ٣١.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢١٤.

ويظهر بها من كان في إيمانه خلل، ممن يعيش داخل المجتمع الإسلامي، ومنهم:

القاعدون من غير عذر:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وهم فئة صالحة داخل المجتمع الإسلامي، أسلمت كما أسلم الناس وآمنت كما آمنوا، ولكنها قصرت عن فهم معاني الجهاد، وما وعد الله به المجاهدين، وهم في حالة صحية تساعدهم على الخروج، لكنهم قعدوا من غير عذر؛ لأنهم لا يفقهون[2].

المتثاقلون، والمتباطئون:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٥.

(٢) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣ ص٢٤٠-٢٤١؛ وانظر محمد فرج، الاستراتيجية العسكرية، ص٢٢٩؛ وانظر المدرسة العسكرية الإسلامية، ص٢٩٧؛ وانظر أحمد نار، القتال في الإسلام، ص٤٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣٨.

فهم فئة تكاسلت عن الجهاد، لميلها إلى الانشغال بالدنيا، والمقام في الظلال، وطيب الثمار، مع الإيمان بلزوم الجهاد[١].

وقال تعالى في المتباطئين: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا • وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٢].

فهم فئة داخل المجتمع الإسلامي، يتظاهرون بالإيمان ولا يطمعون في عمل الخير، الطمع وحب الذات يبطئ بهم عن الخروج في سبيل الله فهم يتباطئون ويبطئون غيرهم عن الجهاد[٣].

المتخلفون الأغنياء:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

وتلك طائفة اشتغلت بالحياة الدنيا وجمع حطامها، وتركوا الجهاد بدون عذر حقيقي، وإذا دعوا إليه استأذنوا في التخلف واعتذروا بأعذار باطلة وحجج واهية.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج٣ ص٣٥٨؛ وانظر فرج، المراجع السابقة، ص٢٢٩؛ وانظر ص٢٩٨؛ وانظر أحمد نار، المرجع السابق، ص٤٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٢-٧٣.

(٣) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج١ ص٤٨٦؛ وانظر فرج، الاستراتيجية، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٤) سورة التوبة، الآية ٩٣.

المتربصون:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ • إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ • قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ • قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[1].

فهم تركوا الجهاد لأسباب باطلة؛ وأعذار واهية اعتذروا بها، يحزنون عند نصر المسلمين ويفرحون لهزيمتهم.

المرتابون:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ • وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ • لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[2].

فهم فئة حيارى مترددون، لا ثقة لهم بأنفسهم ولا بالله، يبذلون جهدهم لإشاعة الفتنة بين المجاهدين[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٩-٥٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٥-٤٨.

(٣) انظر فرج، المرجع السابق، ص٢٣٢-٢٣٣؛ وانظر أحمد نار، القتال في الإسلام، ص٥٠.

الظانون بالله غير الحق:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١).

فهم طائفة ذات إيمان متزعزع، تخاف على نفسها، وتسيء الظن بربها يتأسفون على الخروج للجهاد لعدم ثقتهم بوعد الله(٢).

المعوقون والمرجفون:

قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا • أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾(٣).

فهم فئة لا يحضرون القتال إلا رياءً وسمعةً مع قلة خروجهم له، يصدون غيرهم عن شهود القتال، ويدعونهم إلى الإقامة في الظلال والثمار(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٤٨-٤٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ١٨-١٩.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٣ ص٤٧٥؛ وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٤ ص٢٦٩.

وقال الله تعالى في المرجفين: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾(1).

وهم فئة تعمل على توهين جانب المسلمين، وعلو جانب أعدائهم عن طريق نشر الأخبار الكاذبة، والشائعات المغرضة(2).

المنافقون:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا • وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾(3).

فهم طائفة ذات شك وريب في الله عز وجل، في قلوبهم ضعف يظهرون الصلاح ويبطنون الكفر، شرهم عظيم وخطرهم على المسلمين جسيم، يدل على ذلك أليم عقابهم عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾(4).

فتلك فئات داخل المجتمع الإسلامي تدعي الإيمان، ويتضح أمرها عندما تُدعى للجهاد فتعتذر أو تتخلف، ويخرج حزب الله مجاهدًا في سبيله، ناشرًا نوره في الأرض.

مما سبق يتبين أن مكانة المجاهدين في الإسلام هي مكانة الجهاد في الإسلام، فالجهاد طريق الدعوة إلى الله، والمجاهدون هم حملة لوائها.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية ٦٠.

(2) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤ ص٢٤٥.

(3) سورة الأحزاب، الآية ١٢-١٣.

(4) سورة النساء، الآية ١٤٥.

ويظهر أثر ومكانة المجاهدين في الإسلام عند فقد الجهاد وتركه، قال تعالى: **﴿. . . وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[1].

فالمجاهدون يدافعون أهل الباطل، ويعملون على التمكين للحق ولولا الله ثم الجهاد لفسدت الأرض بعلو أهل الباطل، كما أن ترك الجهاد طريق إلى الذل والصغار، قال ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم»**[2].

لذلك وجب الجهاد في سبيل الله إلى يوم القيامة، وبيعة الجهاد معقودة في عنق كل مؤمن، تطالبه بالوفاء بها، لا يمنع ذلك جور جائر، ولا عدل عادل، قال ﷺ: **«الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برًا كان أو فاجرًا . . .»**[3].

وقال ﷺ: **«رأس هذا الأمر الإسلام، ومن أسلم سلم، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، لا يناله إلا أفضلهم»**[4].

فالمجاهدون ذروة الإسلام ومادته وروح الأمة، ودرعها الواقي بعد الله.

ولا أدل على علو مكانة الجهاد والمجاهدين من شغل آيات الجهاد حيزًا كبيرًا في القرآن، يكاد يبلغ نصف القرآن المدني[5].

---

(١) سورة الحج، الآية ٤٠.

(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٨١، رقم الحديث (٥١٤).

(٣) حديث حسن، المصدر السابق، ص٥٦٤، رقم الحديث (٣٦٥٣).

(٤) حديث صحيح. المصدر السابق، ج٢ ص٣، رقم الحديث (٤٣٧٣).

(٥) انظر محمد دروزة، الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة، ج١ ص٣٩٠.

المبحث الرابع

منزلة الشهداء عند الله

الشهداء كالأساس للبناء، والطاقة للمحرك، فهم قاعدة انطلاق الأمة نحو المجد والعزة، ولا يمكن لأمة أن تنهض وأن يعلو شأنها بدون شهداء، يضحون لأجلها بأنفسهم وأرواحهم، وهذه التضحية أقصى غايات الجود والنبل.

والشهداء في الإسلام بذلوا أنفسهم وأرواحهم فداء لعقيدتهم ودينهم فلم يروا أنفسهم شيئًا يستحق المحافظة عليه في هذه الحياة بجانب الواجب، بل تجردوا منها، وضحوا بها لما هو أهم وأجل، وبقيت آثارهم واضحة جلية، بل ومؤثرة في تكييف الحياة وتوجيهها.

وقابل الله سبحانه وتعالى ذلك الجود بأجود منه، حيث جعل للشهداء مكانة عظيمة، ودرجة عالية رفيعة، وكرامة غالية نبيلة.

وجاءت الآيات والأحاديث المتحدثة عن الشهداء ومنزلتهم بأسلوب قوي ونافذ إلى الأعماق، لتزيد الإيمان رسوخًا وتهاونًا بالموت وبالحياة الدنيا، بعد أن سما بالحياة عن محيط الأرض والمألوف إلى حيث الخلود والنعيم المقيم.

الشهيد في اللغة:

الشهيد: الذي لا يغيب عن علمه شَيْء. والشهيد الحاضر. وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل.

ولفظ الشهيد مأخوذ من المشاهدة أو الشهادة. فإن كان من المشاهدة:

فهو شهيد بمعنى شاهد؛ لأنه يشاهد من ملكوت الله ما لا يشاهده غيره من الأمور الظاهرة، فيكون كالحاضر. وإذا أضيف إليه الأمور الباطنة فهو الخبير، أما إذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم[(١)].

وقد يكون شهيدًا بمعنى مشهود؛ لأن الملائكة تشاهد قبضه والعروج بروحه.

أما إذا كان لفظ الشهيد مأخوذًا من الشهادة فيكون:

شهيد بمعنى مشهود: أي مشهود عليه، قال ﷺ حين وقف على شهداء أحد: «**أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة** . . .»[(٢)].

قال السهيلي: «قال ﷺ: «**عليهم**» ولم يقل: لهم، لأن المعنى: أجيء يوم القيامة شهيدًا عليهم، ولاية وقيادة، فوصلت بحرف على».

ومشهود له بالجنة.

قال السهيلي: «وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول، ويكون معناه: مشهود له بالجنة، أو يشهد عليه النبي ﷺ»[(١)].

---

(١) انظر: أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، قدم له وعلق عليه وضبطه: طه عبد الرءوف سعد، ج٣ ص١٩٥؛ وانظر ابن منظور، لسان العرب، ج٣ ص٢٣٨-٢٣٩؛ وانظر الزبيدي، تاج العروس، ج٢ ص٣٩١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٢٦.

شهيد القتال في الاصطلاح الإسلامي:

هو من مات من المسلمين في قتال الكفار، بسبب من أسباب القتال حال قيامه، سواء مات أثناء المعركة، أو بعد انقضائها بسبب جرح لا يتوقع معه الحياة[(١)].

فالشهيد هنا من قُتِل في معترك الكفار فقط.

وقيل: «من قتله أهل الحرب أو البغي، وقطاع الطريق، أو وجد في المعركة وبه أثر، أو قتله ذمي، أو مسلم ظلماً ولم تجب بقتله دية»[(٢)]، وهو هنا أعم من الأول.

الشهيد في الإسلام:

الشهادة لا تنحصر في قتيل المعركة، بل لها أسباب أخرى. وقد صحت الأحاديث في تعدادها، ففي بعضها خمسة، وفي بعضها الآخر سبعة. وورد للشهادة أسباب أخرى غير ذلك. وقد عنون البخاري في صحيحه: «باب الشهادة سبع سوى القتل»[(٣)]، وساق حديثًا فيه الشهداء خمسة مما يدل على أن العدد الوارد في الحديث ليس على معنى التحديد[(٤)].

قال ﷺ: «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**» قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «**إن شهداء أمتي إذًا لقليل**» قالوا: فمن هم

---

(١) انظر الفيروزابادي، المهذب، ج١ ص١٨٥؛ وانظر البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، راجعه وعلق عليه: هلال مصيلحي، ج١ ص١٠٠.

(٢) الزيلعي، تبيين الحقائق، ج١ ص٢٤٧.

(٣) كتاب الجهاد، باب ٣٠.

(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٤٣.

يا رسول الله؟. قال: «**من قتل في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في الطاعون فهو شهيد. ومن مات في البطن**[١] **فهو شهيد**»[٢].

وقال ﷺ: «**الشهداء خمسة: المطعون**[٣] **والمبطون**[٤] **والغرق**[٥] **وصاحب الهدم**[٦] **والشهيد في سبيل الله عز وجل**»[٧].

وقال ﷺ: «**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد**[٨]. **وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمع**[٩] **شهيدة**»[١٠].

قال ابن حجر: الذي يظهر والله أعلم أن النبي ﷺ أعلم بالأقل ثم أعلم بالزيادة على ذلك، ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك، ومما ورد في بيان الشهداء قوله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»[١١].

---

(١) صاحب داء البطن. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣ ص٦٢.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب بيان الشهداء.
(٣) هو الذي يموت بالطاعون. انظر النووي، المصدر السابق.
(٤) صاحب داء البطن. انظر المصدر السابق.
(٥) الذي يموت في الماء. انظر المصدر السابق، ص٦٣.
(٦) الذي يموت تحت الهدم. انظر المصدر السابق.
(٧) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٣٠؛ وانظر مسلم، المصدر السابق.
(٨) قرحة تكون في الجنب باطنًا. انظر النووي، المصدر السابق.
(٩) هي التي تموت حاملًا جامعًا ولدها في بطنها. انظر المصدر السابق.
(١٠) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٨٧، رقم الحديث(٤٩٥٢).
(١١) حديث حسن. المصدر السابق، ص٦٣١، رقم الحديث(٨٩١٧).

وقال ﷺ: **«السل شهادة»**[1].

وقال ﷺ: **«القتل في سبيل الله شهادة، والطاعون شهادة، والغرق شهادة، والبطن شهادة، والحرق شهادة، والسيل والنفساء يجرها ولدها بِسَرَرِها إلى الجنة»**[2].

وقال ﷺ: **«المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد، والغريق له أجر شهيدين»**[3]. والمائد في البحر هو الذي يدور رأسه باضطراب السفينة بموج البحر، وذلك في السفر الذي يكون للعبادة[4].

فمن مات متصفًا بإحدى الصفات السابقة، أو بغيرها مما ورد، فهو في حكم الشهيد. يقول ابن مسعود: « إن من يتردى من الجبال، ويغرق في البحور، وتأكله السباع، شهداء عند الله يوم القيامة»[5].

وقد عدد بعضهم الشهداء- غير شهيد المعركة- حتى بلغ بهم بضعة وأربعين شهيدًا، وهم المطعون، والمبطون، والغريق، والشريق، والحريق، وصاحب الهدم، وصاحب ذات الجنب، وصاحب السل، وصاحب اللقوة[6]، والصابر في الطاعون، والمتردي من رءوس الجبال[7]، ومن مات في سبيل الله، ومن مات في الحج، أو طلب العلم، ومن طلب الشهادة

(١) حديث حسن. المصدر السابق، ص٧٠، رقم الحديث(٤٨٢٣).
(٢) حديث حسن. المصدر السابق، ص٢٦٣، رقم الحديث(٦١٧٧).
(٣) حديث حسن. المصدر السابق، ص٦٥٩، رقم الحديث(٩١٣١).
(٤) انظر السهارنفوري، بذل المجهود، ج١١ ص٣٩٧.
(٥) ابن المبارك. كتاب الجهاد. ص٩٥.
(٦) داء في الوجه. انظر البهوتي، كشاف القناع، ج٢ ص١٠١.
(٧) إن لم يكن بفعل الكفار. فإن كان بفعلهم فمن شهداء المعركة. انظر المصدر السابق.

بنية صادقة، وموت المرابط، وأمناء الله في أرضه[1]، والمجنون، والنفساء واللديغ، ومن قتل دون ماله، أو أهله، أو دينه، أو دمه، أو مظلمته، وفريس السبع، ومن خرَّ عن دابته[2].

هؤلاء أصح من ثبت لهم وصف الشهادة. فمن مات متصفًا بإحدى تلك الصفات فهو أحد الشهداء في الإسلام.

أقسام الشهداء في الإسلام:

ينقسم الشهداء في الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

١- شهيد الدنيا والآخرة: وهو من قُتل في جهاد الكفار، مقبلًا غير مدبر، مخلصًا لله تعالى في جهاده. وهذا هو الشهيد حقيقة، له ثواب الشهداء في الآخرة، وتجري عليه أحكامهم في الدنيا.

٢- شهداء الآخرة: وهو شهيد ثواب الآخرة، دون أحكام الدنيا وهؤلاء الشهداء سوى شهيد المعركة في حرب الكفار.

٣- شهيد الدنيا: وهو من قاتل رياء وسمعة، أو تحت شعار دنيوي، أو قتل مدبرًا، أو غلَّ من الغنيمة. وهذا له حكم الشهيد في الدنيا، أما في الآخرة فليس له من ثواب الشهداء نصيب[3].

---

(١) هم العلماء. انظر المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق. ص١٠٠-١٠١؛ وانظر القنوجي البخاري. العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة. ص٢١٤-٢١٥.

(٣) انظر النووي، المجموع شرح المهذب، ج٥ ص٢٦٤؛ وانظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٤٤؛ وانظر سيد سابق، فقه السنة، ج٢ ص٦٣٤؛ وانظر حسن خالد حسن، الشهيد في الإسلام، ص٦١.

والذي أعنيه في هذا المبحث هو شهيد الدنيا والآخرة.

فالمقاتل وإن قتل في المعركة، لا يصدق عليه ما ورد من أجر وتكريم للشهداء إلا إذا أخلص النية لله في جهاده، وكان هدفه إعلاء كلمة الله وهيمنة شريعته، وسيادة منهجه في سائر الأرض.

قال ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأتي به فعرَّفه نعمه فَعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، قاتلت لأن يقال جريءٌ فقد قيل. ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار . . .**»[1].

فمن قاتل تحت شعار غير إسلامي، فهو شهيد لذلك الشعار والغاية التي لأجلها قَاتل وقُتل، قال ﷺ: «**. . . من قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ**[2] **يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة**[3] **فقتل، فقتلة جاهلية**»[4].

وبهذا يتحدد شهيد الدنيا والآخرة، ومن يصدق إطلاق هذه الكرامة عليه، فالشهداء فئة مختارة، انتقاهم الله سبحانه وتعالى من بين المجاهدين، قال تعالى: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

(٢) الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كتقاتل القوم للعصبية. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢ ص٢٣٨.

(٣) أي يقاتل عصبية لقومه وهواه. انظر المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال. . .

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

فالقتل في سبيل الله إنما هو اختيار، وانتقاء، وتكريم، واختصاص لمن اختصهم الله بالشهادة، وخصهم بقربه؛ ليستشهدهم على هذا الدين الذي بعث به إلى الناس، فيؤدون الشهادة أداء لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، بجهادهم حتى الموت في سبيل نصر هذا الدين، وإحياء تعاليمه وتقريره في حياة الناس[2].

وقد أورد ابن حجر عدة تعليلات لتسمية من قُتِل في سبيل الله شهيدًا يقول في فتح الباري: «قال النضر بن شميل[3]: لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة، وقال ابن الأنباري[4]: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة. وقيل لأنه يشهد عند خروج روحه ما أُعِد له من الكرامة. وقيل: لأنه يُشهد له بالأمان من النار. وقيل لأن عليه شاهدًا بكونه شهيدًا -وهو دمه- وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

(٢) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١ ص٤٧٥.

(٣) المروزي، من بني فارس، من أهل البصرة، كان ثقة، وصاحب حديث ورواية للشعر، ومعرفة بالنحو وبأيام الناس، توفي بخراسان، سنة ثلاث ومائتين للهجرة. انظر ابن سعد، الطبقات، ج٧ ص٣٧٣، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩ ص٣٢٨.

(٤) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة، أبو بكر الأنباري، صاحب مصنفات كثيرة، وكان من بحور العلم في اللغة العربية والتفسير والحديث، وغير ذلك، مات ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١ ص١٩٦.

وقيل: لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل. وقيل: لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة. وقيل: لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع. وقيل: لأن الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه. وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره. وقيل: لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة. وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار. وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا»[1].

أحكام الشهيد:

لتعظيم أمر الشهيد، ولإبقاء أثر الشهادة عليه، فقد وردت الأحاديث بعدم الصلاة على شهيد معترك الكفار أو غسله، إلا إذا خالطه نجاسة فيغسل الدم والنجاسة لدفع المفسدة، أو لوجوب غسل عليه قبل القتل كالجنابة، أو طهر من حيض أو نفاس[2]، فقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بدفن شهداء أحد بدمائهم، ولم يُصلِّ عليهم، ولم يغسلوا[3]، وغسلت الملائكة حنظلة لكونه جنبًا[4].

وقيل لا يغسل الشهيد وإن كان عليه موجب غسل؛ لأن الغسل طهارة عن حدث، فسقط حكمها بالشهادة كغسل الميت[5].

---

(١) ج٦ ص٤٢-٤٣؛ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣ ص٢٤، وانظر ابن منظور، لسان العرب، ج٣ ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) انظر ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج١ ص٢٦٦، ٢٦٧، ٦٨٢، وانظر الفيروزابادي، المهذب، ج١ ص١٨٥، وانظر ابن قدامة، المغني، ج٢ ص٥٢٨-٥٣١؛ وانظر ابن مفلح، كتاب الفروع، ج٢ ص٢١١-٢١٢.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٢٦.

(٤) انظر الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٣ ص٢٠٤-٢٠٥.

(٥) انظر الفيروزابادي، المصدر السابق.

أما الشهيد في قتال أهل البغي وقطاع الطريق، فقيل: يصلى عليه ويغسل؛ لأن سبب رفع الغسل عند من قال بذلك هي الشهادة من الكفار، وقيل: لا يصلى عليه ولا يغسل؛ لأن الشهادة مطلقًا سبب موجب لرفع الغسل عند من قال بذلك[1].

ومن رُفِع من المعترك وبه روح فأكل أو شرب أو تكلم فهو كسائر الموتى، يُغسَّل ويصلى عليه، إلا إذا كان به جراح قاتلة غالبًا ما يقتل بها فحكمه حكم الشهيد[2].

وقيل يصلى على الشهداء مطلقًا؛ لأن الصلاة على الميت لإظهار كرامته، والشهيد أولى بذلك، فالطاهر عن الذنوب لا يستغني عن الدعاء كالأنبياء، وهؤلاء درجتهم فوق درجة الشهداء[3].

ولزيادة إظهار كرامة الشهيد فإنه يدفن في ثيابه التي قتل فيها[4]، ويزاد فيها وينقص إتمامًا للكفن الواجب[5]. وينزع عنه آلة الحرب، وما لا يصلح للكفن[6].

---

(١) انظر ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج١، ص٢٦٧؛ وانظر الفيروزابادي، المصدر السابق.

(٢) انظر الزيلعي، تبيين الحقائق، ج١ ص٢٤٩؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج٢، ص٥٣٢.

(٣) انظر الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج١ ص٣٢٥.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٣٢٤، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص٥٣١-٥٣٢، وانظر القنوجي البخاري، الروضة الندية شرح الدرر البهية، ج١ ص١٦٤.

(٥) انظر الزيلعي، المصدر السابق، ص٢٤٨؛ وانظر السرخسي، المبسوط، ج٢ ص٥١.

(٦) انظر الكاساني، المصدر السابق، وانظر مالك بن أنس، المدونة الكبرى، ج١ ص١٨٣، وانظر ابن قدامة، المصدر السابق، ص٥٣١.

خصائص الشهداء:

للشهداء خصائص وكرامات تميزوا بها عن غيرهم؛ لشرف الطريق الذي سلكوه، ونفيس الثمن الذي بذلوه، وعظيم الأثر الذي تركوه لذلك كان تكريمهم يبدأ عند نزول أول قطرة من دمائهم الزكية، قال ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشفَّعُ في سبعين من أقاربه**»[(١)].

وسُئِل الرسول ﷺ: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد[(٢)]؟ فقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[(٣)].

ففتنة القبر إنما هي لاختبار ما عند المؤمن من حقيقة الإيمان، والشهيد قد ظهرت حقيقة إيمانه حينما وقف للقتال وثبت والسيوف تلمع وتقطع والسهام ترشق وتخرق، والرءوس تقطع، والدماء تسيل، والأعضاء تتطاير، ومع كل ذلك ثبت وصبر، وجاد بنفسه إيمانًا بالله وبوعده، فكان في ذلك امتحان له على الحق[(٤)].

---

(١) حديث حسن صحيح غريب. سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ٢٥، وانظر سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله.

(٢) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الشهيد.

(٣) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٢٧٢، رقم الحديث (٦٢٤٨)، وانظر النسائي، المصدر السابق.

(٤) انظر محمود العالم، فكاهة الأذواق، ص٤٢-٤٣.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[(١)]. يقول ابن كثير: «... تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السموات ومن في الأرض (إلا من شاء الله)، وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون»[(٢)].

وقال ﷺ: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين**»[(٣)]. وفي ذلك تقييد لما ورد في الحديث السابق، فالشهيد يغفر له كل حق لله عليه، ولا يكفر القتل عنه حقوق الآدميين.

ويهون الله على الشهيد نزع الموت، يقول ﷺ: «**الشهيد لا يجد إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها**»[(٤)].

وذلك تسهيلًا وتكريماً له، ومقابلة لجوده بأجود منه، فهو قد استسهل القتل رغم ما للموت من سكرات، وأقبل إليه بنفس مطمئنة، رغبة في نصر سبيل الله، وطمعًا في الشهادة.

ومن الشهداء من تظله الملائكة بأجنحتها، قال جابر بن عبد الله[(٥)]: جيء

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص٣٧٨، وانظر ابن المبارك، كتاب الجهاد، ص٨٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢، ص٨٩، رقم الحديث (٤٩٦١).

(٥) ابن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، أبو عبد الله، شهد العقبة. أحد المكثرين عن النبي ﷺ، مات سنة ثمان وسبعين، وقيل سنة ثلاث، أو أربع أو سبع وسبعين، عاش أربعًا وتسعين سنة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٢١٤-٢١٥.

بأبي إلى النبي ﷺ وقد مُثِّلَ به، ووضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي، فسمع ﷺ صائحة، فقيل: ابنة عمرو، أو أخت عمرو فقال ﷺ: «لم تبكي، أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها»[1].

والشهداء أحياء عند الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

سُئل ابن مسعود عن هذه الآية فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: - يعني النبي ﷺ- «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يارب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرِكوا»[3].

فالشهداء أحياء حياة محققة، وإن قتلوا في الدنيا، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار[4].

وبذا يكون القتل في سبيل الله طريقًا إلى الحياة الخالدة في دار القرار.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩-١٧٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٤٢٧.

دار الشهداء:

أعد الله للشهداء منازل رفيعة تليق بمقامهم وكرامتهم عند الله، وبينها لهم شحذًا للهمم العالية والراغبة في الثواب العظيم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ● سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ● وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[١].

فالشهداء يهتدون إلى منازلهم في الجنة وكأنهم قد سكنوها من قبل، لا يستدلون عليها بأحد[٢]، وما ذلك إلا لعظيم منزلتهم وكرامتهم عند الله.

جاءت أم[٣] حارثة بن سراقة[٤] إلى النبي ﷺ فقالت: «يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قد قتل يوم بدر أصابه سهم غرب[٥]- فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء»، قال ﷺ: **«يا أم حارثة: إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»**[٦].

وقال ﷺ: **«رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، لم أر قطّ أحسن منها، قالا: أما هذه الدار فدار**

---

(١) سورة محمد، الآية ٤-٦.

(٢) انظر ابن كثير، المصدر السابق، ج٤ ص١٧٥.

(٣) الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية، من بني عدي بن النجار، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص٢٩٤.

(٤) ابن الحارث بن عدي بن مالك بن عامر بن عدي بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، استشهد يوم بدر. انظر المصدر السابق، ج١ ص٢٩٧.

(٥) أي لا يعرف راميه، أو لا يعرف من أين أتى، أو جاء على غير قصد من راميه. انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٢٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٤.

الشهداء»[1]، وقال ﷺ: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، فيه قبة خضراء، يخرج إليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا**»[2].

ومع بلوغ الشهداء هذه المنزلة الرفيعة، والمكانة العالية عند الله، إلا أنهم أصحاب مراتب ومنازل متفاوتة، فلكل منهم فضل ومقام عظيم وذلك عائد إلى قوة إيمانه، والشعور المصاحب له أثناء المعركة. يقول ﷺ: «**الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا. ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضُرب جلده بشوك طلح من الجبن، أتاه سهم غرب فقتله، فهو في الدرجة الثانية. ورجل مؤمن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الثالثة. ورجل مؤمن أسرف على نفسه، لقي العدو فصدق الله حتى قُتِل، فذاك في الدرجة الرابعة**»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، إذا لقي العدو قاتل حتى قتل**» قال ﷺ فيه: «**فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة ومؤمن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، إذا**

---

(١) المصدر السابق، باب ٤.

(٢) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٨٨، رقم الحديث (٤٩٥٦)؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج١ ص٢٦٦.

(٣) حديث صحيح، المصدر السابق، ص٨٧-٨٨، رقم الحديث (٤٩٥٥)؛ وانظر سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في فضل الشهداء عند الله، وانظر الإمام أحمد، المصدر السابق، ص٢٣.

لقي العدو قاتل حتى يقتل» قال ﷺ: **«فيه مصمصة[1] محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء ومنافق جاهد بنفسه وماله، فإذا لقي العدو قاتل حتى قتل، فذاك في النار إن السيف لا يمحو النفاق»**[2].

إذًا فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، يتنعمون بما أسبغ عليهم من نعمه في دار القرار.

ولم يرد أن إنسانًا له عند ربه خير مقيم، ونعيم دائم، يتمنى أن يعود إلى الدنيا، إلا الشهداء، فلعظيم ما أُعِد لهم من الكرامات، يتمنى الواحد منهم العودة إلى الحياة الدنيا؛ ليقتل في سبيل الله مرة أخرى، وتلك منزلة رفيعة لم يبلغها أحد سواهم، فاقوا بها سائر الخلق. قال ﷺ: **«ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وإن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد؛ لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»**[3]. وفي رواية: **«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لِما يرى من الكرامة»**[4].

---

(١) مصمصة الذنوب: ممحصتها. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢ ص٣٣.

(٢) سنده جيد. سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، كتاب الجهاد، باب في صفة القتل في سبيل الله، وانظر الإمام أحمد، المصدر السابق، ج٤ ص١٨٥-١٨٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٦؛ وانظر صحيح مسلم، باب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله.

(٤) البخاري، المصدر السابق، باب ٢١، وانظر مسلم، المصدر السابق.

فكرامة الشهداء، وثوابهم عند الله فوق كل تصور إنساني. قال ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل»**(١).

فضل طلب الشهادة:

طلب الشهادة بصدق يُحتم الخروج للجهاد والسعي في طلبها بإخلاص، فإما نصر يعز الله به دينه، ويكون المسلم قد بذل طاقته وجهده لأجل إعلاء كلمة الله، وإما موت في سبيل الله، فيكسب الشهادة.

وقد لا يخرج المسلم للجهاد بسبب ضرر منعه من ذلك، رغم استعداده الصادق والمخلص للجهاد، وبذل النفس والمال في سبيل الله. وفي كل ذلك دليل قوي على صدق إيمانه الراسخ، وبلوغه أعلى درجات الإيمان لذلك اعتبره الإسلام في عداد الشهداء وإن مات على فراشه(٢)، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾**(٣).

فمن أطاع الله ورسوله، فإن الله يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقًا

---

(١) البخاري، المصدر السابق، باب ٧؛ وانظر مسلم، المصدر السابق، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٢) انظر ابن كثير، الاجتهاد في طلب الجهاد، حققه وعلق عليه: عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ص١٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٩.

للأنبياء ثم لمن بعدهم في المنزلة، وهم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون[١]، وطلب الشهادة قد زاد بطلبها على طاعة الله ورسوله التي بلغ بها أعلى درجة، ولو لم يترك تلك الدرجة لما صدق وجد في طلب الشهادة، قال ﷺ: «**من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[٢]، وقال ﷺ: «**من خير معاش[٣] الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه[٤]، كلما سمع هيعة[٥]، أو فزعة[٦] طار عليه، يبتغي القتل والموت[٧] مظانه . . .**»[٨].

فمن أفضل أحوال العيش، الرجل الذي يسارع في النهوض كلما دعي للجهاد، يطلب القتل في مواطنه، فلشدة رغبته وحرصه على الشهادة يطلبها ويسعى إليها في مواطنها[٩].

ولقد تميز جند الإسلام بالرغبة الصادقة في نيل الشهادة، فسعوا إلى الموت في سبيل الله بهمة عالية، يحدوهم الأمل في نيل الشهادة، فكان الفرد منهم يخرج من بيته تاركًا أهله وولده وماله ومصالحه الدنيوية، وهو

(١) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٥٢٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله عز وجل.
(٣) حياة. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣ ص٣٥.
(٤) يسارع على ظهره. انظر المصدر السابق.
(٥) الصوت عند حضور العدو. انظر المصدر السابق.
(٦) النهوض إلى العدو. انظر المصدر السابق.
(٧) يطلبه في مواطنه. انظر المصدر السابق.
(٨) مسلم، المصدر السابق، باب فضل الجهاد والرباط.
(٩) انظر النووي. المصدر السابق.

يمني نفسه أن لا يعود، يخوض المعركة وهو يعلم أنه يؤدي واجبًا دينيًا الموت فيه شرف لا يرقى إليه شرف، فاندفعوا إلى ساحات القتال في شدة وصلابة، وصدقوا الله فنصرهم وأكرمهم.

ففي بدر جعل النبي ﷺ يحض أصحابه على القتال، فقال: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**»، فقال عمير بن الحمام[1]: (يا رسول الله! جنة عرضها السموات والأرض؟)، قال ﷺ: «**نعم**»، فقال عمير: (بخٍ بخٍ)[2]، فقال ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ**». قال: (لا والله يا رسول الله! إلا رجاء أن أكون من أهلها). قال ﷺ: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه[3]، فجعل يأكل منهن، ثم قال: «لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتلهم حتى قتل»[4].

ولما سمع أحد جند الإسلام وهو بحضرة العدو قول قائل: قال ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»[5]. رجع إلى أصحابه فقال: (أقرأ عليكم السلام). ثم كسر جفن[6] سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو

---

(١) ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، استشهد يوم بدر، فكان أول قتيل من الأنصار في الإسلام، وأول قتيل حرب في الإسلام، ليس له عقب. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣ ص٥٦٥؛ وانظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٣١-٣٢.

(٢) كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. انظر النووي، المصدر السابق، ص٤٥.

(٣) جعبة النشاب. انظر المصدر السابق.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الجفن: غمد السيف. انظر الرازي، الصحاح، ص١٠٦.

فضرب به حتى قتل[1]، فهو قد قاتل قتال الصابرين الراغبين في الشهادة لإيمانه بأن عمله هذا طريق إلى الجنة وسبب لدخولها.

وهذا عمرو بن الجموح[2] رجل أعرج، قد عذر من الجهاد، وله من البنين أربعة كلهم يجاهدون في سبيل الله، يخرج يوم أحد للجهاد، ويحاول أبناؤه منعه، ويرد عليهم: تذهبون إلى الجنة وأجلس عندكم، ويسأل ربه: اللهم لا تردني إلى أهلي خزيًا، فكان يرى الشهادة شرفًا عظيماً، يتمنى لو ناله، ويحاول معه أبناؤه مرة أخرى، ويدخل معهم في حوار، ويقول: والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة. فكانت عزيمته قوية، ورغبته صادقة، فلم يستطيعوا إقناعه، فخلوا عنه، وأكرمه الله بالشهادة[3].

قال خالد بن الوليد لأهل فارس: «. . . فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قومًا يحبون الموت كما تحبون الحياة»[4]. وما ذلك إلا لأن القتل طريق لأشرف غاية، وأنبل كرامة.

ولقد تسابق جند الإسلام في الحصول على هذا الشرف الغالي، الأمر الذي جعل كثيرًا منهم يحرصون على سؤالها وطلبها من الله عند اللقاء لإيمانهم بأن تلك الدعوة لا ترد. قال ﷺ: **«ثنتان لا تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يَلحَمُ بعضهم بعضًا»**[5].

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري السلمي، سيد من سادات بني سلمة، وشريفًا من أشرافهم. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٥٢٢-٥٢٣.

(٣) انظر ابن المبارك، كتاب الجهاد، ص٩٩؛ وانظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٦٤؛ وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٣٥-٣٦.

(٤) تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٤٦، وانظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص١٢٩-١٣٠.

(٥) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٥٥٢، رقم الحديث (٣٥٦٥)، وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء.

فكان الفرد منهم يتوجه إلى ربه مناشدًا إياه النصر للإسلام والفوز بالشهادة.

ففي معركة تستر[١] توجه البراء بن مالك إلى ربه سائلًا إياه النصر للمسلمين، والفوز بالشهادة، فقاتل بعزيمة وإخلاص، حتى اتخذه الله شهيدًا ونصر المسلمين[٢].

وفي نهاوند[٣] دعا النعمان بن مقرن ربه أن ينصر المسلمين نصرًا يذل به الكفار، ويعز به الإسلام والمسلمين، فقال: «اللهم أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك، ونصر عبادك»[٤]، وصدق الله في إيمانه وقتاله، فأقر عينه بالنصر للمسلمين وأكرمه بالشهادة.

وفي إحدى معارك المسلمين ضد الترك قال ثابت قطنة[٥]: «اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام[٦] -قائد جيش المسلمين- البارحة، فاجعلني ضيفك الليلة»[٧]، فقاتل وصبر، وثبت في نحور الأعداء يجالدهم

---

(١) مدينة عظيمة بخوزستان. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٢٩.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٨٥؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٨٣-٣٨٤.

(٣) مدينة عظيمة في قبلة همذان، بينهما ثلاثة أيام، جرت فيها الوقعة الشهيرة بين المسلمين والفرس أيام عمر رضي الله عنه. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٥ ص٣١٣.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٣٢؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣ ص٥.

(٥) ابن كعب بن جابر بن كزمان بن طرفة بن وهب بن مازن بن يم بن الأسد بن الحارث ابن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء. من شعراء خراسان وفرسانهم. ذهبت عينه فكان يحشوها قطنة فسمي بذلك. استعمله المهلب على بعض كورخراسان. انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢ ص٦٣٠؛ وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦ ص٣٠٨.

(٦) عبدالله بن بسطام الأزدي. أحد الشجعان الأشراف. كان رئيسًا للأزد مع الجنيد في قتال الترك. استشهد سنة ثنتي عشرة ومائة. انظر الزركلي، الأعلام، ج٤ ص٧٤.

(٧) الطبري، المصدر السابق، ج٧ ص٥٩.

ويكافحهم حتى صُرِع، فهو حينئذٍ لم ينشغل ولم يفكر في أمر سوى الشهادة، حيث قال: «اللهم إني أصبحت ضيفًا لابن بسطام، وأمسيت ضيفك، فاجعل قراي من ثوابك الجنة»[1]، فقتاله كان لأمرين: الحياة والنصر للمسلمين، أو الشهادة، فلما صرع أكد إخلاصه ورغبته في الشهادة حينما أصبحت همه الوحيد، وشغله الشاغل، رغم ما به من جراح.

ودخل النضر بن راشد العبدي[2] على امرأته والمسلمون يقاتلون الترك، فقال لها: كيف بك إذا أُتي بي مضرجًا بالدماء؟ فشقت جيبها ودعت بالويل، فقال: حسبك، لو أعولت عليَّ كل أنثى لعصيتها شوقًا إلى الحور العين، وخرج فقاتل حتى استشهد[3]. وهذا القول والعمل لا يصدر إلا من إنسان بلغ به الإيمان بمنزلة الشهداء عند الله مبلغه، حتى أصبح المحرك الرئيس لحواسه وجوارحه.

ذلك جزء يسير مما ورد في منزلة الشهداء عند الله وفضلهم، تلك المنزلة التي لم يبلغها أحد سواهم؛ لأنهم جادوا بأغلى ما لديهم، فكان جزاؤهم أعظم جزاء وأنبله.

وكان من أثر ذلك أن تدفق جند الإسلام يطلبون الشهادة طمعًا في كرامتها ومنزلتها، فأعرضوا عن الدنيا وزخارفها، فلم تكن في يوم من الأيام عائقًا أمام أحدهم، بل كان طلب الشهادة قوة سلاحية نافذة، ذاق من جرائها الأعداء نكبات القتل وعار الهزيمة.

---

(١) المصدر السابق

(٢) شجاع من سادة بني عبد القيس، شهد مع الجنيد حروبه ضد الترك في سمرقند وقتل سنة ثنتي عشرة ومائة. انظر الزركلي، الأعلام، ج٢ ص٣٣.

(٣) انظر الطبري. المصدر السابق، ص٧٤-٧٥.

المبحث الخامس

دراسة ميدانية وثائقية لإعداد الجندي
في الجيش العربي السعودي إعدادًا عقديًا سليماً

أولًا: تمهيد:

أ - مصادر أنظمة الخدمة العسكرية في الجيش العربي السعودي:

١-الشريعة الإسلامية:

تعتبر الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي لمجموعة أنظمة الخدمة العسكرية في الجيش العربي السعودي، وبالتالي فإن جميع الأنظمة موافقة لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولما أجمع عليه السلف الصالح[١].

ففي عام (١٣٦٦ هـ) تم وضع أول باكورة لمجموعة أنظمة الخدمة العسكرية في الجيش العربي السعودي، وذلك في هيئة نظامين هما:

١- النظام الداخلي. ٢- نظام العقوبات.

وقد تم عرضهما على مجلس الشورى لدراستهما ومناقشتهما على ضوء

---

(١) انظر يوسف السلوم، تطور أنظمة الخدمة العسكرية في المملكة العربية السعودية، ص٣١.

تعاليم الشريعة الإسلامية، وبعد انتهاء دراستها تم إقرارهما بإرادة سنية[1].

وعلى ضوء ذلك تحددت العلاقة العملية بين مختلف فئات الجند، وعرف كل فرد واجباته وحقوقه، وهذه الأنظمة بما فيها من تنظيم للعلاقات والحقوق، والواجبات، والعقوبات، محققة لروح الشريعة الإسلامية في منسوبي الجيش العربي السعودي من خلال تطبيقها عليهم[2].

٢- العرف:

المصدر الثاني من مصادر أنظمة الخدمة العسكرية، وهو العرف الذي لا يصادم شرعًا، وأصبح له صفة الدوام في المعاملات والعلاقات.

٣- أنظمة الخدمة المدنية:

حيث اقتُبِس منها العديد من القواعد والأحكام المناسبة للخدمة العسكرية.

٤- أنظمة الخدمة العسكرية للدول العربية:

ومنها تم اقتباس ما احتوته من مميزات تنسجم مع طبيعة الجندي في الجيش العربي السعودي.

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٣٦، نقلًا عن:
- النظام الداخلي للجيش العربي السعودي، الصادر بالإرادة السامية رقم (١٠/ ٨/ ٩٥) في ١١/ ٦/ ١٣٦٦ هـ.
- نظام العقوبات للجيش العربي السعودي، الصادر بالإرادة السامية رقم (١٠/ ٨/ ٩٥) في ١٣/ ١/ ١٣٦٦ هـ.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٣٦-٣٧.

٥- أنظمة الخدمة العسكرية للدول الصديقة:

حيث تم الاقتباس عن طريق تبادل الزيارات، والبعثات الدراسية والتمثيل العسكري.

وقد روعي فيما اقتبس من تلك المصادر انسجامه مع تعاليم الشريعة الإسلامية، وعدم تعارضه مع مبادئها[١].

ب- واجبات الجندي في الجيش العربي السعودي[٢]:

للجندي واجبات يطالب بأدائها أثناء عمله، وأهم هذه الواجبات:

١- أن يكون مخلصًا في أعماله كافة نحو دينه ثم مليكه ووطنه.

٢- أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد، وحث مرءوسيه على ذلك.

٣- طاعة أولي الأمر فيما يأمرون به.

٤- الصدق، وقول الحق ولو على نفسه.

٥- النصح للآخرين وعدم جلب ما يؤدي إلى الإضرار بهم.

٦- أن يكون مثالًا حسنًا، وقدوة صالحة في الطاعة والانقياد والسلوك وأداء الواجب.

٧- المحافظة على الشرف، والتحلي بالصفات الحميدة في كل الحركات والسكنات والأفعال.

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٣١-٣٢.

(٢) انظر النظام الداخلي للجيش العربي السعودي، من إصدار وزارة الدفاع والطيران بالمملكة العربية السعودية، الباب الأول: في الوظائف الرئيسة وتركيز المسئولية.

٨- الاجتهاد بكل القوى لحفظ ما يتلقى من الدروس الدينية والعسكرية.

٩- الجد والنشاط في أداء الواجب.

١٠- التحلي بالشجاعة والإقدام تجاه ما يعرض له من مخاطر.

١١- المحافظة على السلاح والعتاد، ومعرفة الموجود منه وتدوينه.

١٢- الاعتناء بنظافة الجسم، والملبس، والموقع.

١٣- تأمين الضبط والربط الإداري بين الجند وقادتهم.

١٤- المحافظة على النظام.

وهذه الواجبات للجند وللقادة على مختلف المستويات، عليهم القيام بها، والحرص على تطبيقها بدءًا بالنفس، ومن ثم مطالبة المرءوسين بها مع العناية بشرح أهدافها، وبيان معانيها، والسعي في تحقيق أغراضها.

والمتتبع لتلك الواجبات يجد أنها موافقة لتعاليم الشريعة الإسلامية وفي حدود ما أمرت به، كما أنها محققة لروح الشريعة الإسلامية في الجندي من خلال قيامه بها.

ج - مسئولية الإشراف على تعليم الجند:

تعتبر المجالس العليا للكليات العسكرية جهات مسئولة عن رسم السياسة العامة لكل كلية[١]، ومجالس الكليات جهات منفذة لتلك السياسة، حيث يقوم مجلس كل كلية بوضع المنهج التعليمي العام[٢]

---

(١) انظر المادة السادسة من نظام الكليات العسكرية.

(٢) انظر المادة الثامنة من نظام الكليات العسكرية.

بالتعاون مع الجهات المختصة في الوزارة، في إطار يكفل تحقيق أهداف السياسة المرسومة.

أما المدارس الأخرى، فترتبط تعليميًا بقائد السلاح لكل مدرسة[1] ويتم توجيهها لتحقيق أهداف الدورات التدريبية من قبل إدارة تدريب القوات البرية[2].

كما تقوم هذه المدارس بإعداد المناهج التعليمية بالتعاون مع الجهات المختصة بالوزارة[3].

ثانيًا: الإعداد التعليمي للجند:

الإعداد العقدي السليم للفرد المسلم هدف رئيس في تعليمه، حيث تتدرج معه موضوعاتها في مراحل دراسته المختلفة، بحيث تكون مناسبة لمستواه الدراسي وعمره الزمني، من حيث شموليتها والاستطراد فيها.

والجندي المسلم تمتد معه تلك الدراسة فيما يتلقاه من دروس دينية أثناء دراسته العسكرية بهدف:

١- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٢- غرس المبادئ الإسلامية الفاضلة.

٣- المعرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والترغيب في التمسك بهما كمنهج حياة في السلم والحرب.

---

(١) أخبرني بذلك أحد مسئولي التعليم في تلك المدارس.

(٢) انظر إدارة تدريب القوات البرية، قسم التدريب الخاص. التوجيه التدريبي للقوات البرية لعام (١٤٠٧ هـ). هدف تدريب القوات البرية.

(٣) انظر أهداف إدارة الشئون الدينية للقوات المسلحة، ص٢٥.

٤- حل المشكلات التي تعترض الجندي لإدراك المفاهيم الإسلامية الصحيحة لجوانب الحياة المختلفة.

٥- تحبيب الجهاد في سبيل الله إلى النفس لنيل إحدى الحسنيين.

٦- دراسة بعض النماذج من قادة وجند العسكرية الإسلامية للاقتداء بهم.

٧- التأسي بالأسوة الحسنة محمد ﷺ كقائد عسكري ومجاهد في سبيل الله.

٨- إبراز دور الأمة الإسلامية تاريخيًا وحضاريًا[١].

وسأعرض هنا نماذج من المواد الدينية التي يتلقاها الجندي في مراحل دراسته المختلفة، وما يتلقاه أثناء الدورات التدريبية التي تعقد له، وذلك من حيث:

أ - محتويات المنهج.

ب- عدد الساعات الدراسية المخصصة لكل مادة.

وأختم ذلك ببيان مدى كفاية المناهج لإعداد الجندي إسلاميًا وعقديًا.

النموذج الأول: كلية الملك عبد العزيز الحربية:

تشتمل الدراسة في الكلية على التعليم الديني[٢] ممثلًا بمادتي: القرآن الكريم، والثقافة الإسلامية. وقد صدر قرار من إدارة تدريب القوات البرية يحدد الأجزاء المقررة في القرآن الكريم[٣]. أما الثقافة الإسلامية فقد دُرِّست منذ إنشاء الكلية، وكانت تمثل التعليم الديني بالكلية.

---

(١) انظر التوجيه التدريبي للقوات البرية، وانظر منهج كلية الملك عبدالعزيز الحربية العام. والمعمول به في العام الدراسي (١٤٠٦ هـ - ١٤٠٧ هـ).

(٢) انظر نظام الكلية الحربية، اللائحة الأساس للكلية الحربية الملكية، المادة ١٢.

(٣) برقم: (٣/٣/٣/٥٠٧٨)، وتاريخ: (١٦/٦/١٤٠٣هـ).

محتويات المنهج[1].

١-مادة القرآن الكريم:

تدرس مادة القرآن الكريم للمستويات كافة، مع التقيد الكامل بأحكام التجويد، وذلك على النحو التالي:-

أ- القسم الإعدادي:

يطالب الطالب بالتلاوة من أول سورة الشورى إلى آخر سورة الناس وبالحفظ من أول سورة النبأ إلى آخر سورة الناس. وعدد ساعاتها خمسون ساعة دراسية، بواقع ساعتين في الأسبوع.

ب- القسم المتوسط:

يطالب الطالب بالتلاوة من أول سورة النحل إلى آخر سورة فصلت وبالحفظ من أول سورة الملك إلى آخر سورة المرسلات. وعدد ساعاتها أربع وخمسون ساعة دراسية، بواقع ساعتين إلى ثلاث ساعات أسبوعيا.

ج- القسم النهائي:

يطالب الطالب بالتلاوة من أول سورة الإسراء إلى آخر سورة الشعراء وبالحفظ من أول سورة الملك إلى آخر سورة الناس. وعدد ساعاتها اثنتان وخمسون ساعة، بواقع ساعتين إلى ثلاث ساعات أسبوعيا.

---

(١) انظر منهج كلية الملك عبد العزيز الحربية العام.

٢-مادة الثقافة الإسلامية:

أ- القسم الإعدادي:

ويتم تدريس الموضوعات التالية:

حاجة الإنسان إلى الهداية. معنى الإسلام. الإسلام دين جميع الرسل. الإسلام الذي جاء به ﷺ. الإسلام والأديان والمذاهب الأخرى. الإيمان والإلحاد. الأديان: سماوية وأرضية. الأديان السماوية: سليمة ومحرفة. الأدلة التاريخية، الأدلة على صدق الوحي. خصائص الدين الإسلامي. الإسلام والغزو الفكري. مقتضيات وأهواء العصر. مكونات الحضارة الغربية. ماذا نأخذ من هذه الحضارة وماذا ندع؟. الفِرَق وصفات الله تعالى. الخطر الشيوعي. الفكر الشيوعي. الخطر السياسي الشيوعي. خطر الغزو الفكري الشيوعي. الرأسمالية والشيوعية. العلمانية والماسونية[١].

وعدد ساعاتها ثمان وثلاثون ساعة دراسية، بواقع ساعة إلى ساعتين أسبوعيا.

ب- القسم المتوسط:

ويتم تدريس الموضوعات التالية:

١- مواقف عسكرية لبعض جنود الإسلام.

٢- عوامل النصر.

٣- عوامل الهزيمة.

---

(١) انظر منهج كلية الملك عبد العزيز الحربية العام.

٤- المدارس العسكرية ومميزاتها.

٥- الجهاد، تعريفه، حكمه، مراحل تطوره، أقسامه، عماده، هدفه.

٦- جوانب من الصفات القيادية في سيرة رسول الله ﷺ.

٧- شمول العسكرية الإسلامية.

٨- أهم المواقف القيادية لبعض القادة في الإسلام، مع بيان ما للقيادة من أثر في المعركة.

وليس لها ساعات مقررة[١].

ج- القسم النهائي:

ويتم تدريس الموضوعات التالية:

١- حاجة الجماعة إلى نظام يحكم سلوكهم.

٢- معنى القانون.

٣- معنى الشريعة والتشريع.

٤- مكانة الشريعة الإسلامية بين الشرائع السماوية الأخرى.

٥- الفرق بين التشريع السماوي والتشريع الوضعي.

٦- مصادر التشريع الإسلامي.

٧- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية.

٨- الرخص في الشريعة الإسلامية.

---

(١) انظر منهج كلية الملك عبد العزيز الحربية العام.

وعدد ساعاتها الدراسية اثنتا عشرة ساعة، يتلقاها الطالب في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي، بواقع ساعة في الأسبوع[1].

النموذج الثاني: كلية القيادة والأركان[2].

يتم تدريس مادة الثقافة الإسلامية في المرحلة الأولى من مراحل الدراسة[3].

وهي المادة الدينية الوحيدة بالكلية، والمدرجة ضمن المناهج الدراسية.

وقد نصت الخطة الدراسية للكلية على أن الهدف من تدريس هذه المادة هو: التذكير ببعض المواقف الإسلامية المختلفة للاقتداء بها.

وليس للمادة منهج محدد، وإنما يتم اختيار موضوعات تتفق مع الهدف من تدريسها، ويركز على الموضوعات العسكرية بصفة خاصة. وقد خصص للمادة اثنتا عشرة ساعة خلال المرحلة الأولى من مراحل الدراسة التي تبلغ خمسة عشر أسبوعًا، ويدرس خلالها أربعمائة وخمسون ساعة دراسية[4].

---

(١) انظر منهج كلية الملك عبد العزيز الحربية العام.

(٢) مهمة الكلية تدريب مجموعة من ضباط الجيش العربي السعودي على واجبات ومسئوليات القيادة والأركان في القيادات والتشكيلات العسكرية. انظر نظام كلية القيادة والأركان، المادة الثانية.

(٣) الدراسة في الكلية تتم على مراحل كما نصت على ذلك المادة الرابعة والأربعون من نظام الكلية. وقد قسمت الدورة الرابعة عشرة إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى خمسة عشر أسبوعًا، والمرحلة الثانية أربعة عشر أسبوعًا والمرحله الثالثة خمسة عشر أسبوعًا. انظر كلية القيادة والأركان، المنهج الدراسي العام للدورة الرابعة عشرة.

(٤) انظر المرجع السابق.

النموذج الثالث: الدورات التدريبية:

يتم عقد دورات تدريبية للضباط وضباط الصف والجنود في مختلف أسلحة القوات المسلحة، بهدف إعطاء الجندي دورة تأسيسية ومتقدمة في سلاحه، وتحرص إدارة تدريب القوات البرية على التوجيه الديني السليم للمتدربين، وتؤكد على وجوب تحقيق الهدف الرئيس في تعليم الجندي حيث تلزم جميع مراكز ومدارس القوات المسلحة بتدريس القرآن الكريم ويركز فيه على التفسير وبيان الأحكام والمعاني، بواقع خمس وثلاثين ساعة لكل دورة. وتدريس مادة الثقافة الإسلامية بواقع خمس وثلاثين ساعة لكل دورة[(١)]، وتعمل إدارة الشئون الدينية على إعداد المناهج وتوزيعها على المراكز، والمدارس[(٢)].

وسأعرض نموذجًا لما يتلقاه الضابط، وضابط الصف، والجندي، من مواد دينية وذلك في مركز ومدرسة سلاح المشاة، ومركز ومدرسة سلاح المدفعية بالمنطقة الجنوبية.

---

(١) انظر إدارة تدريب القوات البرية، قسم التدريب الخاص، نشرة دورات مراكز ومدارس أسلحة القوات البرية لعام (١٤٠٧ هـ) المادة: (١٣)، وانظر قرار تنفيذ توصيات اللجنة المشكلة لدراسة وتوحيد المعلومات العامة التي تدرس في مراكز ومدارس أسلحة القوات البرية، رقم (٣/ ٣/ ٣/ ١٠١٧٨) في (١٩/ ٥/ ١٤٠٥ هـ)، التوصية الخاصة بالقرآن الكريم والثقافة الإسلامية.

(٢) انظر (لقاء مع: عبد المحسن بن عبدالله آل الشيخ، مدير إدارة الشئون الدينية بوزارة الدفاع والطيران)، مجلة الدعوة، ص٢٩ العدد ١٠٢٢، الصادر في (١٨/ ٤/ ١٤٠٦ هـ) الرياض.

أولًا: الضباط:

١- القرآن الكريم:

(أ) الهدف من تدريس القرآن الكريم:

تدريس الضابط جزءًا من القرآن الكريم تلاوةً، وتجويدًا، وتدبرًا لمعانيه، وبيانًا لأحكامه.

(ب) محتويات المنهج: - المنهج موحد في مركز ومدرسة سلاح المشاة والمدفعية:

١- الدورات التأسيسية: سورة الحجرات.

٢- الدورات المتقدمة: سورة الأنفال[١].

(ج) عدد الساعات الدراسية:

- في مدرسة المشاة:

١- التأسيسية: (٣٥) ساعة، من أصل (٧٧٠) ساعة، مجموع ساعات الدورة رقم (٥٦)، (٥٧).

٢- المتقدمة: (٣٥) ساعة من أصل (٩١٠) ساعات، مجموع ساعات الدورة رقم (٣١)، (٣٢)[٢].

---

(١) حدثني بذلك ضابط التوعية الإسلامية، ومدرس القرآن الكريم بمركز ومدرسة سلاح المشاة، وضابط التوعية الإسلامية ومدرس مادة القرآن الكريم بمركز ومدرسة سلاح المدفعية.

(٢) انظر مركز ومدرسة سلاح المشاة، المنهج المفصل لدورات مركز ومدرسة سلاح المشاة لعام ١٤٠٧ هـ.

- في مدرسة المدفعية:

١- التأسيسية: (٢٧) ساعة من أصل (٩٨٠) ساعة تلقاها الضابط في أثناء الدورة رقم (٢٢).

٢- المتقدمة: (٢٠) ساعة، من أصل (٢٢٥) ساعة تلقاها الضابط في أثناء الدورة رقم (٧)[١]

٢- الثقافة الإسلامية:

(أ) الهدف من تدريس المادة:

ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة وروح الجهاد في نفوس الضباط[٢].

(ب) محتويات المنهج:

المنهج موحد في مركز ومدرسة سلاح المشاة والمدفعية.

أ - الضباط التأسيسية:

١- مقدمة في مفهوم الثقافة الإسلامية وأهميتها وخصائصها.

٢- صفات القائد المسلم. ٣- صفات الجندي المسلم.

٤- أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الجيش الإسلامي عمومًا.

٥- غزوة بدر ونتائجها -كمثال للغزوات الإسلامية الكبرى، حيث تتم مناقشة الغزوة والدروس المستفادة منها-.

---

(١) انظر مركز ومدرسة سلاح المدفعية، المنهاج العام لدورات مركز ومدرسة سلاح المدفعية لعام ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر التوجيه التدريبي للقوات البرية لعام ١٤٠٧هـ.

٦- المذاهب المعاصرة والهدامة[١].

(ب) الضباط المتقدمة:

١- الجهاد، أحكامه، أهدافه في الإسلام.

٢- عوامل النصر والهزيمة.

٣- المذاهب المعاصرة والهدامة[٢].

(ج) عدد الساعات الدراسية:

١- مدرسة المشاة:

١- التأسيسية: الساعات الدراسية المخصصة لمادة الثقافة الإسلامية(٣٥) ساعة، من(٧٧٠) ساعة عدد ساعات الدورة رقم(٥٦)، (٥٧)

٢- المتقدمة: (٣٥) ساعة، من أصل(٩١٠) ساعات عدد ساعات الدورة رقم(٣١)، (٣٢)[٣].

٢- مدرسة المدفعية:

-التأسيسية: (٢٧) ساعة، من أصل (٩٨٠) ساعة خلال الدورة رقم(٢٢).

---

(١) انظر مركز ومدرسة سلاح المشاة. مادة الثقافة الإسلامية لطلاب دورة الضباط التأسيسية. رقم (٥٦)، (٥٧)، وانظر مركز ومدرسة سلاح المدفعية. مادة الثقافة الإسلامية لطلاب دورة الضباط التأسيسية رقم (٢٢).

(٢) انظر مركز ومدرسة سلاح المشاة، مادة الثقافة الإسلامية لطلاب دورة الضباط المتقدمة رقم (٣١)، (٣٢) وانظر مركز ومدرسة سلاح المدفعية مادة الثقافة الإسلامية لطلاب دورة الضباط المتقدمة رقم (٧).

(٣) انظر المنهج المفصل لدورات مركز ومدرسة سلاح المشاة لعام ١٤٠٧هـ.

- المتقدمة: (٣٠) ساعة من أصل (١٢٢٥) ساعة خلال الدورة رقم (٧)[١].

والنقص الحاصل في مدرسة المدفعية بالنسبة للساعات المقررة للقرآن الكريم، والثقافة الإسلامية نقص عام وشامل لجميع مناهج الدورة، نظرًا لضيق وقتها بسبب ظروف خاصة[٢].

ثانيًا: ضباط الصف والجنود:

أولًا: مركز ومدرسة سلاح المشاة:

يتلقى ضباط الصف والجنود خلال الدورة مادة الثقافة الإسلامية كمادة دينية أساسية تدرس أثناء الدورات.

(أ)- محتويات المنهج:

القسم الأول: الطهارة وكيفيتها، وما يتعلق بها من أحكام. الصلاة وكيفيتها، وما يتعلق بها من أحكام.

القسم الثاني العقيدة وتشمل:

- معرفة العبد ربه الذي يعبده.
- معرفة العبد نبيه محمدًا ﷺ.
- معرفة دين الإسلام بالأدلة.
- أركان الإسلام.
- نواقض الإسلام العشرة.

القسم الثالث: التفسير ويشمل: الفاتحة، ومن سورة الزلزلة إلى آخر سورة الناس.

---

(١) انظر المنهاج العام لدورات المدفعية لعام ١٤٠٧هـ.

(٢) أخبرني بذلك أحد مسئولي المدرسة عند زيارتي لها.

القسم الرابع: الحديث ويشمل:

- فضيلة الأمانة وعاقبة الخيانة. - الجهاد في سبيل الله.

- النهي عن التحاسد والتباغض[1].

(ب) عدد الساعات الدراسية:

تأسيسية: تلقى ضباط الصف(٩) ساعات، من أصل(٤٢٠) ساعة تلقاها ضباط صف الدورة رقم(٣٨).

متقدمة: تلقى ضابط الصف(٩) ساعات، من أصل(٤٢٠) ساعة تلقاها ضابط صف الدورة رقم(١٣).

أما دورات تأهيل الجنود: فيتلقى الجندي(٨) ساعات، من أصل (٢٩٠) ساعة تلقاها جنود الدورة رقم(٣١)[2].

أما القرآن الكريم فليس هناك ساعات مقررة لضباط الصف والجنود في جميع دورات مركز ومدرسة سلاح المشاة المنعقدة في عام (١٤٠٧هـ)[1].

ثانيًا: مركز ومدرسة سلاح المدفعية:

يتلقى ضباط الصف والجنود: القرآن الكريم، والثقافة الإسلامية كمواد دينية أساسية تدرس أثناء الدورات.

---

(١) انظر مركز ومدرسة المشاة. مادة الثقافة الإسلامية لضباط الصف والجنود لعام ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر المنهج المفصل لدورات مدرسة سلاح المشاة لعام ١٤٠٧هـ.

(٣) انظر المرجع السابق.

١- القرآن الكريم:

(أ) محتويات المنهج: تلاوة وحفظ سورة الزلزلة وما بعدها حتى نهاية سورة الناس.

(ب) عدد الساعات الدراسية:

- التأسيسية: تلقى الجنود، وضباط الصف (٢٨) ساعة، من أصل (٥٦٠) ساعة الدورة رقم (٢٢).

- المتقدمة: تلقى ضباط الصف (٢٧) ساعة، من أصل (٥٦٠) ساعة الدورة رقم (١٢)[١].

وكما ذكرت سابقًا بأن النقص الحاصل في الساعات المقررة لمادة القرآن الكريم والثقافة الإسلامية كان بسبب ظروف خاصة تمر بها المدرسة وهو نقص شامل لجميع المواد المقررة، وأخبرت بأن النصاب المقرر للقرآن الكريم والثقافة الإسلامية لجميع الدورات هو (٣٥) ساعة.

٢- الثقافة الإسلامية:

(أ) محتويات المنهج: المنهج المقرر في المدرسة مطابق لما قرر في مركز ومدرسة سلاح المشاة وقد ورد ذكره[٢].

(ب) عدد الساعات.

- التأسيسية: تلقى المتدرب (٢٨) ساعة، من أصل (٥٦٠) ساعة تلقاها جنود وضباط صف الدورة رقم (٢٢).

---

(١) انظر المنهاج العام لدورات المدفعية لعام ١٤٠٧ هـ.

(٢) انظر ص (٣٢٦).

- المتقدمة: تلقى المتدرب (٢٧) ساعة من أصل (٥٦٠) ساعة تلقاها ضباط صف الدورة رقم (١٢)[١].

مدى كفاءة المناهج لإعداد الجندي إسلاميا وعقديا:

تبين لنا في بداية الفصل أهمية العقيدة الإسلامية، وأن القرآن المكي ظل ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا يعالج العقيدة، ولم يتجاوزها إلى غيرها حتى استقرت استقرارًا مكينًا في القلوب، وذلك دليل على أهمية العقيدة، ووجوب العناية بترسيخ أسسها الصحيحة في النفوس.

والجندي المقاتل بحاجة إلى العقيدة الراسخة، فالروح أغلى ما يملك، حيث لا يمكن بل من المستحيل أن يضحي بها مقبلًا غير مدبر، إلا إذا كانت لديه عقيدة راسخة، ومهما استخدم من سلاح متطور وأبدع فيه، فإنه بدون عقيدة يكون لا قيمة له من الناحية العسكرية. يقول اللواء محمود خطاب: «وكتل الحديد التي هي السلاح والعتاد، لا جدوى منها ولا فائدة فيها، إذا لم يستعملها إنسان ذو عقيدة راسخة، ومثل عليا»[٢].

وفي الدراسة السابقة تبين لنا مدى الجهد المبذول من أجل إعداد الجندي إعدادًا عقديًا سليماً، وذلك في نماذج من كليات ومدارس ومراكز القوات المسلحة. وسأبين فيما يلي مدى كفاءة تلك المناهج المقررة لإعداد الجندي في الجيش العربي السعودي إعدادًا عقديا سليماً خلال دراسته:

---

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) بين العقيدة والقيادة، ص٣٤.

١- كلية الملك عبدالعزيز الحربية:

يلتحق الطالب بالكلية بعد تخرجه من إحدى المدارس الثانوية بأقسامها المختلفة، ويتلقى التعليم الديني ممثلًا بالقرآن الكريم، والثقافة الإسلامية، ولو نظرنا إلى منهج القرآن الكريم في الكلية لوجدناه مناسبًا للطالب، كما أن الساعات المقررة له فيها الكفاية لتحقيق الغرض المطلوب من تدريس المادة.

أما منهج الثقافة الإسلامية، فهو جيد المحتوى، حيث يكفل توضيح العقيدة السليمة، وينمي روح الجهاد لدى الجندي، وينبهه إلى الأخطار المحدقة به، إلا أن الساعات المقررة قليلة جدًا، فهي في القسم الإعدادي مقبولة عند مقارنتها بالأقسام الأخرى. أما في القسم المتوسط فمعدومة وفي القسم النهائي نسبتها (١١, ١٪) وهي نسبة لا تكفي لقراءة المقرر فضلًا عن تدبره وفهمه ومناقشة فحواه.

إذًا فالخلل يكمن في الساعات المقررة للثقافة الإسلامية، حيث يجب أن تكون الساعات المقررة مناسبة لحجم منهج المادة، وأرى أنه يجب أن لا تقل الساعات المقررة لمادة الثقافة الإسلامية عن ساعتين كل أسبوع، حتى يمكن تغطية المنهج، ولتحقيق الفائدة المرجوة من تدريس المادة.

٢- كلية القيادة والأركان:

الكلية تتلقى الضباط من ذوي الرتب العالية، أي إن الضابط يلتحق بها وهو في عُمرٍ متقدم، ولديه من المعارف الشيء الكثير، والتعليم الديني بالكلية مقتصر على مادة الثقافة الإسلامية، حيث تلقى الطالب اثنتي عشرة ساعة، من أصل (١٣٢٠) ساعة تلقاها طيلة الدراسة، ووجود ذلك في

الكلية وهي دراسات عليا، دليل على سلامة التوجه والتوجيه. إذ أن استمرار الدراسات الإسلامية في كل مراحل البرامج التعليمية اتجاه جيد يدل على الحرص على بقاء منسوبي القوات المسلحة متصلين بالفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، إلا أن الساعات المقررة للمادة تحتاج إلى إعادة نظر، فقلتها يُخِلُّ بالهدف الذي من أجله أوجدت الدراسات الإسلامية.

أما منهج الثقافة الإسلامية فأرى الاكتفاء بوضع الإطار العام للمادة ويترك تحديد الموضوعات حسب كل دورة، وحسب اختيار مدرس المادة.

٣- الدورات التدريبية:

١- الضباط:

يتلقى الضابط دورات تأسيسية ومتقدمة في سلاحه، وذلك بعد حصوله على البكالوريوس في العلوم العسكرية، وقبل التحاقه بكلية القيادة والأركان. ومن خلال الدراسة السابقة للمناهج المقررة للدورات، والساعات المخصصة لتدريسها، نجد أنها مناسبة ومحققة للغرض المرجو من تدريسها.

٢- ضباط الصف والجنود:

يلتحق بهذه الدورات حملة الشهادة الابتدائية وما قبلها، والمتوسطة والثانوية، ويتلقون منهجًا واحدًا خلال الدراسة، وأرى أن في ذلك خللًا كبيرًا لاختلاف المستوى الدراسي بينهم، فإما أن يكون المنهج أرفع من مستوى خريج الابتدائية وما قبلها، وهذا يحرمه الفائدة، أو أن يكون أقل من مستوى خريج الثانوية، وفي ذلك تكرار لا فائدة منه للطالب.

والملاحظ في مركز ومدرسة المشاة عدم تدريس مادة القرآن الكريم بالإضافة إلى قلة الساعات المقررة لمادة الثقافة الإسلامية، والتي لا تتجاوز (٢٫٢٢٪) مما يتلقاه الدارس، وفي ذلك خلل واضح، فضابط الصف والجندي بحاجة إلى المعرفة في أمور دينهما، خاصة في مسائل العقيدة والعبادات، كما أن تنمية روح الجهاد فيهما أمر هام، ويجب أن لا يهمل هذا الجانب. فالجندي وضابط الصف يحتاجان إلى التعليم الديني أكثر من غيرهما، فهما الأقل مستوى في التعليم، كما أنهما الأكثر عددًا في الجيش. لذلك وجب الاهتمام بهما والتركيز عليهما، والسعي في ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية السليمة في قلوبهما، وتهيئتهما للجهاد الإسلامي.

أما في مدرسة المدفعية: فلو نظرنا في منهج القرآن الكريم لوجدناه أقل بكثير من المطلوب، فهو يحتاج إلى إعادة نظر من أجل تقرير المنهج المناسب، أما الساعات المقررة فمناسبة للمنهج المقرر.

وليصل الإعداد العقدي إلى المستوى الأفضل في جميع مراحل التعليم العسكري، أوصي بما يلي عند وضع المنهج وتحديد الساعات المقررة لكل مادة:

١- وجوب مناسبة المنهج المقرر للمستوى العلمي للدارس.

٢- عند وضع المنهج يجب التنسيق بين ما سيقرر وما سبق أن تلقاه الدارس، لئلا يكون هناك تكرار، إلا إذا أضيف شيء جديد كأن يكون قد أخذه في المرحلة السابقة مجملًا، بينما هنا مفصلًا ونحو ذلك.

٣- إيجاد الساعات المناسبة للمنهج الديني في جميع البرامج التعليمية خاصة دورات ضباط الصف والجنود.

٤- إيجاد نوع من التوازن بين المنهج والساعات المقررة، ليتمكن الدارس من استيعاب المادة.

٥- مطالبة الدارس بتفسير بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالعقيدة والجهاد والعبادات، بدلًا من الاكتفاء بالحفظ.

٦- *في دورات ضباط الصف يجب إعطاء كل طالب ما يناسب مستواه* العلمي، ويترك تحديد ذلك لمدرس المادة، بحيث يوضع إطار عام يتحرك من خلاله المدرس في الاتجاه المناسب لكل طالب، ففي هذه الدورات قد يوجد حامل الشهادة الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية ولا ينبغي مطالبة هؤلاء بمنهج واحد، فقد يكون أقل من مستوى الدارس، وهنا تنعدم الفائدة، وقد يكون أرفع من مستواه، وفي ذلك مطالبة بما لا يقدر عليه.

- كما أقترح ما يلي:

١- فصل التاريخ العسكري الإسلامي عن العسكرية الغربية في مادة مستقلة، من أجل إبراز خصائصها، ومميزاتها، واستقلاليتها.

٢- الاهتمام بالبحوث المتعلقة بالجهاد والعسكرية الإسلامية.

٣- في النشاط الثقافي يُحرص على إبراز الأعمال العسكرية الإسلامية، وتقديمها على شكل مسابقات ثقافية، ومقالات أدبية وأعمال مسرحية.

وفي ختام هذه الدراسة أود أن أشير إلى أن إدارة الشئون الدينية للقوات المسلحة تجري الآن دراسة لمناهج الثقافة الإسلامية في كلية القيادة

والأركان، وفي مراكز ومدارس القوات المسلحة، من أجل الوصول إلى منهج مثالي ومناسب لكل جندي في مدرسته[1].

ثالثًا: متابعة الجندي دينيًا خارج المؤسسات التعليمية:

أ - إدارة الشئون الدينية للقوات المسلحة:

تعتبر إدارة الشئون الدينية للقوات المسلحة الجهة المسئولة عن متابعة الأمور الدينية في الجيش العربي السعودي.

وقد أنشئت هذه الإدارة عام (١٣٩١هـ) حيث. بدأت بجهاز صغير وأخذت في الاتساع حتى أصبحت إدارة مستقلة لها عدة فروع في جميع المناطق والقواعد العسكرية[2].

ومتابعة الجندي دينيًا خارج المؤسسات التعليمية تعتبر في مقدمة أهدافها التي من أهمها:

١- نشر الوعي الإسلامي الصحيح بين أفراد القوات المسلحة.

٢- محاربة الأفكار الهدامة والدسائس الباطلة المنافية لتعاليم الدين الإسلامي، والتي يدسها أعداء الإسلام والمسلمين، وقد تظهر بين الحين والآخر بقوالب خداعة توهم الكثير، ويفطن لها القليل.

٣- تهيئة الجندي للجهاد الإسلامي، والسعي فيما يقوي روحه المعنوية.

٤- الإجابة على الأسئلة التي ترد من أفراد القوات المسلحة، وبيان حكم الشريعة فيها.

---

(١) حدثني بذلك أحد أعضاء اللجنة المشكلة لدراسة المناهج.

(٢) انظر (لقاء مع: عبدالمحسن بن عبدالله آل الشيخ).

٥- تقديم الاستشارات الدينية لأفراد الوزارة وقادتها فيما هو من الاختصاص.

٦- معالجة ما قد يحدث من أمور تحتاج إلى معالجة بما يتفق والشريعة الإسلامية.

٧- التنسيق مع الجهات المسئولة عن التعليم والتدريب في الوزارة لوضع المناهج للمواد الدينية.

وتسعى إدارة الشئون الدينية لتحقيق تلك الأهداف عن طريق:

أ - قسم التوعية الإسلامية للقوات المسلحة وذلك من خلال أنشطتها المختلفة والتي من أبرزها:

١- إقامة مسابقات سنوية لحفظ القرآن الكريم وتجويده بين منسوبي القوات المسلحة، ترصد لها الجوائز المادية والعينية[١].

٢- تعيين ضباط التوعية الإسلامية في القواعد والوحدات والمراكز العسكرية المختلفة، للقيام بمهام الوعظ والإرشاد، والسعي لنشر الوعي الإسلامي الصحيح بين أفراد تلك القطاعات.

٣- إقامة الندوات والمحاضرات، عن طريق دعوة عدد من الشيوخ والعلماء لمعالجة الكثير من الأمور الدينية والاجتماعية التي تهم أفراد القوات المسلحة، وكذلك دعوتهم عند اقتضاء الحاجة والمصلحة لذلك.

---

(١) انظر المملكة العربية السعودية. ديوان رئاسة مجلس الوزراء. قرار الموافقة على مشروع مسابقة القرآن الكريم ورصد الجوائز (رقم ٣/٤٦٦٧ وفي ١٣٩٣/٢/٢٧ هـ).

٤- توزيع النشرات والكتب الدينية على أفراد القوات المسلحة؛ للعمل على رفع وعيهم الإسلامي، وليزدادوا تفقهًا ومعرفة في أمور دينهم.

٥- إقامة المكتبات العامة، ومكتبات المساجد، وتأمينها بالكتب المفيدة والإشراف عليها؛ ليكون الكتاب قريبًا من الجندي وفي متناول يده عند الحاجة، سواء للاطلاع أو البحث والدراسة.

٦- إعداد مناهج الثقافة الإسلامية في معاهد ومدارس ومراكز القوات المسلحة، والإشراف عليها.

٧- الإسهام في تدريس المواد الدينية في الكليات العسكرية، والمؤسسات التعليمية الأخرى، وذلك عن طريق ضباط التوعية الإسلامية[١].

٨- تقديم فقرة دينية من خلال البرنامج الإذاعي للقوات المسلحة بهدف الرفع من مستوى الجندي الثقافي والفكري والقتالي[٢].

ب - مجلة الجندي المسلم:

مجلة إسلامية ثقافية عسكرية فصلية، تعنى بتربية الجندي المسلم تربية إسلامية صحيحة. وقد صدر العدد الأول منها في شهر شوال عام (١٣٩٢هـ)[٣]، وكانت عبارة عن نشرة[٤] تطورت حتى أصبحت مجلة متكاملة في إخراجها، ولها قسم مستقل[٥].

---

(١) انظر: (لقاء مع: عبدالمحسن آل الشيخ).

(٢) انظر: (برنامج القوات المسلحة). إذاعة الرياض.

(٣) انظر مجلة الجندي المسلم. ص٧٣. العدد ٢٩ عام ١٤٠٣ هـ.

(٤) انظر: (لقاء مع عبدالمحسن آل الشيخ).

(٥) صدرت موافقة معالي رئيس هيئة الأركان العامة بإحداث قسم لمجلة الجندي المسلم برقم (٢٥٩٢ وتاريخ ١٤٠٦/٣/٢٧ هـ).

ويتم توزيعها في جميع قطاعات القوات المسلحة، حتى تصل لكل جندي وتحمل بين طياتها كل ما يهم الجندي المسلم، تبرز شخصيته القتالية المستقلة، بكل ما لها من خصائص نفسية وسلوكية، وتعمل على رفع مستواه الفكري والثقافي والقتالي. وتعالج القضايا الدينية والاجتماعية والعسكرية، وتناقش أهم الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي مع إبراز الحلول المناسبة لها، وتهتم بعرض سيرة القادة الفاتحين، وتبرز معالم جهادهم الإسلامي، وتبين الأحكام الشرعية المتعلقة بأمور العبادات وواجبات الدين، وتوجه إلى المعروف وتأمر به، وتبين المنكر وتحذر منه.

كما يصدر عن المجلة (ملحق مجلة الجندي المسلم)، حيث يُعالِج فيه أحد العلماء وأساتذة الجامعات بعض القضايا الدينية أو الفكرية، ويوزع مع أعداد المجلة في القطاعات المختلفة.

جـ - قسم شئون المساجد:

إدارة تُعنى بشئون المساجد، والأئمة، وخدم المساجد، ومن أبرز أنشطتها: -

١- العمل على عقد الدورات اللازمة للأئمة[١]، وبيان واجباتهم التي من أهمها:

أ - تعليم الجند أمور دينهم، وفي مقدمتها العقيدة الصحيحة وشرحها لهم

ب - الوعظ والإرشاد، والتشويق لطاعة الله.

---

(١) انظر (لقاء مع: عبدالمحسن آل الشيخ).

جـ - الحث على الفضائل، والتحذير من الرذائل.

د - شرح الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الصحيحة، خصوصًا المتعلقة بطاعة أولي الأمر، وبالجهاد لإعلاء كلمة الله، دفاعًا عن الإسلام والعرض والنفس والمال[١].

مما سبق يتبين لنا أن الجندي في الجيش العربي السعودي يعد إعدادًا عقديا سليماً، كما أنه يجد المتابعة الجيدة والمستمرة لزيادة إيمانه في العقيدة الإسلامية، وليزداد يقينًا وتفهماً للهدف السامي الذي من أجله التحق في صفوف الجندية.

(١) انظر النظام الداخلي للجيش العربي السعودي، الوظائف الرئيسة وتركيز المسئولية، واجبات الأئمة وارتباطهم.

الفصل الثاني

الأساس النفسي

مدخل

المبحث الأول: الروح المعنوية.

المبحث الثاني: مقاومة الحرب النفسية.

المبحث الثالث: استخدام الحرب النفسية ضد العدو.

المبحث الرابع: ضمان أسر المجاهدين.



مدخل

الروح المعنوية من العوامل الرئيسة في تحقيق النصر، فهي الباعث على القتال والثبات في الميدان، ومصدر قوة فاعلة أثناء المعركة، (فهي مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها، والتغلب عليها والتصميم على إحراز النصر على العدو مهما كانت التضحيات)[1]، كما أنها في وقت السلم باعث على الاجتهاد والإخلاص في إعداد القوة والتدرب عليها، وقد عُرِّفت المعنويات بأنها:

(القوى الكامنة في صلب الإنسان التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل، والتفكير بعزم وشجاعة)[2].

فهي سلاح فعال، وأجدى من أي سلاح مادي، والجندي بحاجة إلى قوة الروح المعنوية أكثر من حاجته إلى السلاح الفتاك[3].

ولقد عمل الإسلام على رفع الروح المعنوية وتقويتها لدى جنده من خلال عدة عوامل، أُبرزها في هذا المبحث:

---

(١) محفوظ، المدخل، ص٢٥١.

(٢) خطاب، الوحدة العسكرية العربية، ص١٣٢.

(٣) خطاب، الإسلام والنصر، ص١٦.

المبحث الأول

الروح المعنوية

المطلب الأول

الإعداد النفسي أيام السلم والحرب

عمل الإسلام على تهيئة الجند وإعدادهم نفسيًّا أيام الحرب والسلم وذلك من خلال عدة أمور من أبرزها:

١- الصبر والثبات:

الصبر قوة نفسية يتصف بها الجندي المؤهل للقتال، وفاقد الصبر لا يمكن أن يثبت في ميدان المعركة؛ لضعفه في مواطن القوة، وجبنه في مواطن الشجاعة. ولقد ذكَّر القرآن الكريم جند الإسلام بأن الصبر طريق النصر، فقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾**[١]، وقال تعالى: **﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[٢].

فالصبر والثبات أولًا، ومن ثم النصر.

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٤.   (٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٠.

والجندي المسلم في جهاده يعتبر في كفاح دائم ومستمر، قد يستغرق منه العمر كله، ويحتاج فيه إلى البذل المتواصل، وذلك عمل لا يقدر عليه ولا يطيقه إلا من اتصف بالصبر[1]؛ لذلك وجه الإسلام جنده إلى الصبر والمصابرة على طول مجاهدة الأعداء، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وحثهم على الصبر والثبات في ميدان المعركة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]. يقول سيد قطب: «فأما الثبات فهو بدء الطريق إلى النصر، فأثبت الفريقين أغلبهما، وما يُدري الذين آمنوا أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون وأنه يألم كما يألمون، ولكنه لا يرجو من الله ما يرجون»[4].

وحثهم على التواصي بالصبر في كل المواطن، فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ • إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ • إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[5]. وذلك لأنه شرط أساسي لتحقيق النصر، وعنصر ضروري للغلبة[6]، قال تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ

---

(١) انظر محمد شديد، الجهاد في الإسلام، ص١١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٥-٤٦.

(٤) في ظلال القرآن، ج٣ ص١٥٢٨.

(٥) سورة العصر، الآية ١-٣.

(٦) انظر يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن الكريم، ص٥٢.

فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[1].

وحذر من فقد الصبر عند اللقاء، حيث يؤدي ذلك إلى موبقة عظيمة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ • وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2]، وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[3].

والصبر خير ما أعطي العبد المسلم وأوسعه، قال ﷺ: «**... من يتصبرَّ يُصبره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»[4].

إذًا فالصبر المستند على الإيمان الراسخ قوة معنوية توصل إلى أفضل الانتصارات، وأطيب الثمار من كل أمر[5]، وقد جعل الإسلام الجندي المتصف بالصبر يعدل مثليه من الأعداء فاقدي الصبر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٥-١٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وانظر صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب ٢٣.

(٤) المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب ٥٠، وانظر مسلم، المصدر السابق، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر.

(٥) انظر عبد الكريم الخطيب، الحرب والسلام في الإسلام، ص٥٠.

يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ● الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[(١)] .

وذلك لأن الله مع الصابرين بتوفيقه وتأييده ورعايته وحفظه لهم من كيد الأعداء، قال تعالى: **﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾**[(٢)] .

ولما كان هذا التأثير الكبير للصبر في تحقيق النصر، فقد كان الرسول ﷺ يوصي جنده بالصبر عند لقاء العدو، فكان إذا بعث سرية أو جيشًا قال لهم: «**يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا . .**»[(٣)] .

وفي حنين انهزم المسلمون في بداية المعركة، وثبت الرسول ﷺ مع بعض صحابته وصبروا، ونادى ﷺ المسلمين فعادوا، واجتمعوا إليه وثبتوا حتى نصرهم الله[(٤)]، فكان في ذلك درس عملي منه ﷺ في الثبات والصبر حين البأس، وحينما يضطرب الموقف.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٥-٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٣) مسلم، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، وانظر البخاري، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ٣٢.

(٤) انظر المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ٥٤، وانظر مسلم، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين.

وعلى هذا المنهج سار جند الإسلام فكان بعضهم يوصي بعضًا بالصبر، ففي اليرموك وعظ أبوعبيدة جند المسلمين، وذكرهم بزاد الصبر، ووجوب التزود منه بما يساعد على تحقيق النصر، فكان مما قال: «. . . يا معشر المسلمين اصبروا؛ فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار»(١)، فلن تتحقق تلك الأمور للفرد بدون التحلي بالصبر، وفي نفس المعركة قال أبو سفيان: «. . . قد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه . . . والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدًا إلا بصدق اللقاء، والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة، وأن الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارٍ وبرارٍ، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله، فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا، ولتكن هي الحصون»(٢).

وحين بعث عمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما إلى العراق أوصاه قبل أن يسرحه، فقال: «. . . واعلم أن لكل عادة عتادًا، فعتاد الخير الصبر، فالصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله»(٣).

وفي القادسية ذكر ربعي بن عامر جند المسلمين بالصبر وثمار التحلي به وبين الآثار المترتبة على فقده، فقال: «. . . وفي الصبر الراحة، فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوها الجزع فتعتادوه»(٤). فالتعود على

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٨.
(٢) المصدر السابق، ص٩.
(٣) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٨٣.
(٤) المصدر السابق، ص٥٣٥.

الصبر في مواطن البأس قوة نفسية تجعل الجندي قوي البأس شديد التحمل لما يلاقيه من الأعداء من حرب مادية أو نفسية.

ولما حاصر الترك المسلمين في أحد قصور السغد، خرج المسيب بن بشر الرياحي[1] ممدًّا للمسلمين، فلما اقترب من معسكر الترك خطب في الجند، وحثهم على الصبر، ورغبهم فيه، وبين لهم مصير أهل الاحتساب والصبر في الدنيا والآخرة، وقال: «... القليل الصابر خير من الكثير الفشل، وليست بكم قلة، فإن سبعمائة سيف لا تضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله»[2].

فالصبر قوة يستند إليها الجندي في مواطن البأس والشدة. لما نزل المسلمون الجبل قبل دخول الأندلس، قام طارق بن زياد[3] فيهم خطيبًا فقال: «أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم[4] إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرًا ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم

---

(١) من الأشراف الشجعان، أقام في خراسان، صحب المهلب ومسلم بن سعد في غزوة الترك، استشهد سنة ست ومائة. انظر الزركلي، الأعلام، ج٧ ص٢٢٥.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٦ ص٦٠٩.

(٣) مولى موسى بن نصير، أصله من البربر، أسلم على يد مولاه، ولاه طنجة وغزو الأندلس، مات سنة اثنتين ومائة. انظر الزركلي، المصدر السابق، ج٣ ص٢١٧.

(٤) ملجأ. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٥ ص٢٨٢.

بمناجزة هذا الطاغية . . . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلًا، استمتعم بالأرفه الألذ طويلًا . . .»[1]. فكان الجند عند حسن الظن بهم، فقاتلوا وصبروا حتى تحققت آمالهم بالنصر.

وبهذا يتبين أثر الصبر في رفع الروح المعنوية للمقاتل، وتحمله للمشاق والعوائق؛ لإيمانه بأن النصر مرتبط بالصبر، وأنه لا نصر بدون صبر ففاقد الصبر ينهزم عند أول عائق، وينخذل أمام أول مرجف، وتلك صفة حذر منها الإسلام، وبين عواقبها.

٢- التوكل على الله:

التوكل على الله من العوامل المحققة للنصر على الأعداء، والتي تجعل الجندي لا يركن إلى قوته، وكثرة عدده، بل يعتمد على الله في قتاله، ويفوض الأمر كله إليه، قال تعالى: ﴿. . . **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾[3].

فواجب الجندي بذل ما في وسعه، فيتسلح بأقوى سلاح مادي ومعنوي، ويبذل جهده وطاقته أثناء المعركة من أجل تحقيق النصر، ولا يجعل للوهن وتثبيط العزم إليه طريقًا، ومن ثم يرد الأمر كله للقوة الفاعلة فالله فعال لما يريد، ومن توكل على الله كفاه، قال تعالى: ﴿. . . **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[4].

---

(١) أحمد بن محمد المقري التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد محي الدين عبدالحميد، ج١ ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣.

(٤) سورة الطلاق، الآية ٣.

ولا يستغني عن التوكل على الله إلا من حاد عن الطريق المستقيم وجعل أمره إلى عدته وعتاده[1]، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾[2].

والجندي في توكله على الله يستند إلى قوة مؤثرة يزيده ارتباطًا بها تقواه وصلاحه. وقد كان الرسول ﷺ يأخذ لكل أمر عدته، ويباشر الأسباب الموصلة إلى الغاية، ثم يتوكل على الله، قال ﷺ لأحد أصحابه لما سأله أأترك ناقتي وأتوكل؟ فقال ﷺ: «**قيد وتوكل**»[3]. فأمره برباطها حتى لا تفلت، وبالتوكل على الله بعد فعل السبب المؤدي إلى المحافظة عليها.

وفي الأحزاب عمل المسلمون على الأخذ بالأسباب المؤدية إلى رد العدوان وتحقيق النصر، حيث تم تحصين المدينة بخندق يمنع تقدم المعتدين، وأعد المسلمون سلاحهم المادي لمواجهة هذا العدوان، ومع كل هذه الأسباب المبذولة كان الرسول ﷺ يدعو ربه قائلًا: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[4]، ليجعل من التوكل على الله شعارًا لكل جندي في كل موطن، وعند كل لقاء.

ولما أمر أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنهما بالمسير من العراق إلى

---

(١) انظر عبدالله القادري، الجهاد في سبيل الله، ج٢ ص١٢٣.

(٢) سورة غافر، الآية ٢١.

(٣) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٢٦١، رقم الحديث (٦١٦٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٢٩.

الشام، كان الموقف لا يحتمل التأخير، فجند المسلمين بالشام في مواجهة خطرة مع الروم، فكان على خالد المسارعة في الإغاثة، فبحث عن أقرب الطرق، فلم يجد إلا طريقًا واحدًا، فيه خطر كبير على المسلمين؛ لضيقه ولعدم وجود الماء فيه، إلا أن توكله على الله كان أقوى من أن يعوقه عائق، فعمل على الأخذ بالأسباب والاحتياطات اللازمة لضمان سلامة الجند في هذا الطريق، فأعد عددًا من الإبل المسنة، فأظمأها ثم سقاها الماء مرتين متتاليتين؛ ليضمن شربها لأكبر كمية من الماء، ثم صروا آذانها، وشدوا مشافرها[1] لئلا تجتر[2] وتستهلك الماء، وسار الجند وكلهم ثقة بالله واعتماد عليه، ويقين بأن ما عملوه من أسباب لا تقدم ولا تؤخر، فما قضاه الله نافذ لا محالة، فكانوا كلما احتاجوا الماء نحروا عددًا من الإبل واعتصروه من كروشها، وفي آخر أيام المسيرة فقد المسلمون الماء، فلم يجزعوا ولم يفقدوا الأمل لثقتهم بالله، ولتفويضهم الأمر إليه، فكان نعم الوكيل، حيث هداهم إلى موقع ماء شربوا منه حتى روى الجيش[3].

وكان قادة الجيوش الإسلامية يوصي بعضهم بعضًا بالتوكل على الله فقد كتب أبو عبيدة إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما يبدي له رأيه في المواجهة العسكرية بين المسلمين والفرس، ويوصيه ومن معه من الجند

---

(١) المشفر للبعير: كالشفة للإنسان. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢ ص٦٣.

(٢) الجرة: جرة البعير حين يجترها فيقرضها ثم يكظمها. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٤ ص١٣٠، وانظر أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ ص٤٧٩.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤١٥-٤١٦؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٨٠.

بضرورة التوكل على الله، والاستعانة به على كل أمر[1]، فكان سعد يحث جنده على ذلك ففي الطريق إلى المدائن وعند عبور المسلمين لنهر دجلة أوصى سعد جنده أثناء العبور بقوله: «قولوا نستعين بالله، ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[2]، فالتوكل على الله بعد فعل الأسباب المشروعة يزيد الجندي قوة، ويجعله أكثر إصرارًا على تحقيق غايته مهما حل به.

٣- شرف الهدف:

حينما يُقدم الإنسان على عمل فإنه يسعى إلى تحقيق أهداف وغايات معينة، ومعرفته بها تدفعه إلى البذل والتضحية أكثر مما لو جهلها، وكلما كانت هذه الأهداف والغايات سامية المقاصد كان الإنسان أصدق في عزيمته، وأكثر استعدادًا للمضي قدمًا حتى يتحقق له ما يصبو إليه، مع الاستعداد لتذليل الصعاب ومواجهة أقسى التحديات.

والجندي المسلم مؤمن بأن ما يقاتل في سبيله ومن أجله شريعة عادلة سامية، تهدف إلى تحرير البشر من الظلم والطغيان، ومن عبودية العباد إلى العدل والإحسان وعبودية الله، وإشعاع نور الإسلام في الأرض، قال تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ • يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[3].

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٣ ص٤٩٠.

(٢) المصدر السابق، ج٤ ص١٠. (٣) سورة المائدة، الآية ١٥-١٦.

فهي شريعة ربانية المصدر، عالمية الدعوة، إنسانية المنزع، يقاتل الجندي المسلم في سبيلها وهو يثق أنه يخوض معركة عادلة، أهدافها شريفة، ومقاصدها نبيلة، ووسائلها سامية، لا ظلم فيها ولا عدوان يقاتل وهو يثق بأحقية ما يقاتل من أجله، فما عند الله وما جاء من عند الله خير وأبقى مما عند المخلوقين، كما أنه يقاتل دفاعًا عن دينه الذي ارتضاه الله له، وعن حرماته ومقدساته، وذلك فرض فرضه الله عليه[1]، قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**[2].

والجندي المسلم يدرك شرف مهمته وهدفه؛ لاقتران عمله في سبيل الله وعمل أعدائه في سبيل الشيطان، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾**[3].

وإحساس الجندي بأنه يحارب أعداء الله من أجل سبيل الله يجعله يشعر بأنه يؤدي عملًا يحمل النور المبين، والسراج المنير لبني البشر في الدنيا والآخرة، وهذا الإحساس يرفع من روحه المعنوية، ويقوي لديه الدوافع النفسية نحو الاستبسال في القتال، والتضحية بالنفس والمال (فهو

---

(١) انظر محفوظ، المدخل، ص٢٥٦-٢٥٧، وانظر توفيق علي وهبة، الجهاد في الإسلام، ص٦٣-٦٤، وانظر صالح سعد اللحيدان، الجهاد بين الطلب والدفاع، ص٨٦، وانظر محمد نعيم ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، ص١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٦.

يرى أن ما معه من الهدى، وما حمل من الدعوة، وما كلف بتحقيقه من الغايات أكرم وأعز وأشرف من كل مغريات الدنيا وزينتها، فهو لا يرى شيئًا يصلح بديلًا عنها، أو عن بعضها)[1]، وأنه يقوم بأداء واجب لا يؤديه إلا أفضل الخلق.

قال عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال ﷺ: «بلى»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال ﷺ: «بلى»، قال: ففيم نُعطي الدَنِيَّة[2] في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟فقال ﷺ: «**يا ابن الخطاب إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا**»[3].

فقد كان لإيمان عمر رضي الله عنه بشرف هدفهم دافع معنوي ونفسي نحو عدم المهادنة، وضرورة مناجزة الأعداء.

وعلى هذا المنهج سار قادة وجند الإسلام، فلم يهادنوا ولم يتضعضعوا لإيمانهم بأن غايتهم نبيلة، وهدفهم شريف، وأن ما أصابهم في سبيله ابتلاء واختبار، يعرف به مدى صدقهم وصبرهم، وإلا فالعاقبة لهم.

٤- الثقة بنصر الله:

لا يقدم المقاتل على خوض معركة إلا بسلاح مادي يثق في قدرته على تحقيق النصر، فينتقي من الأسلحة أحدثها وأوثقها وأقدرها على تحقيق

(١) المرجع السابق، ص٢٠.

(٢) النقيصة. انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢ ص١٤١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية في الحديبية.

الأغراض والأهداف، فإذا وثق من سلاحه أقدم على خوض المعركة والجندي المسلم لا يعتمد في تحقيق النصر على السلاح فقط، مهما كان نوعه ودرجته في التأثير على سير المعركة، بل يعتمد على القوة العظمى، ويثق بوعد الله أولًا، قال تعالى: ﴿. . . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ووعد الله حق، قال تعالى: ﴿. . . إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[2].

والجندي المسلم يثق بنفسه وقوته، ويؤمن بحقيقة النصر الإلهي للمؤمنين الصادقين في إيمانهم، فهو الناصر والمؤيد لعباده، يقوي عزائمهم، ويثبط عزائم أعدائهم، فيخذلهم ويقطع دابرهم، يلقي في قلوبهم الجبن والخوف، ويثير فيهم الفزع والرعب، فيفقد السلاح المادي غلبته، ويبقى سلاح الروح والإيمان هو العامل الفيصل في المعركة، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[3].

ولقد ذكر الله المسلمين بنصره وتأييده لهم في معركة بدر، رغم ما بهم من قلة في العدد، وضعف في العتاد، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]، ذكرهم بذلك من أجل تقوية روحهم المعنوية، وإعدادهم لمواجهة الأعداء بثقة في نصر الله، مهما كان نوع سلاحهم وسلاح أعدائهم، ومهما بلغوا في العدد من قلة أو كثرة.

---

(١) سورة الروم، الآية ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية ١٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٢٣.

وبعد أحد ذكرهم الله تعالى بأنه مهما نزل بهم من هزائم، ومهما حل بهم من شدائد ومصائب، فإن العاقبة لهم، والنصر من نصيبهم والعلو مكانهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

إذًا فالثقة بنصر الله قوة نفسية تجعل الجندي المسلم يبذل جهده في المعركة، وهذا هو المطلوب منه، فالإسلام لا يكلفه بما لا طاقة له به، وإنما يكلفه ببذل المستطاع من الجهد والطاقة والأسباب، ثم يضمن له النصر.

فكان جند الإسلام يقاتلون أعداءهم بثقة في نصر الله لا يزعزعها قوة الأعداء ولا كثرتهم، ولا ضعف المسلمين ولا قلتهم، وكان لذلك الأثر الكبير في تحقيق كثير من الانتصارات والفتوحات[2].

٥- شرف الشهادة:

أخوف ما يخاف منه المقاتل القتل، فالنصر هدفه من خوض المعركة والهزيمة يصاحبها أمل بالانتصار مرة أخرى، لكن القتل يعني نهاية الحياة الدنيا للمقاتل؛ لذلك فهو يقدم تجنب القتل على تحقيق النصر، ويقدم الهزيمة على القتل، لكن الجندي المسلم بإيمانه الصادق، وعقيدته الراسخة لا يخاف الموت ولا يخشى القتل في المعركة؛ لأن قتله يعني انتقاله إلى الحياة الأبدية، حياة الخلود الدائم، والنعيم المقيم، قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

(٢) انظر المبحث الثاني في الفصل السابق، حيث كتب بشيء من التفصيل عن ربط النصر بالإيمان.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

إذًا فالقتل في سبيل الله لا يعني أمرًا سيئًا للجندي، ولا يعني أنه خسر بموته، فالله سبحانه وتعالى قد اختاره لنفسه من بين المجاهدين وكرمه بكرامة الشهداء[2]، وذلك يجعله يحب الموت ويقدم عليه أشد من حبه للحياة، ويدفعه إلى الثبات ساعة الهول والفزع، والإقدام عند الشدة وتطاير الأسنة والرماح[3].

٦- التذكير والدعاء قبل المعركة وأثناءها:

إذا تراءى الجمعان، واستعد الفريقان للقتال كثرت الهموم والغموم والمغريات والمؤثرات التي تدعو الجندي إلى الإحجام، وتصده عن الإقدام وفي هذه اللحظات تبرز الروح المعنوية للجيش، ومدى فاعليتها.

ولقد أمر الإسلام بإذكاء الروح المعنوية للجند في هذه اللحظات الحرجة التي تسبق بدء المعركة ، فأمر بتذكيرهم بما أعد الله للمجاهدين والشهداء من الثواب في الدنيا والآخرة، وبما يجب عليهم في هذا الموطن من صدق اللقاء والصبر على البأس، فقال تعالى موجهًا نبيه محمدًا ﷺ إلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩-١٧١.

(٢) انظر سيد قطب، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ج١ ص٣٤٢.

(٣) انظر المبحث الرابع من الفصل السابق، حيث كتب بشيء من التفصيل عن منزلة الشهداء عند الله.

ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١).

فكان ﷺ يحث جند المسلمين على القتال ويرغبهم فيه، ويذكرهم بما أعد الله للمجاهدين من الخير في الدنيا والآخرة، ويبين لهم فضل الشهادة وكثيرًا ما فعل ذلك ﷺ في غزواته، كان ينتظر زوال الشمس، فإذا زالت قام فيهم ووعظهم وأرشدهم وحثهم على القتال، وعلى بذل الجهد في المعركة(٢)، فإذا نشب القتال توجه ﷺ إلى ربه سائلًا إياه العون والنصر، ففي أُحد كان يقول: «**اللهم إنك إن تشأ، لا تعبد في الأرض**»(٣)، وفي ذلك تسليم منه ﷺ بقدر الله، وفي الأحزاب قال: «**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»(٤).

ففي الدعاء رجوع إلى القوة العظمى التي يستند إليها المجاهد، فيستلهم منها القوة الدافعة إلى الثبات، والجندي في سؤاله ربه ودعائه إياه أثناء المعركة كمن يذكي سلاحه، فيعود إلى قوته الأولى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥).

وكان مما تعاهده قادة الجيوش الإسلامية قراءة سورة (الأنفال) قبل

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٥.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٥٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء.

(٣) المصدر السابق، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٤٥.

بدء القتال[1]؛ لاحتوائها على كثير من أحكام الجهاد، كما تعاهدوا جندهم بالوعظ والإرشاد قبل بدء المعركة. يقول صاحب آثار الأول: «ينبغي للملك أن ينصب لأهل الحرب قصاصًا وخطباء يذكرونهم الحرب والوقائع الماضية، والغزوات السالفة، ومواقع الشجعان، ومصارع الفرسان، وما وعد الله الشهداء والمجاهدين من الثواب في دار النعيم وإن أمكن للوالي أن يفعل ذلك بنفسه فلا بأس، فإنه مما يؤلف الهمم ويقوي العزائم، ويشد نفوس أهل الحرب»[2].

وعلى المنهج سار قادة الإسلام، فتعاهدوا جندهم بالوعظ والإرشاد والحث على الجهاد، والترغيب فيه[3]. خطب قتيبة بن مسلم في جنده فقال: «إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه، ويذب بكم عن الحرمات، ويزيد بكم المال استفاضة، والعدو وقماً[4]، ووعد نبيه ﷺ النصر بحديث صادق وكتاب ناطق، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[5]، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب، وأعظم الذخر عنده فقال: ﴿. . . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ • وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٧، ٥٣٦.

(٢) الحسن بن عبدالله، آثار الأول، ص١٦٩.

(٣) انظر شواهد ذلك في المبحث الثاني من الفصل السابق.

(٤) الوقم: القهر والذل. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص١٨٩.

(٥) سورة الصف، الآية ٩.

إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، ثم أخبر عمن قتل في سبيله أنه حي مرزوق فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2] فتنجَّزوا موعودَ ربكم، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم، وإياي والهوينى»[3].

فكان لمثل تلك الخطب والمواعظ أثر كبير في شحذ الهمم، وتوطين النفوس على الصبر والمصابرة حتى النصر.

وكل ما سبق يجعل الجندي ذا روح معنوية عالية، تتجه نحو غايتها بكل جرأة وثبات، متخطية كل ما يواجهها من عقبات وصعوبات، لا ترضى ولا تستكين، ولا تذل ولا تلين، حتى تتحقق الغاية، وينتشر النور المبين.

المطلب الثاني

انتزاع عوامل الضعف

يوجد في النفس البشرية غرائز يسعى الإنسان إلى المحافظة عليها، والسعي لأجلها، وقد تكون هذه الغرائز نقاط ضعف تمنع الإنسان من أداء واجبه، أو تؤدي به إلى التفريط والتضحية ببعض المبادئ والقيم مما يكون له أثر في تحديد اتجاه حياته.

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢١

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٣) تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٢٤؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٠٥.

ولقد جاء الإسلام وعمل على تهذيب تلك الغرائز في الإنسان وحددها بضوابط تبقيها في إطارها الصحيح، ثم حذر المسلمين من مهلكة الاندفاع خلف تلك الغرائز، أو أن يأتيهم أعداؤهم من خلالها، فتصبح عوامل ضعف يستغلها الأعداء فيهم، فكان في تهذيب تلك الغرائز قوة معنوية أسهمت في تحقيق كثير من الانتصارات الإسلامية. ومن أبرز تلك الغرائز:

١- إرادة غير الله في الجهاد:

للعقيدة الإسلامية دور فعال في انتزاع عوامل الضعف لدى الجندي المسلم، فالمسلم بإسلامه قد عقد مع الله تعالى عقد بيع وشراء، باع نفسه وماله لله تعالى، واشترى الله منه ذلك بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١] فوجب على المسلم الوفاء بذلك العقد، فيتحرر من سلطان غير الله، ويحقق ذلك في وجدانه، فيجاهد بماله ونفسه في سبيل الله، لينال جزاء ذلك من عند الله، ووعد الله حق.

والجهاد في سبيل الله يعني القيام بواجب حمل الرسالة الإسلامية إلى كل شبر من أرجاء الأرض، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق الإيمان العميق بتعاليم الإسلام، وسلوك المنهج الإسلامي القويم، ونبذ مطامع الحياة الدنيا، والمؤثرات الدنيوية. فإذا كان ذلك فإن على الجندي المسلم أن يتجرد في قتاله من كل هدف دنيوي، فلا تتعلق نفسه بمغنم، ولا جاه ولا

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

حمية، ولا منصب، ولا تؤثر فيه وشائج القرابة ونحوها، بل يكون قتاله من أجل إعلاء كلمة الله، وتحقيق رضا الله الهدف الأسمى في ذلك وذلك تحقيقًا لعقد المبايعة بينه وبين ربه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[٢] فمن كان سبب قتاله إعلاء كلمة الله، ونشر نور الإسلام، فهو في سبيل الله، ومن أضاف إلى ذلك سببًا آخر من المطامع الدنيوية، أو قاتل متأثرًا بقرابة، أو عصبية، فقد أخل بذلك[٣]، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ . . .﴾[٤]، فيتجرد المسلم من كل عائق دنيوي، ومن كل شبهة قد تؤثر عليه، وتخضعه لغير الله، ويرتبط بالعروة الوثقى حبل الله المتين ارتباطًا مباشرًا؛ ليستمد منها القوة والعزة، وليشتد إيمانه وتقوى معنويته[٥].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٢٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٥، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

(٣) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٢٨.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٥) انظر سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص٣٧-٤٠.

فإذا حقق الجندي المسلم الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين، وتجرد لهم في جهاده، فإنه يخوض غمار المعركة وقد ضمن لنفسه المنفعة، فانتصاره يعني عزة الإسلام والمسلمين، وهزيمته امتحان له ولإخوانه ينالون به ثواب الصابرين، وقتله يعني فوزه بالشهادة بعد أن أدى واجبه كاملًا، كل ذلك يجعل الجندي المسلم يقدم على خوض المعارك بلا وجل ولا خوف، يقدم إقدام الواثق بالعاقبة، يحب الموت لما فيه من الخير والنعيم المعد له، ويحب الحياة لما فيها من العز والنصر، وهذا ما يرفع ويقوي من الروح المعنوية للجندي المسلم، ويجعل منها سلاحًا لا يؤثر فيه أي سلاح مادي، ولا يقف في وجهه صاحب باطل. ففي وقت السلم يخلص في إعداد القوة والتدريب عليها؛ ليطمئن بذلك إلى حسن استعداده وقدرته على مواجهة الأعداء، وفي القتال يبارز وينازل ويطاعن كل من يقف في سبيل الدعوة الإسلامية، وهو بذلك كله يهدف إلى إعلاء كلمة التوحيد، متجردًا من كل هدف دنيوي قد يؤثر عليه، وبذلك تقوى عزيمته وروحه المعنوية لأنه في سبيل من بيده النصر والتأييد، ولن يخذل الله من نصره وأيد دعوته ولقد تجرد جند الإسلام من كل عائق في سبيل نشر الدعوة الإسلامية فقاتلوا آباءهم وإخوانهم وأبناءهم، وتركوا الأهل والأوطان وساروا في الصحاري والقفار، يحملون معهم نور الإسلام.

فهذا أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة[1] يقوم لمبارزة والده يوم بدر، وهو بذلك قد جعل من الإسلام رباطًا يرتبط به مع الآخرين، وما عداه

---

(١) ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي. قيل اسمه هشيم، وقيل مهشم وقيل هاشم، وقيل قيس، من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، استشهد يوم اليمامة وله ست وخمسون سنة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص٤٣.

لا شيء. ولما مُنع من ذلك وقام إليه نفر من المسلمين أعانهم على قتله[1] بعد أن تجرد من كل ما يربطه بهذا المشرك.

وحاول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قتل أخيه عتبة، وحرص على ذلك حرصًا شديدًا، واخترق صفوف المشركين في طلبه أكثر من مرة؛ لأنه حاول قتل الرسول ﷺ [2]، ولما شاور الرسول ﷺ الصحابة في أسارى بدر قال عمر رضي الله عنه: «... أرى أن تمكِّننا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان -نسيبًا لعمر- فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها»[3].

وفي أحد تجرد مصعب بن عمير[4] رضي الله عنه من نفسه، وجعل يقي رسول الله ﷺ ويذب عنه بنفسه، ويتلقى السهام الموجهة إلى الرسول ﷺ، حتى أعجزته الجراح واستشهد[5].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي جنده وقادتهم بوجوب التجرد لله في القتال، ونبذ ما سواه من أهواء وأغراض، وإخلاص النية لله في ذلك

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٧٠.

(٢) انظر المصدر السابق، ص٢٤٥، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥١٩، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص١٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٤) ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري، أحد السابقين إلى الإسلام، يكنى بأبي عبدالله، هاجر إلى الحبشة وعاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة، شهد بدرًا، كان أنعم غلام بمكة. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٣ ص٤٠١-٤٠٢.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٥١٦؛ وانظر الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢ ص٢٣١.

وكان مما قال لخالد بن الوليد موصيًا: «. . . ولا يدخلنك عجب فتخسر وتُخذل، وإياك أن تُدل بعمل، فإن الله عز وجل له المن، وهو ولي الجزاء»[1]. وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أمراء جنده يحثهم على ضرورة تطهير النفوس والضمائر من مظان الأمور التي لا تقوم على أساس الإيمان والتي تعوقهم أثناء القتال، فكان مما قال: «. . . قاتل هواك كما تقاتل عدوك، واصبر نفسك عندما كرهت ابتغاء ما عند الله من حسن ثوابه الذي وعد به المتقين فيما بعد الموت . . .»[2].

فالأمور التي تقوم على أساس مصالح الدنيا عامل ضعف ووهن للمقاتل، فوجب التخلص منها، والحرص على اجتنابها؛ لتبقى النفس قوية، عازمة على المضي لتحقيق غرض كلمة التوحيد في الأرض مهما واجهها من مصاعب ومشاق.

٢- الخوف من الموت:

الإنسان في كل زمان ومكان يحب الحياة ويخشى الموت، ويدفعه ذلك في كثير من الأحيان إلى الخضوع لمن هم أقوى منه، ويصرفه عن القيام بالواجب والدفاع عن الحق والوطن، أو المخاطرة في الأعمال، وكل ذلك يورثه الضعف والجبن.

ولقد قاوم الإسلام هذا الشعور، وجعل الإيمان بحقيقة الموت والحياة من أصول العقيدة، فالموت والحياة أمرهما لله، فالعمر محدد، والأجل

(١) الطبري المصدر السابق ج٣ ص٤٠٧، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣٥٢.
(٢) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٦٨.

مكتوب، فلا يزيد العمر بالتخلي عن الشجاعة والجرأة، ولا ينقص بالالتحام والإقدام في المعارك، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[٢].

فالجندي المسلم يؤمن بأن الموت لا علاقة له بالحرب ولا بالسلم، ولا بقوة السلاح وكثرته، ولا بالحصون المتحصن بها، بل علاقته بالأجل المحدد الذي قدر ساعته مولاه، فإذا حاول العدو إخافته بالموت والقتل عن طريق إلقاء متفجرات[٣]، أو استعمال سلاح فتاك، فإن ذلك لا يؤثر فيه؛ لعلمه وإيمانه بحقيقة الأجل المكتوب[٤].

ولقد جعل الإسلام الإيمان بالأجل المكتوب «أصلًا إيمانيًا في صميم العقيدة، ويربي عليها تربية عميقة طويلة، ويروض عليها النفس حتى تصبح واقعًا عمليًا في الفكر والسلوك»[٥]، فبعد أُحد قال المنافقون: ﴿... لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا...﴾[٦]. وذلك اعتقاد منهم بأن الخروج للقتال سبب موتهم، وأنهم لو بقوا في المدينة ما قتل أحد، فرد الله عليهم بتقرير حقيقة الأجل، فقال تعالى: ﴿... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا

(١) سورة الأعراف، الآية ٣٤.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٨.

(٣) مواد كيماوية، تصنع منها القذائف والألغام. انظر المعجم الوسيط، ج٢ ص٦٧٥.

(٤) انظر توفيق علي وهبة، الجهاد في الإسلام، ص٩٠، وانظر إسماعيل أبو شريعة، نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، ص٢٢٩.

(٥) محمد شديد، الجهاد في الإسلام، ص٩٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

﴿فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١]
وحذر عباده من أن يعتقدوا بمثل هذا الاعتقاد الفاسد، الدال على ضعف العقيدة، والجهل بحقيقة الموت والحياة[٢]، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣].

فالأجل لا يتقدم ولا يتأخر عما هو مقرر له في علم الله، وعلى الجندي المسلم أن يدرك ذلك ويعيه، وتركه الجهاد مخافة الموت دليل على نقص في حقيقة الإيمان، عليه أن يعالجها بالثقة والإيمان بقضاء الله وقدره، فالقتل في سبيل الله يعني الشهادة، وتلك درجة يسعى لها كل مسلم، فعلام الخوف إذن[٤].

٣- حب الحياة الدنيا:

يخاف الإنسان من الموت لحرصه على الحياة الدنيا وما فيها من متع وزخارف وزينة يسعى من أجل الحصول والمحافظة عليها، ويتجنب كل ما يفقده إياها، أو ينقص منها.

ولقد جاء الإسلام وعرَّف المسلمين بحقيقة الحياة الدنيا، فبين لهم أنها مجرد مرحلة يمر بها الإنسان، يتزود من خلالها بزاده للحياة الآخرة، الحياة

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٤.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٤٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٦.

(٤) انظر المبحث الرابع من الفصل السابق.

الخالدة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2].

فهذه حقيقة الحياة الدنيا وهذا حاصلها، فليس لها من الوزن شيء من حيث هي حياة.

ولقد سما الإسلام بغريزة حب الحياة وارتفع بها من حيز الأرض والعمر القصير، والمتع الفانية، إلى الحياة الباقية، حياة النعيم الحقيقي. ومن اعتقد بأن ما هو مقدم عليه بعد الموت خير مما هو فيه[3]، فلن يتأخر عن الإقدام واستقبال الموت بالفرح والبهجة، ولن يبخل بنفسه أو ماله عن الجهاد في سبيل الله؛ لأنه يعلم أنه مقبل على الحياة الخالدة، الحياة الحقيقية[4]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[5]. إن معرفة الجندي المسلم «بحقيقة هذه الدنيا، وقيمة متاعها، وأنها ليست سوى مرحلة من مراحل وجوده، وممر ووسيلة إلى

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٠.

(٣) انظر محمد شديد، الجهاد في الإسلام، ص١٠٠.

(٤) انظر محمد ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية، ص٣٠، وانظر محمد شديد، المرجع السابق.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

مرحلة نهائية، فيها القيم الخالدة، والتجارة الرابحة، والفوز الحقيقي»[1]، عامل نفسي يدفعه إلى مواطن الجهاد برباطة جأش، وشوق إلى الحياة الباقية، وكرامة الشهادة، فإما حياة طيبة عزيزة كريمة، وإما فوز بشهادة تنقله إلى النعيم الباقي.

٤- الخوف من الفقر:

يحرص الإنسان كثيرًا على تأمين القوت له ولأولاده من بعده، فكثيرًا ما فكر في ذلك، وسلك طرقًا مشروعة وغير مشروعة من أجل تأمين الرزق وابتعد عن طرق لا يضمن سالكها العواقب، فهمُّ الرزق، والحرص على تأمينه للأولاد عامل مثبط للإنسان عن الخوض في الأخطار.

ولقد ربى الإسلام أتباعه على الإيمان بأن الرزق بيد الله، يعطيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء، لئلا ينحرف الإنسان في طلبه، ويكون ذلك همه ومبتغاه، فيكون عاملًا يعوق عن الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**[2]، فالخوف من الفقر «إنما هو من إيحاء الشيطان؛ ليضعف به النفس، ويصدها عن الثقة في الله»[3]، قال تعالى: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[4]، فالله المعطي والمانع، والرزق عنده مقسم محدود، فلا يزيده

---

(١) محمد ياسين، المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) سورة هود، الآية ٦.

(٣) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص٤٢.

(٤) البقرة: ٢٦٨.

الحرص ولا الإحجام، ولا ينقصه البذل ولا الإقدام، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(١).

قال ﷺ: «**إن الله عز وجل قد وكَّل بالرحم ملكًا، فيقول: أي رب! نطفة. أي رب! علقة. أي رب! مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقًا قال: قال الملك: أي رب! ذكر أو أنثى؟، شقي أو سعيد؟، فما الرزق؟ فما الأجل؟، فيكتب كذلك في بطن أمه**»(٢).

وقال ﷺ لأبي هريرة: «**جف القلم بما أنت لاق**»(٣)، وذلك لا يعني الركون والكسل، وعدم بذل الجهد في طلب الرزق، فالسعي في طلب الرزق، وبذل الأسباب أمر مطلوب في الإسلام، وقد حث القرآن الكريم على ذلك، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤).

وقال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(٥)، فالمنهي عنه الركون إلى طلب الرزق واستعباد المال، وانصراف التفكير إلى الطرق الجالبة له، فيكون

---

(١) سورة النحل، الآية ٧١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب القدر، باب ١.

(٣) المصدر السابق، باب ٢.

(٤) سورة الجمعة، الآية ١٠.

(٥) مسلم، المصدر السابق، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

المرء عبدًا للمادة، يجتهد من أجلها ولها، ويسخر كل إمكاناته الفكرية من أجلها، فينصرف عن طاعة الله والجهاد في سبيله، وقد ذم الرسول ﷺ عبدة الدنيا، والدرهم فقال: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض**»[١]. ونهى الله سبحانه وتعالى أن يسلك المرء طرقًا غير مشروعة من أجل الحصول على المادة، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٣]، إذًا فلكل إنسان رزقه المحدد والمكفول في هذه الحياة الدنيا، فإذا كان ذلك ففيم الخوف على الرزق؟!.

وبهذا يحرر الإسلام الجندي من كل ضغط نفسي تجلبه إحدى تلك الغرائز، حيث تناول «كل المخاوف البشرية الزائفة واحدًا واحدًا فينفضها عن النفس، ويرفع عنها إصرها، ليطلقها تواجه الحياة قوية عزيزة متمكنة متطلعة، مطمئنة إلى الله . . . إن قوى الأرض كلها لا تخيف - أو لا ينبغي أن تخيف - لأنها قوى مسخرة، لا تستمد من نفسها، ولا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا . . . فالخوف ينبغي أن يكون من الله، ومما يخوف به الله»[٤]، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٥].

---

(١) البخاري، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٠.

(٤) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ص ١٦٠-١٦١.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٧٥.

المطلب الثالث

أثر الإعداد المادي للجيش في رفع الروح المعنوية

حينما يقدم المقاتل على خوض المعركة، وقد وثق من الاستعداد المادي والروحي والنفسي لقائده وزملائه وأمته، فإنه يقدم بثقة تدفعه إلى تجاوز الحواجز النفسية والمادية، ومواجهة الأعداء برباطة جأش وقوة بأس وتصميم على خوض المعركة حتى النصر.

وإيمان الجندي المسلم بأن قيادته المؤمنة، وزملاءه المخلصين قد حققوا أمر الله في وجوب إعداد القوة الشاملة المتطورة كما أمروا بذلك يرفع من روحه المعنوية، (فالإعداد الحربي إعدادًا متكاملًا يرفع المعنويات، ويقوي الثقة بالنفس، ويلهب مزية إرادة القتال)[1]، ويقطع الطريق على الحرب النفسية الموجهة للمسلمين من أن تؤثر فيهم، فلا يلتفت إليها[2]، فهم على ثقة من استعدادهم المادي والروحي والنفسي.

ويعتقد الجندي المسلم بأن الإعداد الشامل والمتطور لجيش المسلمين عامل يثير الرعب والخوف في قلوب الأعداء، فإذا فقد الأعداء ثقتهم بأنفسهم وسلاحهم وقادتهم؛ لتفوق الجيش الإسلامي عليهم، فقدوا بذلك ركنًا رئيسيًّا من أركان الروح المعنوية إلا أن ثقة الجندي بجيشه عند

---

(١) محمود خطاب ، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، ص٣٢.

(٢) انظر علي العلياني، محاضرة الحرب النفسية، طبيعتها وخصائها.

كمال الاستعداد يجب أن لا تصل إلى حد الإفراط والإعجاب بالنفس والبطر والغرور، فتلك مرحلة من الإعجاب تؤدي إلى الهزائم والمصائب، وقد كان ذلك دأب المشركين. وقد حذر الإسلام من التشبه بهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ • وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، فالإعجاب بالنفس وبالقوة يولد الوهن والضعف وذلك للاعتماد الكلي عليهما، وقد اجتمع للمسلمين يوم حنين كثرة العدد والسلاح، فأعجبوا بأنفسهم وبقوتهم، ورأوا أن قوتهم قاهرة ومحققة للنصر ضد أي عدو كان، حتى قالوا: لن يغلبنا أحد من قلة[2]، وغفلوا عن سبب النصر الأول، فعاقبهم الله بالهزيمة رغم كثرتهم وقوتهم، ثم نصرهم بالعدد القليل الذي ثبت مع الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ • ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[3]، لما وصل إعجاب المسلمين بكثرتهم وقوتهم إلى الاتكال عليها لم تغن عنهم شيئًا، ولم تحقق

---

(١) سورة الأنفال الآية ٤٧-٤٨.

(٢) الواقدي، المغازي، ج٣ ص٨٨٩-٨٩٠، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٧٨.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٥-٢٦.

لهم النصر، بل ضاقت عليهم الأرض مع سعتها من شدة الخوف والوجل فانهزموا[1].

وكان في ذلك درس لجند الإسلام، فعملوا على إعداد القوة الشاملة والاستعداد الدائم، وجعلوا من ذلك سببًا موصلًا إلى النصر الذي لا تجلبه قوة العتاد ولا كثرة العدد فقط، وإنما تأييد الله أولًا. لما أمر أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنهما بالمسير إلى الشام مددًا لإخوانه المسلمين في اليرموك، قال له موصيًا: «... ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل فإن الله عز وجل له المن، وهو ولي الجزاء»[2]، فحذره من الإعجاب بالنفس والاغترار بالقوة حتى لا يصاب بالوهن لاتكاله عليها، ولما وصل اليرموك خرجت الروم في تعبئة لم ير المسلمون مثلها قط، فخشي خالد أن يدخل الخوف في قلوب جنده من عظم جيش الروم، فعمل على رفع روحهم المعنوية بأن عبأ جيشه تعبئة ضاهى بها الروم، وظهر بها عظم الجيش الإسلامي، حيث خرج في ستة وثلاثين كردوسًا[3] إلى أربعين[4].

وكان من أثر ذلك زوال الرهبة من قلوب المسلمين؛ لأن جيشهم خرج في حالة ترهب العدو، وتُظهر عِظمه في أعينهم.

---

(١) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٣٤٨.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٠٧.

(٣) كردس الخيل: جعلها كتيبة كتيبة. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢ ص٢٥٤.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٣ ص٣٩٦، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٨.

فالإعداد المادي[1] بصوره المختلفة والمناسبة للعصر ضرورة ملحة للجيش الإسلامي، تقتضيها روح العصر ومتطلباته، كما أنه عامل مساعد على رفع الروح المعنوية للجندي.

فكانت الجيوش الإسلامية تخرج في استعداد مادي مناسب للعصر وعلى قدر الإمكانات، ويخرج الوعاظ والخطباء لدعم تلك القوة بالتهيئة الروحية والنفسية اللتين تعتبران الطاقة والمحرك الرئيسي للقوة المادية التي لا يمكن أن يتحقق النصر بدونهما.

(١) سأكتب عن الإعداد المادي في الفصل الثالث من هذا الباب.

المبحث الثاني

مقاومة الحرب النفسية

مدخل

«النفس الإنسانية عالم رحيب، لا تحده حدود، ولا تمسك به قيود مليء بالخفايا والأسرار، مائج بالمشاعر والأحاسيس التي تتأتى على الاستدعاء، ولا تصغي لأي نداء، إلا إذا جاءها الطارق من بابها، ودخل عليها من مسالكها . . . ومن هنا كانت النفس ميدانًا من أفسح ميادين الحرب بين المتحاربين، وأشدها ضراوة، وأكثرها فعالية في كسب المعارك، وتحقيق الانتصارات»[1]، وللمشاعر النفسية دور كبير في تحريك النفس الإنسانية إلى عمل واتخاذ المناسب من الأعمال والأقوال التي تأخذ جديتها وقوتها من المشاعر المصاحبة لها أثناء أدائها[2]. لذلك عدت الحرب النفسية إحدى أدوات القتال الفعالة التي تغير مسار الحروب والاتجاهات الحياتية.

والحرب النفسية من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للأمم والجيوش

(١) عبد الكريم الخطيب، الحرب والسلام في الإسلام، ص٥٣.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.

فهي بوسائلها المختلفة موجهة إلى الفكر والعقيدة والقوى النفسية من أجل إضعافها وتحطيمها، وتجريدها من الإرادة القتالية، وإذا فقد المقاتل إرادته القتالية، أو ضعفت انساق وراء خصمه طوعًا وكرهًا.

والحرب النفسية تشن قبل المعركة لتجعل الخصم في دوامة من الحيرة والاضطراب حتى ينهار معنويًّا، وتشن وقت المعركة لزلزلة ثباته والضغط النفسي عليه من أجل الاستسلام وإيقاع الهزيمة.

إذًا فالحرب النفسية أمضى أثرًا من الحرب المادية؛ لأن الحرب النفسية تقضي على الإرادة القتالية للخصم، وإذا فقدت الإرادة القتالية لدى أي أمة، فهذا يعني فقدها لأهدافها ومثلها التي تحارب من أجلها، وفي هذه الحالة تنطمس الأمة وتندثر معالمها.

ولقد عمل الإسلام على مقاومة الحرب النفسية من خلال عدة أمور أبرزها في هذا المبحث.

المطلب الأول

المؤمن لا يعتمد على قوته

بل يعتمد على عون الله

الاعتماد على القوة المادية يعني ربط مصير الحركة بها، فإذا أصابها عطل أو ضعف أو قابلت قوة أمضى منها تزعزعت الروح المعنوية لدى المقاتل، وفقد ثقته بنفسه وبسلاحه، وأدى ذلك إلى الهزيمة.

والجندي المسلم بإيمانه الصادق، وعقيدته الراسخة يتحصن ضد ما يوجه له من حرب نفسية ومادية، فهو يؤمن بأن الله تعالى مع جنده ناصرًا ومعينًا لهم مهما كانت قوة العدو وكثرته العددية، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]. فالنصر من عند الله تعالى بحوله وقوته.

ولقد ربى الإسلام جنده على ذلك، فنسب قتلهم ورميهم المشركين إلى الله، قال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، فلم يكن وقوع القتل بالأعداء بحولكم ولا قوتكم يا معشر المسلمين، رغم كثرتهم وقوتهم المادية، وقلة عددكم وضعفكم المادي، ولم تكن يا محمد مبلغ الرمي حين رميت قريشًا بالحصباء يوم بدر، لكن الله كبت المشركين، وأوقع فيهم القتل بحوله وقوته، لا بحولكم وقوتكم أيها المسلمون، ولا أنت يا محمد[3].

وعلى هذا المنهج تربى جند الإسلام، فأصبح الجندي لا يخاف من قوة عدوه مهما بلغت، ولا يتأثر بما يوجه له من حرب نفسية[4]؛ لأنه تربى على الاعتماد على الله في كل شيء بعد بذل الأسباب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص ٢٩٦.

(٤) انظر خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص ١٠٩.

أَجْرٌ عَظِيمٌ • الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ • فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وكان الرسول ﷺ إذا غزا دعا ربه بالنصر، ففي حنين لما احتدم الموقف نزل عن دابته، واستنصر ربه وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب. اللهم نزِّل نصرك**»[2]. فبحول الله وقوته يقاتل جند الإسلام، فهو المعين والمستند، أما القوة المادية فما هي إلا سبب من أسباب تحقيق النصر.

لما دفعت قريش بنعيم بن مسعود[3] إلى المدينة من أجل أن يثبط همم المسلمين عن الخروج إلى بدر الموعد، قال للمسلمين: لقد تركت أبا سفيان قد جمع الجموع، وأجلب معه العرب ليأتيكم بما لا قبل لكم به ودعاهم إلى البقاء في المدينة، وعدم الخروج إلى بدر الموعد، وكأنه بذلك ناصح لهم، واستبشر المنافقون واليهود بما سمعوا، وبدءوا في التخذيل والتثبيط، ونشروا ما قال نعيم بن مسعود في جميع أنحاء المدينة، وكثر الكلام فيه، لكن إيمان المسلمين بأن الجموع مهما كثرت، والقوة المادية مهما بلغت لا تجلب النصر، بقدر ما يكون النصر بقوة الإيمان، وقد

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٢- ١٧٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين.

(٣) ابن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن حلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع، يكنى أبا سلمى الأشجعي، أسلم ليالي الخندق، وقتل أول خلافة علي قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل، وقيل مات في خلافة عثمان. انظر ابن حجر، الإصابة، ج ٣ ص٥٣٩.

دفعهم ذلك إلى مخاطبة الرسول ﷺ والقول له: «يا رسول الله، إن الله مظهر دينه ومعز نبيه، وقد وعَدنا القوم وعدًا، ونحن لا نحب أن نتخلف عن القوم، فيرون أن هذا جبن منا عنهم، فَسِر لموعدهم، فوالله إن ذلك لخيرة»[١]، وخرج جند الإسلام غير مبالين بما سمعوا؛ لاعتمادهم على الله، ولثقتهم بوعده، وعادوا بعد أن حققوا نصرًا بدون قتال، نصرًا ألقى الرعب في قلوب أعدائهم من المشركين واليهود والمنافقين.

وفي غزوة مؤتة[٢] أجلبت الروم بجيش عظيم العدد والعتاد، فلم يفُتَّ في عضد جند الإسلام؛ لاعتمادهم على مولاهم في تحقيق النصر، قال عبدالله بن رواحة مخاطبًا جنده في تلك المعركة، ومذكرًا إياهم بحقيقة النصر: «والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولا بكثرة سلاح، ولا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا! والله لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرسان، ويوم أحد فرس واحد، وإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا، وليس لوعده خلف، وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان»[٣].

ولما عزم خالد بن الوليد على المسير من العراق إلى الشام مددًا لجيش المسلمين في اليرموك، وكان يرى أمامه طريقًا محفوفًا بالمخاطر والمكاره ذكر جنده بوجوب الاعتماد على الله، فقام فيهم خطيبًا وقال: « . . . لا يختلفن

---

(١) الواقدي، المغازي، ج ١ ص ٣٨٦-٣٨٧، وانظر تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٥٦٠-٥٦١.

(٢) قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص٢١٩.

(٣) الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٧٦٠، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ ص٩.

هديكم، ولا يضعفن يقينكم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، وأن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له»[1]، فيجب أن يكون الاعتماد على الله سلاحًا يركن إليه الجندي في كل وقته، في الضيق والشدة، فلا يبالي بما يواجه، ولا بما يوجه له من صعاب ومخاطر ومهالك، ولقد بين أحد قادة الجيوش الإسلامية المثنى بن حارثة الشيباني حال الأعداء إذا فقدوا سلاحهم، وأنهم بدون سلاح كالبهائم توجهها أينما تريد، فقال: «لا يروعنكم زهاء[2] ترونه ولا سواد، ولا قِسيٌّ فُج[3]، ولا نبال طوال، فإنهم إذا أعجلوا عنها، أو فقدوها، كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت»[4]، فبفقدهم السلاح يفقدون السند والمعول، فلا مستند لهم سواه.

وقال عمرو بن العاص مخاطبًا جند الإسلام في اليرموك: «... فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل»[5][6].

فالاعتماد على السلاح وحده وهن، والجندي المسلم في قتاله لا يكترث بسلاح عدوه ولا عدده، ولا يعتمد في قتاله على السلاح المادي؛ لأن قيمته محددة.

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٠٩.

(٢) أي عدد، تقول: زهاء مائة أي قدر مائة، انظر الرازي، الصحاح، ص٢٧٧.

(٣) يقال: قوس فجاء ومنفجة إذا بان وترها عن كبدها. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١ ص٢٠٩.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٤٦٨.

(٥) طائر في حجم الحمام. انظر المعجم الوسيط، ج١ ص١٥٨.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٩.

وقال عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص قبل وقعة القادسية: «لا يكربنك[1] ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه»[2]، فالتوكل على الله والاعتماد عليه في السراء والضراء بعد بذل الأسباب المأمور بها والمشروعة قوة معنوية يمتاز بها الجندي المسلم وتتحطم عليها محاولات الأعداء في التأثير على جند الإسلام، ومحاولة إرهابهم بجلب الجيوش الجرارة، والأسلحة الفتاكة.

قال رجل لخالد بن الوليد في اليرموك: ما أكثر الروم، وأقل المسلمين فأحس خالد بأن هذا الجندي قد أصابه نوع من الوهن، وأنه يرى أن النصر يتحقق بقوة السلاح وكثرة العدد، فذكره خالد بحقيقة النصر، وبما يجب أن يكون عليه الجندي المسلم، فقال له: «ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان، لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر[3] براء من توجِّيه[4]، وأنهم أضعفوا[5] في العدد»[6].

ولما هم عمر بالمسير إلى العراق لنجدة المسلمين قال له علي: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر وجنده

(١) الكرب: الحزن. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص١٢٧.

(٢) ابن كثير، المصدر السابق، ص٣٨.

(٣) الشقرة في الخيل: حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب. انظر الرازي، الصحاح، ص٣٤٣، وانظر الفيروزابادي، المصدر السابق، ج٢ ص٦٤.

(٤) يقال وجي الفرس: إذا رقت قدمه أو حافره أو خفه من كثرة المشي. انظر المعجم الوسيط، ج٢ ص١٠١٦.

(٥) ضعف الشيء مثله. انظر الرازي، المصدر السابق، ص٣٨١.

(٦) تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٧-٣٩٨، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٨٢.

الذي أعزه وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ. فنحن على موعد من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده . . .»[1].

وفي فتح المسلمين لبخارى[2] وأثناء الحصار اندفع أحد الجند لعبور نهر من الأنهار بعد أن ردمه بالخشب، ونادى في قومه: «من وطن منكم نفسه على الموت فليعبر، ومن لا فليثبت مكانه»[3]، فمن وطن نفسه على الاعتماد على الله في كل أمره، فليعبر النهر بلا وجل من الأعداء، ولا خوف من سلاحهم.

من هذا يتبين أن القوة المادية لم تكن العامل الرئيسى في طلب المسلمين للنصر فيقلقوا لأجل خلل فيها، أو قلة، بل كان اعتمادهم الدائم على عون الله، السلاح الذي يلجئون إليه في كل موطن، ولذلك كان خوفهم الدائم أن يحدث خلل في نفوسهم يؤثر في علاقتهم به، فيفقدوا النصر الذي وعدهم به.

المطلب الثاني

عدم القنوط أو اليأس

اليأس وفقدان الأمل يؤدي إلى الهزيمة وفقدان الذات، واليائس يرى أن أبواب الأمل قد أوصدت أمامه، وأن النصر صعب مناله، وذلك يدفعه إلى الاستسلام والخضوع والذوبان تحت سيطرة الأعداء.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص١٠٧.

(٢) مدينة قديمة من أعظم مدن ما وراء النهر. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٣٥٣.

(٣) تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٤٣، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١١٣.

والإسلام يُربي جنده على الإيمان بأن الأمر كله لله، وأنه قد يصيب المسلم من مصائب الدنيا ما يظهر قوة وصدق إيمانه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(١).

ويؤمن بأن العاقبة للمتقين مهما حل بهم من هزائم ومصائب، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

فمهما حل بالجندي من محن وشدائد وهزائم، فإنه لا يفقد الأمل والرجاء بالله، فما أصابه قد يكون للابتلاء والتمحيص، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده عن فقدان الأمل والرجاء به، ووجههم إلى وجوب تطهير القلوب من اليأس والقنوط، فقال تعالى: ﴿... وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾(٤).

واليأس من روح الله يعني: «قطع الرجاء والأمل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وسعة رحمته وجوده ومغفرته»(٥)، وذلك مناف للعقيدة التي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٢) سورة هود، الآية ٤٩.

(٣) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٤) سورة الحجر، الآية ٥٦.

(٥) عبدالرحمن ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد. قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، ص١٥١.

فإذا خطر في بال أحد من جند الإسلام اليأس من تحقيق النصر على الأعداء، قاوم ذلك إيمانه بأن الأمر كله بيد الله، وإذا كان كذلك فلن يوصد الله الباب في وجه أوليائه، ويمنع الخير عنهم[1]، فيتجدد في قلبه الأمل والتفاؤل بتحقيق النصر، فهو يؤمن بأن بعد العسر يسرًا، وبعد الكرب فرجًا، قال تعالى: **﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا • إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾**[2].

ويؤمن بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فيجب أن يكون المسلم عزيز الجانب، سالكًا طريق العزة والرفعة والسيادة، قال تعالى: **﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾**[3].

فالهزيمة قد تكون لوقت معين، لكنها لا تدوم إلى الأبد، قال تعالى: **﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**[4].

ولقد كان ﷺ يربي أصحابه على التفاؤل والأمل، والاستبشار بمستقبل مشرق[5]، فقد ورد أنه جاءه خباب بن الأرت يشكو إليه ما أصابه والمسلمين من أذى قريش، ويسأله أن يستنصر الله لهم، فقال له ﷺ: **«والله لَيتِمَّن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**[6].

---

(١) انظر محمد ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية، ٣٦-٣٧.

(٢) سورة الشرح، الآية ٥-٦.

(٣) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

(٥) انظر أحمد نوفل، الحرب النفسية من منظور إسلامي، ص١٢٢.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب ١.

فكان ﷺ : «يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله، ويفيض عليهم ما أفاضه الله على فؤاده من أمل رحيب في انتصار الإسلام، وانتشار مبادئه وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفرة في المشارق والمغارب»[١].

ولنا في سيرته ﷺ، وسيرة صحابته الكرام عبرة ومثل رائع في عدم اليأس والقنوط، فقد واجه المسلمون في مكة ألوانًا من العذاب والاستهزاء والتضييق، فلم ييئسوا من رحمة الله ولم يخالجهم شعور بالاستسلام للأعداء، ولم يضعفوا أمام الضغط والإغراء، وفي المدينة واجهوا الضغط العسكري والنفسي من المشركين والمنافقين واليهود، بتصميم على المضي حتى يتحقق لهم النصر، فلم يهنوا ولم يضعفوا حتى حقق الله على أيديهم نصرة هذا الدين وعلو رايته.

ولقد مضى جند الإسلام في جهادهم كما رباهم دينهم القويم، متجاوزين كل الصعاب غير مبالين بما يلاقونه من محن وشدائد، فخرجوا مشاة وحفاة حتى نقبت أقدامهم، وسقطت أظفارهم، وربطوا الخرق على أرجلهم[٢]، وبلغ بهم الجوع إلى اقتسام التمرة الواحدة، وأكلوا الخبط[٣]، كل ذلك لم يوهن عزائمهم، ولم يفقدوا الأمل والثقة بنصر الله، وأحاط بهم العدو من فوقهم، ومن أسفل منهم حتى بلغت القلوب الحناجر، فلم يفت ذلك في أعضادهم، ولم يؤثر في إيمانهم بنصر الله،

---

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص١٠٥.

(٢) انظر البخاري، المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ٣١؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذات الرقاع.

(٣) ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ويخفف بالماء. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢ ص٣٦٩.

قـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا • إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا • هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1].

ولقد حاول المسلمون فتح القسطنطينية وحاصروها عدة مرات، وفي كل مرة يعدون كل إمكاناتهم المادية والبشرية والمالية، ومع أنه لم يكتب لأي من تلك المحاولات شيء من النجاح، إلا أنهم لم ييئسوا، وكانوا يعيدون الكرة بين الحين والآخر، وفي كل مرة يتجدد رجاؤهم وأملهم بالله الذي حقق لهم ذلك الرجاء والأمل على يد السلطان محمد الفاتح بعد ما يقارب (٨٢٣) سنة من أول محاولة لفتحها[2].

وفي ذلك مثال رائع لما يجب أن يكون عليه الجندي المسلم، فلا ييئس ولا يقنط من نصر الله، متى ما فعل لذلك النصر موجباته، ومهما واجه من تحديات وصعوبات ومعوقات يضعها له الأعداء لأجل الاستسلام والخضوع.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٩-١١.

(٢) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، ص١٦٤-١٦٥، وانظر محمود خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص٣٥٢-٤١٣.

المطلب الثالث

تحري الحقيقة في الشائعات والأراجيف

معرفة حقيقة العدو وأساليبه المختلفة في إثارة الشائعات المثبطة والأراجيف المخوفة داخل الجيش الإسلامي، عامل وقائي للجندي المسلم ضد هذه المكائد[1]، ولقد عُني القرآن الكريم بتوضيح أهداف الأعداء من عدائهم للمسلمين، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[3].

فذلك هدف الأعداء من حربهم النفسية والمادية والفكرية، العودة إلى الضلال والكفر، ولقد بلغ من شدة عداوتهم أنهم لا يودون أن ينزل على المسلمين من خير من ربهم حقدًا وحسدًا، قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4].

---

(١) انظر: منصور محمد عويس، الرسول ﷺ الحرب النفسية، ص٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

ولقد كشف القرآن الكريم عن غايات وأساليب الأعداء في حربهم النفسية ضد المسملين، وبين لهم طرق الوقاية منها، فمعرفة الأساليب عامل تتحطم عليه جميع المحاولات، وتجعل المقاتل مستعدًا لمواجهة تلك الحرب وعدم التأثر بها، فمن ذلك:

١- إثارة أسباب الفرقة بين المسلمين[١]:

يحاول أعداء الإسلام استغلال أي ثغرة ومنفذ داخل المجتمع والجيش الإسلامي من أجل نفث سمومهم وأحقادهم من خلالها، فيعمدون إلى إحياء الجروح الملتئمة بالإسلام، والأحقاد التي أبدلها الإسلام بالمحبة والمودة، من أجل إشعال نار الفتنة والفرقة للإيقاع بين المسلمين. ولقد حذرهم الله سبحانه وتعالى من ذلك، ودل المسلمين على العلاج الواقي فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ● وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ● يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ● وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[٢].

فالنزاع والشقاق منفذ كبير يعبر من خلاله الأعداء لنفث سمومهم وأحقادهم، فنبه سبحانه إلى وجوب سد هذا المنفذ لتفويت الفرصة على

---

(١) انظر محمد جمال الدين، المدخل، ص١٢٦-١٢٧؛ وانظر العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية، ص١٨٦؛ وانظر منصور عويس، المرجع السابق، ص٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٠- ١٠٣.

الأعداء، ولتحصين المجتمع الإسلامي وتقويته ضد المكائد[1]، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

فالترابط والألفة، واجتناب أسباب الشقاق والتنافر قوة تتحطم عليها جميع محاولات أعداء الإسلام.

ولقد سعى أعداء الإسلام إلى إثارة الفتنة كلما سنحت لهم بذلك فرصة. مرّ شاس اليهودي بنفر من المسلمين قد اجتمعوا في مجلس واحد يتحدثون، وقد سادهم جو من الألفة والمحبة، فاغتاظ لذلك اليهودي لمعرفته بما كان بين الأوس والخزرج من عداوة في الجاهلية، فجلس معهم، وبدأ في بث سمومه وأحقاده، فذكرهم بيوم بعاث، وأثارهم بإنشاد ما قيل فيه من الشعر، فتنازع القوم واختلفوا، وتفاخروا بما عملوا، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فذكرهم بأن ما هم فيه من أمور الجاهلية التي محاها الإسلام، وأنهم بالإسلام وحدة متماسكة بعضهم لبعض كالجسد الواحد، فعادوا إلى صوابهم، وعرفوا أن ما أصابهم إنما هو نزغٌ من شيطان يريد أن يوقع بينهم[3].

وفي أُحد لما التقى المسلمون والمشركون برز أبو عامر الفاسق يريد أن يشق وحدة المسلمين، وكان يعتقد أن له إلى ذلك سبيلًا، فنادى: إليّ يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، فردوا عليه بلسان المؤمن الواثق، فقالوا: لا مرحبًا

(١) انظر علي العلياني، محاضرة الحرب النفسية، طبيعتها وخصائصها.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٤٦-١٤٧.

بك ولا أهلًا يا فاسق، ورموه بالحجارة، فولى ومن معه هاربين إلى معسكر المشركين[1]. ولما تنازع سنان بن وبر الجهني[2]، وجهجاه بن سعيد الغفاري[3] على ماء المريسيع[4]، نادى سنان: يا للأنصار، ونادى جهجاه: يا للمهاجرين، فأقبل القوم سراعًا، وأشهروا السلاح، وكادت الفتنة أن تكبر، فلما علم ﷺ قال مستنكرًا: «**ما بال دعوى جاهلية؟ . . . دعوها فإنها منتنة**»[5]، فعاد المسلمون إلى الحق، ورجعوا إخوة متحابين يدًا واحدة، وعلموا أن ما فعلوه أمر من أمور الجاهلية، وأنه ينبغي أن تكون الدعوة: يا للمسلمين. ولما علم ابن أُبي بما جرى استغل ذلك وبدأ في بث أحقاده، وزرع بذور الفتنة والفرقة بين المسلمين حتى قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وشاع كلامه في المعسكر الإسلامي، وفضحه الله بما قال[6]، فقال تعالى: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ**

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٢٣؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص١٦.

(٢) حليف بني الحارث بن الخزرج، هو الذي سمع ابن أبي يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٨٢-٨٣.

(٣) قيل ابن قيس، وقيل ابن مسعود، شهد بيعة الرضوان، مات بعد عثمان بن عفان بأقل من سنة. انظر المصدر السابق، ج١ ص٢٥٤.

(٤) اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص١١٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ٦٣/ ٥، وانظر صحيح مسلم، كتاب البر، باب نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا.

(٦) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٤١٥-٤١٨، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٨٢-١٨٣؛ وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٦٠٥، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٣١-١٣٢.

لَا يَفْقَهُونَ • يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

٢- التخذيل والتخويف وتثبيط العزائم:

من أساليب الأعداء محاولة التخذيل وتثبيط العزائم عن طريق خلق حجج التأخر عن القتال، ونشر الرعب والخوف في نفوس المسلمين عن طريق المبالغة في وصف قوة الأعداء[2]، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[4].

فالمخذلون والمرجفون والمثبطون فئات لها خطورتها إذا وجدت آذانًا صاغية، ولقد حذر القرآن منهم، وأمر بتطهير الجيش والمجتمع الإسلامي منهم، قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[5] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ

---

(١) سورة المنافقون، الآية ٧-٨.

(٢) انظر منصور عويس، الرسول ﷺ والحرب النفسية، ص١٣٨-١٣٩.

(٣) سورة التوبة، الآية ٨١.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٦٠.

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾[1]؛ لأن خروجهم مع المسلمين عامل توهين وفتنة، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[2].

ففي أُحد حاول ابن أبي تخذيل المسلمين وتوهين صفوفهم، فانخذل بثلث الناس ورجع إلى المدينة، وكان يقول: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكننا لا نرى أن يكون قتال[3]، وتبعه في ذلك حلفاؤه، ولم يكن ذلك سبب رجوعهم في الحقيقة، بل كانت الغاية توهين المسلمين وتثبيط عزائمهم، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[4].

ولم يؤثر ذلك على جند الإسلام لإيمانهم بحقيقة نصر الله، وقد قال عبدالله بن عمرو بن حرام[5]: «أبعدكم الله، إن الله سيغني النبي والمؤمنين عن نصركم»[6]، وذلك رد على محاولتهم تخويفه وتثبيط عزمه عن الجهاد.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٨٣.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٧.

(٣) انظر ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٣٢٤-٣٢٥، وانظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٦٧.

(٥) ابن ثعلبة بن حرام الأنصاري، الخزرجي السلمي، والد جابر بن عبدالله الصحابي المشهور، شهد العقبة وبدر وكان من النقباء، استشهد يوم أحد. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٧ ص٣٤١-٣٤٢.

(٦) الواقدي، المصدر السابق، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٠٤.

ولما أجلبت قريش بخيلها ورجلها، وحدها وحديدها، وجمعت الأحزاب لغزو المدينة، خرج المسلمون لحفر الخندق، وبدأ أعداء الإسلام في التخذيل والتثبيط، فبدءوا باختلاق الأعذار والحجج، فمنهم من يعتذر بالضعف وعدم القدرة على المشاركة في حفر الخندق والقتال، ومنهم من ينسل خفية ويرجع إلى المدينة بغير إذن الرسول ﷺ ولا علمه[1]، كل ذلك من أجل التأثير على معنويات جيش المسلمين وإعاقتهم عن العمل والجهاد. ولما عظم البلاء وأحاط الأعداء بالمدينة من كل جانب، بدءوا في الترجيف والتخويف والتشكيك، فمنهم من يشكك المسلمين بوعد الله ورسوله، ويدعو إلى الرحيل من مقام الخوف ومقابلة الأعداء إلى مقام الأمن داخل المدينة، فكانوا يقولون: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[2].

ومنهم من يدعو إلى الرجوع لحماية الأهل والأموال، فهم في خطر ويد الأعداء قريبة منهم، ولا رادع لها[3]، وقد فضحهم الله تعالى وبين للمسلمين حقيقة أولئك وما يهدفون إليه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا • وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** ﴾[4].

---

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٢٨، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٦٦، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص٩٥.

(٢) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٤٥٩-٤٦٠، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٧٠، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٢٣.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٤٦٣، وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية١٢-١٣.

ولما عزم النبي ﷺ على الخروج إلى تبوك، وبدأ المسلمون الاستعداد لذلك، بدأ أعداء الإسلام في بث سمومهم، فحاولوا تثبيط المسلمين عن الخروج، وقالوا: لا تنفروا في الحر، وكأن الحر عامل يعوق عن الجهاد يقول الجد بن قيس: ما لي وللخروج في الريح والحر والعسرة إلى بني الأصفر[(١)]. ولما رأوا من المسلمين العزم والتصميم على الخروج، بدءوا يخوفونهم من قوة الروم، ويصفونهم بالقوة التي لا تقهر؛ إرجافًا للمسلمين وترهيبًا لهم، فقالوا للمسلمين: تحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال[(٢)]. ولقد كشف سبحانه وتعالى عن حقيقة هذه الأقوال والهدف من إطلاقها، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ● إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ** ﴾[(٣)].

ولما سير أبو بكر رضي الله عنه الجيوش إلى الشام قالت الروم: «والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا»[(٤)]، يحاولون بذلك إخافة المسلمين وإيقاع الرعب في قلوبهم؛ ليكفوا عن غزوهم في بلادهم، فرد عليهم أبو بكر بقوله: «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن

(١) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٣ ص٩٩٢-٩٩٣، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ ص١١٩، وانظر الطبري، المصدر السابق، ج٣ ص١٠١-١٠٢.

(٢) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص١٠٠٤، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ص١٢٥، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٩-٥٠.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٥.

الوليد»[1]، وبعث إليهم رضي الله عنه الجيوش المسلحة بسلاح الإيمان حتى نسي الروم ما قالوا، وانشغلوا بأنفسهم وندموا على ما صدر منهم[2]. ولما عزم عبد الرحمن بن ربيعة[3] على غزو ملك الترك بلنجر قال له ملك الباب[4]: «إنا لنرضى منهم بالموادعة، ونحن من وراء الباب»[5]، وكان يهدف من وراء ذلك تخويف المسلمين بقوة عدوهم، وأنه لا قبل لهم بها، فعليهم البقاء أو المصالحة على ما يريد ملك الترك، لكن عبدالرحمن بن ربيعة بإيمانه الصادق، وثقته بنصر الله، لم يأبه بما سمع وقال: «لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نغزوهم في ديارهم، وبالله إن معنا أقوامًا لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم»[6].

٣- نشر الإشاعات المغرضة وترويجها:

يقف أعداء الإسلام موقف المتربص المنتظر للمناسبات والفرص من أجل بث سمومه ومكائده داخل المجتمع والجيش الإسلامي، بهدف توهين وخلخلة الصف المسلم الذي يغيظهم اتحاده وانتصاره، ومن وسائل بث هذه السموم ترويج الإشاعات الكاذبة، والتي تأتي على شكل كلام عادي

(١) الطبري، المصدر السابق، ص٤٠٨.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) الباهلي بن يزيد بن عمرو بن سهم بن ثعلبة الباهلي، كان على قضاء سعد في القادسية، وجعل إليه قسم الفيء والأقباض، استعمله عمر على الباب والأبواب وقتال الترك، استشهد في بلنجر بعد ثماني سنين من خلافة عثمان. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٣٩٠.

(٤) مدينة على بحر طبرستان. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٣٠٣.

(٥) ابن كثير، المصدرالسابق، ص١٢٣؛ وانظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص١٥٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص١٤-١٥.

قابل للتصديق يتناقله الناس بدون أي اهتمام أو اكتراث، ويحمل في طياته سمومًا وأحقادًا، قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[١].

ولقد بين سبحانه وتعالى عظم جريمة مروجي الإشاعات، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ولقد عالج القرآن الكريم ذلك وسد منافذه، فأمر بوجوب التثبت عند تلقي الأخبار، وعدم نشرها والاعتقاد بصحتها إلا بعد رفعها إلى ولي الأمر لمعرفة مصدرها وصحتها، قال تعالى، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٤].

فجعل مصدر العلم والأخبار اليقين الصادر من القادة وأولي الأمر وحذر أن يكون مصدر العلم الظن أو الاعتقاد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾[٥]، وقال

---

(١) سورة النور، الآية ١٥.

(٢) سورة النور، الآية ١٩.

(٣) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٥) سورة الحجرات، الآية ١٢.

تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[١].

ونهى الإسلام أن يتكلم أحد بما ليس له به علم، أو لا يعلم صحته ومصدره[٢]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٣].

فواجب المسلم عند تلقي خبر لا يعلم مصدره وصحته أن يرجعه إلى من يقدره ويعرف أبعاده وعواقبه، فقد يتكلم بنبأ كاذب وينقله إلى غيره، فيجر عليه وعلى أمته خطرًا عظيماً؛ لعدم تقديره لذلك النبأ، أو الاستهانة به[٤].

قال ﷺ حاثًّا على حفظ اللسان من الزلات والأخطاء: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت . . .**»[٥]، وقال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[٦].

فالمرء قد يتكلم بكلام لا يعي عواقبه، وقد يستهين به، وهو لا يعلم أنه بعمله هذا يدمر الروح المعنوية لأمته، ويحقق لأعدائه رغباتهم وأهدافهم، «ومهمة الجندي المسلم في الجيش المسلم الذي يقوده أمير

---

(١) سورة يونس، الآية ٣٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٣ ص٤٠، وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٣ ص٢٢٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٤) انظر سيد قطب، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ج١ ص٢٩٦، وانظر محفوظ، المدخل، ص١٣٢-١٣٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ٢٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.

مؤمن حين يبلغ إلى أذنيه خبر أن يسرع فيخبر أميره، لا أن ينقله ويذيعه بين زملائه؛ لأن قيادته المؤمنة هي التي تملك استنباط الحقيقة، كما تملك تقدير المصلحة في إذاعة الخبر حتى بعد ثبوته، أو عدم إذاعته»[1].

إذًا فعلى الجندي المسلم أن لا يتكلم بكل ما يسمع، وأن لا يصدق كل ما يصله من أخبار، إلا بعد فحصها وتمحيصها، وإذا تبين للولاة والقادة حقيقة الإشاعة ومصدرها، فإن عليهم القضاء عليها في مهدها، والكشف عن زيفها بمواجهتها بالحقيقة القاطعة للشك، والعمل على تطهير الجيش الإسلامي من مروجي الإشاعات؛ لأن غياب الحقيقة عامل مساعد على انتشار الإشاعات والأخبار المضللة، ووجود مروجي الإشاعات داخل الجيش بدون رادع يعني استمرارهم في ترويج الإشاعات.

بعد معركة بدر قام أعداء الإسلام داخل مجتمع المدينة بإشاعة هزيمة المسلمين وتفرقهم، وقتل الرسول ﷺ، وأرجفوا في المدينة، وجعلوا من قدوم زيد بن حارثة[2] على ناقة رسول الله ﷺ دليلًا يؤكد صدق كلامهم، فاغتاظ لذلك المسلمون وخافوا، حتى تجلت لهم الحقيقة بقدوم رسول الله ﷺ ومن معه منصورين[3].

---

(١) سيد قطب، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ج١ ص٢٩٧.

(٢) ابن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدودّ بن ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة ابن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي، وهبته خديجة للرسول ﷺ، ودعي زيد بن محمد حتى نزلت ﴿**ادعوهم لأبائهم** . .﴾ -الأحزاب، الآية ٥- شهد بدرًا وما بعدها، واستشهد في مؤتة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٥٤٥-٥٤٦.

(٣) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص١١٥، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢ ص٣٠٣-٣٠٤.

وفي أحد أشيع مقتل الرسول ﷺ، فاختل الجيش الإسلامي، وتفرق المسلمون، وألقوا السلاح، وتضعضعت عزائمهم، حتى جاءتهم الحقيقة الدامغة القاطعة، حين نادى كعب بن مالك[1] مبشرًا المسلمين بسلامة رسول الله ﷺ، فعاد المسلمون إلى سلاحهم، وكأنهم لم يصابوا بشيء[2].

ولما عاد الرسول ﷺ والمسلمون إلى المدينة، أشاع اليهود بأن رسول الله ﷺ ما هو إلا طالب ملك، وليس بنبي، فقد أصيب في بدنه وأصحابه وما كان الأنبياء كذلك على حد قولهم، وأرجفوا في المدينة بهذا القول السيئ، فأصم المسلمون آذانهم، ولم يلقوا لهذا القول بالًا، وخرجوا مع الرسول ﷺ في أثر المشركين، فكُبِت اليهود ومن معهم من أعداء الدين[3].

وكان المثنى بن حارثة ينبه جنده إلى خطورة تناقل الإشاعات والإصغاء إليها، فعند إغارته على سوق بغداد[4]، وبعد رجوعه منها، سمع الجند يتهامسون بأن القوم في أثرهم، فقال: «تناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا بالإثم والعدوان، وانظروا في الأمور وقدروها ثم تكلموا . . .»[5]،

---

(١) ابن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي ابن أسد بن ساردة، أبو عبدالله الأنصاري السلمي، شهد العقبة وبايع بها، شهد أحدًا وما بعدها، وتخلف في تبوك، هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، مات أيام مقتل علي بن أبي طالب. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٣ ص٢٨٥-٢٨٦.

(٢) انظر ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٣٢٧-٣٢٨، وانظر الواقدي، المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٦، وانظر الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢ ص٣٢٦-٣٢٧.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٣١٧-٣١٨، ٣٣٤.

(٤) كانت بغداد سوقًا يقصدها التجار من سائر البلاد. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٤٥٦-٤٥٧.

(٥) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٧٤، وانظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، ج١ ص٢٧.

فكان في ذلك التوجيه نهي لهم عن تناقل مثل تلك الأخبار التي تؤثر على معنويات الجند، وهي بعيدة عن الحقيقة، إذ لو كان فيها شيء من الحقيقة لكان القائد أول من يعلم بها، بحكم أن له عيونًا تراقب الأعداء، فيعمل على اتخاذ الإجراء المناسب لها.

٤- التهوين من النصر:

يسوء أعداء الإسلام ما يصيب المسلمين من الخير والنصر، ويتمنون لهم الهزائم والمصائب والجدب في كل أمورهم، فإذا أصابهم نصر وعز ونعيم ساءهم ذلك، قال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

وهذه حال أعداء الإسلام مع المسلمين من عصر النبوة حتى يومنا هذا، يفرحون لهزيمة المسلمين ولنكساتهم، ويعملون لذلك جهدهم ويحزنون لظهور المسلمين، فإذا انتصروا في معركة عسكرية كشفوا عن كيدهم وحقدهم، فهونوا من قيمة هذا النصر، وأنه لم يأت عن قوة المسلمين، ولا تأييد الله لهم، وإنما مرده إلى ضعف من قابلوهم، وأنهم لو قابلوا قومًا يجيدون الكر والفر، والضرب والطعن، لحلت بهم هزيمة نكراء، تفرقهم وتقضي عليهم.

بعد موقعة بدر الكبرى التي انتصر فيها الحق على الباطل، وانكسرت قوة قريش، أظهر يهود بني قينقاع قولًا سيئًا قصدوا به التهوين والتقليل

(١) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

من شأن ذلك الانتصار الكبير للمسلمين، فقالوا للرسول ﷺ: «يا محمد إنك ترى أنا قومك؟! لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس»[1].

وعند حصار قتيبة بن مسلم للسغد قال له ملكهم: «إنما تقاتلني بإخوتي، وأهل بيتي من العجم، فأخرج إلي العرب»[2]، فكأنه بذلك يقول ما حققتموه من انتصارات كانت بجهد غيركم، وإلا فأنتم لا تستطيعون تحقيق مثل ذلك وحدكم. وهو يهدف إلى زعزعة ثقة المسلمين بأنفسهم، وأراد تأكيد ذلك بإظهار ثقته بنفسه، وقدرته على مواجهة المسلمين، والانتصار عليهم إذا خرجوا إليه وحدهم دون العجم.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٥، وانظر الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦، وانظر الطبري، المصدر السابق، ج٢ ص٤٧٩، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص٣.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٦ ص٤٧٤.

المبحث الثالث

استخدام الحرب النفسية ضد العدو

المطلب الأول

أساليب الحرب النفسية وقت السلم

تستخدم الحرب النفسية بهدف القضاء على معنويات الجيش والشعب المعادي وزعزعة ثقته وقيادته وقدراته السياسية والعسكرية والاقتصادية والتأثير على عواطفه وأفكاره وسلوكه؛ لتحطيم إرادته القتالية، وفرض إرادة وأهداف الدولة المستخدمة للحرب النفسية[1].

ووسائل الحرب النفسية هي الأدوات والمخططات، والطرق غير العسكرية المستخدمة أيام السلم والحرب، ويتضاعف استعمال هذه الوسائل في وقت الحرب عنها في وقت السلم، وقد يكون أثرها أبلغ فهي تنطلق وقت السلم بهدف ثني الأعداء عن سياستهم المتبعة دون اللجوء للمواجهة العسكرية، وتتصاعد وقت الحرب لتحطيم معنويات، وإرادة جيش الأعداء. ومن هذه الوسائل:

(١) انظر صلاح نصر، الحرب النفسية، ج١ ص٩٢؛ وانظر محفوظ، المدخل، ص١٢١، وانظر النظرية الإسلامية في الحرب النفسية. ص١٦-١٧.

أولًا: وسائل الإعلام:

تستخدم وسائل الإعلام بأنواعها، السمعية، والبصرية، والمقروءة طبقًا لمقتضيات الموقف، والظروف المحيطة.

ووسائل الإعلام السمعية، مثل الإذاعة، ومكبرات الصوت والبصرية مثل الرائي، يتم من خلالها توجيه الحرب النفسية ضد الأعداء كبث الدعاية أو الإشاعة، والأخبار الكاذبة ونحوها، ومن السهولة جذب المستمع والمشاهد إلى هذه الوسائل عن طريق تقديم البرامج المحققة لرغبات المستمعين والمشاهدين، ومن ثم تقديم ما يراد منه التأثير على أفكار الناس، سواء من خلال النشرات والتحاليل الإخبارية، أو البرامج الثقافية، أو التحدث عما يجري عند الأعداء في نفس الوقت، سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية ونحوها.

كما يتم التحدث مباشرة إلى أفراد الشعب والجيش، وتهديدهم بالحرب إذا لم يتم العدول عن السياسة المتبعة لديهم.

وقد كان النداء بصوت مرتفع أحد وسائل الإعلام لدى الجيش الإسلامي، من أجل طلب الاستسلام أو التهديد بالقتل والقتال ونحوه.

ففي أحد قام أبو سفيان على مكان مرتفع، وصرخ بأعلى صوته مخاطبًا المسلمين قائلًا: «أنعمت فعال[1]، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعْلُ هبل»، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورد عليه بصوت مرتفع قائلًا: «الله أعلى وأجل، لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار»[2].

(١) أي فعالنا.

(٢) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٣٣٣، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٣٨.

فكان النداء وسيلة إعلامية لإيصال وتوجيه ما يحاك ضد الأعداء والخصوم، وما يراد إيصاله إليهم.

وفي يوم الفتح دخل أبو سفيان مكة مرعوبًا، وجعل ينادي ويصرخ في قريش قائلًا: هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، وأبلغهم رسالة رسول الله ﷺ[1] التي قال فيها: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**»[2].

فمثل ذلك مما كان يوجه إلى الأعداء بواسطة النداء، أو الرسائل الشفوية من الممكن بثه من خلال وسائل الإعلام المختلفة، التي تصل إلى العدو، وتكراره حتى يحقق الهدف المأمول.

كما كان سلمان الفارسي[3] داعية المسلمين لأهل فارس[4]، وكان يبلغهم بغايات المسلمين من قتالهم عبر النداء.

أما وسائل الإعلام المقروءة مثل الصحف، والنشرات، والكتب، فمن الممكن إلقاؤها على أفراد الشعب أو الجيش، أو توزيعها سرًّا، وتتضمن التحليلات الإخبارية، وكشف أسرار جيش العدو، وخططه المستقبلية ليصاب أفراده بحالة من الذعر والخوف عند معرفتهم أن خصمهم قد عرف أسرارهم وخفاياهم، فيفقدوا الثقة بأنفسهم وزملائهم وقادتهم.

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٨٢٢-٨٢٣، وانظر تاريخ الطبري، ج٣ ص ٥٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة.

(٣) أبو عبدالله، يقال له: سلمان ابن الإسلام، وسلمان الخير. سمع بأن النبي ﷺ سيبعث فخرج في طلب ذلك، فأسر وبيع بالمدينة، فاشتغل بالرق، أول مشاهده الخندق وشهد ما بعدها وفتوح العراق، وولي المدائن، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٦٠-٦١.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص١٤.

فقد كان المسلمون يستخدمون السهام كوسيلة لإلقاء ما ينشر الذعر والخوف بين الأعداء ويحطم روحهم المعنوية، أو أخبارًا ووعودًا تجعلهم يعجلون بالتسليم وطلب الصلح[1]. فعند محاصرة المسلمين لجنديسابور[2] رمى أحد الجند بالأمان لأهلها، فكان ذلك سببًا لفتح المدينة ومصالحة المسلمين[3].

وفي عصر النبوة كان الشعر أبرز وسائل الإعلام الموجهة ضد الأعداء لما له من تأثير بالغ على العرب، فقد كانوا يتناقلونه بسرعة، ويتأثرون بمحتواه، وقد يرتفع به أناس وينزل به آخرون[4]؛ لذلك حث ﷺ على قول الشعر الموجه ضد المشركين؛ لتثبيط عزائمهم، ولبيان ضلالهم وللذب عن رسول الله ﷺ والمسلمين، قال عليه الصلاة والسلام حاثًا شعراء المسلمين على هجاء قريش: «**اهجوا قريشًا فإنه أشد عليهم من رشق بالنبل**»[5].

وعندما أمر حسان[6] بهجاء قريش قال له: «**إن روح القدس لا يزال**

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٨٥.

(٢) مدينة بخوزستان. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص١٧٠.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٩٣، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٨٧-٣٨٨.

(٤) انظر محمد سيد محمد، المسئولية الإعلامية في الإسلام، ص٩٧، وانظر علي العلياني، محاضرة الحرب النفسية.

(٥) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان.

(٦) ابن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، شاعر رسول الله ﷺ، وشاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، عاش في الإسلام ستين سنة، وفي الجاهلية ستين. ومات وهو ابن عشرين ومائة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٣٢٥.

يؤيدك، **ما نافحت عن الله ورسوله**»[1]. وعدَّه ﷺ جهادًا، حيث قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[2]. ولما بالغ ابن الأشرف في هجاء رسول الله والمسلمين، وخرج في القبائل يحرض الناس على قتالهم، جعل حسان يهجو من يأوي إليه ابن الأشرف، حتى نُبِذ وطُرِد، ولم يجد من يأوي إليه خوفًا من هجاء حسان[3].

وتبادل هارون الرشيد ونقفور كلب الروم القصائد، حيث وجه نقفور قصيدة تعرض فيها للإسلام وأهله، وتوعدهم بسلب ملكهم، والقضاء على دينهم، واستعبادهم، وأنه سيشرع في ذلك عما قريب، وكان يهدف من ذلك إلى توهين المسلمين وزعزعة روحهم المعنوية. ورد عليه أحد المسلمين بقصيدة بين فيها جهله وضلاله، وقلة وعيه وإدراكه، وفند أقواله ومفترياته، وأظهر له عزة المسلمين بدينهم، وقدرتهم على التشفي من كل من يعترض لهم ولدينهم بسوء[4].

والجهاد باللسان لا يقتصر على الشعر، فللخطابة[5] دور في ذلك، فيتم إلقاء الخطب، وتوجيهها عبر وسائل الإعلام إلى أفراد العدو، ويكون المجال فيها خصبًا لبيان وجهة النظر والمطالب، وإظهار حسن النية في ذلك، ولبيان أخطاء قيادة العدو في سياستها، ومحاولة إيجاد نوع من العوازل

---

(١) مسلم، المصدر السابق.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٥٥٤، رقم الحديث(٣٥٧٨).

(٣) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص١٨٤-١٨٧.

(٤) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١ ص٢٤٤-٢٥٢.

(٥) انظر عبد الحليم عويس، الرسول ﷺ والحرب النفسية، ص٣٠٣، وانظر محمد سيد، المسئولية الإعلامية في الإسلام، ص٧١.

والفرقة بين القيادة وأفراد شعبها. وعلى كل حال فإن وسائل الإعلام عامل مهم في الحرب النفسية، سواء في وقت السلم أو الحرب، ومن الممكن استخدامها وسيلة لتوصيل أساليب الحرب النفسية إلى الأعداء.

ثانيًا: إظهار القوة:

إذا علم العدو بقوة خصمه، وقدرته على المواجهة، فإنه لا يقدم على حربه ومواجهته عسكريًّا خوفًا من الهزيمة، وإذا سيطرت على العدو فكرة قوة الخصم، والضعف بالنسبة له فقد إرادته القتالية، ولجأ إلى الصلح والمسالمة.

والإسلام يأمر بالإعداد الدائم والمتطور للقوة، بهدف إرهاب الأعداء، قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ...**﴾[1].

وقال ﷺ: «... **نصرت بالرعب مسيرة شهر**»[2]. وإظهار القوة يكون عن طريق: التأهب الدائم والتدريب، أو تسيير الجيوش لمن هم في حالة حرب مع المسلمين[3]. فإذا عرف الأعداء قوة الجيش الإسلامي خافوا وحسبوا للأمور عواقبها، قبل الإقدام على أي عمل عسكري يجعلهم في مواجهة المسلمين. وقد كان لإظهار المسلمين للقوة في الحرب والشدة عند اللقاء أثر كبير في نفوس كثير من الأعداء، فما أن يعلم أهل

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٢٢.

(٣) كتب عن هذا الموضوع بشكل مفصل في المبحث الثاني من الفصل الثاني في الباب الأول.

ناحية بمسير المسلمين إليهم حتى يدفعهم الرعب والخوف إلى البروز إليهم، وطلب الصلح على ما يشترطه المسلمون[1].

ثالثًا: المحافظة على أسرار الجيش الإسلامي:

إذا لم يستطع العدو الحصول على معلومات وأسرار وخطط جيش خصومه، فإن ذلك يسبب له إرباكًا، وإحباطًا لكيده، فتخطئ التقديرات، وتفشل المخططات، وتصبح تصرفاته عشوائية، فيصاب جيشه بالخلل والوهن، وتسهل هزيمته.

ولقد حث القرآن الكريم على وجوب المحافظة على الأسرار وعدم الخيانة، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2]. والسر أمانة؛ لأن ضرر إفشائه متعد وعام للأمة، قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»[3]، فمن أذاع أسرار المسلمين فقد يلحق بهم ضررًا كبيرًا، وقد يؤدي بهم إلى الذل والهوان بعد إلحاق الكثير من الخسائر المادية والبشرية بهم[4]. إذًا فالمحافظة على أسرار الجيش الإسلامي أمر مطلوب وضروري، وأحد عوامل النصر.

لما عزم ﷺ على المسير إلى مكة لفتحها، عمل المسلمون على حجب

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٣٦،٤٦٨، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٠٩، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩ ص٨٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

(٣) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٦٨، رقم الحديث (٩٢٠٧).

(٤) انظر محمود خطاب، دروس في الكتمان من الرسول القائد، ص١٠.

أخبارهم عن قريش، وتحققوا من شخصية وغاية كل من يرى حول المدينة، أو معسكر المسلمين؛ لئلا يكون عينًا للمشركين[1]، وأخذ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يطوف بأنقاب المدينة ويقول فيها: «لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه، إلا من سلك مكة - فإنه يتحفظ به ويسأل عنه -»[2]. وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة[3] رضي الله عنه درس عظيم في وجوب المحافظة على أسرار الجيش الإسلامي؛ ليبقى الموقف غامضًا بالنسبة للأعداء، تحصل لهم به المفاجأة، فعندما عزم الرسول ﷺ على المسير لفتح مكة، بعث حاطب رسالة مع امرأة إلى قريش، يخبرهم فيها بما عزم عليه المسلمون، وعلم ﷺ بذلك، فبعث نفرًا في أثر المرأة فأدركوها وأخذوا منها الرسالة، وسأل ﷺ حاطب عن دوافع ذلك العمل، فأجاب بأن تصرفه ذلك كان بحسن نية، وأنه لم يبدل في دينه وإنما أراد أن يكسب بذلك يدًا عند قريش؛ لأجل أهله وقرابته، وكان صادقًا فيما قال[4]، وأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ**

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٧٩٦، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ ص٢٩، وانظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٧.

(٢) الواقدي، المصدر السابق، ص٧٩٦.

(٣) ابن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي، شهد بدرًا والحديبية وكان بنوه وإخوته في مكة عند فتحها، مات سنة ثلاثين، وله خمس وستون سنة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٢٩٩-٣٠٠.

(٤) انظر ابن هشام، المصدر السابق، ص٢٩-٣٠، وانظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٤٦، وانظر ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ص٢٥٢.

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1]. وبقي الموقف غامضًا بالنسبة لأهل مكة، وخرج نفر من قريش يلتمسون أخبار المسلمين، وفوجئوا بمعسكرهم[2]، فسُقِط في أيديهم وأيدي أهل مكة، فكان للمحافظة على أسرار الجيش الإسلامي دور كبير في مفاجأة المشركين، وبالتالي القضاء على روحهم المعنوية التي انهارت بسبب المفاجأة.

ولما أمسك المسلمون بعين لهوازن وهم في طريقهم إلى مكة حبسوه[3] رغم أنه كان يتحسس أخبار المسلمين لمصلحة هوازن لا لقريش، وذلك حرصًا منهم على كتم أخبارهم، وعلى عدم وصول أي معلومة عن المسلمين لقريش.

وعلى هذه السيرة المباركة التي سنها الرسول ﷺ سار الخلفاء والقادة من بعده، فعندما بعث أبو بكر يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما إلى الشام في جيش المسلمين، أوصاه بوجوب المحافظة على سرية خططهم وتحركاتهم، والحيلولة دون تسرب المعلومات عنهم بالاحتراز من عيون الأعداء، فكان مما قال: «. . . إذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم . . .»[4].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ١.

(٢) انظر ابن هشام، المصدر السابق، ص٣٠، وانظر البخاري، المصدر السابق، باب ٤٧، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٦٥.

(٣) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٨٠٤-٨٠٦.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٧٧.

وقال عمر لأبي عبيد لما وجهه إلى العراق: «اخزن لسانك، ولا تفشين سرك، فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه فإذا ضيعه كان بمضيعة»[1]. وقال عمر بن عبد العزيز: «القلوب أوعية والشفاء أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره»[2].

فالكتمان حصن تتحطم عليه محاولات الأعداء، ويجب الاهتمام به لئلا يكون منفذًا تُستشف منه أخبار المسلمين وتحركاتهم.

رابعًا: تحييد القوى المعادية بعضها عن بعض:

عزل القوى المعادية عن مساندة بعضها لبعض، عامل ضعف ووهن يثير في قلوب الأعداء الفزع والهلع والتردد بين الإقدام والإحجام فالمواجهة المنفردة وخيمة العواقب، والإحجام عن المواجهة أمر يبحث عنه الخصوم.

ولقد كانت تلك سياسة الرسول ﷺ مع أعدائه بعد الهجرة، فعمد إلى معاهدة اليهود على حسن الجوار، والمعاشرة بالحسنى، والمناصرة عند الاعتداء، وعدم موالاة الأعداء أو مساندتهم، وبتلك المعاهدة عزل اليهود عن مساعدة قريش، أو تقديم العون لها؛ لأن في اتحادهما خطرًا عظيماً على المسلمين[3].

كما وادع ﷺ بعض القبائل العربية، وأمن جانبها، فقد وادع بني

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٥٤.

(٢) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف. تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج١ ص٤٤٣.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٠٧؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣ ص٢٢٥-٢٢٦.

ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة على ألا يكثروا عليه جمعًا، ولا يعينوا عليه أحدًا، ووادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة[1]، فحرم قريشًا من الاتحاد مع تلك القبائل، أو مساندتها في حربها ضد الرسول ﷺ.

كما قام ﷺ بإكرام بعض زعماء الكفار والأسرى؛ ترغيبًا لهم في الإسلام، أو لكف أذاهم عن المسلمين بعدم مناصرة أعدائهم، ففي أول لواء عقد في الإسلام لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه لقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب في عير لقريش، واصطف الفريقان للقتال، فحجز بينهم مجدي بن عمرو . . . الجهني، وأصلح بين الطرفين، فلما قدم رهط مجدي إلى الرسول ﷺ بالمدينة أكرمهم ﷺ، وكساهم، وصنع إليهم خيرًا[2] وبذلك كسب المسلمون ودهم، وحيادهم عن مساندة الأعداء.

ولما تم أسر ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، أكرمه ﷺ، ومنَّ عليه بإطلاق سراحه، فأسلم[3]، فكان في إطلاق سراحه قبل إسلامه تكريم له، والعرب عرف عنهم حفظهم للمعروف والكرم، فلا يمكن أن يساند أو يظاهر أحدًا ضد المسلمين بعد ذلك.

ولما عزم السلطان محمد الفاتح على غزو القسطنطينية عمل قبل الشروع في ذلك على تحييد القوى المعادية له، فعقد عدة اتفاقات سلمية مع القوى المجاورة[4]؛ ليضمن عدم تدخلها ضده عند الحصار، وليقطع أمل أهل

---

(١) انظر ابن هشام، المصدر السابق، ص١٧٠، ١٧٧، وانظر تاريخ الطبري، المصدر السابق، ج٢ ص٤٠٣، ٤٠٦، وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٩-١٠، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٤٠٢.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب ربط الأسير وحبسه.

(٤) انظر خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص٣٦٣.

القسطنطينية في مساعدة غيرهم لهم، مما يجعل له أثرًا سيئًا على نفوسهم وروحهم المعنوية، وذلك يعجل بالاستسلام والهزيمة.

خامسًا: حرمان العدو من الموارد الاقتصادية:

الموارد المالية دعامة أساسية لبقاء الأمة عن طريق تدفق الثروات والخيرات عليها، وتحطيم تلك المرافق يعني الضغط على الأعداء من خلال الصادرات والواردات التي بها تستطيع الأمة الاستمرار[1] فتحاول رفع هذا الضغط بأي وسيلة، ولو أدى ذلك إلى الاستجابة لشروط الخصم؛ لأن الخصم لم يقدم على ذلك العمل إلا ولديه القدرة العسكرية على المجابهة، فيسقط في أيدي الأعداء، وتثبط روحهم المعنوية، ويحاولون الخروج من هذا الموقف بطرق سلمية، وهذه الطرق غالبًا ما تكون موافقة لرغبة الخصوم، ومحققة لأهدافهم.

لما كانت التجارة إلى الشام أحد الموارد الاقتصادية لقريش والمصدر الرئيسي لثرواتها، عمد ﷺ إلى حرمان قريش من ذلك المصدر عن طريق تهديد الطرق المؤدية إلى الشام، وجعلها تحت رحمة المسلمين[2]، فقد بعث ﷺ عددًا من السرايا لاعتراض تجارة قريش، ومحاولة الاستيلاء عليها؛ لإثارة الرعب في قلوب المشركين، وليمنعهم من استخدام تلك المنافذ خشية تعرض المسلمين لهم، وبذلك أصبحت تجارة قريش مهددة من قبل المسلمين، مما كان له الأثر السيئ على الوضع الاقتصادي والنفسي لدى قريش، حتى قال

---

(١) انظر إسماعيل أبو شريعة، نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية، ص٢٣٢، ٢٣٩.

(٢) انظر خطاب، الرسول القائد، ص٦٠-٦٧.

صفوان بن أمية(١) : «إن محمدًا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك»(٢).

واجتمع سادة قريش وكبار رجالها لدراسة الموقف، والبحث عن مخرج لهذا الوضع السيئ الذي هم فيه، والذي إن استمر فهو يعني القضاء على تجارة قريش، وضعف وضعها الاقتصادي، وخلصوا من اجتماعهم إلى أنه يجب ترك الطرق الساحلية التي هددها المسلمون، وأخذ طريق العراق، وبحثوا عن الأدلاء لذلك الطريق، وخرجت تجارة قريش بقيادة صفوان بن أمية على ذات عرق(٣). ولما علم ﷺ عمل على حرمان قريش من هذا الطريق الحيوي، فبعث سرية بقيادة زيد بن ثابت(٤) فاعترضوا القافلة وأصابوا ما فيها، وهرب أعيان القوم وأسر دليلهم، وأُتي به النبي ﷺ فأسلم(٥). ولما أسر ثمامة بن أثال ومنّ عليه الرسول ﷺ بإطلاق سراحه

---

(١) ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو وهب الجمحي، حضر حنينًا قبل أن يسلم ثم أسلم، أحد العشرة الذين انتهى إليهم شرف الجاهلية ووصله لهم الإسلام، أقام بمكة حتى مات بها. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص١٨١.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٩٧-١٩٨.

(٣) الحد بين نجد وتهامة، ومهل أهل العراق، انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١٠٧.

(٤) ابن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، وقيل أبو ثابت، استصغر يوم بدر، وأول مشاهده أحد وقيل الخندق، كتب الوحي للنبي ﷺ وكان من الراسخين في العلم، مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين، وقيل غير ذلك. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج١ ص٥٤٣-٥٤٤.

(٥) انظر الواقدي، المغاري، ج١ ص١٩٧-١٩٨، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٧، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٤٩٢-٤٩٣.

أسلم وقطع عن قريش الميرة، وقال لأهل مكة: «والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[1]. وهكذا حرم المسلمون قريشًا من الطرق الحيوية المؤدية إلى الشام، ومنعت عنهم ميرة أهل اليمامة أحد مواردهم الاقتصادية المهمة، فتعطلت تجارتهم، وساءت حالتهم النفسية والاقتصادية، وبدأ الوهن يدب في نفوسهم.

وكانت بغداد أيام مملكة الفرس قرية يقام فيها سوق عظيم لهم، ولما توجه المسلمون إلى العراق ودارت بينهم وبين الفرس المعارك، علم المثنى بحال السوق وأهميته بالنسبة للفرس، فعمد إلى الإغارة عليها في يوم من أكبر أيام السوق، حيث اجتمع فيه جمع كبير من تجار الفرس والسواد[2] فكان يوم فيه عزة للمسلمين، ووهن وضعف للفرس، حيث تم حرمانهم من أحد مواردهم الاقتصادية الهامة[3].

وأثناء المعارك والحصار كان المسلمون يضيقون على أعدائهم الخناق فيمنعون عنهم وصول المادة، ويكون ذلك عامل وهن ويأس لهم، فيعجلوا في التسليم أو الهزيمة، ففي بدر نزل المسلمون على بئر ماء، وردموا ما حولهم من آبار، فكانوا يحصلون على الماء، وعدوهم لا يحصل عليه[4]. وفي خلافة عثمان وعند محاصرة معاوية لطرابلس[5]، عمد إلى قطع المادة عن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب ربط الأسير وحبسه . . .

(٢) يراد به رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٢٧٢.

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٠٦، وانظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج١ ص٢٥-٢٦.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٥٣، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٩٢.

(٥) ثلاث مدن بلبنان على شاطئ البحر. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص٢٥.

أهلها من البر والبحر، وضيق عليهم الحصار، مما عجل في فتحها[١] وعند حصار المسلمين لدهستان[٢] سنة ثمان وتسعين، عمد المسلمون إلى قطع الموارد الاقتصادية، ومنع وصولها إلى أهل البلد، فاشتد الحصار، وطال البلاء، مما دفع بهم إلى قبول الصلح على ما اشترطه المسلمون[٣].

وفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين وأثناء حصار طليطلة[٤] ضيق المسلمون على أهلها، فقطعوا عنهم كل المرافق، واشتد عليهم طول الحصار، فضعفوا عن القتال بعد أن بلغ بهم الجهد مبلغه، فسهل على المسلمين فتحها، ودخولها عنوة من جراء ذلك[٥]. وفي حطين نزل صلاح الدين على بحيرة ماء، ومنع وصول الماء إلى الفرنج، فاجتمع عليهم حر الشمس والنار والقتال والعطش[٦]، فكان له أثر سيئ عليهم عجل في هزيمتهم، وتوهين كيدهم.

سادسًا: الاستعلاء بالإيمان وإظهار العزة على الكافرين:

الجندي المسلم قوي عزيز بإيمانه، فهو الأعلى سندًا وخلقًا وسلوكًا وشريعةً، فلا يتهاوى أمام القوى الباغية، ولا يضعف أمام زخارف الحياة

---

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٩٦.

(٢) بلد مشهور قرب خوارزم، وقيل: مدينة بكرمان، وقيل: ناحية بجرجان. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٢ ص٤٩٢.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٥٣٤.

(٤) مدينة كبيرة بالأندلس، كانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم. انظر الحموي المصدر السابق، ج٤ ص٣٩-٤٠.

(٥) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٥ ص٢٤٥.

(٦) انظر المصدر السابق، ج٩ ص١٧٧-١٧٨، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٢٠-٣٢١.

الفانية، قال تعالى: ﴿. . . وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

«فالاستعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان، وعلى قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان، وعلى تقاليد الأرض التي لم يصغها الإيمان، وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان، وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان»[٣] أمر مطلوب؛ ليثبت الجندي المسلم أنه قوي بإيمانه وثباته على الحق، رغم قلة عدده وضعف عتاده، وهو بذلك يوحي للأعداء عن عزمه وتصميمه في السير لإظهار الحق مهما واجه من مصاعب وتحديات وهزائم وإغراءات.

بعد نقض قريش للعهد الذي بينها وبين الرسول ﷺ، قدم أبو سفيان إلى المدينة من أجل تجديد الصلح، ودخل على ابنته أم حبيبة زوج الرسول ﷺ ولما أراد الجلوس على فراش الرسول ﷺ، منعته ابنته من ذلك، وطوته عنه، فقال: أرغبت بهذا الفراش عني أو بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت امرؤ نجس مشرك[٤]. فألغت بذلك كل الاعتبارات التي تربطها بوالدها، وجعلت من الإسلام أسمى اعتبار اعتزت به وأهانت من ينتسب إلى الشرك، رغم كونه أقرب الناس إليها نسبًا.

---

(١) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

(٣) سيد قطب، معالم في الطريق، ص١٦٣.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٧٩٢، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ ص٢٧-٢٨.

ولما قدم النعمان ومن معه من المسلمين على يزدجرد في المدائن قبل معركة القادسية، مروا على رستم قائد الفرس فتركوه ولم يأبهوا به وطلبوا الدخول على يزدجرد، فاجتمع الناس ينظرون إليهم، وما بهم من مهابة وعزة نفس[1]، فكان الواحد من المسلمين يعدل مائة لحسن هيئته ووقاره، فقد أظهروا القوة الجسمانية، وعدم المبالاة بالفرس وقادتهم، وما أُعطوا من زخارف الدنيا حتى أثاروا الفزع في قلوب الفارسيين وساءهم ما يرون من حال المسلمين وحال خيلهم، وقال المغيرة ليزدجرد وهو على سريره بين أعوانه وفي معسكره: «اختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك»[2]، قال ذلك وكله ثقة بنفسه، وقاله استهجانًا بيزدجر وبمن حوله من الكفار.

وعند مقابلة ربعي بن عامر لرستم أظهر ربعي عزته بإيمانه، وعدم المبالاة بما لدى الفرس من زخارف ومتع، واحتقرهم وما أعطوا، فعندما دخل معسكرهم «أظهروا له الزبرج، وبسطوا البسط والنمارق، ولم يتركوا شيئًا، ووضع لرستم سرير الذهب، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي يسير على فرس له زباء[3] قصيرة، معه سيف له مَشُوف[4]، وغمده لفافة ثوب خَلَق، ورمحه معلوب[5]

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج ٣ ص٤٩٧-٤٩٨، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣١٥.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص٥٠٠، انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٣١٦.

(٣) طويلة الشعر وكثيرته. انظر المعجم الوسيط، ص٣٨٧.

(٤) المشوف: المجلو. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٩ ص١٨٤.

(٥) تقول علب السيف ونحوه: أي حزم مقبضه بعلباء - عنق - البعير. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١ ص١١١.

بِقـد[١]، معه حَجفة[٢] من جلود البقر، على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبله، فلما غشي الملك، وانتهى إليه وإلى أدنى البُسط، قيل له: انزل، فحملها على البساط، فلما استوت عليه، نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما، ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه، وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا، فأراد استحراجهم، وعليه درع له كأنها أضاة[٣] ويَلْمَقُه[٤] عباءة بعيره، قد جابها وتدرعها، وشدها على وسطه بسلب[٥]، وقد شد رأسه بمعجرته، وكان أكثر العرب شعرةً، ومعجرته نِسعة بعيره، ولرأسه أربع ضفائر، قد قمن قيامًا، كأنهن قرون الوعلة. فقالوا: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتيكم فأضع سلاحى بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت فأخبروا رستم، فقال: ائذنوا له؛ هل هو إلا رجل واحد! فأقبل يتوكأ على رمحه، وزُجّهُ نصلٌ يقارب الخطو، ويزج النمارق والبسط، فما ترك لهم نُمرقة ولا بساطًا إلا أفسده وتركه منتهكًا مخرقًا، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض، وركز رمحه بالبسط، فقالوا: ما حملك على هذا؟، قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه»[٦].

وفي اليرموك طلب المسلمون من الروم مقابلة أميرهم تذارق، فأُذن لهم

---

(١) سير يقطع من جلد غير مدبوغ. انظر الرازي، الصحاح، ص ٥٢٣.

(٢) يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب. المصدر السابق، ص١٢٤.

(٣) مستنقع: أي غدير. انظر المعجم الوسيط، ج١ ص٢٠.

(٤) اليلمق: القباء المحشو. انظر المصدر السابق، ص ٨٣٩.

(٥) السلب: ليف المقل، يؤتى به من مكة. انظر ابن منظور، المصدر السابق، ج١ ص٤٧٣.

(٦) تاريخ الطبري، ج٣ ص٥١٩-٥٢٠؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٢٠.

فأتاه أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام[1]، وضرار بن الأزور[2]، وأبو جندل بن سهيل[3]، وكان عسكره في ثلاثين رواقًا وثلاثين سرادقًا كلها من ديباج، فلما انتهوا إليها، أبوا أن يدخلوا عليه فيها وقالوا: لا نستحل الحرير، فابرز إلينا، فبرز إليهم، وجلس معهم حيث أرادوا، ولما بلغ ذلك هرقل، قال: ألم أقل لكم هذا أول الذل[4].

وفي سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، وبعد انتصار الجيوش الإسلامية على الجيوش الأوروبية المتحزبة ضدها، كان من بين الأسرى أحد ملوك فرنسا، فلما أراد السلطان بايزيد إطلاق سراحه، وكان قد ألزم نفسه بالقسم على أن لا يعود قال له: «إني أجيز لك أن لا تحفظ هذا اليمين فأنت في حل من الرجوع لمحاربتي، إذ لا شيء أحب إليّ من محاربة جميع مسيحي أوروبا، والانتصار عليهم»[5]، فكان في ذلك استعلاء بالإيمان

(١) ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عبدالرحمن القرشي المخزومي، ابن عم خالد بن الوليد، أسلم يوم الفتح، خرج بأهله وماله من مكة إلى الشام مجاهدًا وتبعه أهل مكة يريدون بقاءه، فقال لهم: إنها النقلة إلى الله، فلم يزل مجاهدًا بالشام حتى استشهد باليرموك. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٢٩٣.

(٢) اسم الأزور: مالك بن أوس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن ودان بن أسد ابن خزيمة الأسدي، أبو الأزور، ويقال أبو بلال، شهد اليرموك وفتح دمشق سكن الكوفة وقيل: حران ومات بها، وقيل: مات بدمشق. انظر المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي أسلم قديماً بمكة فحبسه أبوه وأوثقه في الحديد ومنعه الهجرة، ثم أفلت بعد الحديبية وخرج إلى أبي بصير، وقدم على الرسول ﷺ بالمدينة، فلم يزل يغزو معه ﷺ وخرج إلى الشام وجاهد حتى مات في طاعون عمواس. انظر ابن سعد، الطبقات، ج٧ ص٤٠٥.

(٤) انظر تاريخ الطبري ج٣ ص٤٠٣، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٩-١٠.

(٥) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، ص١٤٤.

واستخفاف بالكفر وأهله، وعدم مبالاة بها يملكون من سلاح وعتاد؛ لأن المؤمن يستعين على ذلك بالله.

ولقد كان لتلك الأساليب أثر واضح في زعزعة روح العدو المعنوية فمن سمع بقوة الجيش الإسلامي رُعِب وخاف مواجهته، ومن لم يستطع الحصول على معلومات عن الجيش وأسراره خاف من الإقدام على محاربته، لجهله به، ولعدم ضمان العواقب التي غالبًا ما تتوقع بناء على المعلومات المتوافرة عن جيش الخصم قبل المواجهة. ومن تفرق عنه أصدقاؤه ومعاونوه وترك وحيدًا في المواجهة ضعف وفُتَّ في عضده، ومن حرم المواد وقطعت عنه، خشي على نفسه الهلاك لفقد الغذاء والمواد الضرورية للتغذية، ومن رأى في خصمه الاعتزاز بالنفس وبالعقيدة، عرف أنه لن يتنازل عن أهدافه بسهولة.

المطلب الثاني

أساليب الحرب النفسية وقت الحرب

أولًا: الكشف عن خطط الأعداء:

استخدام العيون للكشف عن خطط العدو ومدى استعداده للمعركة ومعرفة عدد أفراده ونوع قواته، عامل مساعد على إفشال تلك الخطط وضرورة حيوية لوضع الخطة المناسبة للمواجهة. كما أنه عامل زعزعة وتثبيط لمعنويات أفراد العدو، فوصول تلك المعلومات للخصم يعني أن هناك من يعمل لصالحه داخل الجيش[1].

(١) انظر علي العلياني، محاضرة الحرب النفسية.

وقد كان للرسول ﷺ عيون لدى أعدائه، فقد كان العباس بن عبد المطلب يبعث أخبار المشركين وتحركاتهم وخططهم العسكرية، ونوع قواتهم وعددها[١]. كما كانت قبيلة خزاعة مسلمهم ومشركهم عينًا له ﷺ، لا يخفون عنه شيئًا مما يجري في المناطق المجاورة لهم[٢]. لما خرجت قريش من مكة لغزو الرسول ﷺ وقد حزبت الأحزاب خرج ركب من خزاعة لإعلام الرسول ﷺ بذلك، وجعلوا المسافة بين مكة والمدينة أربع ليال[٣] وكثيرًا ما فاجأ النبي ﷺ بعض القبائل بالهجوم عليها قبل إكمال استعدادها لمعرفته بتحركاتهم ومحاولتهم الاعتداء على المدينة قبل إتمام الاستعداد.

وفي بدر قام ﷺ ومعه أحد الجند بالاستطلاع لجمع المعلومات عن جيش قريش[٤]، وبعث عمار بن ياسر وابن مسعود رضي الله عنهما إلى جيش قريش من أجل معرفة مدى استعدادهم المادي للمعركة، وحالتهم النفسية، فلما رجعا إلى الرسول ﷺ وقالا له: إن القوم مذعورون، وإن الفرس ليريد أن يمهل فيضرب وجهه[٥]، استنتج ﷺ من ذلك الحالة النفسية لقريش، وأنهم في حالة اضطراب وفزع وخوف.

ولما علم ﷺ بمسير الأحزاب إلى المدينة، عمل ﷺ على وضع الخطة

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٠٣-٢٠٤، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص٢-٣.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٤٤، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٣٥.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٤٤٤.

(٤) انظر المصدر السابق، ج١ ص٥٠، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٢ ص١٨٨، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٤٣٥- ٤٣٦.

(٥) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٥٤-٥٥.

المناسبة والقادرة على مواجهة الأعداء، فتم حفر الخندق حول المدينة ليفاجئ الأعداء بذلك، وتُوهن عزائمهم، وتضعف قواهم، حتى قالوا: «هذه المكيدة، ما كانت العرب تصنعها ولا تكيدها»(١).

وبعد فتح مكة علم ﷺ بجمع هوازن فبعث عبدالله بن أبي حدرد(٢) وأمره بالإقامة في المعسكر؛ ليعلم من خططهم، ونوع قواتهم، وعددهم ورجالهم، وما يحتاج إليه الرسول ﷺ لوضع خطة المواجهة(٣).

ولما عسكر سعد في القادسية بعث عيونًا له إلى معسكر الفرس وكان فيهم طليحة الأسدي(٤) الذي دخل معسكر رستم، وبات ليلته في أرجاء المعسكر ينظر ويتوسم، فعرف العتاد وعاد إلى سعد فأخبره بما رأى(٥).

ولما حاصر عمرو بن العاص رضي الله عنه أجنادين(٦)، مكث طويلًا

---

(١) المصدر السابق، ج٢ ص٤٧٠، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٣ ص١٣٤؛ وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٧٤، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص١٠٥.

(٢) اسمه سلامة، وقيل عبيد بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن شيبان بن الحارث بن قيس بن هوازن بن أسلم بن أقصى الأسلمي، أبو محمد، أول مشاهده الحديبية ثم خيبر، مات سنة إحدى وسبعين، وله إحدى وثمانون سنة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٢٨٦.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٣ ص٨٩٣، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٤ ص٦٢، وانظر الطبري، المصدر السابق، ج٣ ص٧٢-٧٣.

(٤) ابن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدي الفقعسي شهد القادسية ونهاوند، له مواقف عظيمة في الفتوح، استشهد بنهاوند. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٢٢٦.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٥١٣، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣١٨.

(٦) موضع بالشام من نواحي فلسطين. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص١٠٣.

لا يقدر على شيء منها، فكان يرسل العيون فلا يأتونه بما يريد، عند ذلك تولى المهمة بنفسه، فدخل على أرطبون، كأنه رسول من عند عمرو فتأمل الحصون والخنادق، وعرف المداخل والمخارج، وجمع ما يريد من معلومات، وخرج من عنده، وجرى بينهم القتال، وهزم الروم ولجئوا إلى إيليا، وكتب أرطبون إلى عمرو قائلًا: «والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين، فارجع ولا تُغرَّ فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة»[1]، ورد عليه عمرو برسالة بعثها مع رجل يتكلم الرومانية؛ ليعرف سر ذلك اليمين، والأسباب التي دفعت الأرطبون إلى الحلف، فلما قرأ الرسالة ضحك، فتعجب من ذلك الناس وسألوه، من أين علم أن عمرو ليس بصاحب الفتح؟، قال: صاحبها رجل اسمه «عمر» ثلاثة أحرف، فرجع الرسول إلى عمرو وأخبره بما سمع، وعرف عمرو أن عمر صاحب الفتح فبعث إليه، وقدم عمر، وفتح بيت المقدس[2].

وفي معركة نهاوند بعث النعمان بن مقرن عيونًا له إلى معسكر جيش الفرس، فوجدوا الفرس قد طرحوا للمسلمين حسك الحديد، فلما علم بذلك النعمان، وضع خطة محكمة لذلك، حيث أمر جنده بالرجوع عن موقعهم كأنهم هاربون من مواجهة الفرس، فخرج الفرس في طلبهم وكنسوا حسك الحديد، فعطف عليهم النعمان، وعبأ جيشه، ثم قاتلهم[3].

(١) الطبري، المصدر السابق، ص٦٠٦.

(٢) انظر المصدر السابق، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٤٧-٣٤٨، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٥٤-٥٥.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ص١١٥.

وعند دخول طارق بن زياد الأندلس كان معه يوليان-صاحب سبتة[1]- يدله على مداخل البلاد وطرقها وعوراتها، ويتحسس لهم الأخبار[2]، فكان من أثر ذلك سرعة المسلمين في الوصول إلى المناطق الهامة من الأندلس، والتنقل بينها، وكأنهم بذلك يعرفون البلد شبرًا شبرًا، الأمر الذي أفزع الفرنج، وجعل الرعب يقضي على أمل المقاومة عندهم، فكان طارق يدخل بعض البلاد ويجدها خاوية من أهلها الفارين من الخوف؛ لأنهم كانوا يتوقعون وصول المسلمين في كل لحظة وكان قتيبة ابن مسلم يُحكم أمر العيون، فكان يختار من جنده من يقوم بمراقبة الأعداء، والكشف عن خططهم، وكثيرًا ما أفشل محاولات الأعداء؛ لعلمه بها قبل وقوعها بواسطة العيون[3]. وفي الطريق لفتح عمورية كان المعتصم يحث قادة جيشه على تحسس أخبار العدو، ويأمر كل قائد فرقة بتكليف قائد في سرية يلتمسون الأخبار عن العدو، وكان من آثار ذلك أن كشف المسلمون عن كثير من خطط الروم، وأخذوا لها أهبتها فأفشلوها، مما جعل الروم يتراجعون ويتحصنون في عمورية، بعد أن فشلت كل محاولاتهم لمنع المسلمين من الوصول إليها[4].

إذًا فالكشف عن خطط الأعداء، ومعرفة أسرارهم، عامل قوة للمسلمين، ووهن لأعدائهم.

---

(١) بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص١٨٢.

(٢) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٢٢-١٢٣، وانظر التلمساني، نفح الطيب، ج١ص ٢١٦-٢١٧.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٦ ص٤٧٣-٤٧٧.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٩ ص٥٨، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥ ص٢٤٨.

ثانيًا: الخداع عن طريق الحيل والإيهام:

عند المواجهة العسكرية يسعى كل طرف إلى مفاجأة عدوه، سواء بظهوره أمامه فجأة، أو خروجه بتعبئة لم يعهدها من قبل، ويعمل كل طرف على رفع الروح المعنوية لجنده، وزعزعة معنويات أعدائه، ويسخر لذلك كل إمكاناته المادية والمعنوية، وما يستطيع تطبيقه من حيل وخدع تؤثر في الأعداء وتخلخل صفوفهم.

ولقد ندب الرسول ﷺ إلى خداع الكفار والتمويه عليهم ما أمكن، إلا أن يكون في ذلك نقض لعهد أو أمان[1]، فقال ﷺ: «**الحرب خدعة**»[2].

وحذر القرآن الكريم المسلمين من أن يُخدعوا، وأمرهم بالحيطة والحذر من الأعداء، فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا**﴾[3]. فكان الرسول ﷺ يوهم الأعداء في وجهته إذا خرج للغزو حتى يفاجئهم، فقلما غزا ﷺ غزوة إلا وَرَّى بغيرها[4]، ففي ذلك إيهام لعيون الأعداء عن معرفة وجهته، فيأمن جانبه من خرج لغزوهم فيأخذهم بغتة، ويسهل القضاء عليهم وتفريق شملهم. عندما عزم ﷺ على غزو بني لحيان، خرج ﷺ وسلك طريق الشام؛ ليخدع الأعداء وليفاجئهم، ولما ذهبت الأخبار بمسيره ﷺ على طريق الشام، اتجه فجأة إلى منازل بني لحيان، وأسرع في السير حتى فاجأهم بقدومه، فهربوا

---

(١) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص١٥٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٥٧، وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب جواز الخداع في الحرب.

(٣) سورة النساء، الآية ٧١.

(٤) انظر البخاري، المصدر السابق، باب ١٠٣.

واعتصموا برءوس الجبال[١] . وفي ذلك أيضًا إنذار لبقية القبائل من أعداء المسلمين، فمن أظهر العداوة فإنه لا يأمن على نفسه، فقد يجد جيش المسلمين أمامه فجأة، ولو احتاط وأخذ حذره منهم. لما بعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف أذن له ﷺ في أن يقول ما يقول من قول يطمئن إليه ابن الأشرف حتى يتمكن منه[٢]، فالكذب في الحرب جائز رفقًا بالمسلمين، ولحاجتهم إليه في بعض الظروف والمواقف[٣].

ولما خرج المسلمون في أثر المشركين بعد أحد وعسكروا في حمراء الأسد أمر ﷺ المسلمين أن يجمعوا الحطب في النهار لإيقاد النار ليلًا فكان لكل رجل منهم نار، حتى بلغت خمسمائة نار في الليلة، حتى إنها لترى من مكان بعيد، فذهب ذكر المعسكر في كل جهة، وتحدث به العرب، ووصل ذكره إلى قريش فرعُبت وخافت، وولوا الأدبار إلى مكة هاربين[٤].

ولما انصرف أهل العراق من الشام مددًا للمسلمين في القادسية، كان أميرهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص[٥]، وعلى المقدمة القعقاع بن

---

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٧٤- ١٧٥، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٩٥.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٥٩، وكتاب المغازي باب١٥، وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب قتل كعب بن الأشرف.

(٣) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص١٥٩.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٣٨، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ص٣٧-٣٨.

(٥) ابن أهيب بن زهرة بن عبد مناف الزهري، أسلم يوم الفتح، شهد القادسية وله بها آثار مذكورة، حمل راية علي يوم صفين، وبها قتل. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٥٦١-٥٦٢.

عمرو، فتعجل القعقاع وقدم على المسلمين في القادسية صبيحة اليوم الثاني من أيام القادسية، وعهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعشارًا، وكانوا ألفًا، فكلما بلغ عشرة مد البصر سرحوا في آثارهم عشرة، وجعلت خيلهم ترد قطعًا إلى الليـل، وكـلما قدم قطعة كبر المسلمون وزادوا قوة على قوتهم، وبات القعقاع ليلة اليـوم الثالث من أيام القادسية يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه بالأمس، وقال لهم: إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة، كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة، فإن جاء هاشم فذاك، وإلا جددتم للناس رجاءً وجدًّا، ففعلوا، فلما ذر قرن الشمس، وطلعت نواصي الخيل كبَّر القعقاع وكبَّر المسلمون، وقالوا جاء المدد[١]. ففي ذلك إيهام للفرس بكثرة المدد الذي وصل إلى المسلمين، فيضعف ذلك من عزائمهم.

ولما عزم قتيبة على فتح السغد وجه أخاه عبدالرحمن[٢] بالفرسان والرماة وأثقال الجيش ناحية مرو[٣]؛ ليوهم بذلك العيون وليخدع أهل السغد، لاعتقادهم بأنه سيتوجه إلى تلك الناحية، فسار عبدالرحمن يومه، وكتب إليه قتيبة في المساء: إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو، وسر بالفرسان والرماة نحو السغد، واكتم الأخبار فإني بالأثر،

---

(١) انظر تاريخ الطبري. ج٣ ص٥٤٣-٥٥٢ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٢٨- ٣٣٢.

(٢) ابن مسلم، المشهور بأبي مسلم الخراساني، من أكبر الملوك في الإسلام، ولد سنة مائة، وأول ظهوره كان بمرو. قتله المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة. انظر الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٢ ص٥٨٩، وانظر ابن حجر، لسان الميزان، ج٣ ص٤٣٦.

(٣) أشهر مدن خراسان. انظر الحموي، معجم البلدان. ج٥ ص ١١٢.

ففعل ما أمره به[1]. فكان في ذلك مفاجأة للأعداء، وأخذهم على حين غفلة من أمرهم.

ثالثًا: إشاعة أسباب الفرقة بين الأعداء

وذلك باستغلال ما بين الأعداء من خصومات وتناقضات تبرز وتنمى، ويبث من خلالها الأسباب الموجبة للخصام والفرقة حتى يتم التفريق بينهم وعزل بعضهم عن بعض.

وقد عمل الرسول ﷺ على إشاعة أسباب الفرقة والانحلال بين قوى الأحزاب المتحزبة ضد المسلمين، حيث ندب نعيم بن مسعود بعد إسلامه، وأمره بالسعي بين الأحزاب لأجل التخذيل والتفريق بينهم، فسعى بين يهود بني قريظة وقريش وغطفان حتى أوقع بينهم، وأفقدهم الثقة ببعضهم بعضًا، فتفرق جمع الأعداء[2].

وكان المسلمون عند قتالهم للفرس يحاولون التفريق بينهم وبين العرب، عن طريق دعوة العرب إلى مناصرة المسلمين، فعند محاصرة عبدالله بن المعتم لتكريت[3]، وَكَّلَ رجلا من المسلمين يدعو العرب إلى نصرته، وعزم عليهم في ذلك حتى استجابوا له وساندوا المسلمين في فتح المدينة[4].

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٦ ص٤٧٢- ٤٧٣، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤ ص١٢٦.

(٢) انظر القصة عند: الواقدي، المغازي. ج٢ ص٤٨٠، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٣٧- ١٣٨، وانظر الطبري، المصدر السابق ج٢ ص٥٧٨، ٥٧٩، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر. ج٢ ص٦٤- ٦٥.

(٣) بلدة مشهورة بين بغداد والموصل. انظر الحموي، المصدر السابق ج٢ ص٣٨.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص٣٥- ٣٦، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢ ص٣٦٤- ٣٦٥.

فالمسلمون بذلك استغلوا الجنس العربي الذي جمعهم بهؤلاء، ودخلوا منه في التفريق بينهم وبين الفرس الأمر الذي شتت قوة الأعداء، وسهل القضاء والسيطرة عليها.

وعندما خرج عرب الجزيرة والروم لغزو المسلمين في حمص، وعلم عمر بذلك، كتب إلى سعد بن أبي وقاص في العراق يأمره بإرسال جيش من المسلمين باتجاه الجزيرة، ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم في حصار حمص بأن جند المسلمين قد توجهوا إلى ديارهم، تركوا حصار حمص، وتخلوا عن الروم، وهبوا لنجدة أهلهم وديارهم(١). فكان في ذلك العمل تحييد للقوى المعادية حيث تم عزل عرب الجزيرة عن الروم فسهل القضاء على القوتين.

رابعًا: الصدق في القول والتصميم على تحقيق الهدف

إذا عُرف عن المرء إتباع قوله بالفعل، والمُضي نحو تحقيق الغاية والهدف مهما واجهه من عقبات أصبح قوله بمنزلة فعله، وصار لقوله وقع على نفوس الأعداء؛ لمعرفتهم بعزمه وإقدامه على تحقيق غايته.

والقرآن الكريم حث جند الإسلام على الثبات في المعركة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ • وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**(٢).

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق ص٥٠- ٥٢، وانظر ابن الأثير المصدر السابق ص٣٧١.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٥-١٦.

وكان المسلمون يبايعون الرسول ﷺ على الثبات في المعركة وعدم الفرار، وكأنهم بذلك يبايعونه على الموت لاحتمال وقوعه[1].

فإذا عرف الأعداء أن المسلمين لن يصرفهم عن تحقيق غايتهم إلا الموت أُسقط في أيديهم، فهم لا يستطيعون الصبر والثبات في المعركة كالمسلمين. ومن المبادئ الإسلامية في الجهاد أنه لا يُبدأ قوم بقتال إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام أولاً، فإن أجابوا كُفَّ عنهم، وإن أبوا قَبلوا منهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن هم أبوا فالسيف يفصل بينهم[2].

وعلى هذا المنهج سار المسلمون في قتالهم. وفي ذلك إنذار وتحديد لمصير الأعداء، ذلك المصير الذي لن يهدأ المسلمون قبل تحقيقه مهما حلّ بهم، فإذا وصل هذا الإنذار إلى الأعداء، وعرفوا عن المسلمين إتباع القول بالفعل، والعزم على تحقيق الغاية التي من أجلها جاءوا تيقنوا أن ذلك يعني نهايتهم وتحقق غاية المسلمين.

وكان ﷺ يوجه جنده إلى التحلي بالشجاعة والإقدام والجرأة، قال ﷺ: شر ما في رجل شحٌّ هالع، وجبن خالع[3]. ويوجههم إلى التعوذ من الجبن بعد كل صلاة[4]، وكان لهم في ذلك قدوة، فقد كان ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس[5].

---

(١) انظر ابن حجر فتح الباري ج٧ ص٤٥٠.

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب الجهاد، باب تأمير الأمراء على البعوث.

(٣) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٧٧، رقم الحديث (٤٨٨١).

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٢٥.

(٥) المصدر السابق باب ٢٤.

وتلك صفات تزيد الجندي عزمًا على المضي لتحقيق غايته، وعدم التهاون في الوصول إليها.

عندما بعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل[1] إلى عُمان، قال له موجهًا ومذكرًا بما يجب أن يكون عليه الجندي المسلم من الصدق في القول: «... ومهما قلت إني فاعل فافعله، ولا تجعل قولك لغوًا في عقوبة ولا عفو ولا ترجُ إذا أُمِّنت، ولا تخافنّ إذا خُوِّفت، ولكن انظر متى تقول وما تقول...»[2]. فالمضي في التنفيذ يعني الإصرار وقوة العزيمة، والتراجع في القول يفقد القول قيمته، والتهديد هيبته، ويشجع الأعداء على الصمود، أو الهجوم على المسلمين.

في حصار المسلمين لدمشق كان أهلها يرون أن البرد إذا جاء سيفت في عضد المسلمين، وسيجبرهم على فك الحصار إلا أنهم فوجئوا بالبرد قد خرج والمسلمون أكثر عزيمة وإصرارًا على الفتح من ذي قبل، عند ذلك دخل الخوف والفشل في قلوبهم، ووهنوا لما رأوا عزيمة المسلمين، فانقطع رجاؤهم وطلبوا الصلح[3].

وفي معركة القادسية قام أحد جند المسلمين وحرض الجند على إظهار صدق ما قالوا للفرس من أنهم إن قاتلوهم فلن يكفوا عنهم حتى يتحقق

(١) ابن عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أسلم عام الفتح، وخرج إلى المدينة ثم إلى قتال أهل الردة، استشهد باليرموك. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٤٨٩.

(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ج٢ ص١٠٩.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٣٩.

لهم النصر حيث قال: «وصدقوا قولكم بفعل»[١]، فصدقوا قولهم بالفعل، وقاتلوا حتى تحقق لهم النصر.

وعند حصار قتيبة لبيكند[٢]، طلب أهلها الصلح فصالحهم وارتحل عنهم يريد الرجوع، فلما سار مرحلة نقضوا الصلح، وقتلوا عامل قتيبة وأصحابه، ولما بلغه ذلك رجع إليهم وقاتلهم قتالاً شديدًا، وضيق عليهم الحصار حتى طلبوا الصلح فأبى ذلك، وشدد في قتالهم حتى أخذهم عنوة[٣]؛ ليُبين لهم قُدرتهم على الظفر ببلادهم بالقوة وبدون صلح إذا رغب في ذلك. ومثله فعل هارون الرشيد بنقفور ملك الروم، حيث أجابه إلى الصلح والموادعة، فلما رجع هارون من بلاد الروم نقض الصلح، فعاد إليه ولم يبرح بلادهم حتى بلغ مراده ورضي، وضمن عدم عودته لمثل ذلك مرة أخرى[٤].

فكان لمضي المسلمين نحو تحقيق غايتهم، والسعي في إتمام قولهم والتصميم عليه أثر كبير في نفوس الأعداء، فاحترموا أقوال المسلمين وعهودهم خوفًا من العواقب التي تجرها مخالفة ذلك عليهم.

خامسًا: التنادي بالشعار ورفع الصوت بالهتاف

ففي ذلك ترويع للأعداء، وبث للرهبة والرعب في قلوبهم، فهم لا يعلمون ما المراد بتلك الشعارات الصادرة من خصومهم؛ فيربكهم ذلك،

---

(١) المصدر السابق ص٥٣٤.

(٢) بلدة بين بخارى وجيحون. انظر الحموي، معجم البلدان ج١ ص٥٣٣.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٦ ص٤٣١.

(٤) انظر المصدر السابق، ج٨ ص٣٠٨- ٣١٠، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٥ ص١١٨

ويأخذ بتفكيرهم عن المعركة، كما أنها عامل مساعد للتعارف بين أفراد جيش المسلمين أثناء المعركة، ولإثارة انفعالات الشجاعة والحماسة والإقدام بينهم[1].

وكان للمسلمين عدة شعارات في حروبهم، ففي بدر كان شعارهم: يا منصور أمت، وقيل: كان شعار المهاجرين بني عبدالرحمن، والخزرج بني عبدالله، والأوس بني عبيدالله، وفي أحد كان شعار الجيش الإسلامي، أمت أمت، وفي الخندق: هم لا ينصرون[2]. وكثيرًا ما حملوا على العدو وهم يهتفون الله أكبر والتي لا تزال شعار كل مسلم حتى اليوم. ففي خيبر هتف ﷺ الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات[3].

وفي معركة القادسية قال سعد لجنده: إني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا، ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله[4].

---

(١) انظر محفوظ، المدخل. ص١٢٢.

(٢) انظر الواقدي، المغازي ج١ ص٨، ٢٣٤، ٢٦٣، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية. ج٣ ص٢٠ وانظر سنن أبي داود. كتاب الجهاد، باب في الرجل ينادي بالشعار، وانظر سنن الترمذي أبواب الجهاد، باب ما جاء في الشعار وانظر ابن القيم زاد المعاد. ج٣ ص٩٩.

(٣) صحيح مسلم كتاب الجهاد، باب غزوة خيبر، وانظر صحيح البخاري. كتاب الجهاد، باب ١٣٠.

(٤) انظر تاريخ الطبري ج٣ ص٥٣٥، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٢٥.

فقد جعل سعد من التكبير شعارًا يتحرك بموجبه الجيش يدًا واحدة ولئلا تضعف جهة وتشد أخرى، فإذا سمع الأعداء التكبير انتظروا المفاجأة من الجيش الإسلامي؛ لأنه بعد كل تكبيرة تتجدد حركة جيش المسلمين ونشاطه؛ وهذا يربك صفوفهم ويزرع الخلل فيها.

ولما كبر المسلمون وهم في حصارهم لحمص تزلزلت أقدام الروم وزاغت قلوبهم وخافوا، فهبوا إلى ذوي الرأي منهم يرجونهم طلب الصلح مع المسلمين، ولما كبر المسلمون الثانية زاغت عقول ذوي الرأي من الروم وهالهم الموقف وخافوا المفاجأة، فطلبوا الصلح مع المسلمين فأجابوهم(١). ولما تراءى الجمعان في نهاوند، كبر النعمان، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات زلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلكم رعبًا شديدًا(٢).

سادسًا: زعزعة ثقة العدو في إحراز النصر

إذا وجد العدو أمامه خصمًا قويًّا في عزيمته، صادقًا في مقولته، منضبطًا في حركته، مطيعًا لقيادته فقد الثقة في تحقيق النصر عليه؛ فتلك قوة لا تضاهيها القوة المادية مهما بلغت.

وقد اتصف الجيش الإسلامي بحسن القيادة والانضباط، والروح المعنوية العالية، وكانت تلك من سماتهم البارزة، فكثيرًا ما أوقعوا الوهن في قلوب الأعداء، وأفقدوهم الثقة في إمكانية تحقيق نصر عليهم. اطلع عمير

---

(١) انظر المصادر السابقة، ص٦٠٠ وانظر ص٣٤٢.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص١٢٨-١٢٩، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص١٠٩.

ابن وهب[1] يوم بدر على معسكر المسلمين لمعرفة مدى قوة المسلمين المادية والعددية، فلما اقترب من المعسكر أرجف وأرعب لما شاهده من انضباط، وروح معنوية، فرجع إلى قريش قائلاً: «يا معشر قريش، البلايا[2] تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، ألا ترونهم خرسًا لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي! والله ما أرى أن يُقتل منهم رجل حتى يَقتُلَ منا رجلاً، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خيرٌ في العيش بعد ذلك، فارتئوا رأيكم»[3].

وفي الحديبية قدم عروة بن مسعود[4] مندوبا عن قريش لمفاوضة الرسول ﷺ، فوجد في جيش المسلمين الانضباط والثقة بالنفس، وقوة العقيدة، فرجع إلى قريش قائلاً: «إني قد وفدت على الملوك، على كسرى وهرقل والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكًا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد في أصحابه، والله ما يُشدُّون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وما يكفيه إلا أن يُشير إلى أمرٍ فيُفعل، واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم، وقد رأيت قومًا ما يبالون ما يصنع بهم إذا

---

(١) ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية قدم المدينة لقتل الرسول ﷺ فأسلم، شهد أحدًا وما بعدها، وعاش إلى خلافة عمر رضي الله عنه. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٣٦-٣٧.

(٢) جمع بلية، وهي الناقة أو الدابة تشد عند قبر صاحبها ولا تعلف ولا تسقى حتى تموت. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٤ ص٨٥-٨٦.

(٣) الواقدي، المغازي ج١ ص٦٢.

(٤) ابن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي أحد الأكابر من قومه له يد بيضاء في تقرير صلح الحديبية أسلم بعد الطائف، وقتله قومه حين دعاهم إلى الإسلام. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٢ ص٤٧٠.

منعوا صاحبهم، والله لقد رأيت نُسَيّاتٍ معه إن كن ليُسلمنه أبدًا على حال، فروا رأيكم، وإياكم وإضجاع الرأي، وقد عرض عليكم خطة فمادُّوه![1] يا قوم اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح، مع أني أخاف ألا تُنصروا عليه»[2].

وكان ﷺ كُلّما ظهر على قوم، أو غزاهم، أقام في بلادهم ثلاثة أيام؛ ليُثبت لهم استعداد المسلمين للمواجهة، وليُفقدهم الثقة في تحقيق نصر على المسلمين[3].

ولما بعث أحد أمراء الروم رجلاً من نصارى العرب يجس له أمر جيش المسلمين، وجد فيهم قوة العقيدة، والإيمان الصادق، والانضباط المميز، والتدريب الجاد، فقال له: «وجدت قومًا رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه، أو زنى لرجموه». فقال له: «والله لئن كنت صادقًا لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها»[4].

وقال آخر لأحد بطارقة الروم لما أرسله يتجسس على المسلمين: «جئتك من عند رجال دقاق، يركبون خيولًا عتاقًا، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثًا ما فهمه عنك؛ لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر». فالتفت البطريق إلى أصحابه وقال: «أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به»[5].

---

(١) ماداه: جاراه إلى مدى، تقول فلان لا يماديه أحد: لا يجاريه إلى مدى. انظر المعجم الوسيط ج٢ ص٨٥٩.

(٢) الواقدي، المغازي ج٢ ص٥٩٨- ٥٩٩، وانظر تاريخ الطبري ج٢ ص٦٢٧.

(٣) انظر صحيح البخاري. كتاب الجهاد، باب ١٨٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ج٧ ص٧.

(٥) المصدر السابق ص١٦.

سابعًا: بث الذعر والتخويف والضغط النفسي

يتم تخويف الأعداء وبث الرعب في قلوبهم؛ لصدهم عن الاعتداء، أو لتوهين كيدهم، وتحطيم إرادتهم القتالية، فلا يستطيعون الصمود، فإما الفرار أو الاستسلام.

وقد قام ﷺ بتهديد أعدائه وتخويفهم، والضغط عليهم نفسيًا حتى يتحقق له النصر، فقد قال ﷺ مخاطبًا اليهود: يا معشر يهود! أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بَلغت يا أبا القاسم. فقال ﷺ : ذلك أريد، فقال لهم الثالثة، فقال: اعلموا أنما الأرض لله ورسوله، وأني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله[1].

وقال تعالى موجهًا عباده إلى كبت أعدائهم وترويعهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[2]. فمخاطبة الأعداء، وتوجيه الإنذار لهم بالقتل والتشريد عامل يثير في قلوبهم الرعب، ويحطم فيهم الإرادة القتالية، فإن أقدموا على القتال فبدون عزيمة، وعند أول شدة أو ضيق يولون الأدبار منهزمين.

وفي تعمد قتل قادة العدو، وكبار رجاله، وحاملي الرايات في اللحظات الأولى للمعركة عامل وهن وتخويف قد يحسم المعركة في بدايتها حيث تظهر آثار تلك العمليات على معنويات الجند، ففي بدر برز من المشركين

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الجهاد، باب إجلاء اليهود من الحجاز.

(٢) آل عمران الآية: ١٢.

عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، والوليد بن عتبة، وخرج لهم من المسلمين عبيدة[1] وحمزة وعلي، فقُتل المشركون[2]، وتضعضعت الروح المعنوية لدى بقية أفراد المشركين، فخافوا. وفي أحد عمد المسلمون إلى قتل أصحاب اللواء، فانكشف المشركون وانهزموا[3]. وفي الخندق دعا عمرو بن ود إلى المبارزة، فقام إليه علي بن أبي طالب فقتله، فولى من كان مع عمرو وهربوا مذعورين[4].

وفي معركة ذات السلاسل[5] بارز خالد بن الوليد هرمز قائد الفرس فقتله، فلما رأى جنده ما حل بقائدهم اضطربت صفوفهم وخافوا، فولوا منهزمين، وركبهم المسلمون قتّلا وسلبًا[6].

وفي سنة ست وعشرين وعند غزو المسلمين لإفريقية، صمد جرجير ملك البربر في مواجهة المسلمين، فخرج عبدالله بن الزبير[7]، وخرق

---

(١) ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، أسلم قديماً، هاجر وشهد بدرًا واستشهد فيها . انظر ابن حجر، الإصابة ج٢ ص٤٤٢.

(٢) انظر الواقدي ، المغازي، ج١ ص٦٨-٧٠ وانظر ابن هشام ، السيرة النبوية ج٢ ص١٩٥ ، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية ج٣ ص٢٧٣.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٢٢٨-٢٢٩، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥١٣ ، وانظر ابن الأثير الكامل، ج١ ص١٠٧.

(٤) انظر الواقدي، المصدر السابق ج٢ ص ٤٧١، وانظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٧٤.

(٥) ماء بأرض جذام. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٢٣٣.

(٦) انظر ابن الأثير، المصدر السابق ص٢٦٢.

(٧) ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، أبو بكر ثم أبو خبيب ولد عام الهجرة فكان أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، أحد الشجعان من الصحابة، قتل سنة ثلاث وسبعين انظر ابن حجر، المصدر السابق ص٣٠١ -٣٠٣.

صفوف الأعداء، واتجه إلى جرجير وطارده حتى قتله، فلما رأى ذلك البربر تفرقوا وانهزموا فتبعهم المسلمون أسرًا وقتلاً[(١)].

كما أن في إظهار الشجاعة وقوة العزيمة والثبات والإقدام خلال سير المعركة، عامل محبط لهمم الأعداء[(٢)]، إذ يعني ذلك تصميم المسلمين على المضي بكل جرأة وإقدام حتى الموت أو تحقيق النصر، وذلك محبط لإرادة القتال لدى الأعداء. لما مشى أبو دجانة[(٣)] بين الصفوف في معركة أحد، واختال في مشيته وتبختر، بين ﷺ محبة الله لهذه الخيلاء والمشية في وسط المعركة وبين الأعداء لإخافتهم[(٤)]. وفي بدر قام عوف بن الحارث[(٥)] بنزع درعه التي كانت عليه، وألقى بنفسه بين الأعداء، وقاتل بكل شجاعة وإقدام حتى قتل[(٦)]، فالاستخفاف بالموت وطلبه عامل يزرع الرعب والفزع في قلوب الأعداء، فهم يحرصون على الحياة أكثر من أي شيء آخر، والمسلمون بعكسهم يحرصون على الموت بل يطلبونه.

---

(١) انظر ابن الأثير، المصدر السابق ج٣ ص٤٦ وانظر ابن كثير المصدر السابق ج٧ ص١٥٢.

(٢) انظر أحمد نوفل، الحرب النفسية من منظور إسلامي، ص٢٠٢.

(٣) سماك بن خرشة الأنصاري، شهد بدرًا واستشهد باليمامة. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٤ ص٥٩.

(٤) انظر الواقدي، المصدر السابق ، ج١ ص ٢٥٩، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٣ ص١٩.

(٥) ابن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم، أحد الستة الأوائل الذين أسلموا من الأنصار، شهد العقبتين، واستشهد في بدر . انظر ابن سعد الطبقات ج٣ ص٤٩٢- ٤٩٣.

(٦) انظر ابن هشام، المصدر السابق، ج٢ ص١٩٦، وانظر الطبري المصدر السابق ج٢ ص٤٤٨، وانظر ابن كثير، المصدر السابق ج٣ ص٢٧١.

كما أن الإثخان في القتل خلال سير المعركة، عامل فزع ورعب لمن هم خلف الأعداء من أنصار وموالين، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[2].

فالإثخان في القتل عامل يدفع الأعداء إلى الاستسلام، ويثير الرعب في قلوب الآخرين. ولقد ذكر بذلك أبو بكر حينما بعث الجيوش لقتال المرتدين، فحثهم على قتال من أبى الإسلام، وأمرهم بأن يقتلوهم كل قتلة[3].

وكان الحسن[4] رضي الله عنه يكره قتل الأسرى إلا في الحرب من أجل الإرهاب وبث الذعر في صفوف الأعداء[5].

وفي موقعة أليس[6] قاوم المشركون وصبروا، لما كانوا يتوقعونه من قدوم مدد إليهم، فلما رأى خالد بن الوليد ذلك منهم قال: «اللهم إن لك علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحدًا قدرنا عليه، حتى أجري نهرهم بدمائهم»[7]. وكان يقصد بذلك إرهاب وإرعاب من وراءهم من الفرس ونصارى العرب، وليعرفوا قوة بأس المسلمين عند اللقاء، فقتل

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٥٧.　　(٢) سورة محمد الآية: ٤.

(٣) انظر الطبري المصدر السابق ج٣ ص٢٥٢.

(٤) ابن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، أبو محمد، ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، مات ودفن في البقيع سنة خمسين، وقيل إحدى أو ثمان وخمسين وقيل أربع أو تسع وأربعين. انظر ابن حجر، الإصابة ج١ ص٣٢٧- ٣٢٠.

(٥) انظر الشيباني، شرح السير الكبير، ج٣ ص١٠٢٤.

(٦) قرية من قرى الأنبار. انظر الحموي معجم البلدان ج١ ص٢٤٨.

(٧) تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٥٦.

منهم خلقًا كثيرًا، وأمر بقتل من أُسِر منهم، وأجرى النهر على دمائهم فجرى دمًا طريًّا[١].

وقد عمد الرسول ﷺ إلى حرق نخيل بني النضير وقطعها[٢] لإثارة الرعب، والضغط عليهم من أجل الاستسلام وتوهين إرادة القتال عندهم.

وقبل فتح مكة قدم أبو سفيان إلى المدينة يطلب تجديد الصلح مع المسلمين، فوجد منهم كل غلظة وشدة، ولم يجد لقوله أثرًا وقبولاً، فرجع إلى قريش مثبط العزيمة، متخبطًا في القول والفعل[٣].

ولما نزل ﷺ مر الظهران[٤] وهو في طريقه إلى فتح مكة، أمر المسلمين بإيقاد النيران ليلاً، فأوقدوا عشرة آلاف نار، جعلت معسكر المسلمين مرهبًا لمن رآه؛ لعظمته، وكثرة جنده، وكان ﷺ يهدف من ذلك إلى تخويف وبث الذعر في نفس من رأى المعسكر أو سمع به. فلما رآه أبوسفيان وحكيم بن حزام[٥] وبديل بن ورقاء[٦]، فزعوا فزعًا شديدًا،

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٣٥٧، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٦٥.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي باب ١٤، وانظر صحيح مسلم كتاب الجهاد. باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٤٦- ٤٧.

(٤) الظهران: واد قرب مكة، وعنده قرية يقال لها مر تضاف إليه. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٤ ص٦٣.

(٥) ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ، يكنى أبا خالد، أسلم عام الفتح. عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الإسلام. مات لعشر سنوات من خلافة عثمان، وقيل سنة خمسين وقيل أربع أو ثمان وخمسين، وقيل سنة ستين. انظر ابن حجر، المصدر السابق ج١ ص٣٤٨.

(٦) ابن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي بن ربيعة الخزاعي، أسلم يوم الفتح، وقيل قبله. سكن مكة، ومات قبل النبي ﷺ انظر المصدر السابق ص١٤٥.

وهالهم ما رأوا من كبر المعسكر وعظمته[1]. ولزيادة الضغط النفسي على أبي سفيان فقد أمر ﷺ العباس بن عبد المطلب أن يحبسه حتى ينظر إلى الجند فحبسه واستعرض أمامه جيش المسلمين، ومرت القبائل بألويتها من أمامه[2]؛ ففزع وخاف ودخل مكة مذعورًا خائفًا، وصاح في أهل مكة بقوله: هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به[3]. فزاد كلام أبي سفيان من خوف المشركين، وسُقط في أيديهم.

كتب خالد إلى ملوك فارس، مهددا إياهم ومثيرًا للرعب في قلوبهم: «أما بعد: فالحمد لله الذي حل نظامكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرًّا لكم، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»[4].

ولما كتب شهر براز إلى المثنى: إني قد بعثت إليكم جندًا من وخش أهل فارس، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلكم إلا بهم، ففهم المثنى من ذلك أنه يريد تخويفه بما لديه من جند وقوة، فأراد أن يجعل ذلك كبتًا له، وتوهينا لعضده، فكتب إليه وقال: «إنما أنت أحد رجلين: إما باغٍ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٨١٤-٨١٥، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية ج٤ ص٣٢.

(٢) انظر البخاري، المصدر السابق باب ٤٨.

(٣) انظر ابن هشام، المصدر السابق ص٣٤، وانظر ابن سيد الناس ، عيون الأثر ج٢ ص١٧٠.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٣٧٠.

عند الله في الناس الملوك. وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير»[1].

ولما طلب أهل السغد من قتيبة الانصراف عنهم وفك الحصار حتى يصالحوه في الغد، قال: «لا نصالحهم إلا ورجالنا على الثملة، ومجانيقنا تخطر على رءوسهم ومدينتهم»[2]. فكان في ذلك تهديد وتخويف لهم الأمر الذي دفع بهم إلى التعجيل في طلب الصلح على ما رآه المسلمون.

ولما سار المعتصم باتجاه عمورية عمد إلى تقسيم جيشه إلى ثلاث فرق، وأمر كل فرقة عند وصولها عمورية بالدوران حول السور؛ ليطلع الأعداء على عظم جيش المسلمين. وعندما بدأ الحصار باكتمال الجيش الإسلامي، كان في أحد نواحي السور خلل ونقص في بنيانه، فأمر المعتصم جنده بالتركيز على تلك الناحية؛ ليزيدوا من خوف الروم ووجلهم، وليضغطوا عليهم نفسيًّا لتضعف مقاومتهم، فكان لهم ما أرادوا، إذ عجل ذلك في فتح المدينة[3].

---

(١) المصدر السابق، ص٤١٢.

(٢) المصدر السابق، ج٦ ص٤٧٥، وانظر ابن الأثير الكامل، ج٤ ص١٢٧.

(٣) انظر المصادر السابقة، ج٩ ص٣٦، وانظر ج٥ ص٢٤٩.

المطلب الثالث

أثر الحرب النفسيّة على العدو

للقضاء على قوة العدو المادية يجب أولًا القضاء على قوته المعنوية فالروح المعنوية سلاح دافع وموجه للقوة المادية، وتجريد العدو من روحه المعنوية، يعني تجريده من القوة الدافعة، فإذا تجرد من روحه المعنوية تجرد من قوته المادية، وعند ذلك يفقد إرادته القتالية، وتُفرض عليه إرادة خصمه.

ولقد أدرك الرسول ﷺ والمسلمون خطورة الحرب النفسية على الأعداء فجعلوا منها سلاحًا يوجهونه للضغط على أعدائهم من أجل التخلي عن غزو المسلمين، أو مساندة أعدائهم الآخرين، فيُجري العدو حساب النصر والهزيمة قبل استخدام القوة ضد المسلمين، فيتولد شعور نفسي بأن القوة الإسلامية قوة قاهرة، يصعب التغلب عليها. وأثناء المعركة، يضطرب العدو، ويفقد القدرة على المقاومة، فيقتنع بالاستسلام والهزيمة.

ولقد وجه المسلمون إلى أعدائهم ألوانًا من ضروب الحرب النفسية تحول معها الانتصار إلى هزيمة، والاجتماع للغزو إلى فرار وندامة، فبعد غزوة أحد قام المسلمون بحملة نفسية هجومية ضد المشركين، أظهروا من خلالها قوتهم وعزمهم على مطاردة المشركين، وأخذ الثأر منهم، فقد خرج ﷺ بمن حضر أحد في طلب قريش، وعسكر بحمراء الأسد، وبلغ قريشًا خروج المسلمين في طلبهم، ففزعوا ورعبوا، وولوا الأدبار إلى مكة مذعورين، وقد تبدل شعورهم بالنصر إلى هزيمة وخوف من أن يلحق بهم المسلمون[1].

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٣٤ - ٣٣٩؛ وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٣٤-٥٣٥.

ولما نقض بنو النضير العهد الذي بينهم وبين المسلمين، شن المسلمون عليهم حربًا نفسية، أدت إلى إخراجهم من ديارهم بدون قتال، فقد بعث إليهم الرسول ﷺ محمد بن مسلمة وأمرهم بالخروج، وأمهلهم عشرة أيام، فمن وجد بعدها قُتل، ثم حاصرهم ﷺ، وشدد عليهم الخناق، وقام بالضغط النفسي عليهم، فحرق وقطع نخيلهم، فدخلهم الرعب والفزع، وفقدوا إرادة المقاومة والقتال، عند ذلك نزلوا على إرادة وحكم المسلمين[1].

وظهر أثر الحرب النفسية على الأعداء حينما هم بنو أسد بغزو المدينة فجمعوا لذلك الجموع، وتدارسوا الموقف، وعواقب الغزو، وما يمكن أن يسفر عنه، فقارنوا أنفسهم بقريش التي مكثت دهرًا تجمع الجموع وتستنفر العرب، حتى سارت إلى المسلمين في ثلاثة آلاف مقاتل، ومعها من الخيل والسلاح الشيء الكثير، ولهم وتر عند المسلمين، ومع ذلك لم يحققوا مطامعهم وأهدافهم، ورجعوا إلى مكة وهم في حالة نفسية سيئة واستنتجوا من ذلك عدم قدرتهم على مواجهة المسلمين، وأن إقدامهم على الغزو يعني هزيمتهم شر هزيمة[2].

وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتد كثير من القبائل العربية، فأظهروا العدواة للمسلمين، وهددوا المدينة بالغزو، وفي ظل هذه الظروف الحرجة، أمر أبو بكر بإنفاذ جيش أسامة بن زيد، وكان رضي الله عنه

---

(١) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٣٦٣-٣٨٠؛ وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص٤٩-٥١.

(٢) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٣٤١-٣٤٢.

يهدف من وراء ذلك إلى إرهاب المرتدين وتخويفهم بقوة المسلمين، فرغم هذه الظروف السيئة، والتهديد من القبائل العربية، إلا أنهم خرجوا باتجاه الشام، وكأن شيئًا مما حولهم لم يحدث، فكان لذلك أثر بالغ على كثير من القبائل العربية، فكفوا عن التعرض للمسلمين، وأظهروا المسالمة لاستنتاجهم مما حصل أنه لو لم يكن بالمسلمين قوة قادرة على مواجهة المرتدين مجتمعين، لما أرسلوا هذا الجيش باتجاه الروم[1].

ولقد بلغ الفزع والرعب بالفرس أن رفض رستم الخروج لمقابلة المسلمين في القادسية، وجادل يزدجرد في ذلك، وحاول كل منهما إقناع الآخر بالخروج، حتى خرج رستم مكرهًا[2]. ودفع الرعب بالكثير إلى الاعتذار مما بدر منهم تجاه المسلمين خوفًا ورهبة من أن يسيروا إليهم[3]. ودفع بعضهم إلى المسارعة في طلب الصلح، وتحقيق رغبة المسلمين مهما كانت[4].

---

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٢٧، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣٠٤.

(٢) انظر المصادر السابقة، ص٣١٤-٣١٥؛ وانظر ج٧ ص٣٨.

(٣) انظر المصادر السابقة ج٢ ص٧٤؛ وانظر ج٩ ص٣٣.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٦٨-٤٦٩؛ وانظر ابن كثير، المصدر السابق، ص٨٤.

المبحث الرابع
رعاية أسر المجاهدين
المطلب الأول
رعاية أسر المجاهدين في صدر الإسلام

إذا خرج المقاتل للجهاد وقد اطمأن على أسرته وذويه، انصرف كلية للاشتغال بأمور القتال، وإن كان لا يعلم مصير أسرته وذويه بعد خروجه، انشغل فكره واهتم بشأنهم، وأصبحوا عائقًا نفسيًا له في قتاله.

ولقد اهتم الإسلام بهذا الجانب وعمل على رعاية أسر المجاهدين ليكون الجندي متفرغًا لمهمة القتال، ومنصرفًا بكل حواسه وتفكيره إلى واجبه، لا يشغله أمر أهله، ولا يصرفه صارف آخر عن مقصده.

فقد جاء الإسلام بمنهج اجتماعي مثالي في تعاضده وتكافله في وقت السلم والحرب، فجعل المجتمع المسلم كالجسد الواحد، يحزن لحزن فرد منه، ويفرح لفرحه، ويستشعر آلام أفراده فيداويها، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

وجعل المسئولية في هذا التكافل والتعاضد مشتركة بين أفراد المجتمع قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١)، وقال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، ومسئول عن رعيته**»(٢).

والمجاهد في جهاده قد خرج باذلًا نفسه وماله في سبيل الله من أجل الدفاع عن وطنه ودينه، فكان لابد من رعاية أسرته. ولقد عني الإسلام بذلك فجعل القائم على كفالة أسرة المجاهد كالمجاهد في الثواب وفي ذلك بيان لأهمية رعايتهم، ووجوب المحافظة عليهم، والسعي لراحتهم، قال ﷺ: «**من خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا**»(٣). وقال ﷺ: «**لينبعث من كل رجلين أحدهما، والأجر بينهما**»(٤).

وفي مقابل ذلك غلظ الإسلام العقوبة لمن أساء إلى أسر المجاهدين، أو تعرض لهم بسوء، فقال ﷺ: «**حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم؟**»(٥).

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ١١.

(٣) المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ٣٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله.

(٥) المصدر السابق، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن.

وكان رسول الله ﷺ يواسي أسر الشهداء، ويحسن إليهم، فقد كان يكثر الدخول إلى أم سليم[1] رحمة بها وصبرًا لقلبها، فيتعاهدها بالزيارة وذلك لأن أخاها قتل معه ﷺ[2]، وفي ذلك إشارة منه ﷺ إلى رعاية أسر المجاهدين والشهداء والعناية بهم، والخلافة فيهم بخير، حتى بعد مماتهم.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت رعاية أسر المجاهدين من أولى اهتماماته، فكان يولي أبناء المجاهدين في المدينة عناية خاصة، ويعتبر نفسه مسئولًا عنهم في ظل غياب أوليائهم، فقد قال رضي الله عنه: «أربع من أمر الإسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء أبدًا - ذكر منهن - المهاجرين الذين تحت ظلال السيوف، ألا يحبسوا ولا يجمروا وأن يوفر فيء الله عليهم وعلى عيالاتهم، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا»[3]. فكان يخلف المجاهدين في أهليهم[4]، فيتفقد أحوالهم، وينظر في أمورهم، ويسد حاجاتهم. وفرض رضي الله عنه لعيال المقاتلين وذريتهم العشرات[5]؛ ليكفل لهم بذلك رغد العيش، وليسد حاجتهم التي يسعى لتوفيرها لهم وليهم الذي خرج للقتال.

---

(١) بنت ملحان، اختلف في اسمها فقيل، رميلة، وقيل رميثة، وقيل مليكة، وقيل الغميضاء، أو الرميصاء، أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص٤٤١-٤٤٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٣٨.

(٣) تاريخ الطبري، ج٤ ص٢٢٧.

(٤) انظر ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ص٦٢.

(٥) انظر أبا عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، ص٢٤١؛ وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٤١.

ومن كان خارج المدينة كان يسعى من أجل إسعاده، وسد حاجته وتلبية مطالبه، حتى إنه قال رضي الله عنه: «لئن سلمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا»[1].

وعمل رضي الله عنه لتوفير المواد التموينية والضرورية اللازمة لأسر المجاهدين، فقد فرض لكل نفس مسلمة في كل شهر مُدَّيْ حنطة وقسطي زيت، وخل[2]، فكان ذلك يصل إلى أسر المجاهدين، وما يعيلونه من عبيد وإماء، وكان رضي الله عنه يرزق الإماء، والعبيد ويوزع الأرزاق كل شهر[3]. وذلك خلاف الأعطيات المقدرة للمقاتلين، ولأسرهم فقد «جعل - رضي الله عنه - نساء أهل بدر في خمسمائة خمسمائة ونساء من بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة، ونساء من بعد ذلك إلى الإيام ثلاثمائة ثلاثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك، وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثم جمع ستين مسكينًا وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبتين، ففرض لكل إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر»[4].

وكان عند تقسيمه الصدقات والمغانم، وفرضه للعطايا، يكرم أبناء المجاهدين والشهداء، ويفضلهم في ذلك، فقد ورد أنه رضي الله عنه «لما فرض للناس، فرض لعبد الله بن حنظلة[5] ألفي درهم، فأتاهم طلحة

---

(١) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١١٤.

(٢) انظر أبا عبيد، المصدر السابق، ص٢٤٧؛ وانظر البلاذري، المصدر السابق، ص٤٤٣.

(٣) انظر أبا عبيد، المصدر السابق.

(٤) تاريخ الطبري، ج٣ ص٦١٤-٦١٥.

(٥) ابن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، أبو عبد الرحمن ويقال أبو بكر، =

بابن أخ له ففرض له دون ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، فضلت هذا الأنصاري على ابن أخي. قال: نعم، لأني رأيت أباه يستن يوم أحد بسيفه كما يستن الجمل»[1].

وفي معركة البويب أصاب المسلمون غنماً ودقيقًا وبقرًا، وكان أبناء المجاهدين وأسرهم خلفهم في القوادس[2]، فبعثوا إليهم بما أصابوا[3].

وبعد معركة القادسية أُتي سعد بفتى من آل قابوس، فعرّفه سعد بشهيد مُزني قتل يوم أحد، فقال: أنا ابن أخيه، فأكرمه سعد، وأحسن إليه وأجابه إلى ما طلب[4]. وهكذا كانت أسر المجاهدين والشهداء تحظى باهتمام ورعاية الولاة والقادة.

ولم يكن الاهتمام مقتصرًا على توفير المال والمواد الضرورية لهم، بل تعداه إلى توفير الأمن، وعمل الاحتياطات اللازمة التي تكفل اطمئنان الجندي على أسرته، وأنهم تحت حراسة أيد أمينة، تسعى لرعايتهم وتحميهم من كل خطر أو غرة.

لما سار سعد بن أبي وقاص إلى القادسية ترك عوائل المجاهدين بالعُذيب[5]، وجعل معهم خيلًا وفرسانًا تحرسهم[6]، وأمَّر عليهم غالب

= والده غسيل الملائكة، ولد سنة أربع، وكان من خيار أهل المدينة، قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٣٦٠؛ ج٢ ص٢٩١.

(١) ابن المبارك، كتاب الجهاد، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) جمع القادسية التي عند الكوفة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١٤٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٦٩؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٠٥.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٧٦.

(٥) ماء بين القادسية والمغيثة. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٤ ص٩٢.

(٦) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٤٩٤؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٣١٤.

ابن عبدالله[1]. ولما أمر عمر سعدًا بالمسير إلى المدائن، أمره أن يخلف النساء والعيال في معسكر خلف المسلمين، وأن يعهد إلى بعض الجند بحراستهم، والسعي في مصالحهم، وأن يشرك هؤلاء الجند في كل غنيمة يغنمها المسلمون[2].

في عهد عثمان رضي الله عنه استمر العمل بما فرضه عمر لعيال المجاهدين وذراريهم، وعمل بذلك من جاء بعد عثمان من الولاة، فقد روي أن ما فرضه عمر لعيال المقاتلة وذراريهم، قد أمضاه عثمان ومن جاء بعده من الولاة «وجعلوها موروثة، يرثها ورثة الميت منهم ممن ليس في العطاء والعشرة، حتى كان عمر بن عبد العزيز»، فسأل عن ذلك فأخبر، فأنكر ذلك، وتركهم عمومًا من عيال من ليس في الديوان من المسلمين، وقال: «أقطع الوراثة وأعم الفريضة»، فقيل له: «قد يستن بك من بعدك في قطع الوراثة، ولا يستن بك في عموم الفريضة»، قال: «صدقت، اتركهم»[3].

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يولي أسر المجاهدين رعاية وعناية؛ ليطمئنهم بذلك، وليصرف جل اهتمامهم إلى بذل الجهد والاشتغال بقتال الأعداء، كتب رضي الله عنه إلى الأسارى بالقسطنطينية: «أما بعد: فإنكم تعدون أنفسكم أسارى، معاذ الله بل أنتم الحبساء في

---

(١) الكناني الليثي، كان على مقدمة النبي ﷺ يوم الفتح، قتل هرمز ملك الباب وتولى خراسان زمن معاوية. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص١٨١-١٨٢.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٦١٨-٦١٩.

(٣) أبو عبيد، الأموال، ص٢٤١؛ وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٤١.

سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئًا بين رعيتي إلا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه»[1].

وكان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات، أعطاه ورثته، فقد أمر بأن يُنظر في «أهل الدواوين، فمن كان عمل على عطائه سنة كاملة، وغرم ما نابه من الحمائل، أو قال: الجعائل - شك أبو عبيدة - وأجزأ بعوثه، ثم يُقبض بعدما يؤمر للناس بأعطياتهم، فمُر لأهله بعطائه حقًا واجبًا. وانظر من كان اكتتب في شيء من البعوث، فخرج له عطاؤه، فتجهز به ثم أدركه أجله، فلا تغرموا أهله شيئًا، إنما أخذ حقه»[2]. وكتب إلى أحد ولاته قائلًا: «من كان غائبًا قريب الغيبة فأعط أهل ديوانه، ومن كان منقطع الغيبة، فاعزل عطاءه إلى أن يقدم أو يأتي نعيه، أو يوكل عندك بوكالة بينة على حياته، فادفعه إلى وكيله»[3].

وقد أجرى الوليد بن يزيد «على زَمنى أهل الشام وعميانهم، وكساهم وأمر لكل إنسان منهم بخادم، وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة . . . . وزاد الناس جميعًا في العطاء عشرة عشرة»[4]. فإذا كان ذلك في عامة الناس، فمن يحمي بيضة الإسلام أولى بالرعاية والاهتمام.

وهكذا يتبين لنا أن رعاية أسر المجاهدين والشهداء واجب سعى الخلفاء والولاة إلى الوفاء والقيام به على الوجه الأمثل، ليطمئن الجندي على أسرته

(١) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز ص١٤٠.

(٢) أبو عبيد، المصدر السابق، ص٢٦٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥ ص٣٤٨.

(٤) تاريخ الطبري ج٧ ص٢١٧.

وليصرف اهتمامه وطاقته إلى بذل الجهد في قتال الأعداء، لوجود العناية بأسرته، سواء كان حيًّا أو ميتًا، ولم تكن الرعاية مقتصرة على جانب من جوانب الحياة، بل كانت شاملة لجميع متطلبات الحياة، فمن توفير المعيشة الرغدة لهم، إلى الحفاظ على العرض، والمال، والسعي لتحقيق الأمن لهم، وحمايتهم من كل مكروه، مع الاحترام والتقدير لهم، لصلتهم بمن يحمل لواء الإسلام، ويضحي بنفسه في سبيل إعلاء كلمة الله.

المطلب الثاني

رعاية أسر الجند في الجيش العربي السعودي

يقدم للجندي في الجيش العربي السعودي ولأفراد أسرته ومن يعولهم شرعًا، كثير من الخدمات الضرورية والتي يحتاجها الفرد في حياته العادية، وذلك لكي يوفر الجندي جهده في سبيل الاستعداد، والمشاركة في الدفاع عن دينه ووطنه، فلا تشغله مطالب الأسرة عن أداء الواجب الموكل إليه.

وسأعرض هنا أهم الخدمات المقدمة للجندي، ولأفراد أسرته، والتي لو فُقدت إحداها لحصل خلل في تهيئته النفسية للقتال، وذلك لأهميتها وضرورة توفرها له ولأسرته:

أولا: الخدمات الصحية:

يتم تقديم العلاج اللازم للجندي، ولأفراد أسرته ممن يعولهم شرعًا،

وذلك في مستشفيات القوات المسلحة، أو المستشفيات الحكومية على نفقة وزارة الدفاع والطيران[1].

أما إذا تعذر العلاج داخل المملكة، فيعالج خارجها على نفقة وزارة الدفاع والطيران[2].

أما من يعمل خارج المملكة فيصرف له بدل علاج شهري، وإذا انتدب أو ابتعث خارج المملكة، فيتم علاجه وعلاج أسرته، ومن يعولهم شرعًا على نفقة الوزارة[3].

وقد أقيمت الوحدات الصحية سواء المتنقل منها أو الثابت في جميع مراكز ووحدات وقواعد القوات المسلحة؛ لتقديم الخدمات الطبية اللازمة، ولمباشرة حالات الطوارئ قبل النقل إلى المستشفيات العسكرية الرئيسة.

كما أقيمت المستشفيات الكبيرة والمجهزة بأحدث الأجهزة الطبية والمدعمة بالأطباء الأكفاء في مختلف التخصصات، وذلك لتقديم العلاج في الحالات الصعبة والخطرة[4].

---

(١) انظر نظام خدمة الأفراد في القوات العربية السعودية المسلحة. صدر بالمرسوم الملكي رقم م/ ٩ في ٢٤/ ٣/ ١٣٩٧هـ، المادة رقم: (٣٣)؛ وانظر نظام خدمة الضباط في القوات العربية السعودية المسلحة. صدر بالمرسوم الملكي رقم م/ ٤٣ في ٢٨/ ٨/ ١٣٩٣هـ، والمعدل بالمرسوم رقم ٢/ ٩ في ٢٤/ ٣/ ١٣٩٧هـ، المادة رقم: (٩٨)، (١٠٠).

(٢) انظر نظام خدمة الأفراد. المادة رقم: (٣٥)؛ وانظر نظام خدمة الضباط المادة رقم: (٩٨).

(٣) انظر نظام خدمة الأفراد. المادة رقم: (٣٤)؛ وانظر نظام خدمة الضباط. المادة رقم: (٩٩).

(٤) انظر مثلًا: مستشفى القوات المسلحة في كل من: الرياض. الخرج. الهدا. المنطقة الجنوبية. شرورة. الشمالية الغربية. المنطقة الجنوبية.

ولتحقيق الخدمات الصحية هذه أنشئت في الوزارة إدارة مسئولة عن القيام على الشئون الصحية وإدارتها، والتخطيط لأعمالها وتنفيذها تسمى الخدمات الطبية للقوات المسلحة[1].

ثانيًا: الخدمات الاجتماعية:

تقدم للجندي ولأسرته خدمات اجتماعية عديدة من أهمها:

أ- تأمين السكن المناسب:

يتم تأمين السكن المناسب للجندي ولأفراد أسرته، ومن يعولهم شرعًا[2]، قريبًا من عمله، مجهزًا بالخدمات الضرورية، ومؤثثًا تأثيثًا كاملًا، وذلك في جميع القطاعات العسكرية، فقد أقيمت عدة مدن عسكرية، كمدينة الملك فيصل العسكرية في المنطقة الجنوبية[3]، ومدينة الملك عبد العزيز العسكرية في المنطقة الشمالية[4]، ومدينة الملك خالد

---

(١) كانت بدايتها عبارة عن مستوصف للجيش بالطائف. وذلك مع وجود القوات النظامية بالمملكة، وفي عام (١٣٧٠) هـ أصبح مسماها الصحة العسكرية، وفي عام (١٣٨٢) هـ أصبح مسماها إدارة الخدمات الطبية، وفي عام (١٣٨٤) هـ عدل مسماها ليكون الإدارة العامة للخدمات الطبية للقوات المسلحة. وتقدم خدماتها لكافة منسوبي القوات المسلحة وعوائلهم في زمن السلم والحرب، ومن أبرز مهامها: تقديم الخدمات العلاجية والوقائية على أعلى المستويات، ونشر الوعي الصحي، ومكافحة الأمراض والأوبئة، وتطوير منشآت وأجهزة ومعدات الخدمات الطبية. انظر إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة. قسم الصحافة والنشر. شعبة المعلومات.

(٢) انظر اللائحة المالية والتعاقد والإضافات التي طرأت عليها ونظام الإسكان في المدن العسكرية، ص١٠١.

(٣) انظر قرار مجلس الوزراء رقم (٦٥١) بتاريخ ١-٢/٩/١٣٩١هـ، القاضي بالموافقة على مشروع لائحة الإسكان لمدينة الملك فيصل العسكرية.

(٤) انظر قرار مجلس الوزراء رقم (١٤٥٢) بتاريخ ٢٩/١١/١٣٩٢ هـ، القاضي =

العسكرية في حفر الباطن، وهناك منشآت سكنية أخرى، كمنشآت القواعد الجوية والبحرية والبرية، والدفاع الجوي، والمصانع الحربية والخدمات الطبية[1]، وكل منشأة من تلك المنشآت تتفق مع طبيعة عملها، بحيث يكون الجندي بجانب السكن والمكاتب والميادين.

وقد جعلت الأولوية في الحصول على السكن لمن نقل أو عين حديثًا ولا يملك سكنًا في المدينة المنقول إليها، أو المعين بها حديثًا[2]. وفي حالة تكليف الجندي بمهمة مؤقتة، كالابتعاث أو الانتداب لفترة معينة، فإنه يجوز بقاء عائلته في السكن[3].

ب - إقامة الأسواق التجارية:

أقيمت الأسواق التجارية في المدن والمنشآت العسكرية، بهدف توفير المتطلبات الضرورية واللازمة للفرد، بما في ذلك احتياجات الأسر داخل المدن والمنشآت العسكرية، وذلك بأسعار أقل من الأسواق المحلية[4].

= بالموافقة على تطبيق القرار رقم (٦٥١) وتاريخ ١-٢/٩/١٣٩١ هـ، السابق - واللائحة التنفيذية للشؤون المالية والتعاقد الخاصة بمدينة الملك فيصل العسكرية على مدينة الملك عبد العزيز العسكرية بتبوك.

(١) انظر قرار مجلس الوزراء رقم (٢٥٤) بتاريخ ٢١/٢/١٣٩٨ هـ، القاضي بتطبيق قرار مجلس الوزراء رقم: (٦٥١) وتاريخ ١-٢/٩/١٣٩١هـ السابق - واللائحة التنفيذية للشؤون المالية الخاصة بمدينة الملك عبد العزيز العسكرية على مدينة الملك خالد العسكرية، ومنشآت القواعد الجوية والبحرية والدفاع الجوي والمصانع الحربية والخدمات الطبية للقوات المسلحة. وأي منشآت عسكرية مماثلة تحدث مستقبلًا.

(٢) انظر اللائحة المالية والتعاقد والإضافات التي طرأت عليها، ونظام الإسكان في المدن العسكرية. ص٥٣، ١٠١.

(٣) انظر المرجع السابق، ص١٠٢.

(٤) انظر المرجع السابق، ص٧٥.

ج- إقامة المتنزهات والحدائق داخل المدن والمنشآت العسكرية:

أوجدت الحدائق والمتنزهات داخل المدن والمنشآت العسكرية[١]، وتم تجهيزها وتهيئتها لاستقبال الزائرين وطالبي الراحة والهدوء. كما تم إيجاد حدائق للحيوانات داخل بعض المدن العسكرية[٢]؛ لتكون مكانًا يقصد للتسلية والترفيه البريء.

د - الرعاية الاجتماعية الخاصة:

يتم تقديم رعاية خاصة لعوائل من يباشرون بعض المهام القتالية أو الرسمية، حيث يتم تكليف من يقوم بتلبية طلباتهم، وتوفير الخدمات اللازمة لهم يوميًا، والنظر في شئونهم المختلفة[٣].

ثالثًا: الخدمات الثقافية:

ومن أبرزها:

أ - إقامة المكتبات:

حيث تم إنشاء عدد من المكتبات في جميع المدن والمنشآت العسكرية[٤] وغذيت بالكتب المفيدة والنافعة، وفتحت أبوابها لمريدي العلم والمعرفة

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٨٨.

(٢) توجد حديقة للحيوانات في مدينة الملك فيصل العسكرية.

(٣) حدثني بذلك أحد العسكريين ممن قاموا بتلك المهمة.

(٤) انظر (لقاء: مع عبد المحسن آل الشيخ) مجلة الدعوة، ١٨/٤/١٤٠٦هـ، العدد ١٠٢٢، ص ٢٩.

من منسوبي الجيش وأهليهم، كما تم إيجاد مكتبات للأسر[1]؛ لتحقيق الغرض نفسه، ولتعميم الفائدة، واستغلال أوقات الفراغ بما يعود عليهم بالنفع والخير.

ب - إنشاء الصالات والقاعات:

تم إقامة صالات لإقامة الأمسيات الثقافية والندوات، والمحاضرات التي تدعو الحاجة إلى إقامتها، وذلك في جميع المدن والمنشآت العسكرية.

جـ - التعليم:

تم توفير التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، وعمل على توفير جميع المتطلبات اللازمة للحركة التعليمية التي شملت كافة منسوبي القوات المسلحة وأهليهم. وتم تأسيس إدارة الثقافة والتعليم[2]؛ لتكون حلقة اتصال ما بين وزارة الدفاع وقطاعات التعليم المختلفة، كوزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات، ولتقوم بالإشراف على تنفيذ السياسة التعليمية المدنية لكافة منسوبي القوات المسلحة وأهليهم. وينحصر التعليم المناط بها بالآتي:

١- تعليم أبناء منسوبي القوات المسلحة بنين وبنات في مختلف المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

---

(١) انظر اللائحة المالية والتعاقد والإضافات التي طرأت عليها. ونظام الإسكان في المدن العسكرية، ص٦٩.

(٢) تم تأسيسها عام (١٣٧١) هـ، تحت مسمى شعبة المدارس العسكرية، وأعيد تنظيمها بالمسمى الحالي عام (١٣٧٧) هـ . انظر وزارة الدفاع والطيران، إدارة الثقافة والتعليم، ودورها في القوات المسلحة، ص ١٣.

٢- تعليم الكبار رجال ونساء.

٣- المدارس الليلية لمنسوبي القوات المسلحة لجميع مراحل التعليم الابتدائية والمتوسطة والثانوية[١].

وقد شملت تلك الرعاية كل المواقع التي فيها منسوبو القوات المسلحة حيث تم توفير المباني الحديثة والمجهزة بكافة المتطلبات الضرورية، من أثاث وكتب وإضاءة وتكييف، وكذلك تم توفير جميع الاحتياجات العلمية والعملية، من معامل علوم، ولغات، وقاعات متعددة الأغراض ومرافق ترفيهية، كالملاعب وصالات النشاط وغيرها، مما يساعد على التحصيل العلمي، وتهيئة الجو المناسب لمضاعفة الجهد.

رابعًا: الضمانات المالية:

تم إقرار نظام التقاعد العسكري[٢]؛ ليضمن الجندي حقوقه المالية في حالة إحالته إلى التقاعد لسبب من أسباب إنهاء الخدمة العسكرية، وذلك في الحالات العادية.

أما في الحالات الطارئة، كالوفاة أو العجز بغير سبب العمل، فيسوى له معاش على أساس (٧٠)٪ من الراتب الشهري الأخير[٣]، أو على أساس جزء من خمسة وثلاثين جزءًا من راتبه العسكري[٤].

---

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر المرسوم الملكي الكريم رقم (م/ ٢٤) بتاريخ ٥/ ٤/ ١٣٩٥هـ، القاضي بالموافقة على نظام التقاعد العسكري؛ وانظر قرار مجلس الوزراء بالموافقة على نظام التقاعد العسكري، برقم (٣٣١) وتاريخ ٢/ ٤/ ١٣٩٥ هـ .

(٣) انظر نظام التقاعد العسكري، المادة رقم (١٥).

(٤) انظر نظام التقاعد العسكري، المادة رقم (٨).

أما من أصيب أثناء القيام بعمله بعجز كلي، فيمنح معاشًا شهريًا يعادل آخر راتب كان يتقاضاه[1]، فإن كان العجز جزئيًا منح معاشًا تقاعديًا قدره أربعة أخماس آخر راتب كان يتقاضاه[2].

وإن كان بسبب العمليات الحربية، أو بسبب وقوعه في الأسر، أو أثناء مشروعات التدريب بالذخيرة الحية، أو اقتحام المواقع، أو بث الألغام أو إزالتها، أو أثناء الإنزال الجوي والبحري، وفي كل الحالات المشابهة لذلك، فإن كان العجز كليًّا يمنح معاشًا شهريًّا على أساس راتب أعلى درجة في سلم الرواتب للمرتبة التي تعلو مرتبته مباشرة[3]. أما إن كان العجز جزئيًّا فيمنح أربعة أخماس أعلى درجة في سلم الرواتب للمرتبة التي تعلو مرتبته مباشرة[4].

وفي حال الوفاة أثناء القيام بالعمل وبسببه، يمنح المستحقون عنه معاشًا شهريًّا يعادل الراتب الذي كان يتقاضاه قبل الوفاة[5].

أما إذا استشهد بسبب خدمة أُمر بها أثناء قيام الحرب، أو أثناء التدريب بالذخيرة الحية، أو التدريب الجوي أو البحري، أو القيام بمهمات أو تحركات عسكرية، فيمنح المستحقون عنه معاشًا تقاعديًّا يعادل أقصى راتب مربوط المرتبة التي تعلو رتبته[6].

---

(١) انظر المرجع السابق، المادة رقم (١٧).

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق، المادة رقم (١٨-١٩).

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) انظر المرجع السابق، المادة رقم (٢٠) فقرة (أ).

(٦) انظر المرجع السابق.

والأشخاص الذين لهم حق بموجب هذا النظام هم: الزوجة والابن والبنت، ومن كان مُعتمِدًا على المتوفي في الإعالة وثبت ذلك شرعًا كالأب، والأم، والجد، والجدة، والأخ والأخت، وبنت الابن الذي توفي في حياة والده الجندي[1].

ويستمر صرف المعاش للذكور حتى سن الواحدة والعشرين[2]، إلا من كان طالبًا منتظمًا في دراسته، فيصرف له المعاش حتى بلوغ السادسة والعشرين، أو تخرجه أيهما أقرب.

أما من كان مصابًا بعجز صحي كامل يمنعه من الكسب، فيصرف له حتى يزول العجز[3].

أما الإناث فيوقف صرف الاستحقاق لهن اعتبارًا من تاريخ عقد الزواج ويعاد لها إذا طلقت أو ترملت. وإذا طلقت من كانت متزوجة وقت وفاة صاحب المعاش يعاد توزيع المعاش بافتراض استحقاقها وقت الوفاة[4].

كما يوقف صرف الاستحقاق لمن يعين من هؤلاء في وظائف ثابتة في الحكومة، أو من كان معينًا فيها عند الوفاة، بشرط أن يكون راتبه معادلًا للمعاش أو زائدًا عليه، فإن نقص راتب الوظيفة عن المعاش استحق

(١) انظر المرجع السابق، المادة رقم (٢٣).
(٢) انظر المرجع السابق، المادة رقم (٢٤) فقرة (أ).
(٣) انظر المرجع السابق.
(٤) انظر المرجع السابق، المادة رقم (٢٤) فقرة (ب).

الفارق بينهما، كما يجوز له الجمع بينهما إذا لم يتجاوزا (٤٠٠٠) ريال شهريًا، فإن زاد نقص المعاش بقدر تلك الزيادة[١].

تلك أهم الخدمات المقدمة للجندي، ولأفراد أسرته في الجيش العربي السعودي، وهي خدمات يحتاجها كل فرد، وتوفيرها بالشكل السابق يزيح عن الجندي عناء السعي في توفيرها له، ولأسرته، وهذا يسهم في تهيئته النفسية لأداء الواجب، فلا شيء يشغله ويسعى إليه إلا القيام بما كلف به من واجبات على الوجه الأمثل، فيصبح جهده وطاقته كلها منصهرة في أداء الواجب، وبذلك يتحقق الهدف المرجو من توفير تلك الخدمات.

(١) انظر المرجع السابق.

الفصل الثالث

الأساس اللياقي (البدني)

مدخل: أثر التربية على الفرد قبل مباشرة حمل السلاح.

المبحث الأول: اللياقة البدنية.

المبحث الثاني: الإعداد المادي.

مدخل

أثر التربية على الفرد قبل مباشرة حمل السلاح

اهتم الإسلام بتربية أفراده روحيًا وعقليًا وخلقيًا وجسديًا، ووجههم في ذلك إلى أفضل السبل، من أجل إيجاد الفرد المثالي في المجتمع الإسلامي.

ولقد ركز الإسلام على أن تكون أجسام أبنائه قوية قادرة على تحمل ما يناط بها من أعمال جهادية، لذلك جاء الإسلام بأسس تربوية تضمن سلامة الجسد من الضعف والهزال؛ ليكون الفرد المسلم قويًا معافى في جسده، قادرًا على مواجهة الصعاب واجتياز الأخطار، فالعقل السليم في الجسم السليم، وليكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا قويًا في جسمه صحيحًا وسليماً في عقله.

وفي هذا المدخل سأعرض بإيجاز لأهم ما جاء به الإسلام من أجل تربية الفرد المسلم جسديًا، وأثر ذلك عليه عند البلوغ.

فقد أرشد الإسلام إلى القواعد والأسس الكفيلة بسلامة الأجسام والعقول، واهتم بذلك فيما قبل الزواج، حيث شبه الزوجة بالأرض التي يلقى فيها البذر، بهدف الحصول على النبات، قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٣.

والحرث: الموضع من الأرض يلقى فيه البذر، والزوجة يزرع فيها بهدف الحصول على النسل[1]. فحث الإسلام على انتقاء الزوجة الصالحة القادرة على الإنجاب، قال ﷺ: «**خير نسائكم الولود الودود**»[2].

وتعرف المرأة بقدرتها على الإنجاب عن طريق سلامة جسدها من الأمراض والأوبئة، والنظر في حال أمها وأخواتها[3]، فيبحث عن المرأة الصالحة ذات الأصل الطيب، والمنبت الخصب، قال ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم**»[4].

فللوراثة تأثير على النسل، فقد تلد المرأة أشباه والديها، أو إخوانها أو أقاربها، وقد يرث عنهم الطفل صفاتهم الجسمية من طول وقصر، وقوة وضعف، وقد تنتقل العاهات الوراثية، والأمراض الجسدية السارية فوجب التريث في اختيار الزوجة، حرصًا على نجابة الأولاد وسلامتهم. وأثناء الحمل، يجب على الوالدين المحافظة على الجنين عن طريق المعاشرة بالمعروف، لئلا تتأثر الأم الحامل، فيتأثر بتأثرها الجنين فهو في بطن أمه يتأثر بحياتها الجسمية والنفسية والعقلية؛ لذلك وجب الابتعاد عن كل ما يرهق الأم، أو يؤثر فيها نفسيًا أو جسديًا، قال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[5].

---

(١) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج١ ص٢٢٦.

(٢) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٦٣٠، رقم الحديث (٤٠٩٢).

(٣) انظر عبدالله ناصر علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج١ ص٤١-٤٢.

(٤) حديث صحيح، السيوطي، المصدر السابق، ص٥٠٣، رقم الحديث (٣٢٦٨).

(٥) سورة النساء، الآية ١٩.

وتتناول الأم الغذاء الكامل الضروري، وتتجنب الأغذية الضارة والخبيثة، فالجنين يتغذى بغذائها، ويتأثر به[1].

وبعد الولادة تتم العناية بالمولود من ناحية الغذاء والنوم والنظافة واللعب، وعمل كل ما يجعل من نمو الجسم نموًا متوازنًا وسليماً، وذلك بحسب ما يحتاج إليه المولود في كل مرحلة من مراحل عمره. ويتم تدريج المولود في الغذاء بما يلائم نعومته، وقدرته على الهضم[2]، فينظم له الأكل والشرب بدون إسراف مضر بالجسم، وبحسب حاجة كل مرحلة من مراحل النمو[3]، قال تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[4]، وقال ﷺ: **«ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»**[5].

ويجنب كل خبيث مضر من الطعام والشراب، قال تعالى: **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾**[6]، وقال تعالى: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾**[7].

---

(١) انظر مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ج١ ص٤٩-٥٢.

(٢) انظر ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص١٣٧.

(٣) انظر يالجن، المرجع السابق، ص٥٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٥) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي. أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل.

(٦) سورة المائدة، الآية ٣.

(٧) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

وعلى الأب أو ولي الأمر أن يقوم بالنفقة على من يعول بالمعروف؛ لئلا يضطرهم إلى السؤال، أو سلوك الطرق المحرمة في سبيل البحث عن القوت، أو التضرر صحيًّا بعدم توافر الغذاء المناسب، قال ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته**»[١].

وفي النوم يوجه الطفل إلى اتباع القواعد الصحية في ذلك، قال ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن...**»[٢].

كما يجب أن يأخذ الطفل من النوم حاجته المناسبة لسنه، وأن يعتاد النوم مبكرًا وبانتظام.

ويعتني بنظافة الجسم، وخلوه من مسببات الأمراض، مما قد يتراكم عليه، فتحدث بوجودها الأوبئة والأمراض، كما يعتني بنظافة الملبس والمسكن والبيئة التي يعيش فيها الطفل؛ لأن في ذلك تعويدًا له على الاهتمام بالنظافة. قال ﷺ: «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود**»[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب٦؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٣) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير،ج١ ص٢٦٧-٢٦٨، رقم الحديث (١٧٤٨).

وتتم العناية بالأطفال صحيًا عن طريق إرشادهم إلى التعاليم الصحية ووقايتهم من أسباب الأمراض المعدية والسارية، قال ﷺ: «**فر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[1]، فيتم إبعادهم عن المصابين بالأمراض وعزلهم عنهم؛ لئلا ينتقل المرض إليهم، حتى تتم معالجة المصابين، كما يجب عرض الطفل على الطبيب المختص بين حين وآخر للاطمئنان على صحته، ومتابعة نمو أعضاء جسده[2]، ولئلا يتسبب الإهمال في عاهات وأمراض قد تؤثر على نمو الطفل.

وتتاح للطفل فرصة اللعب البريء المفيد، وممارسة الرياضة المشروعة وملء فراغه بذلك؛ ليتعود جسمه على الحيوية والنشاط، فتقوى أعضاؤه، وتنمو عضلاته، وتشتد بنيته، ويجب أن يكون ذلك النشاط ملائمًا لمرحلة نموه، وفي حدود طاقته، فلا يمارس الألعاب الشاقة، أو ذات النشاط الجدي، لما قد يحدث من مردود عكسي على الطفل فالإرهاق الزائد عن قدرة الجسم يضعفه ويجلب له الضرر، فلكل مرحلة من مراحل العمر نشاط يناسب الطفل، يجب إرشاده إليه.

كان عمر رضي الله عنه يقول: «علموا أولادكم الرمي والفروسية»[3] فتوجيه الأولاد إلى الألعاب البدنية المفيدة، والأعمال الجهادية والتدريبات العسكرية المناسبة، أمر واجب على كل ولي أمر، أو مرب، من أجل أن

---

(١) البخاري، كتاب الطب، باب١٩؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٢ ص٤٤٣.

(٢) انظر ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص١٣٧-١٣٨، ١٤٠-١٤١.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى ج٢٨ ص٩-١٠؛ وانظر الشيباني، شرح السير الكبير، ج١ ص١١٣.

تأخذ الأمة الإسلامية بأسباب العز والنصر[1]، وليتربى أفراد المجتمع الإسلامي على معاني القوة والفتوة في الجهاد، فالمؤمن القوي في جسده القادر على الأعمال الجهادية ونحوها، أحب إلى الله من المؤمن الضعيف[2]، قال ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[3].

فالاهتمام بالطفل من ناحية الغذاء والصحة واللعب، يؤدي إلى تقويته جسميًّا وعقليًّا، وينمي عنده الاستعداد لتحمل الأعمال الجهادية المنوطة بهذه الأمة، حتى إذا بلغ السن التي تؤهله لدخول المجال العسكري، إذا هو قد هيئ لذلك، وأعد أحسن إعداد. كما أن الجسد القوي السليم ضروري للعقل السليم، الذي يجعل من الفرد مؤهلًا لاستيعاب المعارف والمبادئ والتشريعات الإسلامية.

---

(١) انظر عبدالله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج٢ ص٨٨٩-٨٩٠.

(٢) انظر عبدالله أحمد القادري، المسئولية في الإسلام، ص١٠٠-١٠١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

المبحث الأول

اللياقة البدنية

المطلب الأول

الاهتمام بصحة الجسم

الحياة العسكرية تحتاج إلى نوع معين من الرجال، يمتازون بالقوة البدنية، وقوة تحمل الشدة والمشاق في كل الظروف، مع القدرة على استخدام مختلف الأسلحة، فهي حياة خشنة قاسية، لا يتحملها إلا من امتاز بالصحة الجيدة، والجسم السليم، والخلو من الأمراض والأوبئة المعوقة عن البذل والعطاء.

لذا كانت الصحة شرطًا للالتحاق بالجندية، فصاحب الجسم الهزيل لا يستطيع التحمل والقتال، بل هو نقطة ضعف يستغلها الأعداء أثناء المعركة، ومصدر مشقة على زملائه الآخرين.

ولقد اهتم الإسلام بصحة الأبدان ودعا إلى العناية بها، ووجه الفرد المسلم إلى القواعد والأسس الصحية التي تقي المجتمع الإسلامي من الأمراض والأوبئة، وتجعل من الفرد صحيحًا في عقله وجسمه.

ولما كانت النظافة عماد الصحة، فقد اهتم الإسلام بها، وجعلها من

الإيمان، وحث على المداومة عليها، والعناية بها في الجسد، والملبس، والمسكن، والمأكل، وشرع لذلك طرقًا تبقيها نظيفة في كل وقت[١]. فقد أمر الإسلام بالوضوء للصلاة والغسل من الجنابة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾**[٢].

وأكد على الاغتسال والتطيب يومًا كل أسبوع، قال ﷺ: «**غسل يوم الجمعة على كل محتلم، وسواك، ويمس من الطيب ما قدر عليه**»[٣]. وحث إلى غسل الأيدي والفم قبل الأكل وبعده، قال ﷺ: «**بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده**»[٤]؛ ليتخلص من فضلات الأكل ورائحته التي تسبب الأمراض، والروائح الكريهة.

ولمباشرة الفم للطعام، وتداخله بين الأسنان، فقد أكد الإسلام على تنظيفها بالسواك، فقال ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[٥]. وحث على السواك عند كل صلاة، فقال ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء**»[٦].

---

(١) انظر محمد الغزالي، خلق المسلم، ص١٤٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٤٨٥، رقم الحديث (٣١٤٠)؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٥ ص٤٤١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب ٢٧.

(٦) المصدر السابق.

كما وجه الإسلام إلى نظافة المخارج والأطراف التي تكون عرضة للتلوث، قال ﷺ: **«عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»**[١]، وحث على تعاهدها كل أربعين يومًا لئلا تكون مصدر تلوث، أو أوساخ[٢].

ومدح الله سبحانه وتعالى المتطهرين المداومين على التنزه والنظافة من الأقذار والأذى[٣]، فقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[٤]، وقال ﷺ مبينًا منزلة الطهارة وأهميتها: **«الطهور شطر الإيمان»**[٥].

فبالطهارة والنظافة المستمرة يتحصن الجسد الإسلامي ضد مسببات الأمراض والأوبئة.

وحث الإسلام على أن يكون الفرد حسن المنظر والهيئة، فوجهه إلى أخذ الزينة عند كل صلاة، فقال تعالى: **﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[٦]. والزينة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، وانظر سنن الترمذي أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تقليم الأظفار.

(٢) انظر مسلم، المصدر السابق.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٢٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٥) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٣١.

ما يتجمل به ويتزين به الناس من الملبوس[1]، أمروا بذلك عند كل صلاة، وبذلك يبقى المسلم طيلة يومه وليلته جميلًا ونظيفًا في هيئته وملبسه، قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنةً، قال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[2]. فالإسلام ينشد للمسلمين علو المنزلة وجمال الهيئة، من غير إسراف ولا تصنع[3].

وأمر المسلم بالمحافظة على نظافة المرافق العامة التي يرتادها المسلمون وجعل نظافتها من الإيمان، قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[4]، والمقصود بالإماطة تنحية وإزالة كل ما يؤذي المسلمين ويضر بهم[5]. وقال ﷺ: «**اتقوا اللعَّانين**»[6]. قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم**»[7]. فتلك أماكن عامة يرتادها المسلمون، فوجب العناية بها لئلا يتأذوا منها، أو يصيبهم الضرر من جراء تراكم المواد المسببة أو الجاذبة لأسباب الأمراض، وتلوث البيئة بالقاذورات والروائح المنتنة.

---

(١) انظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٢٠٠.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

(٣) انظر محمد الغزالي، خلق المسلم، ص١٥٢.

(٤) مسلم، المصدر السابق، باب بيان عدد شعب الإيمان . . .

(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢ ص٤-٦.

(٦) المراد بهما: الأمرين الجالبين للعن. انظر المصدر السابق، ج٣ ص١٦١.

(٧) مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال.

كما نهى ﷺ عن البول في الماء الراكد، فقال: «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه**»[1]، فالبول في الماء الراكد يفسده ويقذره، فقد يشرب منه إنسان أو دابة، فيتسبب في مرضه.

فوجب على كل فرد مسلم الاهتمام بالأسباب المؤدية إلى حصانة المجتمع ضد الأوبئة والأمراض.

ولما كان الهدف من كل ذلك المحافظة على الصحة، فقد حرم الإسلام على الفرد المسلم تناول كل ما يضر بالصحة سواء أكان عن طريق الأكل أو الشرب، فحرم عليه كل خبيث نجس من المأكولات، قال تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾[2].

كما حرم عليهم الخبائث من المشروبات المخدرة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3]، وقال ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[4].

وحثهم على الاعتدال في الأكل والشرب، قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[5].

---

(١) المصدر السابق، باب النهي عن البول في الماء الراكد.

(٢) سورة الأعراف، الآية١٥٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٩٠.

(٤) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٤٨٣، رقم الحديث(٧٨١٥)؛ وانظر سنن الترمذي. أبواب الأشربة، باب ما أسكر كثيره فقليله حرام.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٣١.

ونهى عـن التعرض لأسباب الإصابة بالأمراض التناسلية وغيرها فحرم الزنى واللواط، ووطء الحائض والنفساء، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢].

كما نهى عن الاختلاط بمن أصيبوا بالأمراض المعدية، قال ﷺ: «**لا يوردن ممرض على مصح**»[٣]، وقال ﷺ: «**فر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[٤].

تلك من أبرز القواعد الإسلامية لحماية الفرد والمجتمع الإسلامي، لينعم بالصحة التي تساعده على عمل ما يناط به من أعمال جهادية، كما أن في العبادات المشروعة تدريبًا لجسم الإنسان على الأعمال الجهادية، ففي الصوم تعويد له على الصبر عن الطعام والشراب، دون أن تتأثر صحته بذلك، فقد يضطر خلال جهاده إلى ترك الطعام والشراب وقتًا طويلًا، إما لانشغاله عنه بقتال العدو، أو لعدم استطاعته الحصول عليه. وفي الحج والعمرة تدريب على تحمل مشاق السفر والبعد عن الأهل والوطن. وحث على قيام الليل ليتدرب الإنسان على السهر، فقد يضطر خلال جهاده إلى السهر، إما لقيامه بمهمة الحراسة مثلًا، أو لإشغال العدو له عن النوم.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ٥٣؛ صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة.

(٤) البخاري، المصدر السابق، باب ١٩.

واهتمام الإسلام بإيضاح القواعد الصحية والتدريب عليها؛ لأجل أن يتمتع الفرد المسلم بجسم صحي قادر على التحمل والإبداع.

فالأمة الإسلامية أمة مجاهدة، والجهاد يحتاج إلى جند، والجندية تحتاج إلى ذوي الأبدان السليمة الخالية من الأمراض، والقادرة على تحمل مشاق القتال، فالمريض والضعيف لا يستطيعان حمل السلاح والتدرب عليه لانشغال كل منهما بنفسه، وقد عذرهم الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[(١)].

والمريض من به علة في بدنه يصدق عليها اسم المرض لغة وشرعًا تمنعه من الخروج للقتال في سبيل الله، فهو عذر موقوت بالشفاء[(٢)].

إذًا فالتمتع بالصحة الجيدة شرط أساسي للقبول في الجندية[(٣)]، ووجود هيئة طبية تشرف على عملية الاختيار أمر ضروري[(٤)]، فمن كان مرضه مزمنًا ولا يستطيع معه الجهاد، فقد سقط عنه التكليف، قال ﷺ: «**إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم**

---

(١) سورة التوبة، الآية ٩١.

(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٣ ص٤٨٤-٤٨٥؛ وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٣٩٢؛ وانظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦ ص٣٣٢٤.

(٣) انظر خطاب، الرسول القائد، ص٣٠-٣١.

(٤) انظر أحمد نار، القتال في الإسلام ص٨٦.

حبسهم المرض»[١]، وفي رواية: «**إن أقوامًا بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر**»[٢].

أما من كان مرضه طارئًا فيتم علاجه حتى يبرأ. ففي غزوة خيبر دعا الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ليعطيه الراية، فقيل له: إنه يشتكي عينيه وأتي به إلى الرسول ﷺ، فبصق فيهما، ودعا له، فبرأ، حتى كأن لم يكن به مرض فأعطاه الراية[٣].

ومن كان مرضه معديًا سواء كان داخل المجتمع أو الجيش الإسلامي استحب الحجر عليه احتياطًا؛ لئلا ينتقل المرض إلى غيره عن طريق الاختلاط. لما قدم وفد ثقيف لمبايعة الرسول ﷺ، كان معهم رجل مجذوم، فأرسل إليه الرسول ﷺ قائلًا: «**إنا قد بايعناك فارجع**»[٤].

وكان الرسول ﷺ يعمل على توفير الرعاية الصحية للجند، فكان يغزو بالنساء معه، فيداوين المرضى والجرحى[٥]. كما باشر ﷺ بنفسه علاج الجرحى، فعندما رمي سعد بن معاذ[٦] في أكحله[٧]، كواه ﷺ بحديدة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو المرض أو عذر آخر.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب٣٥.

(٣) انظر مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها.

(٤) المصدر السابق، كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم ونحوه.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب٦٧، ٦٨؛ وانظر مسلم، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب غزوة النساء مع الرجال.

(٦) ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج ابن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، أبو عمرو، سيد الأوس، شهد بدرًا، ورمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرًا، فمات. انظر ابن حجر الإصابة، ج٢ ص٣٥.

(٧) عرق في اليد، أو هو عرق الحياة. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص٤٥.

ليقطع دمه[1]. وفي حصار خيبر شكى بعض الجند سوء المنزل صحيًا وانتشار الوباء فيه، فأمروا بالتحول منه إلى موقع آخر أكثر ملاءمة منه وذلك حفاظًا على صحتهم وسلامتهم[2].

ولبيان حرص الإسلام على تمتع المقاتل بكامل صحته وحيويته، فقد أباح له الإفطار في نهار رمضان. فقد أفطر ﷺ عام الفتح، ودعا جنده إلى ذلك[3]، ورخصة الإفطار هذه آكد في حق من يتضرر بالصوم[4].

وعلى هذا المنهج سار الولاة والقادة، فعنوا بمتابعة الجند صحيًا وحرصوا على عدم تعريضهم لما يؤثر فيهم، فعندما بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على جيش المسلمين إلى العراق، أوصاه بالجند خيرًا، وأمره بالترفق بهم وعدم إجهادهم، وتحميلهم ما لا طاقة لهم به، فكان مما قال له: (ترفق بالمسلمين في مسيرهم، ولا تجشمهم مسيرًا يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم.... وأقم بمن معك في كل جمعة يومًا وليلة، حتى تكون لهم راحة يجمعون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم»[5]. وبعث رضي الله عنه بالأطباء إلى أهل القادسية، لمتابعتهم صحيًا، ولتقديم الخدمات الطبية لمن هم في حاجة لها[6]. وعمل بمبدأ الوقاية من بعض الأمراض المعدية، فعندما حل طاعون عمواس بأرض الشام، وكان على

---

(١) انظر مسلم، المصدر السابق، كتاب السلام، باب لكل داء دواء.

(٢) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٤٦.

(٣) انظر مسلم، المصدر السابق، كتاب الصوم، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.....

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج٧ ص٢٢٩.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص١٥٤.

(٦) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٨٩.

مشارفها في جمع من جند الإسلام، رجع بهم ولم يدخل تلك البلاد[1].

واستمرت عناية الولاة والقادة بصحة الجند، فعند المسير والتنقل كان الرفق والعناية بالجند سمة بارزة للجيوش الإسلامية. وعند الاستعداد والتهيؤ للغزو، كان إعداد الأدوية والأطباء من أولى المهمات الرئيسة للولاة. فقد اتخذ الحجاج[1] المحامل[2] للأدوية والأدوات والجرحى[3].

وفي عهد الدولة العباسية كان القادة يحملون معهم على الإبل والبغال الأطباء والأدوية في جميع تحركاتهم ومعاركهم، ويجعلون لذلك فرقًا خاصة، على شكل مستشفيات ميدانية متحركة ترافق الجيش[4].

وأخذ الإهتمام الصحي بالجند يتطور حتى أصبح له في وقتنا الحاضر هيئات طبية خاصة، تعمل على تقديم الخدمات الطبية اللازمة للجند وتقوم بمعالجة المرضى، ومقاومة الأوبئة، وإسعاف المصابين أثناء العمليات التدريبية والقتالية.

وحرصًا على صحة الجند يجب على القادة والمسئولين الرفق بمن ولوا أمرهم، بعدم حملهم ما لا طاقة لهم به، فالإجهاد الزائد، والتدريب

---

(١) انظر المصدر السابق، ج٤ ص٥٧-٥٨.

(٢) ابن يوسف بن أبي عقيل الثقفي الطائفى، أبو محمد، ولي الحجاز سنين، ثم العراق وخراسان عشرين سنة، مات سنة خمس وتسعين. انظر عبدالحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١ ص١١٠-١١٦.

(٣) الحمول الهوادج، أو الإبل عليها الهوادج. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٣ ص٣٧٢.

(٤) انظر الجاحظ، البيان والتبيين. ج٢ ص٣٠٣؛ وانظر وفيق الدقدوقي، الجندية في عهد الدولة الأموية، ص١٦٧.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٩ ص٣٩؛ وانظر نعمان ثابت، الجندية في الدولة العباسية، مراجعة: عبد الستار الفرعولي، إبراهيم الزهاوي، ص١٦٤-١٦٥.

العنيف، عوامل تؤثر في صحة الجندي، وتؤدي به إلى الهزال الذي يحتاج إلى علاج، كما أن حمله على ما لا طاقة له به، أو ما لا ميول له فيه ولا رغبة عامل محبط لنفسيته، وقاهر لإرادته، وله مردود سيئ على صحة الجند، كما أنه عامل من عوامل التنفير عن الالتحاق بالجندية. فالمسلم لم يؤمر في أمور دينه التي هي أهم من التدريبات العسكرية بما لا طاقة له به قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[1] وقد أمر ﷺ بالتيسير في أمور الدين، وعدم التنفير منها بالتعسير والمشقة على الناس فكان ﷺ يوصي بذلك أمراءه ورسله إلى الناس، فيقول لهم: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[2]، فالتعسير والتنفير أمران مذمومان لما لهما من مردود عكسي على من وقعا عليه.

وهكذا يتبين لنا اهتمام الإسلام بصحة الأجسام وعنايته بها؛ ليجعل من المسلمين أفرادًا لائقين جسمانيًا، للقيام بما يناط بهم من أعمال جهادية قادرين على مواجهة كل ما يواجههم من شدائد وصعوبات.

المطلب الثاني

سلامة التركيب البدني لدى الجندي

سلامة التركيب البدني من الشروط الأساسية لدخول الحياة العسكرية فأعضاء الجسم كبيرها وصغيرها له دور وتأثير في القدرة على الحركة

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

والسير وحمل السلاح، وإظهار الشجاعة والإقدام[1]: والإسلام دائماً يدعو أتباعه إلى التحلي بالشجاعة والجرأة في كل أمور حياتهم، قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن...**»[2]. فالشجاعة في القتال أمر مطلوب ومحمود؛ لما لها من أثر قوي في توجيه سير القتال ومن كان في بدنه علة في التركيب، فمهما كان ثابت القلب، إلا أن النقص الحاصل في حواسه يعوقه عن الإقدام، ومقارعة الخصوم. لذا فقد عذر الإسلام ذوي العاهات البدنية؛ لئلا يخرج إلى القتال إلا الرجل الصحيح في قوامه، السليم في أعضائه، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[3].

فالنقص في التركيب البدني عامل يمنع صاحبه من مجاراة الأصحاء سواء في التدريب أو في المعركة، فيكون بذلك وبالًا على نفسه وعلى إخوانه، والجهاد غالبًا ما يكون بآلة، ومن لا يقدر على استخدامها لنقص في تركيبه البدني، فقد عذر من الجهاد[4].

فالأعمى مثلًا لا يمكنه المشاركة في القتال لاستمرار عجزه المعوق له[5].

وقد يستفاد منه من خلال إبداء الرأي والمشورة حول بعض الأمور

---

(١) انظر محمد الجعوان، القتال في الإسلام، ص٣٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب٢٥؛ مسلم، المصدر السابق، كتاب الذكر، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

(٣) سورة الفتح، الآية ١٧.

(٤) انظر ابن قدامة، المغني ج٨ ص٣٤٨.

(٥) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٣.

العسكرية أو المدنية الخاصة بالجيش، أو تسند إليه مهمة الوعظ والتذكير[1] من خلال وسائل الإعلام. أما المشاركة الفعلية الميدانية، فلا يمكنه ذلك، فهو لا يستطيع توجيه نفسه، فكيف يوجه ما معه من سلاح. أما من فقد إحدى عينيه، فقد يستفاد منه بإسناد بعض المهام اليسيرة إليه، والتي تكون في الصفوف الخلفية للجيش، أو في أماكن بعيدة عن مواجهة العدو، كالقيام مثلًا بمهمة التموين، أو صيانة الأسلحة، أو التدريب، وذلك عند الحاجة الماسة إليه، أما لو وجد من هو أصح منه فهو الأولى بذلك.

أما الأعرج فلا يمكنه القتال من خلال الكر والفر، أو الصف، حيث لا يستطيع طلب العدو عند النصر، كما أنه لا يستطيع الاحتراز عند الهزيمة أو الإقدام عند البأس[2]، فلا يخافه العدو كما يخاف السليم، وهذا بخلاف من لا يعوقه عرجه عن المشي الجيد، والقدرة على الركوب والكر والفر[3].

وإذا كان الأمر هكذا في الأعرج ففاقد الأرجل أولى بعدم دخول الحياة العسكرية. وفي معنى الأعرج الأقطع[4]، وهو من فقد إحدى يديه فالأيدي هي الحاسة المستخدمة والمحركة للسلاح، فإذا فقد إحداهما فقد بذلك السلاح قيمته، واليد الواحدة لا يمكن أن تؤدي العمل على الوجه الأمثل، وفاقد اليدين بذلك أولى.

(١) انظر صالح اللحيدان، الجهاد في الإسلام، ص٩٣.

(٢) انظر علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن، ج٧ ص١٦٣؛ وانظر محمد القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج١٥ ص٥٤١٤-٥٤١٥.

(٣) انظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٣٤٨.

(٤) انظر البغدادي، المصدر السابق.

وكذلك الأصم الذي لا يسمع، فهو يبصر ويمشي، ويستطيع استخدام السلاح، إلا أن عدم سماعه يبعده عما يجري حوله من أحداث فلا الأوامر يسمع، ولا التوجيهات يعي، فيفسر الأحداث حسب فهمه لما يجري حوله، فقد يندفع باتجاه العدو عند التراجع، وقد يتراجع عند الإقدام، وفي ذلك خطر جسيم.

وكذلك الأخرس الذي لا ينطق، فهو لا يستطيع التحدث بما علم ولا عما يريد، وقد يفهم مراده خطأ، وفي ذلك خطر على نفسه وعلى زملائه، وعند التنادي بالشعار لا ينادي، فقد يقتله أحد زملائه.

أما ضعيف البدن إما لكبر السن، أو لضعف في التركيب البدني، فلا يستطيع الجلاد ومجابهة الأعداء، فلا الشدائد يتحمل، ولا على الكر والفر يقوى[1]. والمعركة تحتاج إلى نوع معين من الرجال، يتميز بالشجاعة والقدرات القتالية التي لا تتأثر بأهوال المعركة، بل تتفاعل معها، وقد كان الرسول ﷺ يتعوذ من الجبن، ويعد الجبان من شر الرجال، قال ﷺ: «**شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع**»[2].

فالأعمى، والأعرج، والأقطع ومن في حكمهم ممن لا يقدرون على مواجهة الأعداء، قد جعل الله سبحانه وتعالى لهم عملًا آخر يشاركون فيه. ليس فيه حمل للسلاح، وإنما في حكمه، كخلافة المجاهدين في

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٨٣٢؛ وانظر ابن الجوزي، زاد المسير، ج٣ ص٤٨٤؛ وانظر البغدادي، المصدر السابق.

(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٧٧، حديث رقم (٤٨٨١)؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الجرأة والجبن.

أسرهم وأموالهم، أو الخروج مع الغزاة لمداواة المرضى، والجرحى وإسداء الوعظ والإرشاد للجنود، والعمل على رفع روحهم المعنوية وتتبع ما ينشر داخل المعسكر الإسلامي من إشاعات وأراجيف، والعمل على القضاء عليها في مهدها[1] ونحو ذلك.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد عذر هؤلاء ومن في حكمهم عن الجهاد فقد سقط عنهم الوجوب، كما أن من أراد منهم أن يقاتل فليس لأحد الحق في منعه عن ذلك، فله أن يقاتل ويشارك في المعارك بحسب جهده ومقدرته فقد قاتل عمرو بن الجموح في غزوة أحد وهو أعرج، ولما أراد بنوه منعه نهاهم الرسول ﷺ عن ذلك[2]. كما قاتل حسيل بن جابر[3]، وثابت بن وقش[4] يوم أحد برغم الضعف الواضح في أبدانهما، وكبر سنهما[5]، كما قاتل عبد الله بن أم مكتوم[6] في معركة القادسية وهو أعمى[7]، وكان

(١) انظر صالح اللحيدان، الجهاد في الإسلام، ص٩٣.

(٢) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٦٤؛ وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٣٥-٣٦.

(٣) ابن ربيعة بن فروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس المعروف باليمان العبسي، والد حذيفة بن اليمان، استشهد يوم أحد. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٣٣٠.

(٤) ابن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، استشهد يوم أحد. انظر المصدر السابق، ص١٩٨.

(٥) انظر ابن هشام، المصدر السابق، ص٣٣.

(٦) ابن قيس بن زائدة الأصم القرشي، يقال اسمه عمرو، أسلم قديماً بمكة، وكان من المهاجرين الأولين، قدم المدينة قبل الرسول ﷺ، رجع إلى المدينة بعد القادسية فمات بها. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٢ ص ٥١٦.

(٧) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤ ص٢١٢.

الرسول ﷺ كثيرًا ما جعله على المدينة عند خروجه للغزو[1].

وكان مما قاله أبو بكر لخالد بن الوليد حين وجهه لقتال أهل الردة: «... لا تقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه ...»[2]. فإذا كان ذلك فيمن جرح جرحًا طارئًا، فإن فاقد العضو أولى بذلك، خاصة في هذا العصر الذي يعتمد فيه استخدام السلاح على استعمال جميع الحواس، بل إن بعض الأعراض اليسيرة، كالإصابة بعمى الألوان، قد تعوق المقاتل عن تمييز الإشارات الضوئية الصادرة إليه من قبل قيادته أو زملائه.

إذًا فسلامة أعضاء الجسم مطلب حيوي، وضروري توافره في الجندي المقاتل؛ ليقوم بأداء ما يناط به من أعمال على الوجه الأمثل، والذي يتحقق به الهدف المنشود من قتاله.

---

(١) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص١٩٦، ج٢ ص٤٩٦؛ وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ص ٣، ٤، ٤٤؛ وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٤٨٣.

(٢) انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص١٥٢.

المبحث الثاني

الإعـداد المـــادي

المطلب الأول

تـوفـير الأسلحـة

من أهم عوامل إعداد القوة المأمور بها توفير الأسلحة للمقاتلين فالجيوش لا تقوم بدون سلاح وهذا أمر بدهي.

وقد عني الإسلام بتوفير الأسلحة للمجاهدين، فحث على التسلح بأجود الأسلحة، وجعل في ذلك الفضل الكبير، فعمل المسلمون على اقتناء الأسلحة من جميع المصادر المتوافرة لهم في ذلك الزمن، حتى تشكلت لديهم قوة مادية ساعدتهم على مواجهة أعدائهم، والتفوق عليهم.

وسأكتب في هذا المطلب عن المصادر التي اعتمد عليها المسلمون بعد الله في توفير أسلحتهم، وعن أنواع هذه الأسلحة.

أولًا: مصادر التسليح في الجيش الإسلامي:

للمسلمين عدة مصادر من أبرزها:

١- التسليح الشخصي:

الاقتناء الذاتي للسلاح كان من أبرز عناصر التسليح في الجيش الإسلامي. فكان كل مقاتل يعمل على تجهيز نفسه بالسلاح والمتاع عن

طريق الشراء أو الاستعارة، فقد كان أول فرس ملكه الرسول ﷺ عن طريق الشراء[1]، حيث اشتراه من رجل من بني فزارة وكان اسمه السكب، وأول ما غزا عليه في أحد[2].

وعندما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به. قال ﷺ: **«ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض»** فأتاه فقال: إن رسول الله يقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزتَ به قال: يا فلانة! أعطيه الذي تجهزتُ به، ولا تحبسي عنه شيئًا. فوالله! لا تحبسي منه شيئًا فيبارك لك فيه»[3]. وكان الموسرون من المسلمين يجهزون غيرهم بالمال والسلاح والركاب، كما في غزوة تبوك[4] عندما تم تجهيز الجيش الإسلامي بما يحتاج إليه من عدة وعتاد من قبل أغنياء المسلمين.

ولما كانت النفقة إحدى المقدمات الأساسية للجهاد، والتي بموجبها يستطيع الجندي الحصول على السلاح، فقد رغب فيها ﷺ، وحث على تجهيز الغزاة، فقال ﷺ: **«من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا»**[5].

---

(١) انظر أسلحته ﷺ عند: السهيلي، الروض الأنف، ج٣ ص٨٤؛ وانظر المتقي الهندي، كنز العمال، ج٧ ص٩٦.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص٤٨٩؛ وانظر محمد بن كامل التاجي الصاحبي، الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، تحقيق: عبدالله الجبوري، ص٩٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره . . .

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج٣ ص٩٩١؛ وانظر تاريخ الطبري، ج٣ ص١٠٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٣٨؛ وانظر مسلم، المصدر السابق.

ووجه ﷺ إلى اقتناء السلاح، وإعداده للجهاد في سبيل الله، فقال: «**من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة**»[1].

فكان على الجندي في عهد رسول الله ﷺ تسليح نفسه، وإعداد راحلته وسلاحه بمجهوده الشخصي، لقلة الموارد المالية للدولة الإسلامية في ذلك الوقت، وتلك المسئولية الشخصية للجندي مبنية على القدرة على ذلك قال تعالى: ﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**﴾[2].

وعمل جند الإسلام على تجهيز أنفسهم بمعدات القتال كلما سنحت لهم بذلك فرصة، حتى تشكل للمسلمين قوة مادية مرهبة للعدو، وقادرة على مواجهة الأعداء.

واستمر التسليح الشخصي كأحد المصادر الرئيسة للجيش الإسلامي فيما بعد. ففي عهد عمر وعندما بدأ تدفق الأموال على الدولة الإسلامية، فرض للجند العطاء كمورد مالي لهم، ومنه يتجهز الجندي للقتال، حتى قال عمر قبل موته: «لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف، ألفًا يجعلها الرجل في أهله، وألفًا يزودها معه، وألفًا يتجهز بها، وألفًا يترفق بها» إلا أنه مات قبل أن ينفذ ذلك[3].

(١) البخاري، المصدر السابق، باب ٤٥.

(٢) سورة التوبة، الأية ٩٢.

(٣) تاريخ الطبري، ج٣ ص٦١٥؛ وانظر ابن الأثير، الكامل ج٢ ص٣٥١.

وفي ذلك دليل على مسئولية الجندي في تجهيز نفسه. وكان كثير بن شهاب[1] والى الري[2] إذا غزا (أخذ كل امرئ ممن معه بترس، ودرع وبيضة، ومسلة، وخمس إبر، وخيوط كتان[3]، وبمخفف[4] ومقراض[5] ومخلاة[6] وتليسةٍ[7])[8]، فكان في ذلك يُحمِّل كل جندي مسئولية تسليح نفسه بما يلزمه أثناء الغزو.

٢- الاستعارة:

أمن المسلمون بعض أسلحتهم ومعداتهم العسكرية عن طريق الاستعارة المؤداة، فقد استعار الرسول ﷺ من صفوان بن أمية عدة أدرع بأداتها الكاملة، وذلك في غزوة حنين[9]. كما صالح ﷺ أهل نجران على أن يعيروه ثلاثين درعًا، وثلاثين فرسًا، وثلاثين بعيرًا، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزو بها المسلمون ضامنين لها حتى يردوها عليهم[10].

---

(١) ابن الحصين بن يزيد بن قباث بن سلمة بن وهب بن عبدالله بن ربيعة بن الحارث بن كعب، أبو عبدالرحمن، نزل الكوفة، ويقال إنه الذي قتل الجالينوس يوم القادسية. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٢٧١.

(٢) مدينة مشهورة، قريبة من نيسابور. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص١١٦.

(٣) ثياب معتدلة في الحر والبرد واليبوسة ولا تلزق بالبدن. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص٢٦٤.

(٤) خف يلبس. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٩ ص٨١.

(٥) القرض: القطع. والمقراض ما يقطع به. انظر المصدر السابق، ج٧ ص٢١٦.

(٦) ما يجعل فيه الخلى. انظر الرازي، الصحاح، ص١٨٩.

(٧) وعاء يسوى من الخوص، شبيه بالعيبة. انظر ابن منظور، المصدر السابق، ج٦ ص٣٣.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٠.

(٩) انظر الواقدي، المغازي ج٣ ص٨٩٠؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في تضمين العارية.

(١٠) انظر المصدر السابق، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية.

٣- الصناعة:

قيام المصانع الحربية وتأمينها للأسلحة الثقيلة والخفيفة أمر حيوي، ومطلب ضروري، ومن ألزم الواجبات على المسلمين الاعتناء بذلك، وبذل الجهد في تطوير أسلحتهم، وابتكار ما يحتاجون إليه[١]، ليستغنوا بذلك عن غيرهم من الأعداء، وحتى لا يتفوق الأعداء علينا بالسلاح، فنخالف أمر ربنا بوجوب إعداد القوة التي ترهب الأعداء، ومن ذلك الإعداد الواجب، قيام المصانع الحربية، لتأمين احتياجات المسلمين من الأسلحة، ومحاكاة التطور الناشئ في صنع الأسلحة.

ولقد اعتمد المسلمون في عصر الرسول ﷺ على الصناعة في توفير بعض الأسلحة، فكانوا يقومون بإعداد السهام وصناعتها، وقد شجعهم الرسول ﷺ على ذلك، وحثهم على مواصلة العمل المشابه لذلك عن طريق بيان فضل ذلك العمل، قال ﷺ: «**إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، والممد به . . .**»[٢]، فكان ذلك دافعًا للمسلمين نحو صناعة الأسلحة، وإعدادها للقتال كما أمروا بذلك. ويدخل في ذلك كل الصناعات الحربية القديمة والحديثة، الثقيلة والخفيفة لمن أراد بها وجه الله تعالى[٣]. لما شاهد الرسول ﷺ رجلًا بيده قوس فارسية، قال: «**ما هذه؟، ألقها، وعليكم**

(١) انظر الجعوان، القتال في الإسلام، ص٧٩-٨٠.

(٢) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله.

(٣) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ج٢٨ ص١٣.

بهذه وأشباهها، ورماح القنا فإنهما يزيد الله لكم بهما في الدين، ويمكن لكم في البلاد»، وكان بيده ﷺ قوس عربية[1] وهذا تشجيع منه ﷺ على صناعة السلاح بأيدي المسلمين، فالأعداء وإن أمدوا المسلمين بالأسلحة، إلا أن أسرارها وعيوبها تبقى معروفة عندهم فإذا استخدمت ضدهم، احترزوا منها بما يفقدها قيمتها، كما أنهم لا يمدون المسلمين بسلاح، إلا بعد إيجاد السلاح الذي يتفوق عليه عندهم[2].

واعتماد المسلمين على أنفسهم في صناعة الأسلحة، يجعلهم قادرين على مفاجأة الأعداء بالأسلحة المعاصرة المبتكرة. وجهل العدو بالسلاح المستخدم ضده عامل يحبط في نفسه القدرة على المقاومة، وبعكس ما لو كان يعلم بعض أسراره وخفاياه. وقد كان المسلمون يقومون بصناعة السيوف، فقد صنع سمرة بن جندب سيفًا على مواصفات ومقاييس أحد سيوف الرسول ﷺ[3]. وكان أبو جحيفة[4] يقوم بصناعة النبل وإعدادها للقتال[5]. ومنهم من قام بصناعة الأسلحة الخفيفة، ففي إحدى غزوات

---

(١) إسناده ضعيف. أحمد بن بكر البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: موسى محمد علي، عزت علي عطية، ج٢ ص٤٠٧.

(٢) انظر القادري، الجهاد في الإسلام، ج١ ص٥١٨-٥١٩.

(٣) انظر سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في صفة سيف رسول الله ﷺ؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٥ ص٢٠.

(٤) وهب بن عبدالله بن مسلم بن جنادة بن حبيب بن سواء السوائي بن عامر بن صعصعة، قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره، صحب عليًا وولاه شرطة الكوفة، وكان يسميه وهب الخير، مات سنة أربع وستين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٦٠٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ.

المسلمين قام رجل من أمداد حمير بصناعة مجن من جلد الإبل، واستخدمه في القتال[1]، كل ذلك يدل على وجود صناعة الأسلحة في عهد الرسول ﷺ.

وفي بداية إنشاء الأسطول البحري، أقيمت المصانع لصناعة المراكب والسفن، وانتشرت في أنحاء كثيرة من البلاد الإسلامية، بغرض الاكتفاء الذاتي للأساطيل الإسلامية، فقد أقيمت عدة مصانع في مصر، في كل من جزيرة الروضة، والإسكندرية، ودمياط[2]، وفي الشام في كل من عكا[3] وصور[4].

٤- الغنائم:

حصل المسلمون على العديد من آلات الحرب، من جراء المعارك التي خاضوها ضد أعدائهم، أو ممن أجلوا عن ديارهم كاليهود. وقد كان لتلك الأسلحة أثر كبير في ثراء الجيش الإسلامي بأنواع مختلفة من الأسلحة، ففي بدر غنم المسلمون مائة وخمسين بعيرًا، وعشرة أفراس، كما أصابوا سلاحًا كثيرًا[5]: كما جعل الرسول ﷺ سلب المقتول من سلاح ومتاع لقاتله

(١) انظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يمنع القاتل السلب . . . ؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٦ ص٢٦.

(٢) مدينة قديمة بمصر في زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٧٤٢.

(٣) مدينة مشهورة، كانت من ثغور الشام، وهي مشرفة على بحر الشام. انظر المصدر السابق، ج٣ ص٤٣٣.

(٤) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٢٠؛ وانظر اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٨٤؛ وانظر الخطط المقريزية، ج١ ص٤٨٢-٤٨٣، ج٢ ص١٧٨؛ وانظر السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢ ص١٩٩.

(٥) انظر الواقدي، المغازى ج١ ص١٠٢-١٠٤.

وقال ﷺ: «**من قتل قتيلًا له عليه بينة، فله سلبه**»[1]، وقد حصل عدد كبير من المسلمين على أسلحة قتلاهم، كما أصاب النبي ﷺ سيفه ذو الفقار من غنائم بدر[2]. وكان في أموال بني النضير خمسون درعًا، وخمسون بيضة، وثلاثمائة وأربعون سيفًا[3] غنمها المسلمون جميعًا.

ومن غنائم خيبر، غنم المسلمون أسلحة جديدة دخلت الجيش الإسلامي لأول مرة، حيث أصابوا منجنيقًا، ودبابتين، بالإضافة إلى عدد كبير من الدروع، والسيوف، و البيض[4].

وبعد معركة القادسية أصبح جيش المسلمين كله فرسانًا من جراء الغنائم التي غنموها من معسكر الفرس[5].

وعندما أذن عثمان رضي الله عنه لمعاوية في غزو البحر، شرع معاوية في بناء الأسطول الإسلامي من السفن والمراكب التي غنمها المسلمون من الروم[6].

٥- فداء الأسرى:

عمد المسلمون إلى الحصول على الآلات الحربية في مقابل إطلاق سراح

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب استحقاق القاتل سلب القتيل.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص٤٨٥؛ وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج١ ص١٣٠.

(٣) انظر الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٧٧؛ وانظر ابن عبد البر، الدرر، ص١٨٤.

(٤) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٦٤٨.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٦١٩؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٥٢-٣٥٤.

(٦) انظر فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ج٢ ص٣٣٧.

بعض الأسرى الأغنياء، فقد كان نوفل بن الحارث[(١)] أحد أسرى بدر ففدى نفسه بألف رمح[(٢)]، سلح بها المسلمون جيشهم.

٦- الاستيراد:

من الواجبات الرئيسة على الأمة الإسلامية الأخذ بأسباب التطور الحاصل في الأسلحة، فإذا لم تستطع إنشاء المصانع والمعامل الحربية وإعداد الكوادر القادرة على الابتكار والتطوير، وجب عليها القيام باستيراد كل ما جد من السلاح، والعمل عل اقتناء الأسلحة المعاصرة، قال ﷺ: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة**»[(٣)]، وأمر إعداد الجيش الإسلامي، وتوفير الأسلحة المعاصرة له من أعظم أمور المسلمين التي يجب الاهتمام بها، فهو الذائد عن الوطن الإسلامي، والحامي للدعوة الإسلامية التي تسير بظله.

ويجب أن يكون في بيت مال المسلمين حصة ثابتة ينفق منها على إعداد الجيش الإسلامي، وتوفير الأسلحة له[(٤)].

كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، فكان ﷺ يخرج منها نفقة أهله سنة، ويجعل الباقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله[(٥)].

---

(١) ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ كان أسن من أسلم من بني هاشم، مات بالمدينة لسنتين مضتا من خلافة عمر. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٥٤٧.

(٢) انظر ابن سعد، المصدر السابق، ج٤ ص٤٦؛ وانظر ابن حجر، المصدر السابق.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.

(٤) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٧؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص١٣٧؛ وانظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٤٤-٤٥.

(٥) انظر مسلم، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء.

فكان ﷺ يشتري ما يحتاج إليه الجيش الإسلامي من سلاح. أورد الكتاني أن رسول الله ﷺ بعث سعيد بن زيد إلى نجد ليبتاع له الخيل والسلاح[1]. وفي ذلك دليل على حرص الرسول ﷺ على اقتناء أنواع الأسلحة المختلفة عند الأمم عن طريق الاستيراد.

ثانيًا: الأسلحة الإسلامية:

استخدم المسلمون مختلف أنواع الأسلحة، وأخذوا بأسباب التطور فيها، واستعملوا كل سلاح مبتكر، أو غير معروف لدى العرب ونقل إليهم عن أعدائهم، سواء عن طريق من أسلم منهم، أو من خلال معاركهم مع الأعداء، وقد كانت القوات الإسلامية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قوات برية، مهمتها القتال في البر.

القسم الثاني: قوات بحرية، مهمتها القتال في البحر.

وهنا أعرض بشيء من التفصيل لبعض أسلحة القوتين.

القسم الأول: القوات البرية:

تنقسم أسلحة القوات البرية إلى ثلاثة أصناف:

١- أسلحة الدفاع. ٢- أسلحة الحصار. ٣- أسلحة القتال.

أولًا: أسلحة الدفاع:

وهي صنفان: أسلحة متحركة، وأسلحة ثابتة.

---

(١) انظر التراتيب الإدارية ج١ ص٣٤٣.

أ- الأسلحة المتحركة:

١- **الدروع**: واحدها درع، وهو لباس ينسج من الحديد، منه الطويل والقصير، والواسع والضيق، يلبسه المقاتل ليقي جسمه خلال المعركة فيقاتل وهو ثابت الجأش مطمئن القلب(١).

وقد جعلها الله سبحانه وتعالى من جملة النعم التي أنعم بها على عباده(٢)، فقال تعالى: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(٣)، وقد استخدمها المسلمون في جميع حروبهم. ففي أُحد كان مع المسلمين مائة دارع(٤)، وكان للرسول ﷺ أدرع يلبسها في القتال من أشهرها: ذات الفضول، والصغدية، وفضة، وذات الوشاح وذات الحواشي، والبتراء، والخرنق(٥).

والدروع عدة أنواع تنسب إلى أماكن صناعتها، فمنها السلوقية منسوبة إلى سلوق قرية باليمن تصنع فيها الدروع. والحطمية منسوبة إلى رجل اسمه حطمة بن محارب كان يقوم بصناعتها. والفرعونية تنسب إلى

---

(١) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٦٩-٧٠، وانظر النويري، نهاية الأرب، ج٦ ص٢٤٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٥٨١.

(٣) سورة النحل، الآية ٨١.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢١٥، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص٨.

(٥) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص٤٨٧، وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج١ ص١٣٠، وانظر علي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق وتعليق: محمد عبد الغني حسن، ص٢٢٥-٢٢٦.

فرعون لمشابهتها لما كان يصنع في أيامه. والداودية تنسب إلى داود عليه السلام[١].

ومن أسمائها: الجنة، ولبوس، واللأمة[٢]. ففي الأثر أن رسول الله ﷺ لما شاور أصحابه في الخروج لأحد رأوا الخروج، فدخل بيته ولبس لأمته ولما ردوا له الرأي في ذلك قال ﷺ: «**لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله**»[٣].

ويسمى لابس الدرع دارعًا[٤].

٢- **الترس**: آلة يحملها المقاتل بيده؛ ليتقي بها ضربات الأعداء بمختلف الأسلحة. تصنع من جلود البقر أو الوحوش أو اللمط، كما تصنع من الحديد[٥]، وقد تكون من عيدان مضموم بعضها إلى بعض بخيط القطن[٦] ونحوه. ومن أسمائها: الجبة والمجن والدرق والقراع[٧]. ويسمى حاملها تارسًا، وترّاسًا[٨].

---

(١) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٧٢، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق، ص٢٢٧.

(٢) انظر ابن سيده، المصدر السابق، ص٦٩- ٧٠، وانظر النويري، نهاية الأرب، ج٦ ص٢٤٢، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق، ص٢٢٦

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ٢٨.

(٤) انظر ابن سيده، المصدر السابق، ص٦٩، وانظر النويري، المصدر السابق، ص٢٤٣.

(٥) انظر المصادر السابقة، ص٧٤-٧٥، وانظر ص٢٣٩-٢٤٠، وانظر ابن هذيل، حلية الفرسان، ص٢٣١-٢٣٢، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢ ص١٤٣.

(٦) انظر أمين الخولي، الجندية والسلم، ص٤٥.

(٧) انظر ابن سيده، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥، وانظر النويري، المصدر السابق، ص٢٤٠، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٨) انظر النويري، المصدر السابق.

وكان للرسول ﷺ تِراس يتترس بها في المعارك منها: الزلوق والفتق[1].

وقد استخدمها المسلمون في معاركهم كافة، وبجميع أنواعها وأصنافها.

٣- المغفر: نسيج من الحديد يغطي الرأس والوجه يلبس تحت البيضة ليكون واقيًا لها إذا وقعت أو انكسرت، وله أطراف تتدلى على مؤخرة الرأس، وقد تمتد إلى المرافق[2].

وفي الأثر أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه مغفر[3]، وقد كان له ﷺ مغفر يسمى الموشح، وآخر اسمه السبوغ، أو ذات السبوغ[4].

٤- البيضة: قطعة من الحديد مدورة على قدر الرأس تشبه بيضة النعامة إذا خرج منها الفرخ[5]، تبطنها بعض المواد اللينة كالقطن، يلبسها المقاتل على رأسه وليس فيها ما يتدلى على القفا أو الآذان[6].

ومن أسمائها: الترك -لمشابهتها بيض النعامة- وبيض النعامة إذا خرج منه الفرخ سمي الترك- والخوذة، والخيضعة[7].

(١) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص٤٨٩، وانظر ابن القيم، المصدر السابق.

(٢) انظر أبا عبيد القاسم بن سلام، كتاب السلاح، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ص٢٩، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق، ص٢٣٠، وانظر القلقشندي، المصدر السابق، ص١٤٢، وانظر الخولي، المصدر السابق، ص٤٣، وانظر عون، الفن الحربي ص١٨٤.

(٣) انظر سنن ابن ماجه، أبواب الجهاد، باب السلاح.

(٤) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ج ١ ص١٣١.

(٥) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٧٣، وانظر النويري، نهاية الأرب، ج٦ ص٢٤٠.

(٦) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٢، وانظر عون، الفن الحربي، ص١٨٤.

(٧) انظر ابن سيده، المصدر السابق، وانظر النويري، المصدر السابق، وانظر ابن هذيل، حلية الفرسان، ص٢٣٠.

والجندي المقنع: هو الذي يلبس البيضة والمغفر[1]. وقد كان ﷺ يلبسها، ففي أحد هشمت بيضته على رأسه[2]

ب- الأسلحة الثابتة:

١- الخندق: من الأسلحة المكيدة للعدو والتي يصعب تجاوزها، ولم تكن العرب تعرفها قبل الإسلام، وإنما نقل إليهم عن طريق سلمان الفارسي الذي أسلم ونقل معه ذلك عن الفرس، ويتم حفر الخندق حول المعسكر سواء كان داخل البلد، أو في مكان آخر خارجه بهدف منع الأعداء من عبوره والتقدم باتجاه المسلمين، ويكون طوله بحسب المنطقة المراد منع العدو من تجاوزها، أما العرض فيكون بالمقدار الذي لا تستطيع تجاوزه أجود الخيل فقد حاول نفر من المشركين اقتحام الخندق فلم يستطيعوا، وطافوا به حتى وجدوا مكانًا متقاربًا، وهو أضيق مكان في الخندق، وحاولوا الاقتحام، حتى إن بعض خيلهم اقتحمت من ذلك المضيق، أما العمق فيكون بحيث لا يستطيع من وقع فيه الخروج منه بدون مساعدة[3]. وأول ما استخدمه المسلمون عندما هاجمتهم الأحزاب في المدينة[4].

وفي حروب المرتدين خندق العلاء بن الحضرمي[5] حول معسكر

(١) انظر النويري، المصدر السابق، ص٢٤١.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٢٤.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٥٥.

(٤) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٤٤٥، ٤٦٤-٤٦٥، وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ص١٣٤، وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٥٦٦-٥٧٤.

(٥) اسم أبيه عبدالله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عوف الحضرمي، استعمله الرسول ﷺ على البحرين، وأقره أبو بكر ثم عمر، مات سنة إحدى وعشرين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٤٩١.

المسلمين عند قتالهم لأهل البحرين منعًا لهم من أن يتقدموا تجاه المعسكر الإسلامي، وليأمنوا البيات والمفاجأة[(١)].

٢- **الحصون والقلاع**: من وسائل الدفاع الثابتة إقامة الحواجز والموانع المبنية، وذلك حول المدن الهامة التي يخشى عليها من العدو، فتبنى القلاع والأسوار، وتسمك بحيث لا يستطيع الأعداء لها نقبًا ولا تسلقًا ولتكون حاجزًا تتحطم عليه قوة الأعداء المادية والمعنوية.

وقد عمد المسلمون خلال فتوحاتهم إلى تعمير بعض القلاع والحصون الموجودة في البلدان المفتوحة[(٢)] خاصة ذات المواقع الاستراتيجية التي يخشى عليها من العدو، فقد بنى المسلمون حصنًا على بعد أميال من طرابلس سمي حصن سفيان، وكان الروم قد غلبوا المسلمين على طرابلس فاستعادها المسلمون في خلافة عثمان[(٣)]، فلما فتحوها ثانية بنوا ذلك الحصن لأهمية المدينة، ولخوفهم عليها من الروم.

كما بنى معاوية بن أبي سفيان حصنًا حول بلدة جبلة[(٤)]، وشحنه بالرجال والسلاح[(٥)]، وحصن عبد الملك بن مروان مدينة المصيصة[(٦)]

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٣ ص٣٠٨، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٥٠.
(٢) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٦٤، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩.
(٣) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٩٦.
(٤) قلعة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص١٠٥.
(٥) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٣٤٣.
(٦) مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٥ ص١٤٥.

وشحنها بالمقاتلة[1]. كما قام أبو جعفر المنصور ببناء سور عظيم حول مدينة بغداد[2]. ولما بلغ الرشيد أن الروم يأتمرون بينهم لغزو طرطوس[3] أمر بتحصين المدينة وترتيب المقاتلة فيها[4]؛ لتكون مركز قوة إسلامية ترهب الأعداء.

٣- **الحسك الشائك**: من الآلات الحربية الدفاعية التي استخدمها المسلمون خلال معاركهم، ويتخذ من الحديد أو الخشب[5] المدبب والمسنن بأسنان بارزة، إذا ألقي على الأرض انتصب على بعض أسنانه وبرز بعضها على شكل خناجر، فينشب في أرجل الخيل والرجال في حال دنوهم من المعسكر أو البلد، فيمنعهم ذلك من الاقتراب أو الدنو[6].

وقد استخدمه المسلمون لأول مرة في حصار الطائف، حيث تم نثره حول حصن أهل الطائف منعًا لخروجهم منه[3]. وكان بعض قادة المسلمين

---

(١) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤ ص٩٤-٩٥، وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥.

(٢) انظر، تاريخ الطبري، ج٨ ص٢٨، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص١٠٥.

(٣) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٤ ص٢٨.

(٤) انظر البلاذري، المصدر السابق، ص١٦٩-١٧٠.

(٥) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٧٤.

(٦) انظر الخولي، الجندية والسلم، ص٤٢، وانظر عون، الفن الحربي، ص١٩٥، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١٠٤.

(٧) انظر الواقدي، المغازي، ج٣ ص٩٢٧، وانظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ ص١٥٨.

يعمدون إلى نثر الحسك حول معسكرهم لمنع الأعداء من الاقتراب[1].

وفي الوقت الحاضر تقوم الأسلاك الشائكة مقام الحسك الشائك[2] وتستخدم على الأسوار لمنع تسلقها، أو تسور بها بعض المناطق لمنع دخولها ويكثر استعمالها وقت الحرب لمنع جنود العدو من تجاوز بعض النقاط المعينة.

ثانيًا: أسلحة الحصار:

١- المنجنيق: آلة قاذفة بعيدة المدى (لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق فتوضع المقذوفات فيها، ويجذب السهم حتى ترتفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة، فيخرج ما فيها بشدة)[3]. وبه تهدم الحصون والأبراج، وتحرق المساكن والمعسكرات[4].

وقد استخدمه المسلمون لأول مرة في حصار خيبر، حيث نصب على حصن النزار، واستعد المسلمون للرمي به[5]، ففتح الله عليهم قبل ذلك. وفي حصار الطائف رمى به المسلمون[6] لأول مرة، كما نصبه المسلمون على دمشق في حصارهم لها[7]، وفي حصار المدائن نصب المسلمون عشرين

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٩ ص٣١.

(٢) انظر الخولي، المرجع السابق، ص٤٣.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٢٩.

(٤) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢ ص١٤٣-١٤٤، وانظر عون، الفن الحربي، ص١٥٦، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١١٨.

(٥) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٤٨.

(٦) انظر المصد السابق، ج٣ ص٩٢٧، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ ص٩٤.

(٧) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٣٨، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٩٤.

منجنيقًا قصفوا بها المدينة، وأشغلوا أهلها حتى فتح الله عليهم[1].

وفي حصار عمورية اتخذ المعتصم مجانيق كبارًا على قدر ارتفاع السور[2].

٢- العرادة: آلة شبيهة بالمنجنيق -أصغر منه- ترمى بها السهام والحجارة للمدى البعيد، كما تستخدم لقذف ما يؤذي العدو كالعقارب والحيات[3] وقد استخدمها المسلمون في حصار بهرسير[4] حيث قذفوا بها الحجارة طيلة مدة الحصار حتى كتب الله لهم النصر[5]، كما استخدمت في حصار البذ[6] سنة ٢٢٢ هـ، حيث تم نصب عدة عرادات على أماكن مختلفة من السور[7].

٣- المدافع: آلات ذات أنابيب ترسل بها المقذوفات باتجاه العدو بواسطة البطاريات، وأول ما استخدمها المسلمون في فتح القسطنطينية[8].

٤- الدبابة: آلة سائرة، يدخل فيها المقاتلون، تدفع حتى تصل إلى أعلى الحصن، أو السور، فيقوم المقاتلون بنقب الحصن أو السور وهم داخل

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٣٥٥.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٩ ص٦٥.

(٣) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٥٨، وانظر عون، المرجع السابق، ص١٦٧، وانظر خطاب، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٤) من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، وهي إحدى المدائن السبع. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٥١٣.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص٥-٦، وانظر أحمد كمال، سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ص٢٤.

(٦) كورة بين أذربيجان وأران. انظر الحموي، المصدر السابق، ج١ ص٣٦١.

(٧) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٩ ص٤١، وانظر أحمد كمال، المرجع السابق.

(٨) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، ص١٦١.

الدبابة[١]، وتتخذ على شكل مركبة من الخشب، على عجل مستدير تسهل حركتها، وتسقف بتراب معجون بوبر الوحوش، ويجعل فوقه جلود البقر المنقع في الخل، لتقيها من النار والحجارة التي ترمى[٢]، وقد استخدمها المسلمون لأول مرة في حصار الطائف[٣]،

كما استخدموها في حصار بهرسير[٤]، وحصار عمورية[٥].

وقد أورد بعض الكتاب[٦] أن رسول الله ﷺ قد بعث عروة بن مسعود، وغيلان بن سلمة[٧] إلى جرش[٨] لتعلم صناعة المجانيق والدبابات. لكن الذي ظهر لي والله أعلم، أن عروة بن مسعود وغيلان ابن سلمة قد بعثتهما ثقيف لذلك الغرض، ولم يبعثهما رسول الله ﷺ

---

(١) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٧٤، وانظر الخولي، الجندية والسلم، ص٣٢، وانظر عون، المرجع السابق، ص١٦٨، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١٢٠.

(٢) انظر الخولي، المرجع السابق، وانظر عون، المرجع السابق.

(٣) انظر الواقدي، المغازي، ج٣ ص٩٢٧، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤ ص٩٤، وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٣.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٩ ص٤١، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٥٥، وانظر أحمد كمال، المصدر السايق.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٦٥، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص٢٨٧.

(٦) انظر محفوظ، المدخل، ص٩، وانظر جمال يوسف الخلفات، بهاء الدين محمد أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص٣٦، وانظر حازم إبراهيم عارف، الجيش العربي الإسلامي، ص١٠٨.

(٧) ابن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، وكان أحد وجوه ثقيف، مات في آخر خلافة عمر. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص١٨٦.

(٨) مدينة عظيمة باليمن. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص١٢٦.

ذكر ذلك الواقدي[1]، وابن سعد[2]، وابن عبد البر[3].

ويؤيد ذلك أنهما لم يسلما إلا بعد حصار الطائف، فقد قيل إن عروة قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة بعد رجوعه من الطائف، وقيل إنه لحق به بعد انصرافه من الطائف وقبل وصوله ﷺ إلى المدينة، وأنه لما قدم على رسول الله ﷺ وأسلم سأل رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه داعيًا إلى الإسلام فرجع إليهم فقتلوه[4]. والشاهد في هذا أن عروة بن مسعود لم يسلم إلا بعد حصار الطائف، وأنه قبل ذلك كان على دين قومه. أما غيلان بن سلمة فقد أسلم أيضًا بعد نهاية حصار الطائف، والدليل على ذلك: أنه لما أسلم رد عليه الرسول ﷺ ولاء مولاه -أحد الذين خرجوا من حصن الطائف- حينما نادى منادي رسول الله ﷺ: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر[5].

٥- **الضبر**: آلة تشبه الدبابة تتخذ من الخشب المغشى بالجلد المنقع في الخل يدخل فيها المقاتلون ليدنوا من الحصن لنقبه، أو لتسلقه[6].

٦- **رأس الكبش**: «كتلة خشبية ضخمة مستديرة، يبلغ طولها حوالي

---

(١) انظر المغازي، ج٣، ص٩٢٤، ٩٦٠.

(٢) انظر الطبقات الكبرى، ج١ ص٣١٢.

(٣) انظر الدرر، ص١٧٣.

(٤) انظر ابن سعد، المصدر السابق، ص٥٠٣، وانظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٩٦، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٩٣، وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص٢٢٨، وانظر ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، ج٢ ص٥٠-٥١.

(٥) انظر الواقدي، المغازي، ج٣ ص٩٣١.

(٦) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٧٤، وانظر الخولي، الجندية والسلم، ص٣٢، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١٢٤.

عشرة أمتار أو أكثر، قد ركب في نهايتها مما يلي العدو رأس من الحديد أو الفولاذ تشبه رأس الكبش تمامًا بقرونها وجبهتها»[1]. وتكون داخل الدبابة معلقة في سلسلة حديد، أو حبل متين تتدلى من على سطح الدبابة. وعند الضرب بها تقترب إلى السور، ويأخذ الجند في تحريكها ناحية السور حتى تضربه، ثم جذبها ناحيتهم، ويكررون العملية بسرعة حتى ينهار السور أو الحصن[2].

٧- **النفط**: مزيج سريع الاشتعال يرمى به في اتجاه العدو فيحترق ما يقع عليه، وقد يجعل في قوارير يقذف بها بواسطة المجانيق أو العرادات أو المدافع[3].

وقد استخدمها صلاح الدين في معركة حطين، حينما أمر برمي النفط لإحراق الحشيش الذي تحت أقدام الروم[4]، وأمر باستخدامها لإحراق الأبراج التي نصبها الفرنج حول عكا، حيث رميت قدور النفط بواسطة المجانيق[5].

٨- **سلم الحصار**: حبال كهيئة السلالم يجعل في أحد طرفيها أوهاقًا[6]،

---

(١) انظر المرجع السابق، ص١٢٥.

(٢) انظر الخولي، المرجع السابق، وانظر عون، الفن الحربي، ص١٧١-١٧٢، وانظر خطاب، المرجع السابق.

(٣) انظر الخولي، المرجع السابق، ص٣٣-٣٤.

(٤) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٢١.

(٥) انظر المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٦) الوهق: الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٣ ص٣٠٠.

يرمى بها على أعلى الأسوار والحصون والشرف حتى تثبت فيتسلقها المقاتلون[1].

وقد استعملها المسلمون في حصار دمشق حيث تسلق خالد بن الوليد في نفر معه سور دمشق، وفتحوا أبواب المدينة للمسلمين[2].

وقد يكون السُلم من الخشب، أو ما شابهه، ففي حصار المسلمين لأهل مصر في مدينة اليونة[3] عمد الزبير بن العوام إلى سلم صعد عليه إلى أعلى الحصن، فكبر وكبر المسلمون وراءه، واندفع المسلمون في الصعود على السلم حتى نهاهم عمرو بن العاص خوفًا من أن ينكسر السلم بهم[4].

ثالثًا: أسلحة القتال:

استخدم المسلمون في معاركهم أسلحة مختلفة، منها الخفيفة التي يقاتل بها المقاتل وحده، ومنها الثقيلة التي يشترك فيها أكثر من مقاتل، فيكون أثرها أشد وأنكى من الأولى.

أ- الأسلحة الخفيفة: ومنها:

١- **السيف**: عميد الأسلحة الإسلامية، وأكثرها تأثيرًا وفاعلية في معارك المسلمين، استخدموه رجالًا وفرسانًا، وأبدعوا فيه حتى كان القتال بالسيف

(١) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٥٨-٥٩، وانظر عون، الفن الحربي، ص١٧٣.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٣٩، وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٢٣-١٢٤.

(٣) حصن بمصر، فتحه عمرو بن العاص، وبنى مكانه الفسطاط. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص٤٥٣.

(٤) انظر البلاذري، المصدر السابق، ص٢١١، وانظر ابن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١ ص١٠.

ميزة اشتهروا بها، وفنًّا أبدعوا فيه، فكان عمادهم بعد الله في جميع الأوقات والفيصل في كثير من المعارك، فهو آخر الأسلحة استعمالًا في المعركة[١].

ولقد حث الرسول ﷺ على اقتناء السيف، وبين للمسلمين ما في ذلك من الفضل العظيم، قال ﷺ: «**الجنة تحت ظلال السيوف**»[٢]. وبين لهم مكانة السيف في الإسلام، فقال ﷺ: «**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له** . . .»[٣].

وقد كانت السيوف تجلب من عدة أماكن، فمنها ما يجلب من الهند فينسب إليها السيف الهنداوي، أو المهند. ومنها ما يجلب من المشارف، قرية من قرى العرب، وينسب إليها السيف المَشرفي. ومنها ما يجلب من الحيرة، وإليها تنسب السيوف الحارية. ومنها ما يجلب من اليمن، وإليها ينسب السيف اليماني. ومنها ما يجلب من جبل فيه معدن حديد بأرمينية يقال له: قساس، وإليه ينسب السيف القسوسي. أما السيف السريجي، فينسب إلي قيّن كان يعملها يقال له: سُريج. والقلعي منسوب إلى قلعة[٤] فيها معدن، وهي: موضع بالبادية قرب حلوان[٥].

---

(١) انظر عون، الفن الحربي، ص١٤٨، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٢٢.

(٣) إسناده صحيح. انظر علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٦ ص٤٩، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٢ ص٥٠.

(٤) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٢٥-٢٦، وانظر النويري، نهاية الأرب، ج٦ ص٢٠٥-٢٠٦، وانظر ابن هذيل، حلية الفرسان، ص١٩١، وانظر الحسن بن عبدالله، آثار الأول، ص١٦٠.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص١٧٧.

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية صنعت السيوف في البلدان الإسلامية الغنية بالمعادن، فكان هناك السيف المصري، والعراقي، والشامي[1].

وتصنع السيوف من الحديد الفولاذ، أو من الحديد العادي[2].

ويسمى حامله: سيافًا أو مُسيفًا[3]. وما يحفظ به السيف يسمى بالجراب، أو الغمد يصنع من الخشب ويغلف بالجلد[4].

وقد كان للرسول ﷺ عدة أسياف، منها سيف ورثه عن أبيه، قدم به المدينة، ويسمى: المأثور. وسيف أهداه إياه سعد بن عبادة[5]، وقاتل به يوم بدر، ويسمى: العضب وقيل القضيب، وآخر غنمه يوم بدر يسمى: ذا الفقار. وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف هي: القلعي، والحتف، والبتار. ومن سيوفه أيضًا: المِخَذم، والرسوب[6].

وقد شجع ﷺ المسلمين على القتال بالسيف ورغبهم فيه بقوله: «الجنة

---

(١) انظر الخولي، الجندية والسلم، ص٢٤.

(٢) انظر ابن سيده، المصدر السابق، ص٢٥، وانظر النويري، المصدر السابق، ص٢٠٢، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٤) انظر ابن سلام، السلاح، ص١٨.

(٥) ابن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، سيد الخزرج، أبو ثابت، شهد بيعة العقبة، وكان أحد النقباء، وخرج إلى الشام فمات بحوران سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٢٧-٢٨.

(٦) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص٤٨٥-٤٨٧، وانظر تاريخ الطبري، ج٣ ص١٧٧. وانظر ابن هذيل، حلية الفرسان، ص١٨٥-١٨٦، وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج١ ص١٣٠.

تحت ظلال السيوف»[1]، وظل السيف لا يظهر إلا عند الضرب به؛ لأنه قبل ذلك مغمودًا[2]. فقاتل به جند الإسلام في كل زمان ومكان، وعدوه من أهم أسلحتهم القتالية.

٢- الرمح: آلة تستخدم للطعن خلال الالتحام والتشابك بالأيدي. وقد يزرق زرقًا بأن يرمى من مسافة بعيدة باتجاه العدو، كما يستخدم لرفع الرايات بجعلها في أطرافه.

والرمح يتألف من قناة تتخذ من الأشجار الصلبة، كالوشيح، والمران والزان، والخطي، والنبع، والشوحط ونحوها. فتقوم إن احتاجت إلى تقويم، ويركب في رأسها نصل من حديد يحدد، يسمى السنان. وقد يركب بدلًا من السنان القرون المحددة، كقرون الثيران الوحشية.

وللرماح أطوال مختلفة تتراوح بين الأربعة والعشرة أذرع، ويستعملها الراجل والفارس، أما الطوال منها فهي خاصة بالفرسان نظرًا لطولها حيث تساعدهم الخيل على حملها، وتجعل بين الركاب والساق، وعند حملها يكون السنان هو الأعلى (و) الزج أسفل[3].

ومن أشهر الرماح المنسوبة إلى صناعها: الرديني: منسوب إلى امرأة كانت تصنعها، وقيل تباع عندها، واسمها ردينة. والخَطي: كان يورد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٢٢.

(٢) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٩٩.

(٣) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٢٩، ٣٢-٣٤، وانظر النويري، نهاية الأرب، ج٦ ص٢١٥-٢١٦، ٢١٨، وانظر ابن هذيل، حلية الفرسان. ص٢٠٢-٢٠٥، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢ ص١٤٠، وانظر الخولي، الجندية والسلم، ص٢٦، وانظر عون، الفن الحربي، ص٤٣، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١١٤.

للعرب من الهند عن طريق الخط مرفأ السفن بالبحرين. واليَزَني: منسوب إلى ذي يزن من ملوك اليمن(١).

وقد كان للرسول ﷺ عدة رماح منها ثلاثة أصابها من سلاح بني قينقاع، وله رمح يقال له: المتثنى(٢).

كما شجع الرسول ﷺ المسلمين على اقتنائها بقوله: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**»(٣). أي تحت ظل رايتي المرفوعة بأعلى الرمح(٤).

وكما قال ﷺ في الحديث السابق: «**عليكم بهذه وأشباهها، ورماح القنا، فإنهما يزيد الله لكم بهما في الدين، ويمكن لكم في البلاد**»(٥).

فكانت سلاحًا نافذًا استخدمه المسلمون في فتوحاتهم.

ومما يلحق بالرمح الأسلحة المشابهة له في الهيئة، والتي تتخذ من أدواته، ومنها:

الحربة: آلة تشبه الرمح، لكنها أقصر منه(٦)، وقد استخدمها الرسول ﷺ حينما طعن بها أُبي بن خلف في معركة أحد(٧).

---

(١) انظر ابن سلام، كتاب السلاح، ص٢٠، وانظر ابن سيده، المصدر السابق، ص٣٣، وانظر النويري، المصدر السابق، ص٢١٥، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١ ص٤٨٩، وانظر الذهبي، السيرة النبوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، ص٣٥٧، وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج١ ص١٣١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٨٨.

(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٩٨.

(٥) إسناده ضعيف: البوصيري، مصباح الزجاجة، ج٢ ص٤٠٧.

(٦) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦، ص٣٤، وانظر الخولي، الجندية والسلم، ص٢٦.

(٧) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٥١.

الآلة: أصغر من الحربة، وتمتاز بعرض سنانها[1].

العنزة: آلة على قدر نصف الرمح أو أكبر قليلًا، وفيها زج كزج الرمح.

المزراق: أخف من العنزة يزرق بها العدو زرقًا[2].

٣- **القِسِي**: فضل الإسلام القوس على غيره من الأسلحة، حتى صار التشاغل به صناعة وتدريبًا من أفضل الأعمال الاستعدادية للجهاد، فقد حث الرسول ﷺ على تعلم الرمي، فقال ﷺ وهو على المنبر: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[3].

والرمي هنا يشمل كل ما يرمى به في عصر الرسول ﷺ من السهام والنبال والمجانيق ونحوها، ويشمل ما يرمى به في زماننا هذا، من الطائرات، والصواريخ، والقنابل ونحوها، فإذا كان الرمي المأمور به في زمن الرسول ﷺ يعني الرمي بالقوس، فإنه في زماننا هذا يعني المدفع والطيارة، والصاروخ، والدبابة، وكل سلاح يرمى به. وما ورد في فضل الرمي والحث على تعلمه وصناعته، فإنه شامل لما يرمى به في زماننا هذا قال ﷺ: «**من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عَدْلُ مُحَرر**»[4].

---

(١) انظر ابن سلام، كتاب السلاح، ص٢١، وانظر ابن سيده، المصدر السابق، وانظر النويري، نهاية الأرب، ج٦ ص٢١٥.

(٢) انظر المصادر السابقة، ص٢١، وانظر ص٣٥، وانظر ص٢٦، وانظر الخولي، المرجع السابق.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

(٤) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٠٥، رقم الحديث (٨٧١١).

وذلك لشدة نكايته وتأثيره على العدو، فالجندي الذي يحمل قوسه، أو ما يرمى به في زماننا هذا، وهو يجيد الرمي يعدل من الجند عدد أسهمه أو عدد طلقات سلاحه إذا أصاب بها.

ولقد بلغ من تعظيم الرسول ﷺ للرامي أن جمع أبويه فداءً لسعد بن أبي وقاص وهو يصوب نبله باتجاه المشركين، ولم يكن الرسول ﷺ يجمع أبويه لأحد إلا في هذا الموقف(١).

والقسي نوعان: قوس عربية، وقوس إفرنجية، ولكل منها عند الرمي موضع تتميز به عن الأخرى. فالقوس العربية تفضل عند التقاء الجيوش والتحامها، فهي أنسب للفارس، حيث سرعة الرمي، وقلة المئونة. والقوس الأجنبية تفضل وقت الحصار، سواء بالنسبة للمحاصرين أو المحصورين، وفي السفن والمراكب البحرية العسكرية، وهي أنسب للراجل لأنها أبلغ أثرًا. إذًا فلكل مقام قوس يرمى به(٢).

وقد فضل الرسول ﷺ القوس العربية، فقد رأى جنديًّا بيده قوسًا فارسية فقال: «**ما هذه؟ ألقها وعليكم بهذه وأشباهها، ورماح القنا، فإنهما يزيد الله لكم بهما في الدين، ويمكن لكم في البلاد**»(٣).

وتتخذ القسي من أعواد النبع والتفاح والرمان والشوحط ونحوها(٤)

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٨٠، وانظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص.

(٢) انظر ابن القيم، الفروسية، ص١٤٠، وانظر ابن هذيل، حلية الفرسان، ص٢١١، وانظر الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص١٦٠، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢ ص١٤١.

(٣) إسناده ضعيف: البوصيري، مصباح الزجاجة، ج٢ ص٤٠٧.

(٤) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٣٨، وانظر ابن القيم، المصدر السابق، ص١٣٩، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق، ص٢١٣-٢١٤.

يحنى طرفا العود على نحو قوس الدائرة، ويشد بينهما وتر من الجلد، أو العصب[1]، إذا جذب إلى حنية العود ثم خلي قذف السهم بقوة[2]، وقد تكون من عود واحد يشق فلقتين[3].

وقد كان للرسول ﷺ عدة أقواس منها: الروحاء، والصفراء والبيضاء، أصابها من سلاح بني قينقاع، والزوراء، والكتوم[4].

٤- **السهم**: السهام والنبل والنشاب، أسماء لما يرمى به عن القوس. وتتخذ من أعواد الشجر الصلب، كالنبع، والصنوبر، والشوحط ونحوه، تقطع بطول الذراع، فتزال عنها القشور، وتبرى ليزول ما فيها من اعوجاج، ثم تصلى بالنار حتى تلين، وتقوم، ويتغير لونها، ثم يركب في رأسه نصل من حديد محدد له أسنان في عكس اتجاه رأس النصل[5].

ويحمل الرامي سهامه في كنانته المصنوعة من جلد أو خشب، وتسمى جعبة، أو عيبة[6].

وما يرمى به عن القسي العربية يسمى النبل، أما الفارسية فيسمى النشاب[7].

---

(١) انظر ابن سيده، المصدر السابق، ص٤٥، وانظر ابن هذيل، المصدر السابق، ص٢١٥، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١٠٨.
(٢) انظر الخولى، الجندية والسلم، ص٢٧.
(٣) انظر ابن سلام، السلاح، ص٢٢، وانظر ابن سيده، المصدر السابق، ص٣٧.
(٤) انظر الذهبي، السيرة النبوية، ص٣٥٧، وانظر ابن القيم، زاد المعاد، ج١ ص١٣١.
(٥) انظر ابن سيده، المصدر السابق ص٤٩، ٥٠، ٥٨، ٦١، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢ ص١٤٢، وانظر الخولي، المرجع السابق، وانظر خطاب، المرجع السابق، ص١١٢.
(٦) انظر النويري، نهاية الأرب، ج٦ ص٢٣٥، وانظر القلقشندي، المصدر السابق، وانظر الخولي، المرجع السابق.
(٧) انظر القلقشندي، المصدر السابق.

٥- **المقاليع**: من الآلات التي تستخدم لرمي العدو بالحجارة، وتتخذ من الحبال، وذلك بجعل الحجر المقذوف بين حبلين يمسك بهما القاذف من الطرف الثاني فيديرها بيده، ثم يخلي أحد الطرفين فينبعث الحجر باتجاه العدو[(١)].

٦- **الخنجر**: سكين عظيمة[(٢)]، تستخدم عند الالتحام اليدوي والاختلاط بالأعداء، يحملها المقاتل معه في منطقته، أو تحت ثيابه[(٣)].

ففي حنين اتخذت أم سليم خنجرًا، فرآها أبو طلحة[(٤)] وأخبر الرسول ﷺ، فقال لها ﷺ: «**ما هذا الخنجر؟**» قالت: «اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه»[(٥)].

٧- **الدبوس أو (المطرقة)**: آلة من حديد على هيئة عصا قصير، لها رأس مستدير كالمطرقة، أو مربع، وعادة ما يحملها الفرسان لضرب الأعداء بها عند الاقتراب منهم، يحملونها في سروجهم، وتستعمل عادة لقتل لابس البيضة[(٦)].

---

(١) انظر الخولي، المرجع السابق.

(٢) انظر ابن سيده، المخصص، ج٦ ص٣٦.

(٣) انظر عون، الفن الحربي، ص١٥٤، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية، ص١١٧.

(٤) زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عمرو بن مالك بن عدي ابن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، مشهور بكنيته. شهد العقبة وكان من فضلاء الصحابة، زوج أم سليم، مات غازيًا في البحر فما وجدوا جزيرة يدفنونه بها إلا بعد سبعة أيام ولم يتغير. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٥٤٩-٥٥٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب في غزو النساء مع الرجال.

(٦) انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢ ص١٤٢، وانظر الخولي، الجندية والسلم، ص٢٩، وانظر عون، الفن الحربي، ص١٥٤- ١٥٥، وانظر خطاب، العسكرية العربية الإسلامية.

٨- **الفأس**: آلة قريبة الشكل من الدبوس لها نصل من حديد مركب في قائم من الخشب، ويكون النصل مدببًا من جهة، ومن الأخرى مسنونًا كالسكين[١]، وقد ورد ذكرها باسم: الطبرزينات[٢]، والبلطة[٣].

وقد قاتل بها المسلمون في وقعة جلولاء بعد اشتداد المعركة ونفاذ النبل والنشاب[٤].

القسم الثاني: القوات البحرية:

لم يكن للجيش الإسلامي في عهد الرسول ﷺ قوة بحرية؛ لعدم الحاجة في ذلك الوقت، فقد كان دون البحر أعداء وجب القضاء عليهم أولًا ومن ثم النظر لما وراء البحر.

وقد أشار ﷺ إلى غزو البحر، فقد ثبت أنه دخل على أم حرام بنت ملحان[٥] فاتكأ عندها ثم ضحك، فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ فقال: «**ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة**». فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**اللهم اجعلها منهم**»، ثم عاد فضحك، فقالت: له مثل، أو مم

(١) انظر المصادر والمراجع السابقة.

(٢) انظر القلقشندي، المصدر السابق، ص١٤١.

(٣) انظر خطاب، المرجع السابق.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٢٧.

(٥) بنت ملحان بن خالد بن حرام بن جندب الأنصارية، خالة أنس بن مالك، من الأولين الذين ركبوا البحر، خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت سنة سبع وعشرين لغزو قبرص، تحت إمرة معاوية، فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص٤٢٣-٤٢٤-٤٤١-٤٤٢.

ذلك؟ فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت من الأولين، ولست من الآخرين**»[1].

وبين ﷺ فضل شهيد البحر بقوله: «**المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد، والغريق له أجر شهيدين**»[2]، وفي ذلك إشارة إلى ركوب البحر للغزو وبيان فضله.

ووجه ﷺ المسلمين إلى تعلم السباحة، فقال: «**علموا أبناءكم السباحة والرماية** ...»[3]. فالسباحة إحدى الوسائل التي تستخدم في قتال البحر، كما أن في تعلمها تعويدًا للجندي على مواجهة المواقع المائية وإزالة لرهبتها من نفسه، فهي سلاح يوجه ضد الأعداء، وسلاح معنوي يزيد الجندي ثقة وإقدامًا.

والرسول ﷺ في كل ذلك يشير إلى أن المسلمين مقبلون على غزو البحار، ويدلهم على أحد الأسلحة المستخدمة فيها.

وقد كان أول خوض للبحر في عهد الرسول ﷺ عندما بلغه أن أناسًا من الحبشة رآهم أهل الشعيبة[4] في مراكب البحر، وقد دنوا من الساحل، فبعث إليهم سرية بقيادة علقمة بن مجزز المدلجي، فخاض بهم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٦٣، ٧٥، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر.

(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٥٩، رقم الحديث (٩١٣١)، وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في فضل الغزو بالبحر، وانظر مسند الإمام أحمد، ج٦ ص٢٠.

(٣) حديث حسن، السيوطي، المصدر السابق، ص١٦١، رقم الحديث (٥٤٧٨).

(٤) مرفأ السفن من ساحل الحجاز، وقيل قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٣٥١.

البحر، ووصل إلى جزيرة داخل البحر، فهرب الأحباش في مراكبهم[١].

وفي حرب المرتدين ندب العلاء بن الحضرمي المسلمين إلى دارين[٢]، وكان فلال[٣] المرتدين قد ركبوا السفن إليها، فأمر جنده باستعراض البحر إليهم، فاقتحموه حتى وصلوا إلى ساحل الجزيرة، فقاتلوهم قتالًا شديدًا، حتى تم لهم النصر وعاد المسلمون[٤].

ولما سار خالد بن الوليد بجيش المسلمين من أمغيشيا[٥] إلى الحيرة حمل الرجال والأثقال في السفن ليعبر بهم[٦]، كما خاض سعد بن أبي وقاص بجيش المسلمين نهر دجلة باتجاه العدو، فقطع النهر على الخيل[٧].

ولم يكن في كل ذلك حرب، وإنما كانت المعارك تدور في البر، لكن المسلمين ركبوا البحر للعبور فقط.

ولما أصابت الحبشة من أطراف الدولة الإسلامية على ساحل البحر الأحمر، بعث إليهم عمر رضى الله عنه علقمة بن مجزر المدلجي في جند من

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج٣ ص٩٨٣.

(٢) فرضة بالبحرين، بينها وبين الساحل مسيرة يوم وليلة. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٢ ص٤٣٢.

(٣) فل القوم يفلهم فلا، وهم قوم فل: مهزومون. انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١١ ص٥٣٠.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣١٠-٣١١، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٥١-٣٥٢.

(٥) موضع بالعراق، وكانت مصرًا كالحيرة. انظر الحموي، المصدر السابق، ج١ ص٢٥٤.

(٦) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٣٥٩، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٦٥.

(٧) انظر المصادر السابقة، ج٤ ص٨-٩، وانظر ص٣٥٦.

المسلمين فأصيبوا؛ لعدم معرفتهم بأصول المعارك البحرية، فجعل عمر على نفسه عهدًا ألا يحمل في البحر أحدًا أبدًا(١)، وهذا ما دفعه إلى تأنيب العلاء بن الحضرمي حينما حمل أهل البحرين لغزو فارس بغير إذنه، فأنكر عليه ذلك، وأنبه على ركوب البحر(٢).

وبعد توسع رقعة الدولة الإسلامية، وفتح كثير من المدن الساحلية في الشام ومصر، نشأت فكرة إنشاء أسطول إسلامي يقوم بمهمة الدفاع وغزو بلاد الروم، واستأذن معاوية عمر رضي الله عنهما في إنشاء أسطول إسلامي، فرأى عمر أن الوقت لم يحن بعد لذلك، فالروم أمهر في قتال البحر، وخوض البحر باتجاههم يعني المخاطرة والهزيمة؛ لذلك عمد إلى اتباع أسلوب الدفاع عن تلك السواحل بوسائل برية ممتدة على السواحل البحرية حتى يستطيع الجند معرفة الكثير من فنون المعارك البحرية عن طريق الاحتكاك بمن أسلم من أهل تلك المناطق الساحلية، وعن طريق ركوب البحر للتنقل والتدريب(٣).

وعاد معاوية مرة أخرى في خلافة عثمان وألح في الطلب حتى أذن له على أن يخير الجند في الغزو، فمن اختار طائعًا حمله وأعانه، ومن أبى تركه وحاله، وأن يكون في مقدمة الغزو مع امرأته(٤).

وشرع معاوية في بناء أسطول إسلامي شحنه بالسفن والمراكب والرجال والسلاح، وأبحر أول أسطول إسلامي من ميناء عكا بقيادة

---

(١) انظر المصادر السابقة، ص١١٢، وانظر ص٣٩٨.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٧٩-٨١.

(٣) انظر المصادر السابقة، ٢٥٨-٢٦٠، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣ ص٤٨، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص١٥٣.

(٤) انظر المصادر السابقة، وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٣.

معاوية بن أبي سفيان في أهل الشام باتجاه قبرص[١]. وكان فيه عبادة بن الصامت[٢] وزوجته أم حرام بنت ملحان التي دعا لها الرسول ﷺ بأن تكون مع الأولين في ركوب البحر غزاة. وفي الوقت نفسه ولأجل الغاية نفسها أقلع من ساحل مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح[٣] في أهل مصر متجهًا إلى قبرص، فالتقى مع معاوية، وصالحوا أهل قبرص[٤].

واستعمل معاوية على الأسطول الإسلامي عبدالله بن قيس الجاسي[٥] فكان يغزو الروم في الصيف والشتاء، فغزا خمسين غزاة ما بين شاتية وصائفة ولم يغرق له أحد، ولم يصبه أذى[٦]، وكان يسير الطلائع والدوريات بالقوارب حول سواحل المسلمين[٧] لحراستهم من الروم.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، كان أحد النقباء بالعقبة، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وشهد فتح مصر، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وقيل مات ببيت المقدس، وقيل سنة خمس وأربعين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٢٦٠.

(٣) ابن الحارثة بن حبيب بن حذافة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، أبو يحيى، أخو عثمان من الرضاعة، أسلم يوم الفتح، شهد فتح مصر وكان صاحب الميمنة في الحرب، وله مواقف محمودة في الفتوح. مات سنة ست وثلاثين. انظر المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص٣٦٢، وانظر البلاذري، المصدر السابق، ص١٥٣-١٥٤.

(٥) وقيل الحارثي، أمير البحر في صدر الإسلام، كان مقيماً بالشام، وأول ما غزا سنة سبع وعشرين، وقيل سنة ثلاث أو أربع وخمسين. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٣ ص٩٣.

(٦) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٢٦٠-٢٦١، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص٤٨-٤٩.

(٧) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٢٦١.

ولما أعان أهل قبرص الروم على غزو المسلمين، وأمدوهم بالمراكب، خرج إليهم معاوية بن أبي سفيان في أسطول عظيم يتكون من خمسمائة مركب ففتحها عنوة، وأقرهم على صلحهم السابق[1].

ومن أشهر المعارك البحرية الإسلامية معركة ذات الصواري حيث التقى الأسطول الإسلامي المؤلف من مائتي مركب[2] بقيادة عبدالله بن أبي السرح بالروم في أسطول كبير يتكون من خمسمائة وقيل ستمائة مركب، وربطت المراكب والسفن بعضها ببعض، ثم تقاتل الفريقان وكأنهم في البر حتى كتب الله للمسلمين النصر على أعدائهم[3].

الأسلحة البحرية:

لما كانت القوة البحرية في بداية الإسلام قوة ناشئة وجديدة على العرب كانت الأسلحة البحرية أيضًا جديدة عليهم، فكان أن استخدموا في قتالهم البحري كثيرًا من الأسلحة البرية التي اعتادوا عليها، كالسيوف والدروع بجميع أنواعها، والرماح، والقسي والمجانيق، والعرادات والحراب، والحجارة ونحوها، ثم بدءوا باستعمال الأسلحة البحرية مع مرور الأيام، وكثرة التجارب، والتدريبات[4]، وكان من أبرز الأسلحة البحرية التي استخدموها:

---

(١) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٥٤.

(٢) انظر ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج١ ص٨٠.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص٢٩٠-٢٩١، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص١٥٧.

(٤) انظر الحسن بن عبدالله، آثار الأول، ص١٩٥، وانظر الخولي، الجندية والسلم، ص٩٨، وانظر فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢ ص٣٣٧.

١- **الكلاليب**: خطاطيف حديدية، تعقد بسلاسل في المركب، وترمى على مراكب الأعداء عند الاقتراب منها، لجذبها وإيقافها، ومن ثم طرح الألواح بين المركبين كالجسر، يعبرون عليه إلى مراكب الأعداء فيقاتلونهم[١].

ففي معركة ذات الصواري ربط المسلمون سفنهم بسفن الروم وقاتلوهم على السفن، وكأن المعركة برية[٢].

٢- **الباسليقات**: «سلاسل بعصي في رءوسها رمانة حديد»[٣]، يقاتل بها من أعلى الصواري[٤].

٣- **التوابيت**: على هيئة صناديق مفتوحة من أعلى، تجعل في أعلى الصواري، لتحمي الجند من سهام الأعداء، يدخل فيها الرماة لرمي العدو بالحجارة، أو قوارير النفط، ونحوها[٥].

٤- **الفأس**: ويسمى اللجام وهو «حديدة طويلة محددة الرأس جدًا وأسفلها مجوف كأسنان الرمح»[٦]، تستخدم لخرق المراكب وإغراقها[٧].

٥- **المجانيق والعرادات**: حيث يرمى بها قوارير النفط أو الحجارة والسهام[٨].

---

(١) انظر المصادر والمراجع السابقة، ص١٩٧؛ وانظر ص٩٧؛ وانظر ص٣٣٧.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٩٠-٢٩١.

(٣) الحسن بن عبدالله، المصدر السابق، ص١٩٦.

(٤) انظر المصدر السابق؛ وانظر الخولي، المرجع السابق.

(٥) انظر المصادر والمراجع السابقة.

(٦) الحسن بن عبدالله، المصدر السابق، ص١٩٧.

(٧) انظر المصدر السابق؛ وانظر الخولي، المرجع السابق، ص٩٧-٩٨.

(٨) انظر المرجع السابق.

٦- **قوارير النفط**: هي جرار مملوءة بالنورة المدقوقة، المكونة من مزيج الكِلسُ[١] والزِّرنيخ[٢] وهي نوعان:

أ- مشتعلة، تلقى على العدو فتعمي الأبصار بغبارها، وتلتهب إذا تبددت.

ب- غير مشتعلة، يتصاعد منها الغبار إلى مناخر الأعداء وعيونهم فلا يستطيعون القتال[٣].

وقد تكون هذه بمثابة القنابل المسيلة للدموع والتي تستخدم في زماننا هذا.

٧- **قدور الصابون**: قدور مملوءة بالصابون اللين، أو السدر والخطمة المخلوطين بدق الصابون، ترمى على الأعداء فينزلق بها الجند[٤].

٨- **قدور الإيذاء**: قدور مملوءة بالحيات والعقارب والحشرات المؤذية ترمى على العدو.

٩- **النفط**: مركب من مواد شديدة الالتهاب، وسريعة الاحتراق كالقطران والراتينج[٥]، والزفت، والكبريت ونحوها، يرمى به العدو بواسطة السهام والمجانيق، فتحرق مراكبه[٦].

---

(١) الجير هو المادة المتبقية بعد تسخين الحجر الجيري تسخينًا شديدًا، وبعد خروج بعض مكوناته. انظر المعجم الوسيط، ج٢ ص٧٩٥.

(٢) عنصر شبيه بالفلزات، له بريق الصلب ولونه، مركباته سامة، يستخدم في قتل الحشرات. انظر المرجع السابق، ج١ ص٣٩٣.

(٣) انظر الحسن بن عبدالله، المصدر السابق، ص١٩٦؛ وانظر الخولي، المرجع السابق، ص٩٨.

(٤) انظر المصادر والمراجع السابقة.

(٥) مادة تخرج من أشجار كثيرة وغالبًا ما تكون مختلطة بالصموغ والزيوت. انظر المعجم الوسيط، ج١ ص٣١٩.

(٦) انظر الحسن بن عبدالله، المصدر السابق؛ وانظر الخولي، المرجع السابق.

كما يتم طلاء السفن والمراكب بالمواد الواقية والمقاومة للنفط[1].

تلك هي أبرز الأسلحة ومصادرها لدى المسلمين، الذين لم يتوقفوا في يوم من الأيام عن البحث عن كل جديد من الأسلحة، فعملوا على اقتناء كل سلاح، وطرقوا كل وسيلة لأجل توفير الأسلحة لجيشهم، ولأجل إرهاب أعداء الإسلام كما أُمروا بذلك، فالتأخر في مجال التسليح، وتفوق الأعداء في الأسلحة مخالفة صريحة لأمر الله تعالى.

وكل ذلك اقترن بعلو راية الجهاد في سبيل الله، حيث إن التسليح الجيد، أحد مقومات الجهاد الأساسية. فالفترات الزمنية التي ارتفعت فيها راية الجهاد، شهدت تفوق المسلمين في مجال التسليح، حيث كانت الدولة الإسلامية تعنى بتوفير الأسلحة والإنفاق على الجند والحملات العسكرية، فتوافر للمسلمين في تلك الفترات كثير من الأسلحة المادية التي أرهبوا بها الأعداء.

أما في الفترات الزمنية التي أهمل فيها المسلمون الجهاد، فقد صاحب ذلك عدم العناية بتوفير الأسلحة، والاقتناع بما تيسر منها، رغم عدم تأثيره وقلة مفعوله. ونتج عن ذلك تفوق الأعداء والرهبة منهم.

---

(١) انظر الخولي، المرجع السابق، ص٩٩؛ وانظر فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ج٢ ص٣٧٢.

المطلب الثاني

التدريب

السلاح يفقد قيمته عند عدم استعماله، واستعماله عشوائيًا يجعل نتائج استعماله عكسية، فربما أصاب الجندي نفسه أو أحد زملائه، أو عطل السلاح بتخريبه، وربما استخدمه في غير وجهته الصحيحة، والاستعمال الكافي الشافي للسلاح، لا يكون إلا بعد تدريب جاد ومستمر، والجندي الناجح هو الواثق من سلاحه، ولا يثق فيه إلا بعد ممارسة وتدريب ومعرفة لأصول الاستخدام، لذا فالجيوش لا تقوم بغير تدريب، مهما توافر لها من الأسلحة المتطورة، فالجندي هو السلاح الأول، والعامل الرئيس في جلب النصر بعد الله سبحانه وتعالى، فالسلاح لا يجلب النصر، بل يبقى ناقصًا غير فاعل ما لم يستخدم بحذق وحرفة وبالتدريب يستطيع الجندي تنمية قدراته القتالية، وتنمية ما لديه من مواهب البحث والابتكار والتطوير[1].

والغاية من التدريب على السلاح هي كما حددها المقدم ركن درع/ حازم إبراهيم عارف:

١- الاستخدام الأمثل للأسلحة والمعدات المستخدمة في القتال.

٢- التدريب على أساليب سياقات الانفتاح وطرق الاشتباك بالعدو بصفحات الحرب كافة.

---

(١) انظر حازم عارف، الجيش العربي الإسلامي، ص٨٤.

٣- تدريب الجندي والضابط عسكريًا وعقائديًا.

٤- خلق وإبداع الطرق والوسائل الكفيلة بإحباط تخطيط العدو على مستوى الفكر والتسليح.

٥- التأكد من صلاحية وواقعية الخطط الموضوعة لأغراض التدريب[١].

والتدريب العسكري يجعل الجندي يشتاق إلى الدخول في المعركة لثقته بنفسه، وبسلاحه، وليطبق ما عرف من خطط وتحركات عسكرية خلال التدريب.

ولقد اهتم الإسلام بالتدريب على السلاح، وحث على ذلك بإبراز فوائده وفضائله، فهو أحد عوامل إعداد القوة المأمورة بها، وأحد وسائل رفع الكفاءة القتالية للجيش الإسلامي والجندي المسلم. وبه يحافظ الجيش على أهبته الدائمة، واستعداده المستمر لمواجهة العدو، فقد أمر بأخذ الحيطة والحذر في كل وقت، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿. . . **وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَيْلَةً وَاحِدَةً** . . .﴾[٣].

والتدريب العسكري ينقسم إلى قسمين:

١- تدريب فردي. ٢- وتدريب جماعي.

فالتدريب الفردي: يعني تدريب الجندي على الاستخدام الأمثل للسلاح وإعداده بدنيًا لذلك.

---

(١) المرجع السابق، ص٨٤-٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٧١.

(٣) سورة النساء، الآية ١٠٢.

والتدريب الجماعي: يعني المناورات التي يقيمها الجيش للجند كافة، وعلى جميع الأسلحة المتوافرة، والخطط الممكنة، أو التدريبات التي تقوم بها بعض الوحدات والفرق لأفرادها.

ولما كانت الأسلحة المستخدمة في الجيش الإسلامي متعددة، كان لزامًا التمرن على كل سلاح متوافر في جميع الظروف المناخية والطبيعية، وتقسيم الجيش إلى فرق متعددة، لكل فرقة سلاح معين، يكون التركيز عليه خلال التدريب؛ لتجيده ولتتقن استعماله أكثر من غيرها، فالجند يتفاوتون في قدراتهم ومواهبهم القتالية، فمن يجيد الرمي، ربما لا يجيد الطعن والضرب بالسيف، ومن يجيد قيادة الطيارة ربما لا يجيد توجيه صاروخ إلى موقع العدو، ونحو ذلك من الأعمال المتعددة.

لذا فقد تعددت فرق الجيش الإسلامي تبعًا لنوع السلاح، أو المهمة الموكلة إلى كل جندي، فمن هذه الفرق مثلًا:

سلاح المشاة:

كان المشاة عماد الجيش الإسلامي في عهد الرسول ﷺ، وفقد قاموا بدور بارز في المعارك الإسلامية الأولى، حيث كانوا يخرجون من المدينة باتجاه عدوهم يحملون أسلحتهم وأمتعتهم، فيباشرون القتال، ويلتحمون مع الأعداء، ويطاردونهم في حال الهزيمة، وكانوا يستخدمون أسلحة القوس والسيف والحربة والخنجر ونحوها من الأسلحة الخفيفة. وقد تعاهدهم الرسول ﷺ بالتدريب، فكثيرًا ما حثهم عليه، وبين لهم الوسائل المباحة في ذلك، دلهم على الرياضة البدنية لتقوية أجسامهم، ولتعويدها على التحمل، ووجههم إلى المسابقة على الأقدام كأحد التدريبات الفردية[1].

---

(١) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني في الباب الأول.

فاللياقة البدنية، وقوة التحمل، سلاحان يحتاجهما المقاتل دائماً، فقد يضطر إلى الجري على الأقدام طلبًا لعدوه، أو هربًا منه، كما حدث عندما أُخذت لقاح رسول الله ﷺ ، فقد لحق بهم سلمة بن الأكوع جريًا على قدميه، واستطاع لحسن لياقته، وكمال إعداده البدني اللحاق بهم وتخليص لقاح رسول الله ﷺ قبل أن يلحق به المسلمون، فقال ﷺ مادحا صنيع سلمة، ومبديًا إعجابه بقدرته على التحمل، واستعداده المتواصل للجهاد: «. . . **خير رجَّالَتِنا سلمة**»[١].

كما وجههم ﷺ إلى تعلم الرمي والتدريب عليه[٢] كسلاح يستخدمه الجندي، فبين لهم شرفه وعظيم مصلحته وعمومها؛ فبه يقاتل الجندي القريب والبعيد، في الفلاة والبلاد[٣]، في الحصون والمراكب والقلاع قال ﷺ: حاثًا على التدريب على الرمي: «**عليكم بالرمي، فإنه من خير لعبكم**»[٤].

وحذر من تركه، لخطورة ذلك على الأمة المجاهدة، فقال ﷺ: «**من علم الرمي ثم تركه، فليس منا، أو قد عصى**»[٥]، وترك الرمي يعني ترك التدريب عليه، الذي يعتبر طريقًا إلى المحافظة والإبداع فيه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٤ ص٥١، ٥٣، ٥٤.

(٢) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني في الباب الأول.

(٣) انظر ابن عبدالسلام، أحكام الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، ص٧١.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص١٦٨، رقم الحديث (٥٥٢٥).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

فكان جند المسلمين يتعاهدون الرمي، ويداومون على التدريب عليه كلما سنحت لهم بذلك فرصة، فقد كان نفر من الأنصار يصلون المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم ينصرفون إلى منازلهم، وفي أثناء ذلك كانوا يتمرنون على الرمي[1]، قال عبدالله بن عمرو بن العاص[2]: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلًا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل . . .»[3]، أي يتدرب على الرمي، مما يدل على حرص الصحابة على التدريب كلما سنحت لهم بذلك فرصة.

ولقد أشار ﷺ إلى ضرورة الاهتمام بالرمي، وبين أنه سيكون مطلبًا ضروريًّا للجيش الإسلامي، فهم مقبلون على جهاد أعداء أكثر منهم إجادة للرمي، قال ﷺ: «**ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**»[4].

ومن أسلحة المشاة في عهد رسول الله ﷺ: القوس، والحربة والخنجر، والسيف، وقد كانوا يتمرنون عليها. ثبت أن السودان كانوا يلعبون بالحراب والدرق أمام رسول الله ﷺ[5]، ولم يكن ذلك مجرد لعب، بل فيه تدريب واستعداد للعدو[6].

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد، ج٤ ص٣٦.

(٢) تقدم نسبه عند الترجمة لوالده -أبو محمد-، ويقال أبو عبدالرحمن، كان اسمه العاص فأبدله الرسول ﷺ إلى عبدالله، أسلم قبل أبيه، عمي في آخر عمره، مات بالشام سنة خمس وستين، وقيل مات بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل مات سنة ثمان أو تسع وستين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٣٤٣-٣٤٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء . . .

(٤) المصدر السابق، باب فضل الرمي والحث عليه.

(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٨١.

(٦) انظر الشوكاني، نيل الأوطار، ج٨ ص٢٥٧.

وكان ﷺ يستعمل على مشاة الجيش قائدًا يشرف عليهم أثناء المعركة ففي بدر استعمل قيس بن أبي صعصعة[1] على مشاة الجيش الإسلامي[2]، فكان يعمل على تنفيذ توجيهات الرسول ﷺ، ويبلغها للجند. فالرسول ﷺ كان يوجه جنده إلى الطريقة المثلى في استخدام السلاح ويذكرهم بها قبل القتال، ففي بدر نهى الرسول ﷺ جنده عن سل السيوف قبل الاختلاط بالعدو، فبريق السيف حينما يسل يثير الفزع والخوف[3]، لذا أمر ﷺ بعدم سلها إلا عند الاقتراب والاختلاط بالعدو؛ ليكون أول ما يقع بصر العدو على المسلمين وهم يسلون سيوفهم، قال ﷺ: «**لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم**»[4].

ومن آثار التدريب الجيد ما حدث لسلمة بن الأكوع عندما خرج في طلب لقاح رسول الله ﷺ على قدميه، وكان معه سلاحه الشخصي القوس والسيف، ورغم ذلك استطاع اللحاق بالإبل وتخليصها من المشركين[5] ولم يكن للسلاح الذي معه أثر في إعاقته، لتدربه على حمله والجري به.

فكان التدريب البدني للجسم، والتدريب على الأسلحة المختلفة موضع اهتمام الرسول ﷺ فلم يغفل عن تعاهد وتوجيه جنده إلى ذلك.

---

(١) اسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري، شهد العقبة، قتل يوم اليمامة شهيدًا. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٢٤١.

(٢) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٦.

(٣) انظر الشيباني، شرح السير الكبير، ج١ ص٥٨-٥٩.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في سل السيوف عند اللقاء.

(٥) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها؛ وانظر مسند الإمام أحمد، المصدر السابق، ج٤ ص٥٢.

وكان ذلك منهجًا تعاهد به الولاة والقادة جندهم، فحثوهم على المداومة على التدريب، كتب عمر إلى خليفته بالشام قائلًا له: «انظر من قبلك فمرهم فلينتعلوا وليحفوا . . .»[1]، وذلك تدريبًا لهم على المشي بالنعال أحيانًا، وبدونها أحيانًا أخرى، ليتعودوا الأمرين، فلا يعتادوا أحدهما فيضطروا إلى الآخر في المعركة فلا يقدروا عليه، ولا على تحمله. وقال رضي الله عنه لأهل أذربيجان[2]: «اتزروا وارتدوا، وانتعلوا، وألقوا الخفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم بثياب أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعم وزي العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، وتمعددوا واخشوشنوا، واخلولقوا، واقطعوا الركب، وانزوا على الخيل نزوًا، وارتموا الأغراض»[3].

وذلك توجيهًا منه رضي الله عنه لمشاة الجيش الإسلامي خاصة وللجند عامة، فتدريب الجندي في مختلف الظروف، عامل يساعده على القتال فيها، فتعود الأرجل على السير في الحر والبرد، والجسم على حياة التقشف والخشونة، أمور قد يحتاجها الجندي أثناء المعركة، كما أنها عوامل تزيد من صلابة جسم الجندي، وقدرته على التحمل والصبر على الشدائد[4].

وحثهم على الرمي، والعناية بالتمرين عليه، وأن يكون الهدف منه

---

(١) الشيباني، شرح السير الكبير، ج١، ص٥٦.

(٢) إقليم واسع ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وفيها خيرات واسعة وفواكه جمة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص١٢٨.

(٣) ابن القيم، الفروسية ص١٥، وانظر ابن قتيبة، عيون الأخبار ج١ ص١٣٢.

(٤) انظر ابن القيم، المصدر السابق، ص١٦.

الإصابة لا البعد[1]، وقال لهم حاثًّا ومذكرًا لهم بمدى تأثير الحذق فيه على المقاتل والجيش: (لن تخور قوىً ما كان صاحبها ينزع وينزو على الخيل)، أي ينزع في القوس، وينزو على الخيل[2].

سلاح الخيالة:

ساير المسلمون العصر الذي يعيشون فيه، فكانوا يبذلون جهدهم من أجل الأخذ بأسباب التطور في العدد والعتاد، والبحث عن أوجه الضعف لديهم للعمل على تقويتها، ففي بداية عصر الدولة الإسلامية، كان المسلمون في قلة من الفرسان، ولاحظ ذلك الرسول ﷺ بنظرته العسكرية للمستقبل، وتقديره للموقف العسكري العام المحيط بالمسلمين، فعمل على زيادة الفرسان في جيش المسلمين، من خلال الحث على اقتنائها وبيان الفضل الكبير في ذلك[3]، فقال ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم**»[4]. كما جعل ﷺ للفارس نصيبًا وافرًا من الغنيمة، فجعل له ثلاثة أسهم، سهمين للفرس، وسهماً لصاحبه[5].

فاهتم المسلمون باقتناء الخيل رغبة بما فيها من الأجرين الدنيوي والأخروي، وزاد عددها في الجيش الإسلامي مع اتساع رقعة الإسلام، حتى بلغ عدد الفرسان في جيش المسلمين المتوجه إلى تبوك

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص١٣٣.

(٣) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني في الباب الأول.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٤٣.

(٥) انظر المصدر السابق، باب ٤٣؛ وانظر مسلم، كتاب الجهاد، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين.

عشرة آلاف فارس[1]، فأصبحت قوة الفرسان قوة رئيسة تضاهي القوات المجاورة للمسلمين.

وحث الرسول ﷺ على تدريب الخيل والتدرب عليها، ووجه إلى ذلك، حيث حصر السباق الجائز في الأعمال الجهادية التي منها الركوب فقال ﷺ: «**لا سبق إلا في خف أو حافرٍ أو نصل**»[2]. وكان ﷺ يجري السباق بين الخيل، والإبل[3]. فقد سابق ﷺ بين الخيل المضمرة والخيل التي لم تضمر، وجعل لكل صنف مسافة معينة، فالتي ضمرت جرت مسافة خمسة أميال، وقيل ستة، من الحيفاء[4] إلى ثنية الوداع[5]، والتي لم تضمر جرت ميلًا واحدًا من الثنية إلى مسجد بني زريق[6]، ولإدخال عنصر المنافسة والجدية في السباق، فقد جعل ﷺ للسابق جعلًا أعطاه إياه بعد نهاية السباق. قال ابن عمر[7]: «سبق ﷺ بين الخيل، وأعطى السابق»[8].

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج٣ ص١٠٠٢؛ وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ ص٢١٦.

(٢) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٧٤٧، رقم الحديث (٩٨٨٨)؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السبق.

(٣) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني في الباب الأول.

(٤) موضع بالمدينة، انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٣٣٢.

(٥) ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يرد مكة. انظر المصدر السابق، ص٨٦.

(٦) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٥٧؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها.

(٧) عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبدالرحمن، ولد سنة ثلاث من البعثة، أسلم مع أبيه، هاجر وهو ابن عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة، مات سنة أربع وثمانين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٣٣٨.

(٨) إسناده صحيح. مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، ج٨ ص٤١.

وقد كانت الخيل تعرض على رسول الله ﷺ في المكان المخصص لتدريبها خارج المدينة (الحمى)، فقد صح أنه ﷺ حمى النقيع لخيل المسلمين[1].

ويتم التدريب على الخيل وهي عري بدون سرج[2]؛ ليكون المقاتل قادرًا على ركوب الخيل في مختلف الأحوال، فقد يضطره العدو إلى ركوب الخيل بدون سرج، فإذا لم يكن متدربًا على ذلك فقد يقع في يد العدو

لما فزع أهل المدينة ذات مرة، خرج ﷺ على فرس لأبي طلحة وركبه بدون سرج[3]، فالموقف لم يكن يحتمل الانتظار حتى تعليق السرج. والركوب على الخيل وهي عري دليل على إحكام الراكب للفروسية وبلوغه أعلى مراتبها[4]. فإذا تفرس على الخيل عريانًا ومسرجة، تدرب عليها ومعه سلاحه الذي يستخدمه خلال المعركة؛ ليكون سهل الحمل والحركة، غير شاق ولا عائق له. فقد كان السيف في عنق الرسول ﷺ عند خروجه على فرس أبي طلحة[5]، ولم يعقه ذلك عن اللحاق بالعدو.

وكان ﷺ يزرع في قلوب جنده الرغبة في التفرس، والحرص على التدريب، وليبلغ الفرد منهم أعلى مراتب الفروسية، فقد كان ﷺ يمدح الفارس الذي يظهر براعة في القتال، ففي إحدى الغزوات قال ﷺ:

---

(١) انظر البخاري، كتاب المساقاة، باب ١١.

(٢) انظر ابن هذيل، حلية الفرسان، ص١٣١.

(٣) انظر البخاري، كتاب الجهاد، باب ٥٤، ٨٢.

(٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٧٠.

(٥) انظر البخاري، المصدر السابق.

«**خير فرساننا اليوم أبو قتادة**[1]»[2]، نظرًا لما أبداه من مهارة قتالية، تنم عن تدريب جيد.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعنى بتدريب خيل المسلمين وفرسانهم، فكان يشرف على التدريبات التي تجري في الحمى، فقد صح أنه حمى السرف[3] والربذة[4] للخيل[5]، فكان يشهد العروض العسكرية التي تقام بها، ويصحب معه نعات الخيل، فيفرق بين عتيقها والهجين ويتم فحصها طبيًّا لمداواتها وتسييسها[6].

كما جعل في كل مصر من الأمصار الثمانية قوات للطوارئ، وعين لها متخصصين في التدريب يتعاهدون الخيل والفرسان بالتدريب الجيد والتهيؤ المستمر، فكان على خيل الكوفة: سلمان بن ربيعة

---

(١) ابن ربعي الأنصاري واسمه الحارث، وقيل النعمان، وقيل عمرو، أبوه ربعي ابن بلدهة بن خناس بن عبيد بن غنم بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي، اشتهر بكنيته، اختلف في شهوده بدرًا، وشهد أحدًا وما بعدها، كان يقال له فارس رسول الله ﷺ، مات سنة أربعين، وقيل مات بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقيل مات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص١٥٧-١٥٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها.

(٣) موضع على ستة أميال من مكة، وقيل سبعة، وقيل تسعة، وقيل اثنى عشر. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٢١٢.

(٤) من قرى المدينة على ثلاثة أميال من ذات عرق باتجاه المدينة. انظر المصدر السابق، ص٢٤١.

(٥) انظر البخاري، كتاب المساقاة، باب ١١.

(٦) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٥٥؛ وانظر عون، الفن الحربي، ص١٢٤؛ وانظر صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص٤٩٣-٤٩٤.

الباهلي[1] وعلى خيل البصرة: جزء[2] بن معاوية[3].

وكان رضي الله عنه يتعاهد قادة الجيوش الإسلامية، ويذكرهم بضرورة تأديب الخيل[4].

وقد أجريت الخيل في عهده أكثر من مرة، فقد سابق بينها سعد بن أبي وقاص في العراق[5]، وعمرو بن العاص في مصر[6].

واستمر اهتمام الولاة والقادة بالخيل والفرسان وتعاهدهم بالتدريب الجيد والمستمر، ففي عهد الحجاج بن يوسف أجريت الخيل أكثر من مرة[7]، وفي عهد السلطان مراد، نظم العثمانيون فرق خيالة الجيش الإسلامي على نظام جديد، يكفل استمرارية استعدادهم الدائم، وكانت فرق الخيالة في الجيش العثماني تسمى (سيباه) أي الفارس[8].

---

(١) ابن يزيد بن عمرو بن سهم بن ثعلبة الباهلي، أبو عبدالله، ويقال أبو عمرو، يقال له سلمان الخيل، شهد فتوح الشام، ثم سكن العراق، وولي غزو أرمينية في زمن عثمان، وكان رجلًا صالحًا يحج كل سنة، استشهد قبل الثلاثين، وقيل بعدها. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٥٩.

(٢) ابن حصن بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي، عم الأحنف بن قيس، كان عامل عمر على الأهواز، عاش إلى أن ولي لزياد بعض عمله. انظر المصدر السابق، ج١ ص٢٣٦.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٥٢.

(٤) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٣٢؛ وانظر ابن الجوزي، مناقب عمر، ص١٣٢، وانظر الشيباني، شرح السير الكبير، ج١ ص٥٦.

(٥) انظر ابن هذيل، حلية الفرسان، ص١٤٣.

(٦) انظر ابن الجوزي، المصدر السابق، ص٩٩.

(٧) انظر سنن الدارمي، كتاب الجهاد، باب في رهان الخيل.

(٨) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية. ص١٣٢.

سلاح المدرعات:

استخدم المسلمون الناقلات المدرعة لحماية الجند من ضربات الأعداء ونقلهم إلى مواقعهم، الهجومية ففي حصار المسلمين للطائف، ركب مجموعة من الجند في دبابة، ثم زحفوا بها إلى الحصن ليهدموه[1]، إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك؛ لعدم إتقانهم استخدام الدبابة.

فكان لا بد من تدريب فرقة من الجيش الإسلامي على قيادة الأسلحة المدرعة، والقتال منها؛ لتحقق الهدف المرجو من استخدامها.

سلاح المدفعية:

الآلات القاذفة بعيدة المدى كانت معروفة في الجيش الإسلامي في عهد الرسول ﷺ، فقد نصب المنجنيق في حصار خيبر[2]، ورمي به لأول مرة في حصار الطائف[3].

ويعتبر الرمي بالمنجنيق وبما شابهه من الأسلحة التي تصدر منها الطلقات القاتلة والمدمرة باتجاه العدو، كالدبابة والمدفع والصاروخ والطيارة ونحوها، من الرمي المأمور به، والذي حث على تعلمه الرسول ﷺ وجعله من القوة التي ترهب العدو، فقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[4]، بقوله: «**ألا إن القوة الرمي**،

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج٣ ص٩٢٧- ٩٢٨؛ وانظر ابن هشام؛ السيرة النبوية ج٤ ص٩٤.

(٢) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٢ ص٦٤٨.

(٣) انظر المصدر السابق، ج٣ ص٩٢٧-٩٢٨؛ وانظر ابن هشام، المصدر السابق.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[1]، فالتدريب على الآلات القاذفة، والمدرعة وما في حكمها من الأسلحة القديمة والحديثة، داخل في إعداد القوة المأمور بها، وتدريب فئة من الجند على استخدام تلك الإسلحة، عامل مساعد على إتقان استعمالها، والاستفادة منها الاستفادة المرجوة والمأمولة.

ففي غزوة أحد جعل الرسول ﷺ الرماة فرقة مستقلة، لها مهمتها الموكلة إليها، وقائدها الموجه لها[2]، وفي ذلك توجيه إلى إيكال كل مهمة قتالية لمن هو أمهر فيها، وغالبًا ما تكون المهارة من آثار التدريب المتواصل على السلاح.

فيجب توجيه كل جندي عند التدريب، لما يناسبه من سلاح؛ ليكون فيه أكثر مهارة وإبداعًا من غيره.

سلاح الصيانة:

العناية بالسلاح وصيانته مطلب أساسي لاستمرار صلاحيته، وتعاهده (بالمسح، والدهان، والصقل، والجلاء، والشحذ، والتثقيف)[3] يجعله صالحًا للاستعمال في كل وقت.

وقد حث النبي ﷺ على الاعتناء بالسلاح وتفقده وصيانته عما يؤثر فيه، فنهى أن ينزي الحمار على الفرس[4]، حفاظًا على أصالته، وأمر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه . . .

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ١٧.

(٣) فرج غيث، غاية الإرشاد، ص٨١.

(٤) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في كراهية أن ينزي الحمر على الخيل.

بتعاهد نواصي الخيل بالمسح، قال ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، فامسحوا بنواصيها** ...»(١)، لأن ذلك موجب لقوتها وسمنها(٢).

وباشر ﷺ الصيانة بنفسه، حيث قام بمسح وجه فرسه وعنقه بطرف ردائه(٣).

كما باشرها الصحابة رضي الله عنهم، ففي أحد انكسرت قوس رسول الله ﷺ، فقام عكاشة بن محصن(٤) بإصلاحها(٥)، كما عمد أبودجانة إلى حد سيفه بالحجارة بعد أن ضعف وخاف أن لا يؤثر في الأعداء(٦).

كما كلفوا غيرهم للقيام بذلك، فبعد أحد ناول علي بن أبي طالب سيفه إلى فاطمة وأمرها بغسله(٧). وقال سلمة بن الأكوع: «كنت تبيعًا لطلحة بن عبيد الله، أسقي فرسه، وأحسه(٨) وأخدمه ...»(٩)، فكان

---

(١) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٦٤٠، رقم الحديث (٤١٥٩).

(٢) انظر السهارنفوري، بذل المجهود، ج١٢ ص٥٢.

(٣) انظر مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها، والنفقة في الغزو.

(٤) ابن حرثان بن قيس بن مرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي من السابقين الأولين إلى الإسلام، شهد بدرًا، وشهد له بالجنة مع السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، استشهد في قتال أهل الردة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٤٨٧-٤٨٨.

(٥) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٤٢.

(٦) انظر المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٧) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٤٣.

(٨) الحس: نفض الغبار عن الدابة. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢ ص٢١٤.

(٩) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها.

يقوم على خدمته وإعداد سلاحه، وصيانته، وإزالة ما يعلق بظهر الفرس من غبار ونحوه.

وفي حصار خيبر غنم المسلمون منجنيقًا مفككًا، فقاموا بصيانته وإصلاحه وتهيئته للرمي[1].

كما صح أن النبي ﷺ كان يضمر الخيل[2]، وتضميرها يعني (تقليل العلف مدة، وإدخالها بيتًا كنينًا، وتجليلها فيه لتعرق، وتجفيف عرقها فتصلب ويخف لحمها، وتقوى على الجري)[3]، وفي ذلك صيانة لها عما يؤثر فيها، ويجعلها غير قادرة على أداء دورها على الوجه المطلوب.

سلاح النقل:

يحتاج الجند إلى وسيلة نقل خلال تحركاتهم وتنقلاتهم ، تحملهم وتحمل لهم المتاع والسلاح؛ ليواجهوا العدو دون أن يؤثر عليهم السفر، وفي العصور الإسلامية الأولى كانت وسائل النقل الخيل والإبل. ولما كانت الخيل تركب أثناء المعركة، حيث خفة الحركة وسرعتها، فقد كان الاعتماد كثيرًا على الإبل في ذلك. وقد عني الرسول ﷺ بتدريبها، فكان السباق بين الإبل من الأعمال الجائزة، التي حصر فيها السباق، قال ﷺ: **«لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل»**[4].

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٤٨.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٣٨٤، رقم الحديث (٧٠٨٤)؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٢ ص٨٦.

(٣) عبدالله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي، كتاب الخيل، تحقيق: محمد العربي الخطابي، ص١٤٧.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، المصدر السابق، ص٧٤٧، رقم الحديث (٩٨٨٨).

وسابق ﷺ على ناقته العضباء أعرابيًّا على قعود له[1] بحضور المسلمين.

ففي إجراء السباق بين الإبل إعداد وتدريب لها على عبور المسافات الطويلة، وحمل المتاع والرجال والسلاح.

كما كان عمر رضي الله عنه يُعِد الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله فكان يتعاهدها بما يصلحها ويقويها[2]. وعندما خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه من العين[3] متوجهًا إلى المصيخ[4]، قاد الخيل وركب الإبل[5]؛ ليريح بذلك الخيل، وليجعلها أكثر استعدادًا للمعركة. وفي عهد سيف الدولة الحمداني كانت ظهور الإبل أداة التنقل للجيش الإسلامي[6]، مما يدل على استمرارية الاعتماد على الإبل كوسيلة نقل للجند ولمعداتهم القتالية.

سلاح المهندسين:

أثناء العمليات الحربية تتطلب ظروف المعركة القيام ببعض الأعمال الهندسية التي تيسر لجيش المسلمين مهمته القتالية، أو الدفاعية، كحفر الخنادق، أو ردمها، وبناء الأسوار والحصون، أو هدمها، وحفر الآبار أو ردمها، وشق الطرق، وإزالة الحسك الشائك أو زراعته، وإزالة

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٥٩.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣ ص٣٠٧.

(٣) عين التمرة بالعراق. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١٧٤-١٧٥.

(٤) مصيخ بني البرشاء، وهو ماء بين حورات والقلت. كانت به وقعة هائلة بين خالد ابن الوليد وبني تغلب. انظر المصدر السابق، ج٥ ص١٤٤.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٨١.

(٦) انظر مصطفى الشكعة، سيف الدولة الحمداني، ص١١٥.

الثلوج عن الطريق ونحو ذلك من الأعمال، ووجود فرقة من الجيش الإسلامي تختص بمثل هذه الأعمال، يجعل من تنفيذها أكثر سهولة وإحكامًا.

ففي بدر قامت فرقة من الجيش الإسلامي بردم الآبار الموجودة في المنطقة[1]؛ لأن الموقف العسكري، والخطة المعتمدة للمعركة، تتطلب ذلك العمل، حيث حرمان قريش من الماء.

ولما تحزب المشركون ضد المسلمين، وساروا إلى المدينة، رأى الرسول ﷺ والمسلمون أن أفضل خطة للدفاع عن أنفسهم، القيام بحفر خندق حول معسكرهم؛ لمنع المشركين من الوصول إليهم، فقام بذلك المسلمون أجمع[2].

وفي حصار الطائف، أمر الرسول ﷺ فرقة من الجيش الإسلامي بزراعة الحسك حول حصن أهل الطائف[3]. ولما حاصر خالد بن الوليد الأنبار[4] وكانوا قد خندقوا حول مدينتهم، أمر فرقة من الجيش الإسلامي بردم أضيق مكان في الخندق[5]؛ ليتمكن المسلمون من العبور باتجاه الأعداء.

وكان القادة يأخذون معهم الفعلة[6] لإعداد الجسور على الأنهار

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٥٣؛ وانظر ابن عبد البر، الدرر، ص١٠٦.

(٢) انظر المصادر السابقة، ج٢ ص٤٤٥؛ وانظر ص١٩١.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ج٣ ص٩٢٧ وانظر ابن سعد الطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٨.

(٤) مدينة قرب بلخ ناحية جوزجان. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٢٥٧.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٧٤؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٦٩.

(٦) عمال الحفر والطين ونحوه. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص٣٢.

وقطع الأشجار، وإصلاح الطرق، وهدم الحصون[1]، ونحو ذلك من الأعمال التي تسهم في تسيير حركة الجيش الإسلامي.

عندما سار المعتصم في اتجاه عمورية حمل معه الحدادين للقيام بالأعمال الهندسية التي يحتاجها الجيش[2]. وكان مع صلاح الدين الأيوبي النقابون، فكانوا يقومون بنقب الأسوار وإشعال النيران فيها[3].

تلك من أبرز مهمات مهندسي الجيش الإسلامي، ولم يقتصر دورهم على ذلك، بل سايروا روح العصر، وقاموا بما أوكل إليهم من مهمات وأعمال استجدت مع مرور الأيام وتطور الأسلحة المستخدمة، فمنهم من تعلم العلوم العلمية والصناعية للقيام بتنفيذ الأعمال الفنية، كإعداد المواد الملتهبة والمتفجرة لإلقائها على الأعداء[4]، أو القيام بإبطال مفعولها في حال إلقائها على المسلمين.

ففي حصار الفرنج لعكا، وعندما قاموا بنصب الأبراج حول المدينة لقصفها، قام أحد مهندسي الجيش الإسلامي بتركيب المواد الملتهبة وإعدادها في قدور رمى بها المسلمون تلك الأبراج فأحرقوها[5].

ومن المهندسين من يتخصص في معرفة أطوال البلاد وعرضها، وسهولها وجبالها، وظروفها الجوية والطبيعية[6]، ونحو ذلك من الأعمال الضرورية التي يجب معرفتها لكل قائد عند وضع الخطة المناسبة لمواجهة الأعداء.

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٦ ص٤٣١، ٤٤٣، ٥٣٤؛ ج٩ ص٣٢، ٤٠-٤٣.
(٢) انظر المصدر السابق، ٧٥.
(٣) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩ ص١٤٧-١٤٨.
(٤) انظر فرج غيث، غاية الإرشاد، ص٨٦.
(٥) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٢٣٥.
(٦) انظر فرج غيث، المرجع السابق.

لما لم يستطع قتيبة بن مسلم الظفر بشيء من ملك بخارى[1]، كتب إليه الحجاج أن صور لي البلاد، فبعث إليه بصورتها، فلما شاهدها، كتب إليه بالخطة العسكرية التي يجب عليه اتباعها، ليتمكن من فتح تلك البلاد[2].

التدريب الجماعي:

(ويعني به: التدريب ضمن الوحدة العسكرية، من أصغر مستوى حتى أعلى مستوى، لتكون جميع الوحدات العسكرية قادرة على أداء واجبها في مختلف مراحل الحرب، منفردة، أو متعاونة مع الوحدات الأخرى)[3]، فيشترك في التمرين أكثر من جندي؛ لإجادة القتال الجماعي، أو التعود على استخدام سلاح معين، أو خطة معينة.

وقد أقيم في عهد الرسول ﷺ أكثر من تمرين لبعض أسلحة الجيش الإسلامي، فقد أقام نفر من بني أسلم في بطحان[4] تمرينًا جماعيًّا اشترك فيه الرماة منهم، واستمر التمرين ليوم واحد، وانتهى ليس لأحد على أحد فضل[5].

وأقام نفر من السودان تمرينًا لاستخدام الحراب والدرق في القتال شاهده الرسول ﷺ والمسلمون[6].

---

(١) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٣٥٣.
(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٤٠؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١١٠.
(٣) جمال يوسف الخلفات، بهاء الدين محمد أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص٣٦.
(٤) واد بالمدينة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٤٤٦.
(٥) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٧٨؛ وانظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص٢٢٢.
(٦) انظر البخاري، المصدر السابق، باب ٨١.

كما قام ﷺ بإجراء أكبر تمرين في عهده لفرسان المسلمين، حيث سابق بينهم، وحدد لهم المسافة، وعزل كل صنف وحده، فالخيل المضمرة من الحيفاء إلى ثنية الوداع، والتي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق[1].

وفي سرايا الرسول ﷺ التي كان يبثها نحو القبائل عمل تطبيقي لما تدربوا عليه من الأعمال الجهادية، والعسكرية، وتدريب لهم على تحمل المشاق والصبر على الشدائد، وتمرين على القتال الجماعي المشترك تحت قيادة واحدة.

أما أول تدريب جماعي لجميع أسلحة الجيش الإسلامي، فقد أقيم في عهد عمر رضي الله عنه، واشتركت فيه أربع فرق من جيش المسلمين[2].

وفي غزوات المسلمين الدائمة للروم والتي كانت تسمى الشواتي والصوائف أيضًا تدريب جماعي لجميع أصناف الجيش الإسلامي[3] وأسلحته.

الاحتياطات الأمنية عند التدريب:

التدريب غالبًا ما يستخدم فيه السلاح، وفي هذه الحالة يكون للإهمال فيه عواقب وخيمة، فقد يترتب على الأخطاء الناتجة عن الإهمال وقوع أضرار بأحد الجند، أو بالأسلحة المادية الأخرى للجيش؛ لذلك وجب الاحتراز والاحتياط عند التمرين.

---

(١) انظر المصدر السابق، باب ٥٧؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها.

(٢) انظر المبحث الثاني، من الفصل الثاني في الباب الأول.

(٣) انظر المبحث الثاني، من الفصل الثاني في الباب الأول.

وقد حذر ﷺ من الإهمال والتهاون في ذلك فقال: «**إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء**»[١].

كما حذر ﷺ من العبث والمزاح في ذلك فقال: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار**»[٢].

لذا وجب وضع الاحتياطات الأمنية اللازمة عند التدريب، والتي تضمن سلامة المتدربين ومعَداتهم، ووجب عدم التهاون في شيء من ذلك.

تلك نماذج حية لما تلقاه الجندي المسلم في مجال الإعداد البدني والمادي. ومنها يتبين لنا الحرص الكبير والمستمر على تدريب الجند على كل سلاح وإعدادهم إعدادًا بدنيًا يكفل قيامهم بالدور المطلوب منهم في المعركة بكفاءة عالية، وإتقان جيد. وهذا الحرص والجهد المبذول في ذلك يدل على أهمية اللياقة البدنية الجيدة للجندي، ودورها الفاعل في التأثير على سير المعركة، فكان الولاة والقادة لا يفترون عن تعاهد الجند بكل ما يزيدهم قوة وإبداعًا، يدفعهم إلى ذلك الاستجابة لأمر الإعداد الشامل الذي أمروا به، الأمر الذي جعل من الجيوش الإسلامية جيوشًا مميزة في تنظيمها وإعدادها، تقاتل في منتهى الدقة والإحكام، وتخضع لضبط عسكري مميز.

---

(١) مسلم، المصدر السابق، كتاب البر، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس، أن يمسك بنصالها.

(٢) البخاري، المصدر السابق، كتاب الفتن، باب ٧.

الفصل الرابع

الأساس الخلقي

مـدخل : أهمية الأخلاق الفردية والجماعية في الإسلام.

المبحث الأول: أخلاق الجندي وقت السلم والحرب.

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لأخلاق جنود الإسلام خلال التاريخ الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة.



مدخل

أهمية الأخلاق الفردية والجماعية في الإسلام

السلوك الإنساني القابل للحمد أو الذم، توجهه المبادئ والقيم التي يؤمن بها الفرد، حيث تظهر آثار تلك المبادئ والقيم على سلوكه وتصرفاته مع الآخرين، ويتأثر سلوكه بغاياتها السلمية والعدوانية، فهذا السلوك بمثابة التطبيق العملي لتلك المبادئ والقيم[١].

ولقد نظر الإسلام إلى الأخلاق نظرة عظيمة؛ لأن الإسلام أساس كل الفضائل والخصال الحميدة، التي يهدف منها إلى إيجاد المجتمع الفاضل وليرتفع الإنسان إلى مكانة عالية، تتفق وكرامته الإنسانية التي كرمه الله بها لذا فقد اهتم الإسلام بالأخلاق الكريمة، وربط بينها وبين أركان الإسلام.

يقول ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢]. وفي ذلك تحديد منه ﷺ للغاية الأولى من بعثته وهي تكميل الأخلاق[٣].

---

(١) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١ ص٧.

(٢) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٣٩٥، رقم الحديث(٢٥٨٤)؛ وانظر مسند الإمام أحمد،ج٢ ص٣٨١.

(٣) انظر محمد الغزالي، خلق المسلم، ص٧؛ وانظر الحسيني أبو فرحة، خصائص الأخلاق الإسلامية، محاضرة ألقيت على طلاب الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٤هـ.

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ قالت: «**كان خلقه القرآن**»[١] بـما اشتمل عليه من عقائد، وعبادات، وآداب وأخلاق، فكان ﷺ يعمل بما أمر به القرآن، ويقف عند حدود ما نهى عنه، يتأدب بآدابه، ويعتبر بمواعظه وقصصه وأمثاله، حتى صار سجية له وخلقًا تطبعه[٢]. قال تعالى مادحًا المصطفى ﷺ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٣].

وقد عُرِّفت الأخلاق الإسلامية بأنها: (عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم)[٤].

إذًا فالأخلاق الإسلامية مستمدة من الأسس العقدية الإسلامية التي جاء بها القرآن، والسنة النبوية المطهرة، وفي ذلك بيان لأهمية الأخلاق في الإسلام كتطبيق عملي تتمثل به مبادئه ومثله، وتتضح بها أهدافه وغاياته والنقص أو الخلل فيها دليل على ضعف الإيمان[٥]، فالإسلام يأمر بحسن الجوار ويحث عليه، قال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: من يا رسول الله؟، قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[٦]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦ ص٢٦؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٠٣.

(٣) سورة القلم، الآية٤.

(٤) أبو فرحة، محاضرة عن خصائص الأخلاق الإسلامية.

(٥) انظر محمد الغزالي، خلق المسلم، ص١٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٢٩.

فمن لا يتصف بسجية حسن الجوار، ففي إيمانه خلل، قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[1]، وقال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2].

ففيه ارتباط وثيق وجذري بين أسس الأخلاق وأسس الإيمان[3]، كما أن(ليس هناك أخلاق إسلامية منفصلة تقوم على الضمير أو تتشكل خارج الإسلام ككل)[4]، قال ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[5]. فتلك أخلاق سيئة يتصف صاحبها بالظلم المنافي لمبادئ ومثل الإسلام، والمحبط لعمله مهما كان.

كما أن الأخلاق الكريمة وقاية لكل مجتمع من الظلم والفساد ولقد ربى الرسول ﷺ صحابته الكرام على التحلي بمكارم الأخلاق

---

(١) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٢١٣، رقم الحديث(١٤٤٠)؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٢ ص٢٥٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان.

(٣) انظر حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١ ص١٨.

(٤) أنور الجندي، بماذا انتصر المسلمون، ص٦٢.

(٥) مسلم، المصدر السابق، كتاب البر، باب تحريم الظلم.

فكان ﷺ يتعاهد أصحابه بما نزل عليه من القرآن، فلا يتجاوزه المسلم حتى يتدبره[1]، فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويتأدب بآدابه. وكان يأمرهم ﷺ بمكارم الأخلاق، ويبين لهم قيمتها ومنزلة المتصف بها، ﷺ يقول لأصحابه: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا: يارسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»[2]. وقال ﷺ: «**إن من أخيركم أحسنكم خلقًا**»[3].

وما ذاك إلا لأن القرآن الكريم الذي هو خلق الأمة الإسلامية، ما من فضيلة إلا وقد أمر بها، وما من رذيلة إلا وقد نهى عنها، وظهور آثار تلك الأوامر والنواهي على أخلاقيات الفرد وتصرفاته، دليل على تمسكه بما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد يصل المسلم بحسن خلقه إلى درجة الصائم القائم. قال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم**»[4]؛ لذلك أصبح من أثقل الأعمال في الميزان قال ﷺ: «**ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء**»[5].

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد، ج٥ ص٤١٠.

(٢) حديث حسن غريب. سنن الترمذي، أبواب البر، باب ما جاء في معالي الأخلاق.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب٣٨.

(٤) حديث حسن، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٣٢١، رقم الحديث(٢٠٩٨).

(٥) حديث حسن صحيح. الترمذي، المصدر السابق، باب ما جاء في حسن الخلق.

وفي مقابل ذلك فإن سوء الخلق طبع لئيم، وذميم صاحبه، فالكذب والخيانة، والغدر والفجور، خصال سيئة اعتبرها ﷺ من العلامات الدالة على النفاق، قال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»(١).

كل ذلك الترغيب والترهيب من أجل أن تتحلى الأمة الإسلامية بالفضائل، وتبتعد عن الرذائل.

والأخلاق الإسلامية تنظر إلى الإنسان على أنه جزء لا يتجزأ من المجتمع، يبذل ما يقوي صلته به، ويبتعد عن كل قول أو فعل فيه ظلم للمجتمع أو اعتداء عليه، فيندمج في إطار الأخوة الإسلامية، ويبتعد عن الأنانية وحب الذات، وهو في سلوكه وتصرفاته واقع تحت رقابة الله تعالى(٢)، قال ﷺ: «**اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»(٣).

وقال تعالى مادحًا مقدمي المصلحة العامة على أنفسهم: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق.

(٢) انظر الإمام الطبراني، مكارم الأخلاق، تحقيق: فاروق حمادة، ص١٣-١٤.

(٣) حديث حسن صحيح. سنن الترمذي، أبواب البر، باب ما جاء في معاشرة الناس.

(٤) سورة الحشر، الآية ٩.

فالإيثار من الصفات الحميدة التي يتميز بها المجتمع الإسلامي وبذلك تسود المجتمع روح المحبة والتآلف.

وانفصال الفرد في أخلاقياته عن المجتمع، وبحثه عن مصلحته الخاصة، وبعده عن آلام وآمال أمته، يجعل من هذا المجتمع مجتمعًا وحشيًّا، تتمزق فيه أواصر المحبة، وروابط الألفة، وتنمو فيه بذور العداوة والشحناء.

فمن خلق الفرد يتكون الخلق العام للمجتمع كله، فهو أحد أفراده في الداخل، وممثليه في خارج دائرة المجتمع. فلا تقتصر المعاملة بالأخلاق الفاضلة بين أفراد المجتمع أو الأمة الإسلامية فقط، بل على الأمة والأفراد التحلي بأنبل الأخلاق في معاملة الأعداء، ومن هم خارج دائرة الأمة الإسلامية، فبتلك الأخلاق المتمثلة في سلوك المسلمين يرى الأعداء والكفار حقيقة الإسلام. قال تعالى: **﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . . .﴾**[2]، وقال ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه**»[3]. فالظلم خلق سيئ حتى مع الأعداء، وعاقبته لا تختلف باختلاف المظلوم.

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٨.

(٣) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٦٤٨، رقم الحديث (٤٢٠٤)؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٢ ص٣٦٧.

ولقد كان للأخلاق الإسلامية التي تميز بها جند الإسلام والمسلمين عن غيرهم من بني البشر في حربهم وسلمهم، في حياتهم العادية داخل المجتمع وخارجه، مع الأصدقاء ومع الأعداء، أثر كبير في إسلام كثير من الكفار، رغبة في تلك الخصال؛ لإيمانهم بأن الأخلاق تنم عن سماحة المعتقد وسلامته من الأغراض الدنيوية، وبحثه عما فيه الخير للإنسانية، ومن لم يدخل في هذا الدين رضي بأن يعيش تحت ظله.

ومن ذلك يتبين لنا مدى أهمية الأخلاق في الإسلام، ومدى خطورة الخلق السيئ على صاحبه. كما أنها عامل مهم في سبيل الدعوة والجهاد الإسلامي، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

المبحث الأول

أخلاق الجندي وقت السلم والحرب

أولًا: الوفاء:

احترام العهود والمواثيق والوفاء بها من الأخلاق التي تميز بها جند الإسلام عن غيرهم، حتى لو كان المعاهد ألد الأعداء لهم، قال تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾**[1].

وقال ﷺ محذرًا من عواقب الغدر، وعدم الوفاء حتى مع الكفار: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان**»[2].

فإذا كان بين المسلمين وبين عدوهم معاهدة وجب الوفاء بما تعاهدوا عليه، فإن خاف المسلم من عدوه الغدر والخيانة، وجب مصارحة العدو بمناقضة العهد ونبذه إليه. ولا يعتمد المسلم على الظن بأن عدوه قد خانه، فيقدم على مقاتلته، فقد يكون مصدر الظن غير صحيح، وفي ذلك

(١) سورة النحل، الآية ٩١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب في تحريم الغدر.

غدر بالعدو، بل يبعد ذلك الظن بإعلام العدو عن انتهاء المعاهدة، وذلك قبل أن يشد بأمر ضد عدوه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى لا يحب الخائنين ولو في حق الكفار[2].

وقال ﷺ: «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدًا، ولا يشدنهم حتى يمضي أمده، أو ينبذ إليهم على سواء**»[3].

فالغدر بمن له عهد عند المسلمين من أخطر الأعمال التي تؤدي بصاحبها إلى النار، قال ﷺ: «**من قتل معاهدًا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة**»[4]، أي من قتل صاحب عهد قبل أن ينقضي وقته، أو غاية أمره الذي لا يجوز فيه قتله[5].

وقد كان ﷺ يذكر جنده بتلك الخصال الحميدة، فكان كلما بعث سرية أو أمر أميرًا، أوصاهم بتقوى الله بأنفسهم وبإخوانهم، وحذرهم من نقض العهد[6]، فهم يقاتلون في سبيل الله الذي يأمر بالوفاء بالعهد.

وكان ﷺ مثلًا يحتذى به في الوفاء بالعهد، فقد عاهد يهود المدينة لما قدمها، ووفى بذلك رغم قدرته على التخلص منهم.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٨.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٣٢١.

(٣) حسن صحيح، سنن الترمذي، أبواب السير، باب ما جاء في الغدر.

(٤) حديث صحيح، السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٣٠، رقم الحديث (٨٩١٣).

(٥) انظر السهارنفوري، بذل المجهود، ج١٢ ص٣٨٤.

(٦) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

كما جعل ﷺ الأمان الصادر من أحد أفراد المسلمين أمانًا معتبرًا لدى المسلمين، حتى لو كان ذلك المسلم أدنى مرتبة فيهم، ففي عام الفتح جاءت أم هانئ[1] إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! زعم ابن أمي أنه قاتل رجلًا قد أجرته، فلان بن هبيرة، فقال ﷺ: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[2].

وقال ﷺ: «. . . **ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم** . . .»[3]. فمن أمن كافرًا ولو كان أدنى المسلمين مرتبة، حرم على غيره التعرض له[4].

فكان ذلك الذي سار عليه الخلفاء والقادة من عهد الرسول ﷺ. فهذا أبو بكر رضي الله عنه يحث الجند والقادة على التحلي والاتصاف بالوفاء، ويحذرهم من الغدر والخيانة[5]، فكان المسلمون يواجهون أعداءهم ويجدون منهم الشدة والقوة والبأس في القتال، ومع ذلك فإنهم إذا طلبوا الصلح أجابوهم إليه، ووفوا لهم به، رغم قدرة المسلمين على الظهور عليهم وأخذهم عنوة. بل لقد بلغ حرص المسلمين على الوفاء بالعهد، أنه لو أشار أحد جندهم إشارة فهِم منها العدو أن فيها أمانًا عند المسلمين، فإنهم يجرون ذلك مجرى الأمان. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه موصيًا جنده وقادته. وحاثًا إياهم على الوفاء بالعهد: « . . . فإن

---

(١) بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام الهاشمية، اسمها فاختة، وقيل فاطمة، وقيل هند، ابنة عم النبي ﷺ، لم تكن من المهاجرات، عاشت بعد علي. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص٤٧٩-٤٨٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٩٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج٩ ص١٤٤.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٢٦-٢٢٧؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٢٧.

لاعب أحد منكم أحدًا من العجم بأمان أو قرفة[1] بإشارة، أو بلسان، فكان لا يدري الأعجمي ما كلمه به، وكان عندهم أمانًا، فأجروا ذلك له مجرى الأمان. وإياكم والضحك، والوفاء الوفاء! فإن الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنكم، وقوة عدوكم، وذهاب ريحكم، وإقبال ريحهم. واعلموا أني أحذركم أن تكونوا شينًا[2] على المسلمين، وسببًا لتوهينهم»[3].

ولما أُسِر جابان، قائد الفرس في معركة النمارق[4]، خَدَع الجندي الذي أسره فأعطاه الجندي الأمان وأطلقه، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد قائد جيش المسلمين، وأشاروا عليه بقتله؛ لشدة عداوته للمسلمين، ولعظيم المصائب التي لحقت بهم من ورائه، إلا أنه رفض قتله. وأجرى له الأمان الذي عقده له أحد الجند، وقال: «إني أخاف الله أن أقتله، وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد، ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم»[5]، ولما قيل له: إنه الملك. قال: وإن كان، لا أغدر به، فتركه[6].

ولما حاصر صلاح الدين الكرك[7]، كانت زوجة رينو دي شايتون أحد

---

(١) قارف الشيء: أي قاربه وخالطه. انظر المعجم الوسيط، ج٢ ص٧٢٩.

(٢) الشين ضد الزين، والمشاين: المعايب. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص٢٤٣.

(٣) تاريخ الطبري، ج٣، ص٤٩٢-٤٩٣.

(٤) موضع قرب الكوفة. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص٣٠٤.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٦) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٩٩؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٢٧.

(٧) قرية في أصل جبل لبنان. انظر الحموي، المصدر السابق، ج٤ ص٤٥٢.

قادة الفرنج، وأشدهم عداوة للمسلمين، تحتفل بزواج ابنها، وطلبت من صلاح الدين أن يمنحها أمانًا لتكمل حفل الزواج. واستغل صلاح الدين ذلك الطلب ليُظهر مدى ما يتمتع به المسلمون من أخلاق عالية، فأمر رجاله بالكف عن القتال حتى يتم الانتهاء من الحفل، وسأل عن المكان الذي يقيم فيه العروسان لمنع جنده من توجيه ضرباتهم إليه، فوفى صلاح الدين بعهده وصانه، رغم المعاملة السيئة التي كان يظهرها دي شايتون إلا أن ذلك لم يمنع صلاح الدين من الوفاء؛ لأن ذلك خلقه وسجيته التي آمن بها، وتربى عليها، بغض النظر عن العوامل المحيطة به[1].

فكان الوفاء بالعهد سمة بارزة، وخلقًا تحلى به قادة الجيوش الإسلامية وجنودهم، ولم تكن الظروف المصاحبة لعقد الأمان سببًا للغدر أو الخيانة؛ لإيمانهم بأن الوفاء بالعهد واجب مهما كانت العواقب.

ثانيًا: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال:

قبل خوض المعركة يجب دعوة الأعداء إلى الإسلام، وليعلموا أن في إسلامهم كفًا عن القتال، وصيانة لدمائهم وأموالهم إلا بحقها، وأنهم بإسلامهم يكونون كالمسلمين لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، فإن لم يقبلوا بالإسلام، دعوا إلى الجزية وإلا فالقتال. وفي ذلك كرم إسلامي عظيم فليس هناك أمة في سابق العصور عاملت أعداءها كذلك، كما أنه إحسان إليهم، حيث يتوسل إليهم المسلمون رغبة في إخراجهم من الظلم

---

(١) انظر كتاب صلاح الدين الأيوبي بطل حطين، من سلسلة الكتب الصادرة عن دار العلم للملايين، ص٥٦-٥٧.

والظلمات، إلى العدل والنور، وإخراجهم من موجبات الغضب والسخط، إلى موجبات الرحمة والرضوان.

كان الرسول ﷺ يوصي قادة جنده قائلًا: **«إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو (خلال). فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . . . فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم. وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . . .»**[1] فالدخول في الإسلام غاية يقف عندها القتال مهما كانت درجة العداوة، قال المقداد بن الأسود[2]: يا رسول الله! أرأيت إن لقيت رجلًا من الكفار، فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمتُ لله. أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال ﷺ: **«لا تقتله»** فقلت: يا رسول الله! إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله قال رسول الله ﷺ: **«لا تقتله. فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»**[3]. وعاتب ﷺ أسامة ابن زيد لقتله رجلًا بعد أن قال: لا إله إلا الله. ولما قال أسامة: يا رسول الله، إنما قالها مخافة السلاح، قال ﷺ: **«أفلا شققت عن قلبه**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٢) الكندي ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود النهراني وقيل الحضرمي، أبو الأسود وقيل أبو عمر أو أبو سعيد، أسلم قديماً، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وكان فارسًا يوم بدر، مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، وهو ابن سبعين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٤٣٣.

(٣) مسلم، المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.

حتى تعلم أقالها أم لا»، فما زال ﷺ يكررها حتى تمنى أسامة أنه لم يسلم إلا يومئذ[1].

ولما كان الدخول في الإسلام الغاية التي يُغمد عندها السيف، فقد حاول جند الإسلام في جميع معاركهم إغماد سيوفهم عن طريق دعوة الأعداء إلى الدخول في الإسلام، ليحتفظوا بأموالهم وأولادهم وديارهم ويكونوا جزءًا من هذه الأمة. وعندما بعث أبو بكر الجيوش لحرب المرتدين، أمر قادته بأن يدعوا بداعية الإسلام، فمن أجابهم أمسكوا عنه ومن لم يجبهم قاتلوه[2].

فكان خالد بن الوليد يعهد إلى أمراء جيشه بعدم البدء في قتال الأعداء إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام أو الجزية، فإن قبلوا منهم، وإلا أجلوهم يومًا ثم قاتلوهم[3].

وكان سلمان الفارسي في جيش المسلمين داعية لأهل فارس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، وإلا فالمنابذة[4].

وقال عمر بن عبد العزيز لأحد عماله: «لا تقاتلن حصنًا من حصون الروم، ولا جماعة من جماعاتهم، حتى تدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فاكفف عنهم، وإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فانبذ إليهم على سواء»[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٥٢.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٣٦٠.

(٤) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٥٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥ ص٣٥٥.

وخلال الحروب الصليبية كان صلاح الدين يكرر الدعوة إلى الإسلام لمن يقع في أيدي المسلمين من أسرى الفرنج، فلا يعاقب أحدًا منهم مهما كان جرمه بحق المسلمين إلا بعد دعوته، وإعطائه الفرصة الأخيرة لإنقاذ نفسه من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة[١].

ثالثًا: احترام رسل الأعداء:

من الأخلاق التي تميز بها جند الإسلام، عدم التعرض لرسل أعدائهم بأذى؛ ليبلغوا رسالة مرسلهم التي تقتضي جوابًا يصل على أيديهم إلى المسلمين، فكان لهم بذلك عهد عند المسلمين[٢].

كما أن في حسن المعاملة للرسل، والتحلي بأطيب الأخلاق أمامهم دعوة إلى هذه الخصال التي قد تستهويهم فيسلموا، أو لينقلوا ما شاهدوه إلى من أرسلهم، فيؤثر فيهم، وليبين لهم المسلمون بذلك حسن النية في القتال. وأن هدفهم ليس التسلط والقتل ونحو ذلك، فقد أمكنوا من رسلهم ومع ذلك أكرموهم، ولم يتعرضوا لهم بسوء.

لما قدم على رسول الله ﷺ كتاب مسيلمة الكذاب قال ﷺ لرسله: «**أتشهدان أني رسول الله؟**» فقالا له: نشهد أن مسيلمة رسول الله. فقال: «**آمنت بالله ورسله، لو كنت قاتلًا وفدًا لقتلتكما**»[٣]. فلو تكلم رسل الأعداء بكلام جارح، حتى لو كان فيه كفر، وجب عدم التعرض لهم[٤].

---

(١) انظر سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ص٣٩٢.

(٢) انظر الشوكاني، نيل الأوطار، ج٨ ص١٨٣؛ وانظر السهارنفوري، بذل المجهود، ج١٢ ص٣٨٦.

(٣) إسناده صحيح، سنن الدارمي، كتاب السير، باب في النهي عن قتل الرسل.

(٤) انظر السهارنفوري، المصدر السابق.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يذكر قادة الجيوش الإسلامية بضرورة احترام رسل الأعداء، وعدم التعرض لهم بأذى، فكان مما أوصى به يزيد ابن أبي سفيان لما وجهه إلى الشام: «... وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ... وأنزلهم في ثروة عسكرك ...»[1].

وعلى هذا المنهج سار المسلمون اقتداءً بالرسول ﷺ وصحابته الكرام فكان احترام الرسل سجية مميزة لجند المسلمين طيلة تاريخهم المجيد.

رابعًا: تأمين المحارب حتى يسمع كلام الله:

لو طلب أحد من أعداء المسلمين سماع القرآن الكريم، أو طلب مقابلة أحد المسلمين ليعرف منه عن الإسلام ما يحتاج إلى معرفته، وجب على المسلمين أن يؤمنوه، حتى يستزيد بمعرفة ما يريد معرفته عن الإسلام، وله بذلك أمان بعدم التعرض له بأذى، فإذا رغب الرجوع إلى بلده، أمنوه حتى يبلغ مأمنه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ففي معركة اليرموك خرج جرجة أحد أمراء الروم، وطلب مقابلة خالد ابن الوليد ليسأله عن الإسلام، وليسمع منه، فأمنه المسلمون، وحدثه خالد عن الإسلام، ودعاه إليه، وأخبره بأنه في إسلامه يكون أحد أفراد المسلمين، فأسلم جرجة وقاتل الروم مع المسلمين، حتى قتل شهيدًا[3].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٧٧؛ وانظر المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ص٣٠٩.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٨؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٨٣.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عموم المسلمين يأمرهم بوجوب تأمين المحارب حتى يسمع كلام الله، ويتعلم شرائع الإسلام، وله الأمان حتى يرجع إلى مأمنه[1].

خامسًا: العطف على الضعفاء والأبرياء:

داخل المجتمعات فئة لا يمكنها القتال إلا نادرًا، كالنساء والصبيان. والشيوخ ونحوهم، ولقد عامل جند الإسلام هذه الفئة بالعطف والرحمة والإحسان ما داموا مسالمين للمسلمين. أما من شارك في القتال أو أعان الأعداء ضد المسلمين، فمثلهم كبقية الجند الآخرين. ولقد نهى الرسول ﷺ عن تعمد قتل النساء والصبيان. ولما وجدت امرأة مقتولة في إحدى المغازي أنكر ﷺ قتلها، ونهى عن قتل النساء والصبيان[2]. فالنساء ضعيفات لا يمكنهن القتال، والأولاد قاصرون عن فعل الكبار، وفي استبقائهم منفعة للمسلمين، حيث الانتفاع عن طريق الرق أو الفداء[3]. فمن لم ينصب نفسه لقتال المسلمين، وجب الكف عنه.

وعلى هذا المنهج سار المسلمون، فكانوا يكفون عن قتال من لا يستطيع القتال، أو من يستطيع القتال إلا أنه لم يشارك فيه، سواء بالمشاركة الفعلية، أو عن طريق التحريض عليه، وإبداء الرأي والتدبير فيه[4].

---

(١) انظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٣٩٩.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٤٧-١٤٨.

(٣) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص١٤٨.

(٤) انظر السهارنفوري، بذل المجهود، ج١٢ ص١٢٢.

قال أبو بكر في وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما وجهه إلى الشام: (. . . وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع، فدعهم وما حبسوا أنفسهم له)[1].

وكان عمر ينهى عن قتل العجزة والنساء والولدان، ويحث على اجتناب تعمد قتلهم أثناء المعركة. فكان يقول لجنده: (. . . ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا. وتوقُّوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند حُمَّة[2] النهضات[3] وفي شن الغارات . . .)[4].

فكان المسلمون يتجنبون قتل العزل من السلاح، فمن لم يعن على قتال خيروه بين الإسلام أو الجزية[5].

سادسًا: نبذ المطامع المادية:

المؤمن في قتاله يهدف إلى أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وهذا هو الهدف الأسمى في قتاله. أما الأطماع الدنيوية من كسب المال، أو الجاه، فليس لها أية قيمة.

ولقد نهى الإسلام المؤمنين على وجه العموم، والمقاتلين على وجه الخصوص عن الطمع أو الجشع والسعي وراء الغنيمة، فقد يكون الاهتمام

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٧٧.

(٢) حمت: اشتدت. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١ ص١٥٢.

(٣) تناهضوا في الحرب: نهض كل إلى صاحبه. انظر المصدر السابق، ج٢ ص٣٦٠.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٠٧-١٠٨.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٥٨٦.

بها أثناء المعركة عاملًا معوقًا للمسلمين عن القتال، فيتفوق العدو عليهم. ولصرف اهتمام المقاتل بالمعركة وأحوالها، فقد حكم الله سبحانه وتعالى حكماً عدلًا في الغنيمة، أوجب على الجميع التسليم به[1]، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2].

وحذر الله سبحانه وتعالى من أن يتعدى أحد على هذا الحكم بأخذ شيء من الغنيمة قبل قسمتها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

وكان ﷺ ينهى عن الأخذ من الغنيمة بغير إذن القائد، ويحذر جنده وأمراء جيوشه وسراياه من الاتصاف بهذه الصفة السيئة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره. ثم قال: «**لا أُلفِيَنَّ[4] أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته بعير له رُغاء[5]. يقول: يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا أُلفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته فرس له حَمْحَمَةٌ[6]**.

---

(١) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٦؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص١٣٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦١.

(٤) ألفاه: وجده وصادفه. انظر المعجم الوسيط، ج٢ ص٨٣٣.

(٥) صوت البعير. انظر الرازي، الصحاح، ص٢٤٨.

(٦) صوت الفرس دون الصهيل. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص١٠٢.

فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك. لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة. شاة لها ثُغاء[1]. يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة، على رقبته نفس لها صياح. فيقول يا رسول الله! أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رِقَاعٌ[2] تَخفِقُ[3]. فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يوم القيامة على رقبته صامِتٌ[4]. فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك»[5].

وقال ﷺ محذرًا من التستر على الغال: «من كتم على غالٍ فهو مثله»[6].

وعلى هدي هذه السنة المباركة سار الخلفاء والولاة، فكانوا يحذرون جندهم من الغلول، ويبينون لهم عاقبته العاجلة والآجلة.

قال أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان لما وجهه إلى الشام: «... واجتنب الغلول، فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر ...»[7]. فالغلول من الأخلاق السيئة، حيث حب المال، وتقديمه على غايات الجهاد، وهذا ذنب عظيم قد يتأخر النصر بسببه، حتى تطهر النيات من الأغراض الدنيوية.

---

(١) صوت الشاة والمعز وما شاكلها. انظر الرازي، المصدر السابق، ص٨٤.

(٢) جمع رقعة وهي الخرقة. انظر المصدر السابق، ص٢٢٥.

(٣) تضطرب. انظر المصدر السابق، ص١٨٣.

(٤) الذهب أو الفضة. انظر المصدر السابق، ص٣٦٩.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول.

(٦) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٤٠، رقم الحديث (٨٩٨٧).

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٧٧.

وكان عمر رضي الله عنه يذكر جنده بهذه الخصلة الذميمة ويحذرهم منها، فقال لأمراء جيوش الشام وجنوده: «. . . ولا تغلوا عند الغنائم ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا، وأبشروا بالرباح في البيع الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم»[1].

فلم تكن الغنيمة هدفًا للمسلمين في جميع مواقعهم العسكرية، حتى أنهم صارحوا بذلك أعداءهم، إظهارًا لغاياتهم النبيلة، قال المسلمون لرستم في المناظرة التي تمت قبل معركة القادسية: «. . . والله لإسلامكم أحب إلينا من غنائمكم . . .»[2]. وكانوا يصالحون المشركين على قدر استطاعتهم، فمن كان غنيًّا زيد عليه، ومن كان فقيرًا خفف عنه، فلم يحملوا أحدًا فوق طاقته[3].

وبعد أن ضيق المسلمون الخناق على أهل الحيرة، واشتد عليهم الحصار، طلبوا الصلح من المسلمين، وكان المسلمون قد خيروهم بين إحدى ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو المنابذة، ولما اختاروا الجزية على أن يدفعوا للمسلمين مئة ألف وتسعين ألفًا. قال لهم خالد بن الوليد: «تبًّا لكم، ويحكم، إن الكفر فلاة مضلة»[4]، فكان يطمع في إسلامهم الذي يعود نفعه عليهم، لا دفعهم للجزية التي يعود نفعها على المسلمين؛ لأن إخراج الناس من الظلمات إلى النور هو الهدف الذي من أجله قدم إليهم المسلمون، وساروا في البلاد يحملون مصباحه.

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٠٨.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣ ص٥٢٨.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٦٠٠.

(٤) المصدر السابق، ص٣٦١-٣٦٢؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥ ص٣٤٣.

سابعًا: حسن معاملة الأسرى:

إذا تم أسر الأسير فقد خرج من قدرته العدوانية التي يستطيع بها إيذاء المسلمين، وأصبح تحت سيطرتهم ومنتهم، وذلك لا يعني انتهاء كرامته أو امتهان إنسانيته، مهما حصل منه ضد المسلمين، فهو في موقع لا يستطيع معه التعدي.

فمن منطلق العفو والإحسان عند المقدرة، يكرم المسلمون أسراهم ويعاملونهم بالحسنى أثناء أسرهم، ليعلم الأعداء بذلك أن هدف المسلمين من قتالهم هدف نبيل؛ غايته إنزال الإنسان في مكانه اللائق الذي كرمه الله به وبوأه إياه، وإخراجه من الظلمات إلى النور.

لذلك أوصى ﷺ المسلمين بالأسارى خيرًا[(١)]. ولما قدم بأسارى بدر، أمر بالإحسان إليهم، وكسا العباس بن عبد المطلب ثوبًا؛ لأنه لم يكن عليه ثوب[(٢)].

وقد ذهب العلماء في حكم الأسرى إلى أنه يجب على الإمام أن يأخذهم بالأصلح من الأمور التالية إن لم يسلموا: القتل، أو النفي، أو المن عليه أو الفداء بمال أو نفس[(٣)].

وقيل: يسترق الأسير بدلًا من نفيه، فيؤخذ به أو بأصلح الأمور الثلاثة الأخرى المذكورة[(٤)].

---

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص١٥٣، رقم الحديث (١٠٠٩).

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٤٢.

(٣) انظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٠٥.

(٤) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥٠؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص١٤١-١٤٢.

ومهما كان مصير الأسير فإنه يجب إكرامه والإحسان إليه في فترة الأسر قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

وأشد ما قد يحصل للأسير القتل، فيجب الرفق به عند قتله، لعموم قوله، قال ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»[2].

ولما فرَّق علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين جارية وولدها كانوا سبايا عند المسلمين، نهاه ﷺ عن ذلك، وأمره بردهما لبعض[3]، وقال: «**من فرق بين والدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة**»[4].

ولذلك كره أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم التفريق بين الوالدة وولدها، والوالد وولده، وبين الأخوة ممن وقعوا في أيدي المسلمين[5].

بعد أن فتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، أكرم ملك الإفرنج حتى أنه أجلسه بقربه، وطيب خاطره، وعامل بقية الأسرى معاملة حسنة[6]، ولم يكن ليعاملهم كما عاملوا المسلمين عند سقوط بيت المقدس بأيديهم، بل عاملهم المعاملة التي أملاها عليه دينه الحنيف. وبعد فتحه

---

(١) سورة الإنسان، الآية ٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم.

(٣) انظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في التفريق بين السبي.

(٤) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٦٢٧، حديث رقم (٨٨٨٧).

(٥) انظر سنن الترمذي، أبواب السير، باب في كراهية التفريق بين السبي.

(٦) انظر سعيد برجاوي. الحروب الصليبية في المشرق، ص٣٩٢.

لقلعة بَرْزَيَة[1] تفرق في الأسر أميرها وأولاده وزوجته، فأمر بالبحث عنهم، واشتراهم ممن هم بيده، وجمع شمل بعضهم ببعض[2].

ثامنًا: الإحسان في القتل:

تعذيب الإنسان حيًا، أو أثناء قتله، والتمثيل به بعد موته، غاية في البشاعة والخروج عن دائرة الرحمة. والإسلام دين الرحمة مع بني البشر كافة، يحترم الإنسان حيًا وميتًا وينهى أن يعذب أو يمثل به.

فالقتال لم يشرع لهدف الانتقام وسفك الدماء، وإظهار المقدرة على الأعداء حتى يتم التعذيب والتمثيل بهم؛ لذا فقد حرم الإسلام التمثيل بالقتلى؛ لما في ذلك من الهمجية والوحشية التي ينهى عنها الإسلام، بل لقد دعا إلى الإحسان في القتل.

ففي غزوة أحد قام المشركون بالتمثيل بقتلى المسلمين فقال أصحاب رسول الله ﷺ: لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنربين عليهم، فلما كان يوم الفتح نادى رجل: لا تعرف قريش بعد اليوم، فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[3]، فكف المسلمون عما هموا به[4].

---

(١) أو برزويه: حصن قرب السواحل الشامية، على سن جبل شاهق. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٣٨٣.

(٢) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٩ ص١٩٤.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٦.

(٤) انظر مسند الإمام أحمد، ج٥ ص١٣٥؛ وانظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٥٩٣؛ وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٣ ص٢٠٥.

وكان ﷺ يوجه أمراء الجيوش وسراياه إلى وجوب الابتعاد عن التمثيل بالقتلى[1]، يقول ﷺ «**أعف الناس قتلة أهل الإيمان**»[2]، فالمؤمن يقتل بأمر الله ولا يتجاوز في ذلك إلى ما فيه خروج عن المروءة، أو البعد عن الرحمة والشفقة[3]. يقول ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . . .**»[4]، وذلك يتأتى بالابتعاد عن التمثيل بالمقتول، أو التعذيب أثناء القتل.

لما بعث ﷺ بعثًا قال لهم: «**إن وجدتم فلانًا وفلانًا فأحرقوهما بالنار**» ولما أرادوا الخروج من عنده، قال ﷺ: «**إني أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا بالنار، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما**»[5]. قال ابن حجر: (ومحله إذا لم يتعين التحريق طريقًا إلى الغلبة على الكفار حال الحرب)[6].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن المثلة أو الإساءة إلى المقتول أثناء قتله، فكان يقول في وصاياه مذكرًا جنده: «. . . ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور . . .»[7].

---

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الأمراء على البعوث.
(٢) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص١٨٠، رقم الحديث (١١٩٠).
(٣) انظر السهار نفوري، بذل المجهود، ج١٢ ص١٩٥-١٩٦.
(٤) مسلم المصدر السابق، كتاب الصيد، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٤٩.
(٦) فتح الباري، ج٦ ص١٤٩.
(٧) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٠٧.

وبعد معركة حطين ظفر المسلمون برينو دي شايتون ألد الأعداء من الفرنج، والذي كثيرًا ما قاتل المسلمين، وتعمد خرق الاتفاقات والمعاهدات، وتعرض لرسول الله ﷺ، وهم بالمسير إلى غزو الحرمين الشريفين، كل هذه الأعمال لم تخرج المسلمين عن طورهم الأخلاقي بعدما قدروا عليه، حيث إنه لما وقع في الأسر لم تطاوع صلاح الدين شهامته وخلقه الإسلامي الكريم، على قتل هذا العدو وهو ظمآن؛ لأن في ذلك تعزيرًا له، بل تركه يشرب من الماء حتى ارتوى فقتله[1].

---

(١) انظر سعيد برجاوي. الحروب الصليبية في المشرق. ص٣٩٢.

المبحث الثاني

دراسة تحليلية لأخلاق جنود الإسلام

خلال التاريخ الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة

حفل التاريخ الإسلامي بمواقف رائعة تنم عن سيطرة الأخلاق الإسلامية وتحكمها في تصرفات الجند وسلوكهم. ولو سبرنا تلك المواقف، لوجدناها موافقة لما جاءت به الشريعة الإسلامية التي من أجلها يقاتل الجند. ومن هذه المواقف:

١- قبل معركة بدر أخذ المشركون حذيفة بن اليمان ووالده حسيلًا وخافت قريش من أن يكونا أحد جند المسلمين، أو أنهما في الطريق للانضمام إلى الجيش الإسلامي، فأخذهما المشركون، ولم يطلقوا سراحهما إلا بعد أن أخذوا عليهما عهد الله وميثاقه بأن ينصرفا إلى المدينة، وألا يقاتلا مع المسلمين ضد قريش. فلما أتيا رسول الله ﷺ أخبراه بما جرى لهما مع المشركين[١]، وكان المسلمون في حاجة إلى جهد كل شخص في قتال المشركين، فهم في قلة عدد وضعف عدة وعدوهم في جمع كبير، وعدة قوية. إلا أن الرسول ﷺ استغل ذلك

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالعهد.

الموقف ليرسخ في قلوب أتباعه خلق الوفاء بالعهد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[1]، وليطبق ما أمروا به من التحلي بأكرم الأخلاق في المعاملات حتى مع الأعداء، مهما كانت الظروف المحيطة بالمسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، فأمر ﷺ بانصراف حذيفة ووالده إلى المدينة وفاء بالعهد، وقال: «**نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**»[3].

أما ما صاحب عقد الأمان من ظروف أحاطت بعقده، كالإكراه، فلا ينعقد به[4].

والرسول ﷺ وفّى للمشركين بعهدهم؛ ليظهر حسن خلق المسلمين، ولئلا ينتشر ويشاع لدى الأعداء بأن المسلمين لا يفون بعهودهم ومواثيقهم التي يعقدونها[5]. فجعل ﷺ من هذا الموقف درسًا في الوفاء بالعهد، يلتزم به المسلمون خلال معاركهم المستقبلية، والتي كان ﷺ يتوقعها بنظرته الصائبة للموقف الديني والعسكري والسياسي المحيط بالمسلمين.

كما جعل سبحانه وتعالى صفة عدم الوفاء من الصفات الذميمة التي اتصف بها الكافرون، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٤. (٢) سورة النحل، الآية ٩٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٣٩٧.

(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢ ص١٤٤-١٤٥.

فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[1].

٢- لما فتح المسلمون المدائن وبدءوا في جمع الغنائم إلى صاحب الأقباض - الرجل المسئول عن جمع الغنائم وتسجيلها- أقبل أحد المسلمين بمال عظيم لم يأت أحد بمثله؛ لما احتواه من الجواهر، ودفعه إلى صاحب الأقباض. فتعاظم المسلمون ذلك المال، وسألوا الرجل: هل أخذت منه شيئًا؟ وهو سؤال بريء، دفعهم إليه كثرة المال الذي جاء به الرجل، ولخوفهم من أن يكون قد أبقى شيئًا من المال عنده لما رأوا تكاثره؛ لعدم معرفته بحكم ذلك المال المتبقي، إذ لو كان قد أضمر في نفسه أمرًا سيئًا لما أتى بكل هذا المال، بل يأتي بجزء قليل منه يماثل ما يأتي به بقية الجند، فأثار هذا السؤال مشاعر الإيمان الصادقة لدى هذا الجندي، فأظهر عدم خوفه منهم بجلبه لذلك المال، وأنه لم يقدم به مخافة أن يطلعوا عليه عنده فيعاقبوه، فذلك أمر لم يكن ليدفعه إلى جلب هذا المال، وإنما أتى به خوفًا ممن هو أعلم من الجميع بما بقي وبنيته في ذلك العمل. فقال لهم: «أما والله لولا الله ما أتيتكم به»[2].

ولما سئل عن اسمه، خاف أن يدخل في عمله شيئًا من الرياء، فهو لم يرد بذلك إلا وجه الله، ولما كان ذلك كذلك، فلا داعي لذكر اسمه ومعرفته[3]. كما أن ذكر الاسم قد يدخل في النفس إعجابًا بذلك

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٥-٥٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج٤ ص١٩.

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٦٠.

العمل، أو رغبة في الثناء من الناس، والرسول ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتغي به وجهه**»[1]. لذلك رفض ذكر اسمه قائلًا: «لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه»[2]، فهو لا يريد بعمله ذلك تكريم الناس له، ولا حمدهم إياه، ولا تعظيمهم له، لأن من عمل ذلك من أجل الناس فقد اقترف ذنبًا عظيماً يفضحه الله تعالى من أجله، ويبين حقيقة عمله يوم القيامة، قال ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به**»[3].

٣- كان المسلمون إذا لقوا عدوهم، دعوه إلى إحدى ثلاث خصال: الإسلام، أو الجزية، أو القتال.

فبالإسلام يصبح لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وبالجزية يأخذ المسلمون مبلغًا من المال يتفق عليه الطرفان، يقوم بموجبه المسلمون بحماية الكفار والدفاع عنهم، ويقوم الكفار بعمل ما يشترطه عليهم المسلمون.

وبعد فتح حمص والمدن المجاورة لها، ومصالحة أبي عبيدة لأهل تلك البلاد على مبلغ من المال، وشروط شرطها المسلمون أو تراضوا عليها[4]

---

(١) حديث حسن. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٢٨٠، رقم الحديث (١٨٢٨).
(٢) تاريخ الطبري، ج٤ ص١٩؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله.
(٤) انظر أبو يوسف، كتاب الخراج، ص٢٨١-٢٨٢.

حدث أن جمعت الروم الجموع، وحشدت قواتها لغزو حمص فاضطر أبوعبيدة إلى سحب قواته الموجودة في تلك المدن للدفاع عن حمص المدينة المقصودة من قبل الروم[1]، وبقيت المدن المجاورة لحمص بدون قوات إسلامية تحميها، ولما كان المسلمون قد أخذوا من أهل تلك البلاد المال على أن يحموهم، كتب أبو عبيدة إلى ولاة تلك المدن، يأمرهم بإرجاع ما أخذوه من أهلها من الأموال؛ لعدم قدرة المسلمين على الدفاع عنهم وقالوا لهم: «إنما رددنا عليكم أموالكم؛ لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم». فلما رأوا ذلك قالوا: «ردكم الله إلينا ونصركم عليهم . . . فلو كانوا هم، لم يردوا علينا شيئًا، وأخذوا كل شيء بقي لنا، حتى لا يدعوا لنا شيئًا»[2].

وبهذا العمل تجلت عظمة الإسلام، من خلال الخلق الكريم، والوفاء العظيم الذي تحلى به المسلمون. وكان من آثار ذلك ما حصل بعد هزيمة المسلمين للروم، حيث بعث أهل المدائن التي لم تصالح المسلمين قبل المعركة، بطلب الدخول في الصلح الذي عليه من سبقهم إليه، كما تلقاهم أهل المدن التي صالحوها قبل المعركة بالأموال التي ردت إليهم، فقبل

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٠؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٧١؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٧٥.

(٢) أبو يوسف، المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٣.

منهم، ولم يزد عليهم شيئًا، وصالحوا من جاء بطلب الصلح بمثل ما صالحوا عليه من قبله[1].

٤- أثناء حصار المسلمين لمدينة جند يسابور، خرج أهلها فجأة وبدون مفاوضات. فسألهم المسلمون ما الذي حدث؟ فقالوا: رميتم لنا بالأمان فقبلناه، وأقررنا بالجزية على أن تمنعونا. فقال المسلمون: لم يحدث شيء مما قلتم، ولم يفعله أحد منا. فقائد المسلمين وعامة الجيش لم يعلموا شيئًا عما حدث، فقالوا: لقد حدث ذلك منكم ولا نعلم من رمى بالأمان إلينا، إلا أنه قد جاء من قبل جيشكم. وسأل المسلمون بعضهم بعضًا، وتحققوا من الأمر، فوجدوا أحد جندهم قد اجتهد رأيه ورمى إليهم بالأمان، بدون علم قائد المسلمين، ولما كان الرامي أحد جند المسلمين، فقد أجاز المسلمون ذلك الأمان[2]، لإيمانهم بأن ذمة المسلمين واحدة، يعقدها أدناهم فيحافظون عليها جميعًا.

٥ - كان بين معاوية بن أبي سفيان وبين الروم عهد إلى أجل مسمى فسار معاوية باتجاه بلادهم ليكون قريبًا منها، حتى يغزوهم عند انقضاء المدة، وفي أثناء سيره، جاء عمرو بن عبسة[3] على فرس أو

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٢٨٣-٢٨٤؛ وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١٣٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٨٧.

(٣) ابن خالد بن عامر بن غاضرة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم الأسلمي أبونجيح، أسلم قديماً بمكة، هاجر إلى المدينة بعد خيبر، وشهد الفتح، سكن الشام ومات بحمص أواخر خلافة عثمان، انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٥-٦.

برذون، فقال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر»[1] وكأنه بذلك يشير إلى أن في ذلك العمل الذي يقوم به معاوية غدرًا ونقضًا للعهد. فأرسل إليه معاوية وسأله عما دفعه إلى ذلك القول فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدًا ولا يشدنهم حتى يمضي أمده، أو ينبذ إليهم على سواء**»[2]. فلما سمع معاوية ذلك رجع من فوره؛ لأن ما هو فيه مخالف لحديث الرسول ﷺ، وأنه يجب عليه أن ينبذ إليهم عهدهم قبل أن يعزم على عمل شيء ضدهم[3].

٦- قدم أهل سمرقند على عمر بن عبد العزيز، وادعوا بأن قتيبة بن مسلم قد غدر بهم، وظلمهم، وأخذ بلادهم، وأخرجهم منها عند فتحها، وعللوا ذلك بأن قتيبة لم يدعهم إلى الإسلام، أو الجزية قبل القتال، والشريعة الإسلامية تأمر بذلك، كما علموا فيما بعد.

ورغم أن المسلمين قد سيطروا على تلك البلاد، وأحكموا قبضتهم عليها، وبإمكانهم إقناع هؤلاء بالعدول عن دعواهم، أو اللجوء إلى القوة، إلا أن عمر بن عبد العزيز لم يفكر في حل هذه القضية بذلك المنطق، بل نظر إليها كقضية قابلة للصدق والكذب، فأخضعها لحكم الإسلام فيها، راضيًا بما ينتج عنه ذلك الحكم، حتى لو كان في غير مصلحة المسلمين. فكتب إلى عامله على سمرقند يأمره بأن يجلس لهم

---

(١) سنن الترمذي، أبواب السير، باب ما جاء في الغدر.

(٢) حسن صحيح، المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

قاضيًا ينظر في دعواهم، وليحكم فيها بحكم الله الذي أنزله في كتابه وسنة رسوله ﷺ، فإن كان الحق فيما قالوا، فليخرج المسلمون من مدينتهم وليكونوا كما كانوا قبل ظهور قتيبة عليهم.

فأجلس لهم أمير سمرقند قاضيًا سمع منهم، وثبت لديه صدق كلامهم فقضى بخروج المسلمين من سمرقند، ومنابذتهم لأهلها على سواء، فإما أن يتفق الطرفان على صلح جديد، أو يكون الظفر لأحدهم بالقتال.

فلما رأى أهل سمرقند ما آل إليه الأمر، أعجبهم صنيع المسلمين ورأوا في معاشرتهم لهم الخير الذي يريدونه لأنفسهم، فقالوا: نرضى بما كان، ولا نجدد حربًا[١].

٧- وفي إحدى مغازي مسلمة بن عبد الملك[٢]، حاصر حصنًا فندب الناس إلى نقب منه، فلم يستطع أحد الدخول فيه، وجاء جندي فدخله بكل شجاعة، ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة في الجيش: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، وكرر النداء، وأذن بدخوله متى جاءه، فجاء رجل واستأذن في الدخول على الأمير، فدخل عليه وقال: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا: ألا تسودوا اسمه في

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٥٦٧-٥٦٨؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٦٣.

(٢) ابن مروان القرشي الدمشقي، أبو سعيد وأبو الأصبغ، له آثار كثيرة، ومواقف مشهورة، وغزوات متتالية، ونكاية في العدو من الروم وغيرهم، كان يلقب بالجرادة الصفراء، ولي العراقين، وأرمينية، وحاصر القسطنطينية وبنى له فيها جامعًا ومنارة، مات بموضع يقال له: الحانوت، سنة عشرين أو إحدى وعشرين ومئة. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩ ص٣٢٨-٣٢٩.

صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو قال: فذاك له. قال الرجل: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعد ذلك صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب؛ لما لمس من إخلاصه لله تعالى، وتنزهه عن المطامع الدنيوية[١].

٨- أثناء حصار عمورية، خرج أحد قادة الرومان، وطلب الأمان لمقابلة المعتصم. وكان يريد من تلك المقابلة المصالحة وعقد الأمان له ولذريته، على أن يسلم الحصن الذي هو مسئول عنه، فأجيب إلى طلبه، وسار إلى المعتصم، فلما مثل بين يديه، دخل المسلمون المدينة، فضرب القائد الروماني بيده على لحيته، وكأنه نادم على شيء ما، فقال له المعتصم: ما لك؟. قال: جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامي، فغدرت بي. فصدقه المعتصم، وأحسن النية تجاهه وجعل من الأمان الذي دخل به معسكر المسلمين حتى وصل إليه أمانًا له، ولما جاء من أجله، حيث قال له: «كل شيء تريد أن تقوله فهو لك علي، قل ما شئت، فإني لست أخالفك»[٢].

ولما لم يكن القائد الروماني يعرف عن أخلاق المسلمين شيئًا، فقد حمل ذلك الكلام على الخديعة والكذب، فقال: «أيشٍ لا تخالفني وقد دخلوا المدينة»[٣]. فكان يعتقد أن دخول المسلمين للمدينة عنوة، وبدون صلح يعني قطع كل الآمال بعقد الصلح، والأمان على النفس والذرية والمال حيث إنهم قد اعتادوا على ذلك خلال حروبهم. فأراد المعتصم أن يؤكد له

---

(١) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٧٢.

(٢) تاريخ الطبري، ج٩ ص٦٨.

(٣) المصدر السابق.

أن للمسلمين أخلاقًا تحكم علاقاتهم بغيرهم، على هداها يسيرون، وبها يلتزمون. فقال للرومي: «اضرب بيدك إلى ما شئت فهو لك، وقل ما شئت فإني أعطيكه»[1].

٩- أثناء حصار مدينة عكا، ضيق الفرنج الخناق على المسلمين، وبلغ بهم الموقف أشده حينما نصبوا أبراجًا عالية يرمون منها المسلمين داخل المدينة. وحاول المسلمون إحراق تلك الأبراج، فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا، فساء موقفهم، وثبطت عزائمهم. ولما بلغ الموقف بالمسلمين مبلغًا كاد أن يدب اليأس في قلوبهم، جاء جندي فطلب من القائد المسلم أن يسمح له بالرمي بالمنجنيق، فرمى بها الجندي نفطًا كان قد أعده فأحرق الأبراج، وفرح لذلك المسلمون أشد الفرح وارتفعت روحهم المعنوية، وحمل ذلك الجندى إلى صلاح الدين ليكافئه على ما صنع، فبذل له الأموال الطائلة، والأقطاع الكثيرة إلا أنه رفض أن يأخذ شيئًا من ذلك؛ لأنه لم يقم بها عمل رغبة في الجزاء الدنيوي، وإنما قام به لوجه الله تعالى، ويرغب في الجزاء منه لا من خلقه[2].

تلك مواقف مضيئة في صفحات التاريخ الإسلامي، خلدت بعظمتها في تاريخ الإنسانية أجمع، وافتخر بها كل مسلم.

هي مواقف تحكي عظمة الإسلام من خلال ما تحلى به جنده من صفات أملتها عليهم الشريعة المطهرة، وأصبحت منابر مضيئة استضاء بها كثير

(١) المصدر السابق، وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥ ص٢٥٠.

(٢) انظر المصدر السابق، ج٩ ص٢٠٦؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٣٥ - ٣٣٦.

من بني البشر، فمنهم من دخل الإسلام. ومنهم من استظل بظلاله فكانت عاملًا من عوامل انتشاره.

وتتجلى عظمة تلك المواقف بنورها الوضاء في هذا الزمن المظلم بالوحشية، والبعد عن الحياة الإنسانية، فمن انتهاك الحرمات، والقتل العمد للأطفال والشيوخ والنساء، إلى استعمال الأسلحة الفتاكة والإصرار على سفك الدماء البريئة، سعيًا وراء المصالح القومية والمذهبية ونبذًا للأخلاق الإنسانية.

ولا عجب في ذلك فالدافع للقتال مختلف، فالمسلمون دافعهم إعلاء راية التوحيد، يحملون مصباح النور وشعلة الهداية لإنقاذ بني البشر يسعون لذلك والحكمة شعارهم، طبقًا لما يمليه عليهم دينهم الحنيف. وغيرهم يدفعه الطمع وحب السيطرة والمال والجاه، يسعون لذلك والوحشية شعارهم وفق ما تمليه عليهم أهواؤهم ورغباتهم.

الفصل الخامس

الأســاس الإداري



مدخل

أهمية التنظيم في الإسلام

النظام أساس كل عمل ناجح، والقيام بأي عمل كان لابد له من التنظيم والترتيب؛ ليسير وفق خطة متناسقة متوازنة، واضحة المعالم والحدود. وفقدان النظام يعني سيادة الفوضى والعشوائية، وضياع الحقوق، وكثرة المنازعات. إذًا فلا يمكن لأي عمل كان أن يقوم بلا نظام يحدد العلاقات والمسئوليات، ويبرز الواجبات، ويصون الحقوق والحرمات.

وحاجة الإنسان إلى النظام حاجة أزلية ناشئة مع حاجته إلى الاجتماع بالآخرين، وهو ما عبر عنه الحكماء بقولهم: (الإنسان مدني بالطبع)[١]، أي أنه لابد له من الاجتماع، لحاجته إلى بني جنسه[٢]، وإذا اجتمع الناس بعضهم مع بعض، فإن غرائزهم تتحكم في كثير من تصرفاتهم إذا لم يكن لها رادع، فالإنسان منذ أن وجد وهو مجبول على حب الذات والطمع، الذي قد يدفعه إلى تجاوز حقوقه، والاعتداء على حقوق الآخرين. إذًا فلابد من نظام واضح، تضبط به العلاقات، وتحدد به المسئوليات والواجبات.

ولقد اهتم الإسلام بالنظام في كل شيء، فجعل لكل أمر نظامًا

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤١.

(٢) انظر المصدر السابق، ٤١-٤٢.

متوازنًا، وحدودًا واضحة المعالم، أمر المسلمين بالتقيد بها، وجعل تعديها ظلمًا وطغيانًا، يعاقب عليه المرء، قال تعالى: ﴿. . . **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[1].

والمتدبر في حكمة العبادات الإسلامية، يجدها تسير وفق نظام معين قد ضبطت بشروط وواجبات وأركان وجب التقيد بها واتباعها، فالمتدبر مثلًا (للصلاة على الصورة الجماعية المنظمة، يرى أن هذا المبدأ مقرر في الإسلام ليسود في جميع الأعمال، وليكون القانون العام الذي تجري عليه أمور المسلمين؛ لأنه دين، والدين شعائر ونظم)[2]، فلم يدع الإسلام مجالًا من مجالات الحياة المختلفة، من سياسية، واقتصادية، واجتماعية وعسكرية، إلا وضع لها منهجًا ونظامًا معينًا، أمر بالتقيد به، والسير على هداه[3]، حيث جعله متوازنًا بين حاجة الإنسان والمجتمع، فلا يطغى أحدهما على الآخر.

ولقد ربى الرسول ﷺ صحابته على العمل المنظم، فالمتدبر لسيرته ﷺ يرى التنظيم الدقيق والمحكم الذي سار عليه في مراحل دعوته المختلفة[4]. وذلك تبعًا للظروف المحيطة بها، فمن المرحلة السرية التي بدأ بها دعوته حيث أحاط أعماله بالسرية، مخافة أن يقوم المشركون بعمل يقضون به على دعوته في مهدها. ثم مرحلة الجهر بالدعوة، وفيها أمر أصحابه بالصبر على ما يلاقونه من أذى، أو الهجرة إلى الحبشة، حيث المكان الذي يأمن فيه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٩.

(٢) أحمد نار، القتال في الإسلام، ص١١١.

(٣) انظر محمد ياسين، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية، ص٩٥.

(٤) انظر علي العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، ص٧٤.

المسلم على عقيدته، فهم في مكة في قلة لا يستطيعون مواجهة المشركين بالقوة المادية، وليس هناك مكان آمن في الجزيرة العربية حتى يهاجروا إليه. ثم مرحلة الهجرة إلى المدينة، وما صاحبها تلك الرحلة من تنظيمات دقيقة توافرت بموجبها الاحتياطات الأمنية، ولوازم المعيشة والنقل حتى وصل إلى المدينة سالمًا، رغم الجهد الكبير الذي بذلته قريش من أجل القبض على الرسول ﷺ وعلى صاحبه، ثم مرحلة ما بعد الوصول إلى المدينة، حيث شرع ﷺ بوضع النظام الأساسي للدولة الإسلامية في المدينة المنورة من خلال الاتفاقية التي أبرمت بين المهاجرين والأنصار، كنظام داخلي للدولة الإسلامية[1].

وقد كان ﷺ يحث أصحابه على اتباع النظام في كل شيء، وذلك لا يتأتى إلا بسلطة تقيمه، فكان ﷺ يقول: «**إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم**»[2]؛ ليقضي على المنازعات والخلافات، ويرتب الأمور حتى تستقيم.

فكان ﷺ يؤمر الأمراء على البعوث والجيوش والسرايا[3]، ويعقد الألوية على فرق الجيش المختلفة[4]؛ ليكون كل قائد مسئولًا عن تطبيق النظام العام للجيش على فرقته.

ولبيان أهمية وجود السلطة المطبقة للنظام، أمر تعالى بوجوب طاعة ولاة الأمر، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**

---

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٠٦.

(٢) حديث حسن، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٨٩، رقم الحديث (٥٧٣).

(٣) انظر صحيح مسلم ،كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٤) انظر المصدر السابق، باب فتح مكة.

وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(١)، وقال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٢).

فبالسلطة يستقيم النظام، وبالخروج عليها تحدث الفوضى والمنازعات التي قد تؤدي إلى إراقة الدماء.

لذلك أمر ﷺ من رأى من أميره شيئًا يكرهه أن يصبر حفاظًا على النظام السائد، ولئلا يشق عصا السلطة القائمة، فقال ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا، فمات، فميتة جاهلية**»(٣).

ولقد مدح الله سبحانه وتعالى العمل العسكري المنظم، فقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾**(٤)، وفي ذلك توجيه منه تعالى إلى الأخذ بالنظام في كل شيء، فهو أولى بالنجاح وأبعد عن العشوائية والفوضى.

والأمة الإسلامية أمة مجاهدة، ولا يصلح للجهاد إلا أمة منظمة في جميع جوانبها ومجالاتها المختلفة. لذلك فالنظام في حياة المسلمين (مبدأ عملي طبيعي، يجري مجرى العقائد والعبادات)(٥).

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٠٩.

(٣) مسلم، المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...

(٤) سورة الصف، الآية ٤.

(٥) أحمد نار، القتال في الإسلام، ص١١١.

المبحث الأول

القيـادة

المطلب الأول

سمات القائد

للقائد منزلة عظيمة في الجيش، فهو العقل المدبر والمحرك للجند، وهو المثل الأعلى لهم، به يقتدون، وعن أمره يصدرون، وفي جل أمورهم إليه يرجعون. لذلك وجب أن يتصف القائد بصفات معينة تؤهـله للقيـادة من أبرزها:

١- العدالة ولين الجانب[١]:

وتقوى الله أساس ذلك العمل وعماده، فيتقي الله في إدارته لشئون الجند عامة، ويراقب الله فيما وكل إليه من أمانة، فلا يقرب قريبًا، ولا يبعد بعيدًا، ولا يحابي في أخذ الحقوق؛ لئلا يثير فيهم الحقد والضغينة.

قال ﷺ: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»**[٢].

(١) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص١٥-١٦؛ وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦، ٣٥؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل.

فيترك البغي والحقد، ويتجنب الظلم؛ لما فيه من الخطر العظيم على الجيش، فظهور المعاصي مؤذن بالعقوبة، وقد تكون الهزائم أولاها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال ﷺ: **«ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»**[2].

وقيل: (لا ظفر مع بغي)[3].

ومما يدل على عظيم منزلة العدل وضرورته في كل أمر، أن الإسلام أمر بالعدل حتى مع الأعداء[4] قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[5]، فإذا كان ذلك مع الأعداء، ففي من يحمل لواء الإسلام أولى.

وللعدل آثار منها: لين الجناح، والذي بواسطته تنبني وشائج المحبة والألفة بين القائد وجنده، فيكون قريبًا مما يدور داخل أروقة جيشه، فيعرف عنهم كل شيء، كما لا يحجب عنه شيء من الأمور خوفًا منه،

---

(١) سورة يونس، الآية ٢٣.

(٢) صحيح، سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ٢١؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب الآداب، باب في النهي عن البغي.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١١١.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٣١.

(٥) سورة المائدة، الآية٨.

قال ﷺ: «**إن شر الرعاء الحطمة**»[1]، والحطمة (الراعي العسوف العنيف)[2]. وهذا مثل منه ﷺ للوالي السيئ في رعايته لمن تحت يده. فشدة القائد وقسوته مع جنده، تجعل الكثير يحترزون من إيصال الظالم إليه، كما يحجب عنه كثير من الأمور مخافة غضبه وبطشه، فيصل إليه الأمر الحسن، ويحجب عنه السيئ، وقد يبقى الخطأ خطأ لعدم علمه به. قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾**[3].

لذا كان لين الجانب والمعاملة الحسنة من السمات الرئيسة التي يجب أن يتصف بها القائد. يقول الهرثمي: (اجعل عامة أصحابك في لين الكلمة بمنزلة الخاصة، من غير أن تنقص أحدًا من ذوي البلاء حقه وثوابه، ولا تُسَوِّ به من لا بلاء له. إنه لا سلطان لك على قلوب أصحابك، فاستدع موداتهم بلين الجناح وطيب الكلام، وإعطاء الحق وحسن النظر، تصف لك قلوبهم)[4].

إذًا فالعدل من السمات الرئيسة التي تؤهل الشخص للقيادة وإحكامها فكان لا يُنتخب لمركز القيادة إلا من عرف عنه العدل في القول والفعل مع جند الله، وكان القادة يذكر بعضهم بعضًا بوجوب العدل، ويدلوا على أماراته وطرقه، ويحثوا عليه، ويحذروا من مغبة التعدي.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

(٢) المعجم الوسيط، ج١ ص١٨٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٤) مختصر سياسة الحروب، ص١٦.

لما خرج أهل القادسية من المدينة المنورة، قام فيهم القائد الأعلى للمسلمين مذكرًا وواعظًا لهم، فكان مما قال: «إن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابًا، ويسر لكل باب مفتاحًا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع في ذلك أحدًا. . .»[1].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد أمرائه قائلًا: «. . . لا تولين شيئًا من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعي، وإياك أن يكون ميلك ميلًا إلى غير الحق، فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا تذهبن عن الله مذهبًا، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه»[2].

فكان الولاة يحرصون على أن يتصف القائد بتقوى الله التي تجعله عادلًا في حكمه وتصرفاته، ومعاملاته، وتجعله لين الجانب؛ لحرصه على المصلحة العامة للجيش، والبحث عنها دائماً.

٢- القدوة الحسنة:

ينبغي أن يكون القائد الجندي المميز في الجيش، والذي يفوق بقية الجند بما يتمتع به من خصال حسنة، فالإيمان الصادق، والعمل الصالح والخلق الحسن، والكرم البارز، والعطف واللين والشجاعة المتميزة والإقدام والإيثار والنجدة، والصدق والوفاء والبذل والعطاء، وغير ذلك

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٨٥.

(٢) المصدر السابق، ج٦ ص٥٦١-٥٦٢.

من الصفات الفاضلة التي يكون بها القائد قدوة للجميع، وتؤدي بهم إلى حماية البيضة وجهاد العدو(١).

وكان الرسول ﷺ المثل الأعلى للمسلمين في كل أمورهم، فقد كان ﷺ أشجع الناس، وأصدقهم، وأكرمهم(٢). ففي حنين لما انكشف المسلمون، ثبت الرسول ﷺ بكل شجاعة ورباطة جأش، فكان في ذلك قدوة وقوة للمسلمين، حيث عادوا إليه ﷺ، وأعادوا الكرة على هوازن بكل شجاعة، حتى تحقق لهم النصر(٣).

قال أبو بكر رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان موصيًا إياه لما بعثه قائدًا لجيش المسلمين إلى الشام: «. . . ولا تجبن فيجبن من سواك»(٤). فالقائد القدوة المثالية للجند، به يتقوون، وبخذلانه ينخذلون، فوجب أن يكون الجندي المثالي في الجيش، فقد قيل: «أصلح الرجال للحرب، الرجل المجرب الشجاع، الناصح»(٥).

بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأحنف بن قيس(٦) على جيش

---

(١) انظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٥٣٢؛ وانظر القادري، الجهاد في سبيل الله ج٢ ص٩.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ٢٤.

(٣) انظر المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ٥٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ص٣٠٩.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١١٥.

(٦) ابن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمر ابن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، اسمه الضحاك، وقيل صخر، أبو بحر أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به، يضرب بحلمه المثل، اعتزل وقعة الجمل، وشهد صفين مات بالبصرة سنة سبع وستين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص١١٠.

من المسلمين إلى خراسان، وحدث أن أغار عليهم الأعداء ليلًا، فكان أول من ركب من المسلمين قائدهم الأحنف، فأخذ سيفه وتقلده، ثم مضى باتجاه العدو وهو ينشد: (إن على كل رئيس حقًا . . . أن يخضب الصَّعدة أو تندقا). وحمل عليهم وحده حتى انهزموا، ولما جاء جنده وجدوا الأعداء قد انهزموا[1]، فكان بذلك القدوة لهم في الشجاعة.

٣- الكفاءة في الرأي[2]:

ينبغي أن يكون القائد ذا عقل راجح، وقدرة على الإحاطة بالأمور وسرعة فهمها، وحسن التصرف فيها[3]؛ ليتمكن من سياسة الجند وضبطهم، وليدبر أمورهم بحكمة، فتحري الأمور وتمحيصها قبل إصدار القرار فيها، وسداد الرأي، من أهم العوامل التي تساعد على اتخاذ القرار المناسب والأمثل في كل أمر[4]. كما أن المفاجآت الطارئة يجب أن لا تخرج القائد عن طبيعته، فلا ينغلق عنده التفكير من هول المفاجأة، بل يواجه ذلك الموقف بالتصرف الحكيم السريع؛ لأن التصرف العشوائي قد يؤدي به إلى الهزيمة.

فسداد الرأي يولد الثقة لدى الجند بالقائد، ويزيد من ثقة الجيش بنفسه. ويثق الجند بقرارات قائدهم، ولو لم يرجع إلى من هو أعلى منه.

---

(١) انظر ابن قتيبة، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٢) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٣٥٢؛ وانظر الشيباني، شرح السير الكبير، ج١ ص٢١٠.

(٣) انظر مصطفى مشهور، بين القيادة والجندية على طريق الدعوة، ص٢٧.

(٤) انظر خطاب، الرسول القائد، ص٣٠٠.

لما احتدم الموقف واشتد القتال بين المسلمين والروم في معركة اليرموك وصل إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه القائد العام للجيش الإسلامي نبأ وفاة الصديق رضي الله عنه، وأمرٌ بعزله عن القيادة، ولأن الموقف العام للمعركة لا يحتمل مثل تلك الأنباء، فقد أدرك خالد بفكره الثاقب، وبصيرته المدركة لعواقب الأمور، أن انتشار هذه الأخبار قد يؤدي إلى زعزعة الروح المعنوية لدى الجند، فاستغل الموقف لصالحه، حيث أخبر الجند بأن هناك مددًا سيأتي إليهم، وأفهمهم بأن ذلك فحوى ما حمله البريد إليه، وحجب عنهم الأخبار الحقيقية، وواصل قيادته للجيش بكل كفاءة ورزانة، وكأن شيئًا لم يكن، حتى تحقق لهم النصر، عند ذلك أظهر لهم الحقيقة، وأسباب حجبها عنهم[١].

كما ينبغي أن يكون القائد ذا قدرة على التأثير والإقناع بحكمته التي يستطيع بها تغيير وجهات نظر الجند حيال بعض الأمور المهمة، بعيدًا عن أساليب الجبر والقهر، فقوة التأثير على الجند من العوامل المساعدة على الضبط الإداري للجند.

لما قدم خالد على المسلمين في اليرموك، وجد كل أمير يقاتل من بإزائه من الروم، فرأى أن في ذلك تفتيتًا لجهد الجيش، وأن الغلبة في ذلك للروم، وكان من رأيه أن يقاتل الجيش الإسلامي تحت قيادة واحدة، فقام في المسلمين خطيبًا وأبدى لهم رأيه في ذلك، واستطاع بحكمته وحنكته أن يقنعهم برأيه الذي يرى وجوب توحيد القيادة، فكان له ما أراد، بعيدًا عن أساليب التعسف والقهر في إبداء الرأي أو الأخذ به[٢].

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٨؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٨٣.
(٢) انظر المصادر السابقة، ص٣٩٥-٣٩٦؛ وانظر ص٢٨١-٢٨٢.

ومن سداد الرأي، القدرة على تقدير الموقف بكل الاحتمالات القريبة والبعيدة، الحسنة والسيئة؛ ليعد لكل حال ما يناسبه من خطة؛ لئلا يفاجأ بموقف طارئ، قد يعوقه قليلًا، فوضع الخطط المناسبة لكافة الظروف والأحوال المتوقعة وغير المتوقعة، الحسنة وغير الحسنة، أمر يساعد على سرعة التغيير من خطة إلى أخرى، دون تردد أو ارتباك. فعلى القائد أن: «يفكر بكل كبيرة وصغيرة، ويعد لكل أمر عدته، ويتخذ كافة متطلبات الحذر والحيطة»[1].

ومن سداد الرأي أيضًا: القدرة على معرفة الجند عن طريق سبر نفسياتهم وإمكاناتهم؛ ليتم بموجب ذلك إسناد المهمات إليهم، وليضمن نجاح المهمة، وذلك دليل على تمام الرأي عند القائد؛ لأنه أكمل رأيه السديد بوضع الجندي المناسب لتنفيذه. فمن المهمات ما يحتاج إلى الشجاعة والحزم، ومنها ما يحتاج إلى الحلم وسعة البال، ومنها ما يحتاج إلى الأمانة[2] ونحو ذلك.

فمعرفة أحوال الجند وقدراتهم تمكن القائد من الاستفادة منهم استفادة كاملة، وتسخير تلك القدرات في خدمة الجيش.

فمن الواجب على القائد: «أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه»[3] وإن لم يكن في جنده من هو صالح لتلك المهمة فله أن يستعمل الأمثل فالأمثل[4]، بعيدًا عن أي مميزات أخرى

(١) خطاب، الرسول القائد، ص٣٠٥.

(٢) انظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج٢ ص٢٢-٢٣.

(٣) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٠.

(٤) انظر المصدر السابق، ص١٤.

فتكليف الجند للقيام بأعمال لا تتفق وقدراتهم، لرغبة في نفس القائد كنفعه بعوائد من تلك المهمة، أو لصلته به ونحو ذلك، يعد خيانة عظمى عاقبتها الفشل والهزيمة. فالقائد مؤتمن في أداء عمله على الوجه الأكمل وتكليفه من ليس أهلًا للقيام بعمل ما، خيانة لتلك الأمانة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[1]، وقال ﷺ: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قيل: يا رسول الله وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[2]، وقال ابن تيمية: «فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة أو صداقة، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس، كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن[3] في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[4].

٤- الكفاءة والخبرة في أمور الحرب[5]:

الكفاءة والخبرة أصل من أصول النجاح في كل عمل، والقائد العسكري إذا لم يكن ذا كفاءة وخبرة بأصول الحرب، فإن الفشل غالبًا ما يكون مصير تدبيره وقيادته، فالكفاءة بالنسبة للقائد كالروح للجسد[6].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ٢.

(٣) حقد. انظر الرازي، الصحاح، ص٣٨٢.

(٤) السياسة الشرعية، ص١١.

(٥) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٢؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج٨ ص٣٥٢؛ وانظر ابن تيمية، المصدر السابق، ص١٥.

(٦) انظر القادري، الجهاد في سبيل الله، ج٢ ص١٣.

وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى الكفاءة والخبرة بأمور الحرب من السمات الرئيسة التي يجب أن يتصف بها القائد، بل ويقدم من اتصف بها على غيره من الآخرين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، (وقد برز علمه وخبرته في اختيار جنده، ومعرفة الصالح منهم للجهاد وغير الصالح، وبرزت قوته في صموده وصبره ومصابرته ونجاحه في جهاده بقتل عدوه)[2].

يقول سيد قطب في سياق حديثه حول هذه القصة مبينًا دور الخبرة وأثرها في نجاح القيادة: «وفي ثنايا هذه التجربة تكمن عبرة القيادة الصالحة الحازمة المؤمنة . . وكلها واضحة في قيادة طالوت. تبرز منها خبرته بالنفوس، وعدم اغتراره بالحماسة الظاهرة، وعدم اكتفائه بالتجربة الأولى، ومحاولته اختبار الطاعة والعزيمة في نفوس جنوده قبل المعركة وفصله للذين ضعفوا وتركهم وراءه. . ثم -وهذا هو الأهم- عدم تخاذله وقد تضاءل جنوده تجربة بعد تجربة، ولم يثبت معه في النهاية إلا تلك الفئة المختارة، فخاض بهم المعركة ثقة منه بقوة الإيمان الخالص، ووعد الله الصادق للمؤمنين»[3].

فخبرة القائد الحربية تجعله قادرًا على معرفة إمكانات جنوده، وامتحانها

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) في ظلال القرآن، ج١ ص٢٥٧.

قبل خوض المعركة، وجعل الجندي المناسب في المكان المناسب، فيسند الأمور إلى من يقوم بها في كفاءة وقدرة تفوق ما لدى أقرانه الآخرين.

أما كفاءة القائد القتالية، فقد يضطر القائد إلى المشاركة الفعلية في المعركة، وقد يتمكن العدو من الوصول إليه، فإذا لم يكن ذا قدرة وكفاءة قتالية بمختلف الأسلحة، فقد يكون عامل وهن على جنده. فقتل القائد عامل موهن للعزيمة، وقد يؤدي إلى الهزيمة غالبًا؛ لأن التمكن من قتل القائد غالبًا ما يدل على تفوق الأعداء قتاليًا. يقول ابن تيمية: «القوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال: من رمي، وطعن وضرب، وركوب، وكر وفر، ونحو ذلك»(1).

٥- المعرفة:

يستحسن أن يكون القائد على درجة من العلم بالكتاب والسنة والعلوم الشرعية الأخرى؛ ليستطيع معها الاجتهاد عند الحاجة، فقد يعرض للقائد بعض المواقف التي تحتاج إلى الاجتهاد فيها لاتخاذ الحكم المناسب لها، دون الرجوع إلى من هم أعلم منه، ولا يتأتى ذلك إلا لمن كان عالمًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ(2).

كما يجب أن يكون على معرفة تامة بالأمور الفنية والمهنية ونحوها مما يتعلق بالجيش وأسلحته(3).

(١) السياسة الشرعية، ص١٥.

(٢) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٢٠؛ وانظر أحمد نار، القتال في الإسلام، ص٦٦.

(٣) انظر محمد فرج، الاستراتيجية، ص٢٦٢؛ وانظر أحمد نار، المرجع السابق؛ وانظر جمال الخلفات، بهاء الدين أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص٨٠.

فقد يضطر خلال المعركة إلى تغيير نوع السلاح المستخدم لعدم ملاءمته لظروف المعركة، فيستبدل السلاح بسلاح آخر مناسب، ولا يتأتى ذلك إلا لمن كان عالمًا بالأمور الفنية لكل سلاح.

ففي حروب المرتدين سلك العلاء بن الحضرمي في أحد الجيوش الإسلامية الدهناء، فلما توسط الصحراء في جوف الليل، أمر جنده بالنزول للمبيت، فنفرت الإبل وعليها الزاد، ولم يبق مع المسلمين شيء من طعامهم ولا شرابهم ولا رحالهم، فأصابهم من الغم والهم ما دفعهم، إلى أن يوصي بعضهم بعضًا، ولما بلغ بهم الموقف أشده، دعاهم العلاء فوعظهم، وذكرهم بوعد الله في نصر من نصره، واجتهد في الموعظة حتى خفف عنهم ما هم فيه، وزرع فيهم الأمل، وانتزع منهم اليأس فكان مما قال: «أيها الناس، لا تراعوا، ألستم مسلمين! ألستم في سبيل الله! ألستم أنصار الله! قالوا بلى، قال: فأبشروا، فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم»[1].

فلما أصبح الصبح لجأ إلى الله بالدعاء، لإيمانه بأنه خير معين وناصر في مثل هذه الظروف، فجثا على ركبته، وجثا المسلمون، ودعوا ربهم حتى أكرمهم الله بماء قاموا إليه وشربوا منه واغتسلوا، وأقبلت الإبل من كل جهة كأن لم تكن قد نفرت[2].

وفي حصار المسلمين للأنبار، طاف خالد بن الوليد حول خندقها لدراسته ومعرفة المواقع التي يمكن القتال فيها، وليحدد نوع السلاح الذي

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٠٧.

(٢) انظر المصدر السابق، ٣٠٦-٣٠٨.

يمكن استخدامه، فلما نشب القتال، وجد أن سلاح الرماية أنسب الأسلحة لذلك الموقع، ولتلك الظروف التي يتقاتل فيها الفريقان، فقدم الرماة وحثهم على التوخي في الرمي[١]. وبذلك استطاع خالد أن يقاتل العدو بالسلاح الأشد نكاية من غيره، بفراسته ومعرفته الثاقبة بالأسلحة.

وفي اليرموك جعل خالد بن الوليد جيش المسلمين في ستة وثلاثين كردوسًا، وتلك تعبئة لم تكن معروفة لدى المسلمين من قبل، إلا أن خالدًا لجأ إليها لما رآها أصلح تعبئة لمواجهة الكثافة العددية لجيش الروم[٢].

٦- هدوء الأعصاب:

يجب أن يتميز القائد بالقدرة على ضبط تصرفاته في أحلك الظروف والمواقف، وأن تكون حالته النفسية ثابتة لا تتبدل في حالتي النصر أو الهزيمة، فلا يجزع لمكروه أصابه، أو أصاب جيشه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[٣].

ويبتعد عن العظمة والطغيان في حال النصر، قال تعالى: ﴿. . . **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٤].

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٣٧٤؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٦٩؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣٤٩.

(٢) انظر المصادر السابقة، ص٣٩٦؛ وانظر ص٢٨٣؛ وانظر ج٧ ص٨.

(٣) سورة التوبة، الآية ٥١.

(٤) سورة المائدة، الآية ٢.

ولا يجعل لليأس أو القنوط إلى نفسه مدخلًا في حال الهزيمة، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[1].

بل يكون واثقًا من نفسه وتدبيره، واثقًا من قدرات جنده وسلاحه غير آبه بما يأتيه من أمر عدوه. لما حملت الأخبار إلى سعد بن أبي وقاص استعداد الفرس لقتال المسلمين في القادسية، كتب بذلك إلى عمر رضي الله عنه. فكتب إليه عمر كتابًا جاء فيه: (لا يكربنك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه . . .)[2].

المطلب الثاني

واجبات القائد

هناك أمور يجب على القائد مباشرتها، والسعي في تحقيقها لجنده، من أبرزها:

١-استعراض الجند[3]:

يجب على القائد أن يستعرض جنده قبل السير باتجاه العدو، فيخرج من كان مخذلًا أو مرجفًا أو عينًا للأعداء، وكل من يرى في وجوده ضررًا على جيشه، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا

(١) سورة الحجر، الآية ٥٦.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٣ ص٤٩٥؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٣١٥.

(٣) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣٧؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٠.

﴿خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1].

فهذه حال فئة من الناس عند خروجها للجهاد، لا تزيد الجيش إلا توهينًا وتفريقًا، رغم أن الجند في حاجة إلى من يقوي عزائمهم، ويشد من أزرهم، فكان من الواجب على القائد أن يمنع كل من في خروجه ضرر على الجند.

كما يجب على القائد أن يستعرض الجند ليجيز من يقدر على القتال، ممن لا يقدر عليه. فقد كان الرسول ﷺ يستعرض الجند عند الخروج للغزو فيجيز منهم القادر على القتال، ويرد من لا يقدر عليه. قال ابن عمر رضي الله عنه: «عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال، وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني، وعرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني»[2].

وقام أبو بكر رضي الله عنه باستعراض جيش أسامة، وسار معهم ماشيًا على قدميه قبل مسيرهم باتجاه الشام[3].

فكان عرض الجند من أولى المهمات التي يباشرها القائد عند توليه القيادة. لما ولى الحجاج قتيبة بن مسلم على خراسان، كان أول عمل باشره بعد قدومه إليها عرض الجند في السلاح والكراع، وبعد انتهاء العرض سار باتجاه العدو[4].

(١) سورة التوبة، الآية ٤٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ.

(٣) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦ ص٣٠٥.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٢٤-٤٢٥؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٠٥.

وكان المهدي يستعرض الجند قبل خروجهم للغزو، فقد عرض الجند في حلب سنة ثلاث وستين ومئة، ثم شيعهم باتجاه الروم[١].

وكان صلاح الدين يحرص على استعراض جنده بين حين وآخر، تفقدًا لهم، وإشعارًا لهم بمتابعته إياهم[٢].

٧- استعراض السلاح:

فيقوم بإخراج ما جرد منه، وما فقد قيمته، وما قد يكون عائقًا للمقاتلين أثناء المعركة، إما بسبب قدمه، أو لعدم ملاءمته لظروف المعركة، فالله سبحانه وتعالى يقول: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾**[٣]، فالسلاح القديم غير المؤثر في الأعداء، لا يثير فيهم الرعب، بل يكون عاملًا مساعدًا لهم على الاستمرار في القتال لاعتقادهم أن بقية الأسلحة كهذا السلاح الرديء الذي يتأثر، ويتآكل بالاستعمال، فإذا طال أمد المعركة فقد قيمته. لذا وجب الاعتناء بجودة السلاح، وقوة تأثيره على الأعداء، فكما أن المقاتل الشجاع يرعب الأعداء، والجبان يدفعهم إلى مواصلة القتال، فكذلك السلاح الجيد يثير في قلوبهم الرعب، والرديء يزيدهم أملًا في تحقيق النصر، ويدفعهم إلى الاستمرار في القتال، وكذلك هو لحامله، فشعوره بقوة تأثير سلاحه في

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٨ ص١٤٨.

(٢) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩ ص١٧٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

عدوه يدفعه إلى الاستمرار في القتال، والإصرار على تحقيق النصر، أما السلاح الرديء فإن حامله إذا شعر بعدم اكتراث الأعداء بسلاحه، خاف ورعب، لأنه كفاقد السلاح، وقد يدفعه ذلك إلى الفرار مخافة القتل.

يقول الفراء: «وعلى القائد أن يتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها، فلا يدخل في خيل الجهاد كبيرًا ولا صغيرًا، ولا أعجف هزيلًا؛ لأنه ربما كان ضعفها وهنًا»[1]، ولا أوهن على المقاتل من السلاح الرديء، فوجب إخراجه ومنع حمله.

في بداية عصر الدولة الإسلامية، كان المسلمون في قلة من السلاح وكانوا في حاجة إلى كل نوع منه مهما كانت نوعيته وجودته، فلم يكن الرسول ﷺ يرد شيئًا منه، إلا أنه كان يشير إلى النوع الأفضل في ذلك الوقت، ويوجه جنده إلى استخدامه، فقد رأى ﷺ مع أحد جنده قوسًا فارسية، فأمره بإلقائها وأخذ القوس العربية، وقال له: «**ما هذه؟**» -يقصد القوس الفارسية- «**ألقها. وعليكم بهذه وأشباهها ورماح القنا فإنهما يزيد الله لكم بهما في الدين، ويمكن لكم في البلاد**»[2] فالقوس العربية أنفع للعرب، لذلك وجه ﷺ إلى استعمالها.

وقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حمى خاصة بالخيل يتعاهدها بنفسه، ويستعين بخبراء في تربية الخيل، فيفرق بين العتاق[3] والهجن[4] منها[5].

---

(١) الأحكام السلطانية، ص٣٩؛ وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣٥.
(٢) إسناده ضعيف، البوصيري، مصباح الزجاجة، ج٢ ص٤٠٧.
(٣) نجائب الخيل. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٣ ص٢٧٠.
(٤) ما ولد من حصان عربي وأم غير عربية. انظر المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٩.
(٥) انظر ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١ ص١٥٥.

كما كان عمرو بن العاص يحذر جنده من إهمال الخيل وعدم العناية بها وأخبرهم بأنه سيرد ما هزل من الخيل، وسيعاقب صاحبه، حيث قال لهم: «ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه. واعلموا أني معترض بالخيل كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك»[1].

ولما قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليًا عليها من قبل الحجاج استعرض الجند في السلاح والكراع، قبل أن يسير إلى العدو، فعرف ما معهم من سلاح ودواب تصلح للحرب[2].

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يعرض الخيل في خلافته[3] حرصًا منه على الاطمئنان على حالتها، وكونها تعد إعدادًا سليماً يحصل به إرهاب العدو.

كما كان أبو جعفر المنصور يتخذ مجلسًا على شط دجلة، يستعرض جنده في السلاح والخيل، يتفقدها وينظر في حالها[4].

٣- وضع الجندي المناسب في المكان المناسب:

التعرف على قدرات الجند أمر حيوي لنجاح الخطط العسكرية، فنجاح الخطة يعتمد على كفاءة من يقوم بها، فليس إحكام الخطة من جميع

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١ ص١٥٤.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٦ ص٤٢٤- ٤٢٥.

(٣) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥ ص٣٥٣.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٨ ص٥٢؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٥ ص٤١؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١١٥.

الجوانب يعني نجاحها، بل لابد من وجود الجندي المقتدر المناسب لها. فالخصائص النفسية والعقلية والبدنية، والفروق الفردية، تختلف من جندي لآخر، وتبعًا لذلك فإحكام التنفيذ ودقته يعود إلى موافقة ما يراد تنفيذه لقدرات وخصائص الجندي المنفذ، ولأن القائد لا يستطيع مباشرة الإشراف على كل أمر يراد تنفيذه، ولأهمية عملية التنفيذ وخطورتها أصبح من أولى الواجبات على القائد معرفة قدرات وخصائص جنده ليتمكن من وضع الجندي المناسب في المكان المناسب له[1].

وقد كان الرسول ﷺ أعلم الناس بأصحابه، فكان يكلف الرجل منهم بما هو أهل له، ففي ليلة الأحزاب بحث ﷺ عمن يجد في نفسه الكفاءة والقدرة على الإتيان بخبر قريش، فلم يجب لذلك أحد، فكان لابد من تكليف أحد الجنود للقيام بهذه المهمة، وكان لعلمه ﷺ بقدرات أصحابه دور في ذلك، فأمر حذيفة بن اليمان بالذهاب إلى المشركين والإتيان بخبرهم، لمعرفته ﷺ بقدرة حذيفة على النجاح في مثل هذه المهمة، فقام بتنفيذ ما أمر به دون زيادة، حتى إنه إذا هم بعمل خارج نطاق الخطة المرسومة له، تذكر وصية الرسول ﷺ له بعدم الإقدام على عمل يلفت أنظارهم إليه، فكان أن نجح في مهمته، وعاد إلى الرسول ﷺ سالمًا حاملًا الأخبار عن قريش[2].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه على معرفة جيدة بجنده، وكان كثيرًا

(١) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٥٣؛ وانظر محفوظ، المدخل، ص٢٩٥-٢٩٦.

(٢) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب.

ما ذكر قادته ببعض مزايا الجند لأخذها في عين الاعتبار خلال فترة قيادتهم. لما أمر أبا عبيد على العراق قال له: «إنه لم يمنعني أن أؤمر سليطا[1] إلا سرعته في الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان، والله لولا سرعته لأمرته، ولكن الحرب لا يصلحها إلا المكيث»[2].

وكأنه بذلك يوجهه إلى نوعية الجند الذين يمكن أن يولوا أمرًا، وتحذيرًا له من أن يولي من اتصف بذلك. وقال لسعد بن أبي وقاص: شاور طليحة الأسدي، وعمرو بن معد يكرب[3]، وسلهم في أمور الحرب ما تشاء، وخذ برأيهم، ونهاه أن يوليهما أمرًا من أمور الجيش[4]؛ لمعرفته بهما معرفة جعلته يصدر عليهما حكمه، حيث قال: «إن كل صانع هو أعلم بصنعته»[5].

٤- مراعاة الجند:

يجب على القائد المحافظة على سلامة وصحة من وكل أمرهم، فيرفق بهم في المسير بأن يسير بهم سيرًا يقدر عليه الضعيف، وتحفظ به قوة

(١) ابن قيس بن عمرو بن عبدالله بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، شهد المشاهد كلها وقتل يوم الجسر. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٧٠.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٤٥؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٩٨.

(٣) ابن عبدالله بن عمرو بن عاصم بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن شيبة، أبو ثور، شهد فتوح العراق والشام، مات سنة إحدى وعشرين وقد جاوز المئة بست سنين، وقيل عشر، وقيل عشرين، وقيل خمسين. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ص١٨-٢١.

(٤) انظر ابن الجوزي، مناقب عمر، ص١١٨.

(٥) المصدر السابق.

القوي، ويرفق بهم في المعاملة، بأن يعاملهم باللين والرحمة، فلا يكلفهم بما لا طاقة لهم به، ويتعاطف معهم عن طريق السؤال عن الحال، والشفقة على الضعفاء والمرضى منهم[1]. يقول ﷺ حاثًّا على الرفق والتيسير: «**اللهم من ولي من أمر المسلمين شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر المسلمين شيئًا فرفق بهم فارفق به**»[2].

فيجب «على من تولى أمر المسلمين في جهاد أو غيره ألا يكلفهم ما لا يطيقون، ولا ما تشتد مشقته عليهم، فلا يغزي قومًا ويريح آخرين، بل يناوب بينهم في ذلك، فيعزي بعضهم ويرح بعضهم، ثم يغزي المستريحين، ويريح الغازين، إلا أن يحضر مهم فيجمع له جميع الغزاة»[3].

وكان ﷺ المثل الأعلى للقادة المسلمين، يمشي خلف جنده في المسير فيساعد الضعيف، ويحمل من عجزت دابته عن المسير، قال جابر بن عبد الله: «كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف ويدعو لهم»[4]. وإذا بعث أحدًا أوصاه بالتيسير والتسهيل على من ولي أمرهم، فكان يقول ﷺ: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[5].

لما بعث أبو بكر الجيوش لحرب المرتدين، أوصى قادتها بوجوب الرفق بالجند في كل أمر، والحرص على تسهيل أمورهم، وعدم الشق عليهم في

---

(١) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٢٠؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٣٩؛ وانظر الجعوان، القتال في الإسلام، ص٤٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

(٣) ابن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله، ص٨٥.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة.

(٥) مسلم، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير.

المسير وعند النزول، وحثهم على تفقد الجند الصغير قبل الكبير، لما في ذلك من مصلحة كبيرة يعود نفعها على الجيش كله[1].

وسار قادة الفتح الإسلامي على ما سنه لهم الرسول ﷺ، وذكرهم به خلفاؤه الراشدون.

فهذا المثنى بن حارثة يعقد العزم على الإغارة على الخنافس[2]، ولما أصبح على أربعة فراسخ منها نزل ليريح الجيش من عناء السفر، ليستعيد الجند قواهم، وليتهيئوا لمقابلة العدو، قال لجنده: «أيها الناس أقيموا، وأطعموا، وتوضئوا، وتهيئوا»[3]، ولما رجع كان الجيش متعبًا ومرهقًا من جراء السرعة في السير، فنزل بهم، وأمرهم بقضاء حوائجهم، والخلود للراحة، حيث قال لهم: «أيها الناس، انزلوا واقضُوا أوطاركم، وتأهبوا للسير، واحمدوا الله، وسلوه العافية»[4].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد قادته يأمره بوجوب مراعاة من معه من الجند، والرفق بهم في المسير، بأن لا يتعبهم في مواصلة السير، أو السير بهم في أماكن وطرق وعرة المسالك، وأمره بالاقتصاد في الرحيل والنزول، حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص من قواهم شيئًا، وأمره بالإقامة في كل أسبوع يومًا وليلةً توضع فيها الأسلحة والأمتعة، ويرتاح

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٥٢.

(٢) أرض للعرب في طريق العراق قرب الأنبار. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٣٩٠.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ص٤٧٤.

(٤) المصدر السابق.

الجند من عناء السفر[1]. كل ذلك من أجل المحافظة على سلامة وصحة الجند، فهم سائرون إلى عدو مقيم، لم يرهقه السفر، يجب أن يصلوا إليه وهم في قمة الاستعداد النفسي والبدني، وهذا لا يتأتى مع السفر المتواصل، والإرهاق الدائم.

وهذا القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي يجوب البلاد المتاخمة لبيت المقدس مدة طويلة، وهو في حروب متواصلة، ولما عقد العزم على التوجه إلى بيت المقدس، شعر أن جيشه قد أصابه الإرهاق والملل من تواصل الحروب، والتوجه إلى بيت المقدس في ظل هذه الظروف أمر غير محمود العواقب، عند ذاك أمر الجند بأن يلقوا سلاحهم، ويرتعوا في تلك البلاد حتى يستعيدوا قواهم، وبقوا على تلك الحالة عدة شهور، حتى اشتدت سواعدهم، وقويت عزائمهم. فساروا إلى بيت المقدس وهم في حالة صحية ونفسية مرتفعة، تدفعهم إلى الجهاد وإخراج الأعداء من بلاد المسلمين[2].

٥- تأمين حوائج الجند:

يجب على القائد العمل على سد احتياجات ومتطلبات الجند من الزاد والعلوفة ونحوها، لكي تسكن نفوسهم عن طلبها، وليكون همهم منازلة العدو ومقارعته، فيكفيهم عن الاشتغال بالتجارة والزراعة والسعي في طلب الرزق[3].

---

(١) انظر ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص٧١-٧٢.

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٢٢.

(٣) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣-٤٤؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٤.

وقد كان المسلمون في عهد الرسول ﷺ في قلة من الزاد والعيش فكانوا يعتمدون على ما يتبرع به بعضهم، وعلى ما يؤمنه الشخص لنفسه مهما كان قليلًا أو كثيرًا، قال جابر بن عبد الله: «خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا، ففني زادنا حتى كان الرجل منا يأكل تمرة)، قال رجل: يا أبا عبد الله، وأين كانت التمرة تقع من الرجل؟ قال: لقد وجدنا فقدها حين فقدناها، حتى أتينا البحر، فإذا حوت قد قذفه البحر فأكلنا منه ثمانية عشر يومًا ما أحببنا»[1].

كما كان للصحابة الأغنياء دور كبير في تأمين الزاد ومستلزمات المعيشة للغزاة، كما حدث في غزوة تبوك، فقد تبرع أبو بكر رضي الله عنه بماله كله، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، وجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث الجيش، حتى قيل ما جاء به عثمان كان كافيًا لمئونة الجيش وحمل من النفقة والمئونة الشيء الكثير، حيث جاء كل صحابي بما يقدر عليه[2]، وهكذا كان المسلمون يتسابقون إلى الخير عن طريق إعداد الجيش وتأمين الزاد له، وكان ﷺ القدوة في ذلك، حيث كانت أموال بني النضير خالصة له ﷺ، فكان يخرج منها نفقة لأهله، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح في سبيل الله[3].

وكان ﷺ كلما آنس من بعض صحابته قلة الزاد، دعا الناس إلى الإتيان

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٢٤.

(٢) انظر الواقدي، كتاب المغازي، ج٣ ص٩٩١.

(٣) انظر البخاري، المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ١٤؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء.

بما معهم من الأطعمة ليأكل منها الجميع تحت إشرافه ﷺ، ففي غزوة خيبر دعا ﷺ بالأطعمة فلم يؤت إلا بسويق، فأكلوا منه، وشربوا[١].
وخف زاد المسلمين في إحدى الغزوات (فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم فأذن لهم، فلقيهم عمر فأخبروه، فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟ قال ﷺ: «**ناد في الناس يأتون بفضل أزوادهم**»، فدعا وبرك عليه، ثم دعاهم بأوعيتهم، فاحتثى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»[٢].

وكانوا يعتمدون على مياه الآبار والعيون في عملية الشرب، ففي غزوة ذي العشيرة[٣] مر المسلمون ببئر يقال لها المشترب، شربوا منها وملئوا القرب[٤]. وفي بدر نزل المسلمون على قليب ماء شربوا منها أثناء المعركة[٥].

وكانت النساء تحمل القرب أثناء المعركة لتسقي المقاتلين والجرحى قالت الربيع بنت معوذ[٦]: «كنا نغزو مع النبي ﷺ، فنسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة»[٧].

---

(١) انظر البخاري، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ١٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حصن صغير ناحية ينبع. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص١٢٧.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٧٧.

(٥) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٥٣؛ وانظر ابن هشام، المصدر السابق، ص١٩١-١٩٢.

(٦) ابن عقبة بن حزام بن جندب الأنصارية النجارية من بني عدي بن النجار، من المبايعات بيعة الشجرة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٤ ص٢٩٣.

(٧) البخاري، المصدر السابق، كتاب الجهاد باب ٦٨.

أما الدواب فكن على الكلأ، قال ﷺ: «**إذا سافرتم في الخِصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السنة فأسرعوا عليها السير** . . .»[1]، فإذا كان السفر في الخصب تمهلوا في السير لتأخذ الدواب حظها من الرعي، وفي القحط يعجلون في السير حتى يصلوا إلى مقصدهم وفيها بقية من قوة، فالتمهل في السير في حال القحط ينهك الدابة لعدم وجود ما ترعاه، فتضعف وتذهب قوتها[2].

ثم تطور الحال مع التوسع في الفتوحات الإسلامية، فكان الاعتماد على الغنائم لتأمين متطلبات المعيشة. ففي وقعة البويب غنم المسلمون غنماً ودقيقًا وبقرًا، أمنوا للجند منه حاجتهم، وبعثوا بالباقي لعائلاتهم وعائلات أهل الأيام السابقة[3]. ولما نزل سعد بالقادسية كان يبث السرايا للإغارة طلبًا للزاد، فقد أغارت سرية على مجموعة من الصيادين كانوا قد اصطادوا سمكًا فأخذوها، وغنم آخرون ثلاثمائة دابة ما بين بغل وحمار وثور، فحملوا السمك عليها واستاقوها إلى الجيش، فقسم سعد السمك والدواب بين الناس، وسموا هذا اليوم يوم الحيتان[4]. قال الطبري بعد سياقه لهذه القصة موضحًا الحالة المعيشية للجيش: «وكانوا إنما يقرمون إلى اللحم، فأما الحنطة والشعير والتمر والحبوب، فكانوا قد اكتسبوا ما اكتفوا به لو أقاموا زمانًا، فكانت السرايا إنما تسرى للحوم، ويسمون أيامها بها، ومن أيام اللحم يوم الأباقر، ويوم الحيتان»[5].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب مراعاة مصلحة الدواب في السير.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣ ص٦٩.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٧٣؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٠٦.

(٤) انظر المصادر السابقة، ص٥٠٢؛ وانظر ص٣١٦-٣١٧.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص٥٠٢.

كما يتم الاعتماد على ما يقدم من أهل البلاد التي يمرون بها، ففي عودة المثنى من الخنافس[1] بعد الإغارة عليها، طرق دهاقيس الأنبار، فلما عرفوه أتوه بالأعلاف والزاد وما احتاج إليه الجيش في سفره[2].

وتؤمن القيادة العليا للجيش الإسلامي بعضًا من مستلزمات المعيشة بإرسال المواد الغذائية إليهم من المدينة. فقد كان عمر رضي الله عنه يمد أهل القادسية بالمواد الغذائية، ويمدهم بالغنم والجزر[3].

واعتمدوا في جلب المياه على الأنهار والعيون والآبار الموجودة في محيطهم، واستخدموا في نقلها الأدوات المستخدمة في عصرهم كالقرب، كما استخدموا الدواب في نقل المياه، حيث أمر خالد بن الوليد حينما سار من العراق إلى الشام مددًا لجيش المسلمين في اليرموك، بتظمئة الإبل المسنة، حتى بلغ بها العطش مبلغه، فشربت من الماء الشربة الأولى ثم الثانية، حتى امتلأت أجوافها ماء، ثم صروا آذانها وكعموها[4]، لكي لا تجتر، وساروا بها، فكانوا كلما احتاجوا ماء ذبحوا عدة منها، فشربوا منها، وأسقوا دوابهم، وأكلوا لحمها[5].

ومن ذلك يتبين أن المصدر الرئيس لتأمين الزاد للجيش كان الغنائم وكان قائد الجيش يحرص على توفيره لجنده، فقد يأمر سرية من الجند

---

(١) انظر المصدر السابق، ص٤٧٣؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٥١٠.

(٣) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٥٢.

(٤) شدقاه لئلا يعض أو يأكل. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٤ ص١٧٤.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٤٠٩؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٢٨٠.

لأجل الإغارة وجلب الزاد. وبالإضافة إلى الغنائم كان هناك التبرع الشخصي من قبل بعض المسلمين حسب استطاعتهم، وكذا ما تستطيع القيادة العليا للجيش الإسلامي تأمينه لهم، حيث تقوم بإرسال الأرزاق للجند مما توافر لديها.

ولما زادت واردات الدولة الإسلامية مع التوسع في الفتوحات، أصبحت في قدرة على تغطية نفقات الجيش، وأصبح تموين الجيش من مسئولياتها. فقد فرض عمر رضي الله عنه لعامة المسلمين حوائجهم من المال والطعام[١]، فكان يدفع لكل فرد مسلم حرًّا كان أو عبدًا ما يكفيه من الطعام، حيث فرض لهم في كل شهر وفي الأحوال العادية مدي حنطة، وقسطي زيت وخل[٢].

فإذا كان ذلك للعامة، فمن باب أولى أن يكون للمجاهدين وذويهم، وقد كان من تقدير عمر للمجاهدين، ما كان داعيًا له أن يهم: «بجعل العطاء أربعة آلاف، ألفًا يجعلها الرجل في أهله، وألفًا يتزودها معه، وألفًا يتجهز بها، وألفًا يترفق بها»[٣]، إلا أنه مات قبل أن يفعل ذلك رضي الله عنه.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه وسع على الجند في الزاد والقوت وأعطاهم كفايتهم من الكسوة[٤].

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٦١٥؛ وانظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٤- ٤٣٥؛ وانظر ابن الجوزي، مناقب عمر، ص١٠٩.

(٢) انظر البلاذري، المصدر السابق، ص٤٤٣.

(٣) الطبري، المصدر السابق.

(٤) انظر البلاذري، المصدر السابق، ص٤٣٤.

وفي عهد الدولة الأموية تكفلت الدولة بكل ما يلزم الجند من مؤن وعتاد، فقد كان الحجاج يجهز الجيوش ويؤمنها بكل ما تحتاج إليه، فقد أرسل عبد الرحمن بن الأشعث[١] بجيش إلى ملك الروم، وجهزه بكل ما يحتاج إليه، فقد أعطاهم أعطياتهم كاملة، وزاد عليها فأنفق فيهم ألفي ألف، وأمدهم بالخيول الروائع، والسلاح الكامل، وأحسن معونتهم[٢]. وكذلك فعل مع محمد بن القاسم[٣] لما وجهه إلى ملك السند، فقد أمده بكل زاد وعتاد حتى الإبر والخيوط[٤].

واستمر الحال على هذا المنوال في عهد الدولة العباسية، بل كان أفضل مما كان عليه نظرًا لتوسع الدولة الإسلامية، وكثرة مواردها المالية، ففي إحدى مغازي هارون الرشيد خرج في جيش قوامه خمسة وتسعون ألفًا وسبعمائة وثلاثة وتسعون رجلًا، وحمل لهم من العين مئة ألف دينار وأربعة وتسعين ألفًا وأربعمائة وخمسين دينارًا، ومن الورق واحدًا وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفًا وثمانمائة درهم، وذبح من الغنم والبقر مئة ألف رأس[٥]. فكان القادة يحرصون على تأمين كل متطلبات

---

(١) ابن قيس الكندي، بعثه الحجاج على سجستان وثار عليه، مات سنة أربع وثمانين. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤ ص١٨٣-١٨٤.

(٢) تاريخ الطبري، ج٦ ص٣٢٧؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٧٤؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩ ص٣١-٣٢.

(٣) ابن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فاتح السند وواليها، من كبار القادة، قاد الجيوش لسبع عشرة حجة، مات سنة ثمان وتسعين. انظر الزركلي، الأعلام، ج٦ ص٣٣٣-٣٣٤.

(٤) انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص١١١.

(٥) انظر تاريخ الطبري، ج٨ ص١٥٢-١٥٣؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥ ص٩٥.

الجند، فقد كان الأفشين[1] يحمل معه الأطباء[2] لعلاج الجرحى، ومتابعة الجند صحيًا، وكان يقول لصاحب الشراب: «اذهب فتوسط الحرب معهم حتى أراك بعيني معك السويق، والماء، لئلا يعطش القوم فيحتاجوا إلى الرجوع»[3].

وذلك حرصًا منه على صرف اهتمام الجند بالقتال، وعدم الانشغال عنه بالبحث عن الزاد والمعيشة.

ولتأمين حوائج الجند كما ينبغي، فإنه يجب على القائد أن يعين على أقسام الجيش المختلفة الأمراء والعرفاء والنقباء، ليكونوا مسئولين أمامه عن فرقهم، وليقوموا بدور الوسيط بين القيادة والجند لتبليغ الأوامر وعرض حاجات ومطالب الجند على القيادة.

٦- العمل بالشورى:

يجب على القائد طلب الرأي السديد، والمشاورة فيما أشكل عليه من أمور، بحثًا عن الصواب، وبعدًا عن الخطأ والزلل. ويرجع في طلب المشورة إلى (ذي الرأي والمعرفة والثقة والنصيحة)[4] من خاصته وبطانته وذلك في الأمور الحساسة والدقيقة التي تحتاج إلى صيانة لها، أما الأمور الأخرى التي لا يضر انتشارها، فللقائد أن يطلب المشورة ممن يشاء[5]

---

(١) محمد بن أبي الساج، توفي سنة ثمان وثمانين ومئتين ببرذعة. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢ ص٢٥٠.

(٢) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٩ ص٣٩.

(٣) المصدر السابق، ص٤٠.

(٤) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٢١.

(٥) انظر المصادر السابقة وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣، وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٥.

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

ولقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى للقادة والمسلمين أكثر الناس مشورة لأصحابه. يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»[2]، والشواهد لذلك كثيرة ومعروفة، من أشهرها مشاورته لأصحابه في أسارى بدر، ومشاورته إياهم في الخروج من المدينة لقتال المشركين في أحد.

وكان عمر رضي الله عنه يوصي قادة الجيوش الإسلامية بأخذ الرأي من أصحابه، فقد قال لأبي عبيد: «اسمع من أصحاب النبي ﷺ، وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا حتى تتبين»[3]. وأمر عتبة بن غزوان أن يستشير عرفجة بن هرثمة[4]، وأن يقربه من مجلسه؛ لما عرف عنه من سداد الرأي، وقوة البصيرة[5]. وكثيرًا ما تبادل أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد الرأي في كثير من الأمور العسكرية[6].

ولما قصدت الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في المشورة.

(٣) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٤٥؛ وانظر المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ص٣١٦-٣١٨.

(٤) ابن عبد العزى بن زهير الباقري، أحد أمراء الفتوح، ذو مجاهدة ونكاية بالعدو. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٢ ص٤٦٧.

(٥) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٩٣.

(٦) انظر المصدر السابق، ص٥٩٨.

استشار كبار قادته فيما يجب اتباعه من المناجزة، أو التحصن حتى تصل الإمدادات، فاستقر رأيهم على التحصن حتى مجيء الغياث[١]. وكان النعمان بن مقرن كثير المشاورة لأهل الرأي من جنده[٢]. كما كان صلاح الدين الأيوبي يجمع أمراءه وقادته[٣] في كثير من الأمور الطارئة، فيناقش معهم الخطة التي يجب اتباعها، ويمحص آراءهم، وينظر في مقترحاتهم التي قد تخفى عليه، فبعض الأمور قد تستغلق على بعض ذوي العقول الراجحة، ويتنبه لها من أقرانه وخاصته، أو من لا يعتد بأقوالهم غالبًا.

٧- الحذر الدائم:

من آكد الواجبات على القادة الحذر الدائم في كل وقت ومكان والتحرز من أن يظفر منه العدو بغرة[٤]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾[٥].

فالحذر الدائم مطلب ضروري، مهما أظهر العدو من مسالمة، والحذر في زمن الحرب آكد، فقد قيل: «أول العمل في الحرب ورأس التدبير فيها، ألا يظهر عدوك على عوراتك، ولا تستتر عنك عوراته، ولن تحكم ذلك في نفسك إلا مع شدة الحذر وكتمان السر، ولن تعرفه من عدوك إلا مع التيقظ والتلطف، وإذكاء العيون والجواسيس»[٦].

---

(١) انظر المصدر السابق، ج٤ ص٥٠.

(٢) انظر المصدر السابق، ص١٢٩.

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٩ ص١٧٦، ١٧٧، ٢٠١.

(٤) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص١٩؛ وانظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٤.

(٥) سورة النساء، الآية ٧١.

(٦) الهرثمي، المصدر السابق.

فالحذر أقوى المكايد ضد العدو، لذا وجب على كل قائد أن يظهر أشد الحذر لعدوه، فيحجب عنه الأخبار، ويصون الأسرار، ويحصن عوراته ويحترز في كل أمر مهما كانت قيمته، وأن يحذر من فلتات اللسان، فقد تجلب له ما يكره، وألا يستهين بصغير لصغره، أو بجاهل لجهله، أو بأعجمي لعجمته، فقد يُستدل ببعض كلامهم على ما ينكشف به سره ولينشر العيون في كل مكان يوجد به العدو، وليرسل الطلائع أمام جيشه لتأتيه بالأخبار، وألا يحتقر أمر العدو مهما حُطَّ من قدره، ولا يأمن جانبه مهما أظهر من حسن النية، وليحصن الثغور ويدكها بالمقاتلة والسلاح[1] وألايسير إلا على تعبئة، خاصة عندما يقترب من العدو فقد كان «أهل الحزم والتجربة يرون لصاحب الحرب، أن يكون نزوله ومسيره بالتعبئة في الأمن كما يرونه في الخوف، إلا أن يدع ذلك عن ضرورة، ويرون ألا يخلو مما تيسر من التعبئة في الأمن على كل حال»[2].

كان شرحبيل بن حسنة القائد الإسلامي لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة[3]، وكثيرًا ما فوجئت الروم بتهيئه وحذره الدائم الذي يفوت عليهم مفاجأة المسلمين. قال عبد الملك بن مروان لأحد قادته موصيًا إياه وقد أرسله لحرب الروم. «وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرًا من احتيال عدوك عليك»[4].

---

(١) المصدر السابق، ص١٩-٢٠، ٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص٣٥.

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٩٥.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١ ص١٣٣.

٨- قبول النصيحة ممن بذلها:

النصيحة (كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له)[١]، وهي واجبة بين المسلمين. فعن تميم الداري[٢] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٣].

كان ﷺ، يقرن مبايعته بوجوب النصح لكل مسلم، قال جرير بن عبد الله[٤] رضي الله عنه، «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[٥]، وذلك دليل على عظم منزلتها في الدين. قال جماعة من أهل العلم: حديث تميم الداري رابع أربعة أحاديث تجمع أمور الإسلام، وقال النووي: بل عليه مدار الإسلام[٦]. كل ذلك يدل على أهمية النصيحة وضرورتها لكل فرد مسلم، ومن عرف

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢ ص٣٧.

(٢) ابن أوس بن حارثة وقيل خارجة بن سود، وقيل سواد بن جذيمة بن دارع بن عدي ابن الدار، أبو رقية، كان نصرانيًا وقدم المدينة سنة تسع فأسلم، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان، وسكن فلسطين، مات بالشام وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص١٨٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ٤٢.

(٤) ابن جابر بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي البجلي، أبو عمرو، وقيل أبو عبدالله، أسلم قبل سنة عشر، قدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة، سكن الكوفة، مات سنة إحدى أو أربع وخمسين. انظر ابن حجر، المصدر السابق، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٥) البخاري، المصدر السابق، مسلم، المصدر السابق.

(٦) انظر النووي، المصدر السابق.

منزلة النصيحة في الإسلام ودورها، وجب عليه قبولها والاستماع إلى باذلها حتى ينتهي من كلامه، وعليه عدم إظهار الأخذ بها أو ردها، بل عليه أن يأخذ بالأصلح له في أمره، والأرضى لربه، وعليه قبولها من حيث أتته من قريب أو بعيد[1].

فلكل من يقوم بأمر من أمور المسلمين من أصحاب الولايات كبيرها وصغيرها حق النصيحة على جماعة المسلمين، إذا قام بها أحدهم سقطت عن الباقين، فهي لازمة بقدر الطاقة، خاصة إذا علم الناصح أن ولي الأمر يقبل النصيحة، أما إذا خيف منه المكروه، فهم في سعة من ذلك[2].

وقد تكون النصيحة بمساعدة ولاة الأمر على الحق، وطاعتهم فيه وتذكيرهم به، وحثهم عليه، وتعليمهم ما جهلوا منه برفق ولين وتذكيرهم بحقوق المسلمين عليهم، وعدم الخروج عليهم، أو السعي في ذلك، بل السعي في تأليف قلوب الناس لطاعتهم[3].

كان عمر رضي الله عنه قد نهى جنده عن التوغل في بلاد فارس وأمرهم بالاقتصار على ما فتحوا، فكان الفرس يقاتلون المسلمين بين حين وآخر. فنصحه الأحنف بن قيس بالانسياح في بلاد فارس للقضاء على ملكهم، ولقطع الرجاء في عودته، فأحس عمر من كلام الأحنف الصدق والإخلاص في النصيحة، فقال: (صدقتني والله)[4]، وأمر بالتوغل في

(١) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٢٣.
(٢) انظر النووي، المصدر السابق، ص٣٩.
(٣) انظر المصدر السابق، ص٣٨.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٨٥.

بلاد فارس والقضاء على ملكهم، فكانت تلك نصيحة عم خيرها المسلمين والفرس[١].

وفي إحدى معارك مروان بن محمد في بلاد الخزر[٢]، اجتاز بجنوده نهرًا يقال له نهر رام، يشبه نهر دجلة، وظل يساير مجراه متوغلًا في البلاد منتصرًا، واستمر في مسيره حتى نصحه بعض جنوده بضرورة الرجوع خوفًا من أن يؤخذ على حين غرة، فقبل تلك النصيحة ورجع بهم[٣].

٩- إقامة شريعة الله:

يجب على القائد أن يقيم في جنده أحكام الله وشرعه، وأن يأخذهم بما أوجب الله عليهم من حقوق، فمن جاهد لإعلاء كلمة الله كان أولى وأحق أن يلتزم حدود الله وأحكامه[٤]، ومن قاتل باسم الله وفي سبيل الله، كبر بحقه مخالفة ملة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ • كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[٥] فالله سبحانه وتعالى (عاتب من قال إنه يفعل الخير ولم يفعله)[٦]، وكذلك

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص٩٤؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق.

(٢) بلاد الترك، وهي بلاد قريبة من سد ذي القرنين. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٣٦٧.

(٣) انظر القاضي سعد أبو حبيب، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، ص٩٣، نقلًا عن: ابن عساكر، تاريخ دمشق، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق، رقم٣٣٦٦ عام (١)، ج١٦ ص١٩٣.

(٤) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٤؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٥.

(٥) سورة الصف، الآية ٢-٣.

(٦) ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٢٤-٢٥.

من دعا إلى الخير ولم يفعله، قال ﷺ: «**الغزو غزوان: فأما من غزا ابتغاء وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد في الأرض، فإن نومه ونبهه أجر كله. وأما من غزا فخرًا ورياءً وسمعةً. وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف**»[1] أي لم يرجع بالثواب لتجاوزه حدود الله خلال غزوه[2]. يقول أبوالدرداء: «أيها الناس عمل صالح قبل الغزو، فإنما تقاتلون بأعمالكم»[3].

ولتجاوز حدود الله وارتكاب المعاصي آثار عكسية على الجيش، بل هي سلاح ضده. قال سعد بن أبي وقاص وهو يخوض دجلة مع جنده باتجاه الفرس: «حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي، أو ذنوب تغلب الحسنات»[4]. فكان الجند وقادتهم يتحرزون من المعاصي، لما لها من أثر عكسي على الجيش.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد قادته موصيًا إياه ومن معه بتقوى الله على كل حال، فهي (أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة، وأمره أن لا يكون من شيء من عدوه أشد احتراسًا منه لنفسه ومن معه من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم.

---

(١) حديث صحيح. السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٢٠٤ رقم الحديث (٥٧٩٧).

(٢) انظر السهار نفوري، بذل المجهود، ج١١ ص٤٣١.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٦ ص٣٠؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٣.

(٤) تاريخ الطبري، ج٤ ص١٢؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٥٦-٣٥٧.

وإنما نعادي أعداءنا وننصر عليهم بمعصيتهم. ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم. فلو استوينا نحن وهم في المعصية، كانوا أفضل منا في القوة والعدد، فإن لا ننصر عليهم بحقنا، لا نغلبهم بقوتنا، ولا تكونوا لعداوة أحدٍ من الناس أحذر منكم لذنوبكم، ولا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاهدًا منكم لذنوبكم . . .)[١].

١٠- اختيار الموضع المناسب للنزول عند المصاف للقاء العدو[٢]:

يجب على القائد أن يختار لجنده المكان المناسب للنزول لمحاربة العدو وذلك بأن يكون (أوطأ الأرض مكانًا، وأكثر مرعى وماء، وأحرسها أكنافًا وأطرافًا، ليكون أعون لهم على المنازلة، وأقوى لهم على المرابطة)[٣]، ويسند ظهور أصحابه إلى مكان يأمن منه العدو، وليجعل القلب في مكان مرتفع كجبل أو شرفة وما أشبهه من أرض صلبة مرتفعة خالية من الغبار ونحوه مما يضايق الجند ويؤذيهم، فإن لم يستطع، فليجعل خليفته على قلب الجيش، وليبحث عن مكان مرتفع في ميمنة الجيش أو ميسرته، ليشرف على الزحفين، وإن لم يجد صنع شيئًا يعلو عليه ليشرف منه على ما أراد.

وعند اختيار الموقع يجب أن يراعي الأحوال الجوية، فيجب أن تكون الشمس والريح من وراء ظهره، وليحرص أشد الحرص على أن لا تكون

(١) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص٧١-٧٢.

(٢) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٤.

(٣) الماوردي، المصدر السابق.

الشمس والريح في أعين الجند، فإن لم يستطع، فليحرص على ترك اللقاء في تلك الساعة أو اليوم، فإن لم يستطع فليترجل الفرسان، وليقاتلوا متراصين مع الرجالة[1].

وقد كان الرسول ﷺ يختار المكان المناسب لجنده، ويأخذ رأيهم في مدى ملاءمته وموافقته للمكيدة الحربية، ففي بدر نزل المسلمون على بئر ماء، وردموا ما سواها ليمنعوا المشركين من الماء أثناء المعركة، ولما صف أصحابه استقبل المغرب وجعل الشمس خلفه لئلا تؤذي أعينهم[2]. وفي أحد جعل ﷺ جبل أحد خلف ظهره، وأمنه بفرقة من الرماة يحمون ظهور المسلمين، وجعل الشمس خلفه[3].

هكذا كان الرسول ﷺ يحرص على اختيار الموقع المناسب لخوض المعركة؛ لما له من أهمية وأثر كبير في تحديد مسارها، ولما له من نكاية على العدو، فقد كان لحسن اختيار الموقع في معركة الخندق الأثر السيئ على نفسيات المشركين، حتى قال قائلهم لما رأى موقع معسكر المسلمين وما أحاط به من احتياطات أمنية تمنع وصولهم إليه: (والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها)[4].

---

(١) انظر الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص٣٣-٣٤؛ وانظر الحسن بن عبدالله، آثار الأول، ص١٦٩.

(٢) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٥٣، ٥٦؛ وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٩٢؛ وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٤٤٠.

(٣) انظر الواقدي، المصدر السابق، ص٢٢٠؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ١٧.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق، ج٣ ص١٣٤.

ولما ولى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص حرب العراق وسرحه إليها، أمره بنزول القادسية، لما عرف عنها من خصابة الأرض وطيب الكلأ، وحصانة الموقع، وتوسطه بين أرض العرب وأرض العجم وأمره بأن يقاتل الفرس على حدود أرضهم؛ ليكون المسلمون على قرب من أرضهم التي يعرفون طرقها ومسالكها، لينصرفوا إليها في حال وقوع مكروه لهم(١)، ولأن التوغل في أرض غير معروفة المسالك والمداخل غير محمود العواقب، خاصة أمام عدو كامل الأهبة، متربص بعدوه الفرصة.

وفي فتح عمورية كان الجيش الإسلامي في ثلاثة عساكر وصلتها تباعًا وكان أول من وصلها أشناس(٢) قائد الميسرة، حيث دار حول سور عمورية وأبراجها يتعرف على المواقع المحيطة بها، ولينزل في المكان المناسب لجنده، فنزل في موضع فيه ماء وحشيش، ومواجه لأبراج على قدر جنده، وكذلك فعل بقية قادة الجيش الإسلامي(٣).

ولما نزل الفرنج صفورية(٤)، سار إليهم صلاح الدين الأيوبي، ونزل قريبًا من معسكرهم، حيث اختار موقعًا مناسبًا لخوض المعركة، فقد

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٩٠-٤٩١؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣١٢-٣١٣.

(٢) تركي الأصل، وأحد القادة العباسيين، شارك في فتح عمورية، وكان قائد ميسرة الجيش الإسلامي، مات سنة مئتين وثلاثين. انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص٢٨٦، ٣٠٢.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ج٩ ص٦٣.

(٤) بلدة من نواحي الأردن قرب طبرية. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٤١٤.

جعل طبرية[1] وراء ظهره، وصعد الجبل الغربي منها، ونزل على بحيرة ماء، ورأى أن هذا الموقع أفضل مكان يمكن فيه قتال الفرنج في تلك المنطقة، إلا أن موقع الفرنج لا يسمح له بقتالهم من موقعه إلا إذا تركوه فعمل على تحريكهم، حيث وجه فرقة من جيشه إلى طبرية فأخذوها عنوة، ولجأ من بها إلى قلعتها، ولما سمع الفرنج بذلك رحلوا من معسكرهم باتجاه معسكر المسلمين، فكان لصلاح الدين ما أراد، ولما سمع بتحركهم سر لذلك، فالزمان قيظ، والحر شديد، والعطش كثير والماء تحت سيطرة المسلمين من خلال موقعهم[2].

١١- ترتيب الجند وتهيئتهم للقتال:

وذلك بأن يقسم جيشه إلى فرق، لكل فرقة مسئول عنهم أمامه فيؤمر الأمراء، وينقب النقباء، ويعرف العرفاء، ليكون في ذلك تيسير لأمورهم، وتسهيل لاتصالهم به، واتصاله بهم، ودقة في متابعتهم ويعقد الألوية والرايات لفرق وقبائل الجيش المختلفة، ويجعل لهم شعارًا يتنادون به أثناء القتال، ويشرف على ترتيب الصفوف والكراديس، فيقدم ويؤخر على حسب ما يراه مناسبًا لسير المعركة، ويتفقدها ليسد الخلل[3].

فقد باشر الرسول ﷺ تلك الواجبات، ففي غزوة الفتح قسم جيشه فرقًا، وأمر على كل فرقة أميرًا، فجعل خالد بن الوليد على ميمنة الجيش

---

(١) بلدة مطلة على بحيرة، من أعمال الأردن، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس. انظر المصدر السابق، ج٤ ص١٧.

(٢) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٩ ص١٧٧؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ص٣٢٠.

(٣) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٤.

والزبير على ميسرته، وأبا عبيدة بن الجراح على من لا دروع لهم[1]، وعقد الألوية والرايات لفرق وقبائل الجيش المختلفة[2].

وفي حنين عرف ﷺ العرفاء على الجيش، وجعلهم مسئولين عن فرقهم أمامه، يتلقون منه التعليمات ويوصلونها إلى الجند[3].

وفي اليرموك قام خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين بتعبئة جيشه تعبئة مناسبة للمعركة ولقوة وكثرة العدو، حيث قسم جيشه إلى ستة وثلاثين كردوسًا، وجعل على كل كردوس أميرًا يتولى شئونه، وجعل أمراء التعبئة عمرو بن العاص على ميمنة الجيش، وأبا عبيدة على الميسرة، ويزيد ابن أبي سفيان على القلب[4].

وفي القادسية أمَّر سعد الأمراء، وعرَّف العرفاء، فجعل على كل عشرة عريفًا، وجعل على كل عشرة عرفاء رجلًا[5]. وكان سعد مريضًا بالدماميل لا يستطيع أن يركب ولا يجلس، وإنما هو منكب على وجهه في صدره وسادة، مشرف على الناس من سطح القصر، وجعل خليفته خالد بن عرفطة[6]، فكان يرمي إليه بالرقاع من أعلى القصر فيها تعليماته التي يرى

---

(١) انظر المصدر السابق، باب فتح مكة.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٤٨.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٥٤.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٦؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٨٢.

(٥) انظر المصادر السابقة، ص٤٨٨-٤٨٩؛ وانظر ٣١١.

(٦) ابن أبرهة بن صيفي الهائلة بن عبدالله بن غيلان بن أسلم بن حزاز بن كاهل بن عذرة كان مع سعد في فتوح العراق، وكتب عمر إلى سعد يأمره أن يؤمره، هو الذي قتل الخوارج يوم النخيلة، سكن الكوفة، ومات سنة ستين، وقيل إحدى وستين، انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤ ص٣٥٥؛ وانظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٤٠٩.

الأخذ بها[١]، ويأمر وينهى من مكانه، كلما رأى خللًا في أحد الصفوف أو الجهات، أمر صاحبها بسد ذلك الخلل، ووجهه إلى ما يجب عمله[٢].

١٢- تعاهد الجند بالموعظة والتذكير:

يجب على القائد أن لا يغفل عن وعظ جنده وإرشادهم بما يقوي في نفوسهم التفاؤل بالنصر، فيذكرهم بفضائل الجهاد، وجزيل ثواب الله للمجاهدين في الدنيا والآخرة، وليرغبهم في الشهادة، ويبين لهم ما أعده الله للشهداء، قال تعالى: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٣].

وليرغبهم بالغنيمة والنفل في الدنيا، قال تعالى: **﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٤].

ويحثهم على الصبر والثبات عند البلاء، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ • وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٥].

---

(١) انظر الطبري، المصدر السابق، ص ٥٣٠-٥٣٢؛ وانظر ابن الأثير، المصدر السابق، ص٣٢٤-٣٣٥.

(٢) انظر المصادر السابقة، ص٥٣٨-٥٤٠؛ وانظر ص٣٢٦-٣٣٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦٩-١٧١.

(٤) سورة الأنفال، الآية ٦٩.

(٥) سورة الأنفال، الآية ١٥-١٦.

فمن الواجب على القادة تعاهد جندهم بالموعظة، وقد حذر ﷺ من مغبة عدم النصح للرعية بقوله: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة**»[1].

وكان ﷺ القدوة المثلى للقادة في النصح وحسن الصحبة للجند، فكان إذا بعث أحدًا أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، وقال له: «**اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا** . . .»[2]، وإذا خرج في جيش وعظهم وأرشدهم إلى ما يشد من أزرهم، ويقوي عزائمهم. ففي أحد أيامه التي لقي فيها العدو قام في جنده وقال: «**يا أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية. فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»[3].

وكان يقول لجنده مرغبًا إياهم في الغنيمة: «**من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه**»[4].

وسار على هدي هذه السنة المباركة قادة الأمة الإسلامية، فهذا أبو بكر الصديق يوصي يزيد بن أبي سفيان قائلًا: « . . . إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضًا . . .»[5].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٣) المصدر السابق، باب كراهة تمني لقاء العدو.

(٤) المصدر السابق، باب استحقاق القاتل سلب القتيل.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٧٧.

وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: «أما بعد: فتعاهد قلبك، وحادث جندك بالموعظة، والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما، والصبر الصبر فإن المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، والحذر الحذر على ما أنت عليه، وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية. وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . . .»[(١)].

وفي القادسية كان سعد يأمر الرجال الذين انتهى إليهم رأي الناس بتذكير الجند وتحريضهم على القتال، فقام كل رجل منهم على فرقة من الجيش يعظونهم ويذكرونهم بما يجب عليهم عند مواطن البأس، فكان مما قيل: «أيها الناس، احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدكم، واذكروا آلاء الله وارغبوا إليه في عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم . . .»[(٢)].

وكان المثنى بن حارثة يقف على كل راية من رايات جنده، يحثهم على الجهاد[(٣)]. ووعظ النعمان بن مقرن جنده في نهاوند فكان مما قال: «. . . إنكم بين خيرين منتظرين، إحدى الحسنيين، من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب، وظفر يسير . . .»[(٤)].

وكان قتيبة بن مسلم يمشي بين صفوف جيشه يحضهم على القتال ويبين لهم فضائل الجهاد، وكان يقف على كل راية يذكرها بما يشد من أزرها، ويدفعها إلى مجالدة الأعداء[(٥)]. كما كان أسد بن عبدالله القسري

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٩١.

(٢) المصدر السابق، ص٥٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص٤٦٥.

(٤) المصدر السابق، ج٤ ص١٣١.

(٥) انظر المصدر السابق، ج٦ ص٤٣١؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩ ص٧٢.

من أكثر القادة تذكيرًا لجنده. ففي إحدى غزواته خطب جنده وقال: «. . . وإن يرد الله نصركم، لم يضركم قلتكم وكثرتهم، فاستنصروا الله» وقال: «إنه بلغني أن العبد أقرب ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله وإني نازل وواضع جبهتي، فادعوا الله، واسجدوا لربكم، وأخلصوا له الدعاء»[1] ففعلوا[2].

وكان صلاح الدين يطوف بين صفوف جنده يحرضهم على القتال ويأمرهم بما يصلحهم، وينهاهم عن ما يضرهم، ويذكرهم بما أعده الله للمجاهدين في الدنيا والآخرة[3].

تلك أبرز واجبات القائد تجاه جنده، وهي واجبات تفضي إلى تهيئة الجند إلى أداء واجبهم على الوجه الأمثل، والانشغال به دون غيره.

المطلب الثالث

خطورة فقدان القيادة
أو الاختلاف عليها أثناء المعركة

القيادة بالنسبة للجيش أو الجماعة كالرأس للجسد، فهي العقل المدبر للمعركة، والروح المسيطرة عليها، تحدد الأهداف، وتجمع المعلومات ترسم الخطط، وتصدر التعليمات، بها يرتبط نجاح العمل وفشله، وعليها يتوقف الجزء الأكبر من تحقيق النصر. كما أن وجود القيادة دليل على

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٧ص ١١٩.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٩ ص١٧٧.

سيادة النظام، واتحاد الجماعة، وفي ذلك قوة، أما فقدان القيادة فيعني فساد النظام لتفرق قيادتها، واختلاف وجهات نظر القائمين عليها[1]. إذًا (فلا يمكن لجماعة أن تعمل بلا قيادة تنظم العمل، وتحدد الأهداف والوسائل، وتتابع التنفيذ، ويرجع إليها عند أي أمر يحتاج إلى إيضاح ولإزالة أي خلاف حول أي أمر من الأمور)[2].

ومما يدل على أهمية القيادة وضرورة وجودها في كل أمر مهما كانت أهميته، قوله ﷺ: «**إذا خرج ثلاثة في سفرٍ فليؤمروا أحدهم**»[3]، وذلك ليسهل عليهم قطع النزاع والاختلاف إن وقع بينهم[4].

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بوجوب طاعة ولي الأمر، فهو قائد الجماعة الذي في طاعته سيادة للنظام، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[5]، وأولي الأمر هنا عامة في كل ولاة الأمر، من الأمراء والعلماء والسلاطين والقضاة ممن لهم ولايات شرعية لا طاغوتية[6]. قال ابن تيمية

---

(١) انظر أحمد نار، القتال في الإسلام، ص٩٥؛ وانظر مصطفى مشهور، بين القيادة والجندية، ص٩-١٠.

(٢) المرجع السابق، ص٨.

(٣) حديث حسن، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٨٩؛ رقم الحديث (٥٧٣)؛ وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم.

(٤) انظر السهار نفوري، بذل المجهود، ج١٢ ص١١١.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٦) انظر تفسير ابن كثير، ج١ ص٥١٩؛ وانظر الشوكاني، فتح القدير، ج٢ ص٤٨١.

رحمه الله: «قال العلماء: نزلت هذه الآية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

وفي ربط طاعة ولي الأمر بطاعة الله ورسوله دليل على أهمية وجود القيادة في كل أمر، وفي ذلك دليل على خطورة فقدانها، أو الاختلاف عليها، فالقائد إذا وصل إلى مركز القيادة فغالبًا ما يكون ذلك دليلًا على توافر الصفات اللازمة للقيادة فيه، فوجبت طاعته في غير معصية الله ولو خالف أمره الرغبة أو المصلحة الظاهرة للرعية، فقد يكون له في ذلك رأي آخر، ربما لا يدركه العامة من الناس. قال ﷺ مبينًا الحد الذي تقف عنده طاعة ولي الأمر: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»**[2].

وحذر ﷺ من الخروج عن الطاعة، فقال: **«من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا، فمات، فميتة جاهلية»**[3].

كما حذر ﷺ من السعي في تفريق الجماعة فقال: **«من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه»**[4].

---

(١) السياسة الشرعية، ص٤-٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب في وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

(٣) المصدر السابق، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٤) المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

وما هذا التحذير منه ﷺ إلا لخطورة الاختلاف والتنازع على القيادة لما يصاحب ذلك من اختلاف الرأي والكلمة، وتباعد وجهات النظر وحلول الشحناء والبغضاء، وتوجه الرعية إلى محاسبة بعضهم، وفي ذلك توهين لها، وتشتيت لقواها، وثغرة يستغلها الأعداء لنفث سمومهم وتحقيق أغراضهم ومآربهم، قال تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[1].

يقول سيد قطب: «.. فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. فإذا استسلم الناس لله ورسوله! انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم- مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة- فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع (الذات) في كفة والحق في كفة، وترجيح الذات على الحق ابتداءً!.. ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة.. إنه من عمليات (الضبط) التي لا بد منها في المعركة.. إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها، وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي لا تجاهد لله، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها لله أصلًا»[2].

إذًا ففقدان القيادة عامل مثير للتنازع والاختلاف الذي يورث الفشل في الحرب، ويكون سببًا لتخاذل الجند وفشلهم، وعاملًا يذهب بروح

---

(١) سورة الأنفال، الآية٤٦.

(٢) في ظلال القرآن، ج٣ ص١٥٢٨- ١٥٢٩.

التناصر والتعاون، ويفعل بالجند ما لا يفعله سلاح نافذ. كما أن وجود القيادة ينفي التنازع والاختلاف، نظرًا للتسليم المطلق لها.

وقد كان الرسول ﷺ يعلم مدى خطورة فقدان القيادة، فكان كلما بعث بعثًا أمر عليهم أميرًا يقودهم[١]، ويتحمل أمانة الولاية عليهم وكان يذكر صحابته بضرورة وجود القيادة في كل أمر، قال ﷺ: «**لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم** . . .»[٢].

فعلى الإمام أن يؤمر الأمراء على البعوث والسرايا والجيوش، سواء قلت أو كثرت. قال الإمام السرخسي: «يجب هذا اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه داوم على بعث السرايا، وأمر عليهم في كل مرة، ولو جاز تركه لفعله مرة تعلماً للجواز، ولأنهم يحتاجون إلى اجتماع الرأي والكلمة، وإنما يحصل ذلك إذا أمَّر عليهم بعضهم، حتى إذا أمرهم بشيء أطاعوه في ذلك فالطاعة في الحرب أنفع من بعض القتال»[٣].

ففي غزوة أحد أجلس ﷺ فرقة من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير[٤]، وقال لهم: «**لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا**»[٥]، ولما وقعت الهزيمة بالمشركين

---

(١) انظر مسلم، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٢) إسناده صحيح، مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، ج١٠ ص١٣٣، رقم الحديث (٦٦٤٧).

(٣) الشيباني، السير الكبير، ج١ ص٦٠.

(٤) ابن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، شهد العقبة وبدرًا واستشهد بأحد. انظر ابن حجر، الإصابة، ج١ ص٤٥٠؛ ج٢ ص٢٧٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ١٧.

في أول المعركة، قال بعض الرماة: الغنيمة الغنيمة، فقال قائدهم: إن الرسول ﷺ قد عهد إلينا أن لا نبرح موقعنا سواء في حال النصر أو الهزيمة، لكن الرماة خالفوا أوامر القيادة العليا محمد ﷺ، والقيادة الصغرى عبد الله بن جبير، واتجهوا للغنيمة طالبين(١)، فرفع الله عنهم نصره لِما وقع منهم، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٢).

ولما بعث ﷺ معاذ بن جبل(٣) وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»(٤). وكان ﷺ يقول: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»(٥). فالاختلاف بداية الفرقة والتنازع المؤدي إلى الهلكة والنهاية، يقول ﷺ: «**لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(٦).

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٣) ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن عدي بن نابي بن تميم بن كعب بن سلمة، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، إمام الفقهاء، وكنز العلماء، شهد العقبة والمشاهد كلها، أمره ﷺ على اليمن، مات بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة. انظر ابن حجر، الإصابة، ج٣ ص٤٠٦-٤٠٧.

(٤) البخاري، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب ١٦٤؛ وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(٥) المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف.

(٦) البخاري، المصدر السابق، كتاب الخصومات، باب ١.

من هذا يتبين مدى خطورة الاختلاف حول القيادة، سواء منها القيادة العليا: ولاية أمر الناس، أو القيادة الأخرى التي هي: قيادة الجيش فوجود القيادة من أعظم الواجبات الدينية؛ «لأن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس»[1] يدبر أمرهم ويقضي بينهم.

كما أنها في الجيش أيضًا واجبة، فهم أمام عدو شاكي السلاح، ينتظر منهم الغرة، ويتربص بهم الفرصة، وفقدان القيادة في هذا الموقع أو الاختلاف عليها من أعظم الفرص التي يسعى إليها الأعداء.

لما قدم خالد بن الوليد على المسلمين في اليرموك، وجد كل أمير يقاتل من بإزائه من الروم، فقام فيهم خطيبًا وقال: «. . . إن من وراءكم لو يعلم علمكم، حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبته، قالوا: فهات، فما الرأي؟ قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم. إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم . . . فهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن بعضنا اليوم، والآخر غدًا، والآخر بعد غد، حتى يأتمر كلكم . . .»[2].

فتعدد القيادة في جيش واحد قد يؤدي إلى النزاع والشقاق، وفي ذلك خطورة عظيمة، لذلك رأى خالد وجوب توحيد القيادة تحت إمرة رجل واحد.

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٣٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٥-٣٩٦؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٢٨٢.

المبحث الثاني

العلاقة بين القيادة والجند

المطلب الأول

واجبات الجندي تجاه قيادته

يلتزم الجندي تجاه قيادته بواجبات تعد عاملًا مساعدًا على نجاح الخطط وتحقيق الأهداف، فالجندي هو الأداة المنفذة لخطط القيادة، ولذلك فعليه أن يوطن نفسه للعمل تحت إمرتها، من خلال قيامه بتلك الواجبات التي لو فقد شيء منها لأخل بالعمل، وعرضه للفشل، ومن أهم تلك الواجبات:

أولًا: الطاعة:

يلتزم الجندي بطاعة قائده، فيتلقى منه الأوامر والنواهي بصدر رحب، وبطاعة صادرة عن اقتناع بوجوب طاعة أولي الأمر، فالقائد تنعقد ولايته على الجند بتوليه قيادة الجيش، وبموجب تلك الولاية تجب طاعته[1]، قال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»[2].

(١) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٨؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

كما أنها طاعة محدودة بطاعة الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله قال ﷺ: «**السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[1].

فعلى الجندي السمع والطاعة في العسر واليسر، في المنشط والمكره، وفي كل ما يشق وتكرهه النفوس مما ليس بمعصية، قال ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عُسرِك ويُسرِك، ومنشطِك ومكرهِك، وأَثَرَةٍ عليك**»[2].

وطاعة الجند للقائد في كل ما يأمر به شرط أساسي لإنجاز المهمة ونجاحها. فالقائد يخطط، والجند ينفذون، فإذا ساروا على حسب مارسم لهم، كان ذلك سببًا في نجاح الخطة وتحقيق الهدف[3].

أما الطاعة العمياء التي تسود كثيرًا من النظم العسكرية الحالية، ففيها الكثير من الإذلال والقهر للجند، والخروج عن حدود الطاعة المأمور بها وغالبًا ما تورث الحقد والتفرقة؛ لما يلاحظ من تفاوت الأوامر والنواهي الصادرة للجند، والتي تجب فيها الطاعة مهما كانت، تبعًا للقوانين والأنظمة العسكرية التي توجب ذلك. فالطاعة يجب أن تكون في حدود المعقول، وإذا تبين أن القائد جاهل، أو لا يحسن التصرف، أو سيئ في سلوكه، فلا طاعة له، لقوله ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**»[4].

إذًا فطاعة القائد واجب على كل جندي، كما أنها شرط أساسي لتحقيق

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ١٠٨.

(٢) مسلم، المصدر السابق.

(٣) انظر الجعوان، القتال في الإسلام، ص٥٢.

(٤) مسلم، المصدر السابق.

النصر، وسيادة النظام، واستقامة الأمر. فالقائد هو العقل المدبر للجيش، والجند العضو المنفذ، فإن لم يكن هناك امتثال واستجابة لما يأمر به القائد وقع الخلل، وبقيت الخطط رسماً بلا تنفيذ.

ففي غزوة الأحزاب بعث ﷺ حذيفة بن اليمان إلى معسكر المشركين وعهد إليه أن ينظر في حال المشركين، ويعرف ما يدور بينهم، وأن لا يحدث شيئًا حتى يرجع، فعمل رضي الله عنه بما أمره به ﷺ ولم يحدث شيئًا خلافه، وكان كلما هم بعمل سيئ، تذكر قوله ﷺ له: **«ولا تذعرهم[1] علي»**[2].

وفي القادسية قام قائد بني نهد وقال لقومه مجتهدًا في رأيه: يا بني نهد انهدوا[3]، إنما سميتم نهدًا لتفعلوا. وكان يريد ذلك من قومه، إلا أن سعدًا لم يكن قد أمر بذلك، فبعث إليه خالد بن عرفطة نائب سعد يأمره بالكف عما عزم عليه، فسمع وأطاع قائده، وكف عما هم به امتثالًا لأمر قائده[4].

ثانيًا: الثقة بالقيادة وتفويض الأمر إليها:

يجب على الجند تفويض أمر تدبير الجيش والمعركة إلى رأي القائد وتدبيره، قال تعالى: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[5].

---

(١) تفزعهم. انظر الرازي، الصحاح، ص٢٢٢.
(٢) مسلم، المصدر السابق، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب.
(٣) نهد فلان إلى عدوه نهدًا: أي نهض له وصمد في قتاله. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١ ص٣٥٥.
(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٥٣٧.
(٥) سورة النساء، الآية ٨٣.

فتفويض الأمر إلى القائد الذي هو ولي أمر الجيش، والثقة به من الأمور المؤدية إلى الأخذ بالرأي السديد، والقول الصائب؛ لما تميز به من صفات أهلته لقيادة الجيش. فإن ظهر للجند أمر خفي أشاروا به عليه، كما أن في تفويض الأمر للقائد سببًا لاجتناب الاختلاف في الرأي الذي قد يحدث تفرقًا لجمعهم، وتمزيقًا لوحدتهم[1].

فالقائد المرجع الرئيس للجند في كل أمر يشكل عليهم، فيجب عليهم أن يفوضوا إليه جميع الأمور التنظيمية والمالية والفنية، ويتجنبوا كل ما قد يثير في صفوفهم الفرقة.

لما أمر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير إلى الشام مددًا للمسلمين في اليرموك، عقد خالد العزم على المسير من أقصر الطرق وبأسرع ما يمكن فبحث عن من يدله على الطريق، ولم يهتد إلا إلى طريق وعر المسالك، لا يتحمله الجيش، ويخافه المنفرد، إلا أنه وجد نفسه أمام الأمر الواقع فعزم على المسير سالكًا ذلك الطريق البري، الخالي من الماء والكلأ والناس، فجمع الجند، وقام فيهم قائلًا: «لا يختلفن هديكم، ولا يضعفن يقينكم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، وإن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له»، فردوا عليه قائلين: «أنت رجل قد جمع الله لك الخير، فشأنك»[2].
ففوضوا أمرهم إلى الله ثم لقائدهم، ثقة منهم بحسن تدبيره، وسلامة نيته وإخلاصه في عمله.

---

(١) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٨؛ وانظر الفراء، الأحكام السلطانية، ص٤٧.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص٤٠٩؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٧٩-٢٨٠.

ثالثًا: عدم الإقدام على أمر إلا بعد إذن القيادة[1]:

يجب على الجند استئذان القائد وأخذ رأيه في كل أمر قبل الإقدام عليه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

قال سيد قطب: «... والأمر الجامع، الأمر الهام الذي يقتضي اشتراك الجماعة فيه، لرأي أو حرب أو عمل من الأعمال العامة، فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا إمامهم، كي لا يصبح الأمر فوضى بلا وقار ولا نظام»[3].

فالخروج من المعسكر من أبسط الأمور، ومع ذلك يجب فيها الإذن من القيادة، فإذا كان ذلك في الدخول والخروج، فالاستئذان والأخذ بالرأي في الأمور العسكرية آكد وأولى. فالقائد أعلم الجند بالأنفع للجيش في أغلب الأمور، وإذنه يعني موافقته على ذلك الأمر.

ففي غزوة أحد ترك بعض الرماة مواقعهم، واتجهوا إلى ساحة القتال طلبًا للغنيمة، مخالفين بذلك أوامر القيادة، فكان أن حرمهم الله سبحانه وتعالى الغنيمة، وصرف عنهم نصره[4]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ

---

(١) انظر أحمد نار، القتال في الإسلام، ص٩٦.

(٢) سورة النور، الآية ٦٢.

(٣) في ظلال القرآن، ج٤ ص٢٥٣٥.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ١٧.

وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وفي معركة الجسر عَبَرَ المسلمون جسرًا نُصِب على نهر الفرات باتجاه الفرس، ودارت المعركة، وقُتل قائد المسلمين أبو عبيد، وحمل اللواء المثنى، فانصرف بالمسلمين، وأرادوا العبور على الجسر، إلا أن أحد الجند قطعه اجتهادًا منه بأن ذلك سيدفع المسلمين إلى الرجوع للقتال والصمود أمام الفرس، إلا أنهم تهافتوا في الفرات، وأخذتهم سيوف الفرس من خلفهم، فقتل من المسلمين مقتلة عظيمة بسبب قطع الجسر، الذي لم يكن عن أمر القيادة[٢].

رابعًا: التزام الأدب مع القائد[٣]:

يتأدب الجند مع قائدهم بالأدب اللائق بمنزلته المتمثلة في ولايته عليهم. فلا تكن المعاملة معه كالمعاملة مع سائر الجنود، بل يُجعل له من الهيبة والوقار ما يليق به. وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن رفع الصوت عند النبي ﷺ القائد الأعلى للمسلمين تأدبًا معه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٤]، وجعل

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٥٥-٤٥٧؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣٠١.

(٣) انظر أحمد نار، القتال في الإسلام، ص٩٦.

(٤) سورة الحجرات، الآية ٢.

للحديث معه أدبًا لائقًا به، فلا يخاطب كما يخاطب العامة، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾(١).

قال سيد قطب: «فلابد للمربي من وقار، ولابد للقائد من هيبة وفرق بين أن يكون هو متواضعًا هينًا لينًا، وأن ينسوا هم أنه مربيهم فيدعوه دعاء بعضهم لبعض.. يجب أن تبقى للمربي منزلة في نفوس من يربيهم، يرتفع بها عليهم في قرارة شعورهم، ويستحيون هم أن يتجاوزوا معها حدود التبجيل والتوقير»(٢).

ولقد أمر الرسول ﷺ الأنصار بالقيام لسعد بن معاذ تكريماً وتقديرًا له، فقال: «**قوموا إلى سيدكم**» أو «**خيركم** ...»(٣).

ولما نزل النعمان بن مقرن بنهاوند، ابتدره أشراف الكوفة وأعيانها ومجموعة من الجند الأكفاء، فبنوا له فسطاطًا لم ير مثله في العراق(٤) تكريماً وتقديرًا له، وحرصًا على خدمة القائد.

خامسًا: إطلاع القائد على أحوال الجند:

يجب أن يكون القائد على بصيرة بأحوال الجند، فلا يحجب عنه أمر ولا يكتم عنه سر، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٥)، وعدم إيصال الأخبار إلى القائد خيانة

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣.

(٢) في ظلال القرآن، ج٤ ص٢٥٣٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد...؛ وانظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٣٠.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٤ ص١٢٩؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٣ ص٤.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٢٧.

له، فقد يحجب عنه ما يكون سببًا لتفريق الجمع، وتوهين القوة، وإطلاعه على مثل تلك الأمور في بدايتها يجعله قادرًا على القضاء عليها في مهدها لذا كان عمر رضي الله عنه يوصي قادته بذلك، فكان مما قاله لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (اجعلني من أمركم على جلية)[1]، ومما أوصى به عمر عامة الجند قوله: «. . . أنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها، نأخذ له الحق غير متعتع»[2] كان سعد رضي الله عنه يكتب إلى عمر بأخبار الجند وأحوالهم، ويطلعه على كل ما يدور بينهم[3].

ولما بنى سعد قصرًا في الكوفة وجعل له بابًا بينه وبين الناس، بلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فرأى أن ذلك قد يمنع وصول أخبار الجند وأحوالهم إليه؛ لتحرزهم من طرق الباب، فأرسل إلى القصر محمد بن مسلمة وأمره أن يحرق الباب، وكتب معه إلى سعد، (. . . ولا تجعل على القصر بابًا تمنع الناس من دخوله، وتنفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت)[4].

المطلب الثاني

أساليب الاتصال بين القيادة والجند

الاتصال بين القيادة والجند أمر حيوي تستدعيه الحاجة الملحة إليه والناتجة عن طبيعة العمل الذي يربط الجند بالقيادة، فإذا كان القائد العقل

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص٤٩١.

(٢) المصدر السابق، ص٤٨٥.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٤٨٩.

(٤) المصدر السابق، ج٤ ص٤٧.

المدبر للمعركة، فإن وسائل الاتصال بينه وبين الجند كالأعصاب في الجسم، وبجدية هذه الوسائل ينشط العمل، وبضعفها يصاب بالاضطراب، لذا وجب الاهتمام بهذه الوسائل لتبقى الصلة قوية وجيدة بين القيادة والجند، كما يجب أن تكون وسائل الاتصال على درجة جيدة من الوعي والفهم لطبيعة العمل ومتطلباته، وعلى قدرة واستعداد للقيام بأعباء القيادة، فهم من جانبهم يمثلون القيادة أمام الجند، وفي بعض الأحيان قد تضطرهم ظروف القيادة لمباشرة المسئولية، ومعالجة بعض الأمور دون الرجوع إلى القيادة[1].

فلسهولة الاتصال يتم تقسيم الجيش إلى فرق طبقًا لما تقتضيه المصلحة وما تتطلبه الظروف، ويجعل لكل فرقة مسئولًا يكون همزة وصل بين القائد وجنده، فيعرف منه أحوالهم وآراءهم، وتصل إليهم عن طريقه الأوامر والتعليمات[2].

ولقد عمد الرسول ﷺ إلى تأمين وسائل الاتصال بينه وبين جنده، ففي بيعة العقبة جعل على النفر الذين بايعوه نقباء، لكل جماعة منهم نقيب وكانوا اثني عشر نقيبًا من الأنصار رضي الله عنهم. تحملوا مسئولية البيعة أمام الرسول ﷺ[3].

فكانت تلك أول وسيلة اتصال بين القيادة والجند في الإسلام. وفي بداية

---

(١) انظر مصطفى مشهور، بين القيادة والجندية، ص٩٠.

(٢) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣٦؛ وانظر الفراء. الأحكام السلطانية، ص٤٠.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ٤٣؛ وانظر مسند الإمام أحمد، ج٣ ص٤٦٢.

المعارك الإسلامية أحدث ﷺ رتبة أمراء التعبئة، ففي بدر استعمل ﷺ قيس ابن أبي صعصعة على المشاة، وجعل لكل قبيلة أو فرقة راية يحملها أميرهم، فكان سعد بن عبادة صاحب راية الأنصار[1]. وفي أحد جعل على الرماة عبد الله بن جبير[2]، وعلى الخيل الزبير بن العوام[3]، وكل أمير من هؤلاء مسئول عمن تحت يده، وموجه لهم بناء على توجيهات الرسول ﷺ، ففي أحد بعث ﷺ إلى الزبير أمير الخيالة، وقال: «**استقبل خالد بن الوليد، فكن بإزائه حتى أؤذنك**». وأمر بخيل أخرى في الجانب الآخر وقال لهم: «**لا تبرحوا حتى أؤذنكم**»، وأرسل إلى الزبير أن يحمل فحمل على خالد فهزمه ومن معه[4].

وفي فتح مكة جعل ﷺ على كل فرقة من الجيش أميرًا يصدر إليه التعليمات، ويشرف على تنفيذها من قبل جنده، فقد جعل ﷺ خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى للجيش، والزبير على المجنبة اليسرى، وأبا عبيدة على الرجالة[5].

ومع ازدياد الجند أخذ تنظيم الجند أسلوبًا أكثر دقة، يكفل سهولة الاتصال ومعرفة الجند، ففي غزوة حنين أحدث ﷺ رتبة عسكرية جديدة

---

(١) انظر الواقدي، المغازي، ج١ ص٢٦؛ وانظر تاريخ الطبري، ج٢ ص٤٣١؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣ ص٢٦٠.

(٢) انظر البخاري، المصدر السابق، كتاب المغازي، باب ١٧.

(٣) انظر الطبري، المصدر السابق، ص٥٠٨؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص١٠٥.

(٤) انظر الطبري، المصدر السابق.

(٥) انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة.

هي رتبة العريف، وهي رتبة أقل من النقيب[1]. حيث قسم الجيش إلى عدة فرق، وجعل على كل عشرة عريفًا، يتصل بالرسول عند الحاجة، يتلقى منه الأوامر، ويوصل إليه أخبارهم وآراءهم ومطالبهم[2].

مما سبق يتبين أن رسول الله ﷺ أول من عرف العرفاء، وقد ذكر العسكري أن أول من عرف العرفاء زياد ابن أبيه وفي ذلك وهم يرد عليه بما سبق[3].

وإجمالًا تلك أهم الرتب العسكرية في الجيش الإسلامي في عهد الرسول ﷺ، بواسطتها يتم الاتصال بين القيادة والجند، وهي: القائد العام للجيوش الإسلامية وهو الرسول ﷺ، ثم أمراء التعبئة، ثم النقباء ثم العرفاء، ثم الجنود.

واستمر العمل بتلك الرتب العسكرية في عهد الخلفاء الراشدين مع الأخذ بكل جديد مناسب، حيث إنه مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتطور جيشها، استجد كثير من الرتب العسكرية، والتي لم تكن معروفة لدى المسلمين من قبل، ففي معركة اليرموك استخدم خالد بن الوليد القائد العام للجيش الإسلامي نظام الكراديس، وجعل على كل كردوس أميرًا، فكانت رتبة أمراء الكراديس، وهي رتبة تلي أمير التعبئة، وتكبر النقيب[4].

---

(١) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦ ص١١٢.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ٥٤؛ وانظر ابن قدامة، المغني، ج٦ ص٤١٧.

(٣) انظر الأوائل، ج٢ ص٣٨.

(٤) انظر تاريخ الطبري، ج٣ ص٣٩٦؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٢٨٢؛ وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧ ص٨.

وقبل معركة القادسية كتب عمر رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص قائد جيش المسلمين في العراق، يأمره بأن يعرف على كل عشرة من الجند عريفًا، وأن يؤمر على الأجناد ويعبئ جيشه، فقام سعد (وأمر أمراء الأجناد، وعرف العرفاء، فعرف على كل عشرة رجلًا، كما كانت العرافات أزمان النبي ﷺ ... وأمر على الرايات رجالًا من أهل السابقة، وعشر الناس، وأمر على الأعشار رجالًا من الناس لهم وسائل في الإسلام، وولى الحروب رجالًا، فولى على مقدماتها، ومجنباتها وساقتها، ومجرداتها[1]، وطلائعها، ورجلها، وركبانها)[2].

وهكذا نجد أن تسلسل الرتب في هذه المعركة كان على النحو التالي:

أمير الجيش، وكان سعد بن أبي وقاص، ويليه: أمراء التعبئة ثم أمراء الأعشار، ثم أصحاب الرايات، ثم القادة ورءوس القبائل الذين هم النقباء، والعرفاء، وأمراء الأجناد، ثم الجند[3].

وهكذا نجد عدم الاستقرار على نمط معين في الرتب العسكرية، بل كانت الرتب والتنظيم خاضعة لظروف المعركة، ورأي القائد في مدى ملاءمتها لجنده.

واستمر العمل بها أيضًا بوصفها وسيلة لتنظيم شئون الجند المالية من غنائم وأعطيات ونحوها، حيث يتم دفعها إلى قادة فرق الجيش المختلفة وبدورهم يوصلونها للجند، فقد كان العطاء في البصرة (يدفع إلى أمراء

---

(١) الجريدة: خيل لا رجالة فيها. انظر الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١ ص٢٩٢.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص٤٤٨.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٤٨٩؛ وانظر ابن الأثير، الكامل، ج٢ ص٣١١.

الأسباع، وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم)[1].

وفي عهد الدولة الأموية لم يطرأ جديد على ما سبق من رتب عسكرية سوى العمل برتبة المنكب، وهي أعلى من رتبة العريف[2]، بل هو رئيس العرفاء[3]، وهي رتبة كانت معروفة عند العرب في السابق، فكان الأمير يرسل نائبًا عنه يسمى المنكب[4].

وفي عهد الدولة العباسية استقر الأمر على الرتب السابقة، فكان على كل عشرة جنود عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة من القادة أمير[5].

تلك أهم الرتب العسكرية التي بموجبها ينتظم الاتصال بين القيادة والجند. فتتحدد المسئوليات، وينتظم العمل.

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٤ ص٤٩.

(٢) انظر العسكري، الأوائل، ج٢ ص٣٨.

(٣) انظر الجوهري، الصحاح، ج١ ص٢٢٨.

(٤) انظر محمد فرج، المدرسة العسكرية الإسلامية، ص٢٨٦.

(٥) انظر المسعودي، مروج الذهب، ج٣ ص٤١١؛ وانظر فرج، المرجع السابق.





الخاتمة



الخاتمة

الحمد لله الذي من عليّ ويسر سبل إنهاء هذا البحث، بعد أن طوفت في جوانبه، وعشت زمنًا مع قضاياه وموضوعاته، ظهرت لي نتائج كان من أبرزها ما يلي:

- إن الجندية نشأت مع حاجة الإنسان إلى الأعوان والأنصار لمواجهة متطلبات وظروف الحياة المختلفة. وأنها قد مرت بمراحل متعددة ومتدرجة في الإعداد والتنظيم.

- إن المسلمين في بداية عصر الإسلام كانوا جميعًا مجندي أنفسهم للجهاد، حتى وضع عمر الديوان، فحينئذ أصبح المسلمون بين جندي متطوع، وجندي وقف نفسه على الجهاد.

- الجهاد مصطلح إسلامي شرف الله به هذه الأمة، بينه وبين الجندية تداخل وتلازم وثيق.

- إن العقيدة الإسلامية لا تنهض وحدها، بل لابد من أن يقوم بها الإنسان المسلم الذي تحمل مسئولية القيام بها، والدفاع عنها عسكريًا وفكريًا، فتلك مسئولية الأمة مجتمعة وفي طليعتها الجند.

- الشرطة لم تكن معروفة في زمن الرسول ﷺ لعدم الحاجة إليها؛ لأن

المسلمين جميعًا جنود أمن. وأول ما عرفت في زمن عمر رضي الله عنه وفي بعض ولاياته، ثم تطورت حتى أصبحت في وقتنا الحاضر جهازًا متكاملًا يُسهم في حفظ الأمن الداخلي.

تبين أن واجبات الجندي داخل المجتمع تتركز في:

- ردع الظلم بين أفراد المجتمع، وإحلال الأمن والعدل داخل كيانه ومواجهة الفتن الداخلية للقضاء عليها وحماية المنشآت والمصانع ومواجهة ما يهدد الإنسان وممتلكاته في حياته اليومية بفعل البشر أو عوامل الجو، كالكوارث الطبيعية.

وتتركز واجباته خارجيًا في:

- حراسة الحدود والدفاع عنها أمام كل معتد. فالحدود تعد المنفذ الوحيد الذي يدخل منه الأعداء لزعزعة الجبهة الداخلية.
- إظهار القوة الشاملة، وإشعار العدو بمدى ما يتمتع به الجيش الإسلامي من قوة مادية وتنظيمية تؤهله لمواجهة الأعداء.
- المحافظة على العهود والمواثيق مع الأعداء، وصد عدوان من اعتدى وأخذ الحيطة والحذر الدائم.
- تبين أن قوة الجبهة الداخلية تسهم في تقوية الجبهة الخارجية، وقوة الجبهة الخارجية تسهم في تأمين الدين الإسلامي من كيد الأعداء والذي يعد أحد الأهداف السامية لإعداد الجندي الذي عليه أن يُسهم في:
- تأمين الدعوة لتصل إلى كل شبر من أرجاء المعمورة، وليسمعها كل إنسان.

- جعل حرية التدين والاعتقاد حقيقة لا مراء فيها، بعيدًا عن عوامل التأثير والإكراه. ويشد من أزر المستضعفين من المسلمين ويقوي عزائمهم في مواجهة ما يلاقونه من تحديات.
- إعداد الجندي في الإسلام ينبني على أسس متناسقة، فالعقيدة الإسلامية هي أساس ذلك الإعداد، ولها المكانة الأولى في ذلك، فيجب أن تكون راسخة قائمة على الإدراك والعلم، فهي الطاقة التي يتحرك على هداها الجندي، وهي التي تمده بالقوة والثقة.
- النصر مرتبط بالإيمان وجودًا وعدمًا، فلا تجلبه قوة السلاح، ولا كثرة العدد، مع عدم إغفال الأخذ بالأسباب المؤدية إليه.
- الجهاد ذروة الإسلام، والمجاهدون أفضل الخلق، وأكملهم إيمانًا وهم روح الأمة، ودرعها الواقي بعد الله عز وجل.
- الشهداء قاعدة الانطلاق نحو العز والمجد، وهم أصحاب المنزلة الرفيعة والمميزة في الجنة.
- من ثمرات العقيدة الصحيحة تقوية الروح المعنوية للجندي، ودفعه إلى الثبات والتضحية، والبذل والعطاء بقوة وعزيمة لا يفت فيها أمر من أمور الدنيا. فالروح المعنوية المرتكزة على العقيدة السليمة قوة لا يقدر على التأثير عليها قوة بشرية، فصاحبها لا يخاف الموت، ولا القوة الضاربة للأعداء، ولا يخشى الفقر، ولا يعتمد على السلاح المادي في قتاله ولا ييأس، ولا يقنط، ولا يصدق الإشاعات والأراجيف، ولا يستسلم لأي ضغط يوجهه له الأعداء، وهي سلاح فاعل؛ لذلك فالجندي المسلم يسعى لتحطيم العدو معنويًا قبل القتال وفي أثنائه.

- العناية بأُسَر المجاهدين عامل يزيد الروح المعنوية قوة.
- للتربية أثرها الكبير في الفرد، وللإسلام منهجه التربوي المتكامل، فقد عني بتربية الأجسام، وصحة الأبدان، كما عني بتربية الروح والعقل.
- وكما يهتم الإسلام بغرس الإيمان في الجند، وإذكاء الروح المعنوية لديهم، فإنه لا يهمل الأخذ بالأسباب المادية، فهو يحث على توفير الأسلحة والأخذ بكل جديد وفاعل منها. ومن هنا يعد إهمال توفير الأسلحة والتدريب عليها مخالفة شرعية لأمر إعداد القوة.
- المبادئ والقيم التي يؤمن بها الفرد والجماعة تظهر آثارها على سلوكهم وتصرفاتهم.
- الأخلاق الإسلامية لا يقتصر التعامل بها بين أفراد المجتمع المسلم فحسب، بل يتعداه إلى غيرهم ولو كانوا أعداء.
- للجندية في الإسلام أخلاقياتها وآدابها التي تتميز بها، وهي نابعة من نظرة الإسلام إلى الحرب، وأنها ليست مرادة لذاتها، وإنما لما تؤدي إليه وينتج عنها من نشر الخير والحق، ودفع الشر والباطل، ومن هنا كانت أخلاق جنود المسلمين وسلوكهم في الجهاد من العوامل المهمة في النصر، وفي استجابة الأعداء للإسلام.
- حاجة الإنسان إلى النظام قديمة قدم حاجته إلى الاجتماع، وفقدان النظام والانضباط طريق إلى الفوضى والعشوائية. والإسلام دين يقدر النظام حق قدره، ومن هنا عني بالسلطة كوسيلة لسيادة النظام.
- القائد هو العقل المدبر والموجه للجند؛ لذا كان لابد من اتصافه بسمات تجعله المثل والقدوة الحسنة.

● العلاقة بين القيادة والجند إحدى العوامل المهمة والخطيرة في تحقيق النَّصر ونتائج المعركة، لذلك حرص الإسلام على تقويتها وجعلها على مستوى المسئولية، فجعل لكل منهما واجبات وحقوقًا قبل الآخر. وقوى وسائط الاتصال بينهما لتوثيق الروابط وتعميق الثقة.

● الشريعة الإسلامية مصدر أنظمة الخدمة العسكرية في الجيش العربي السعودي، ومن هنا فالجندي في الجيش العربي السعودي يعد إعدادًا عقديًّا سليماً. كما يجد رعاية شاملة له ولأفراد أسرته.

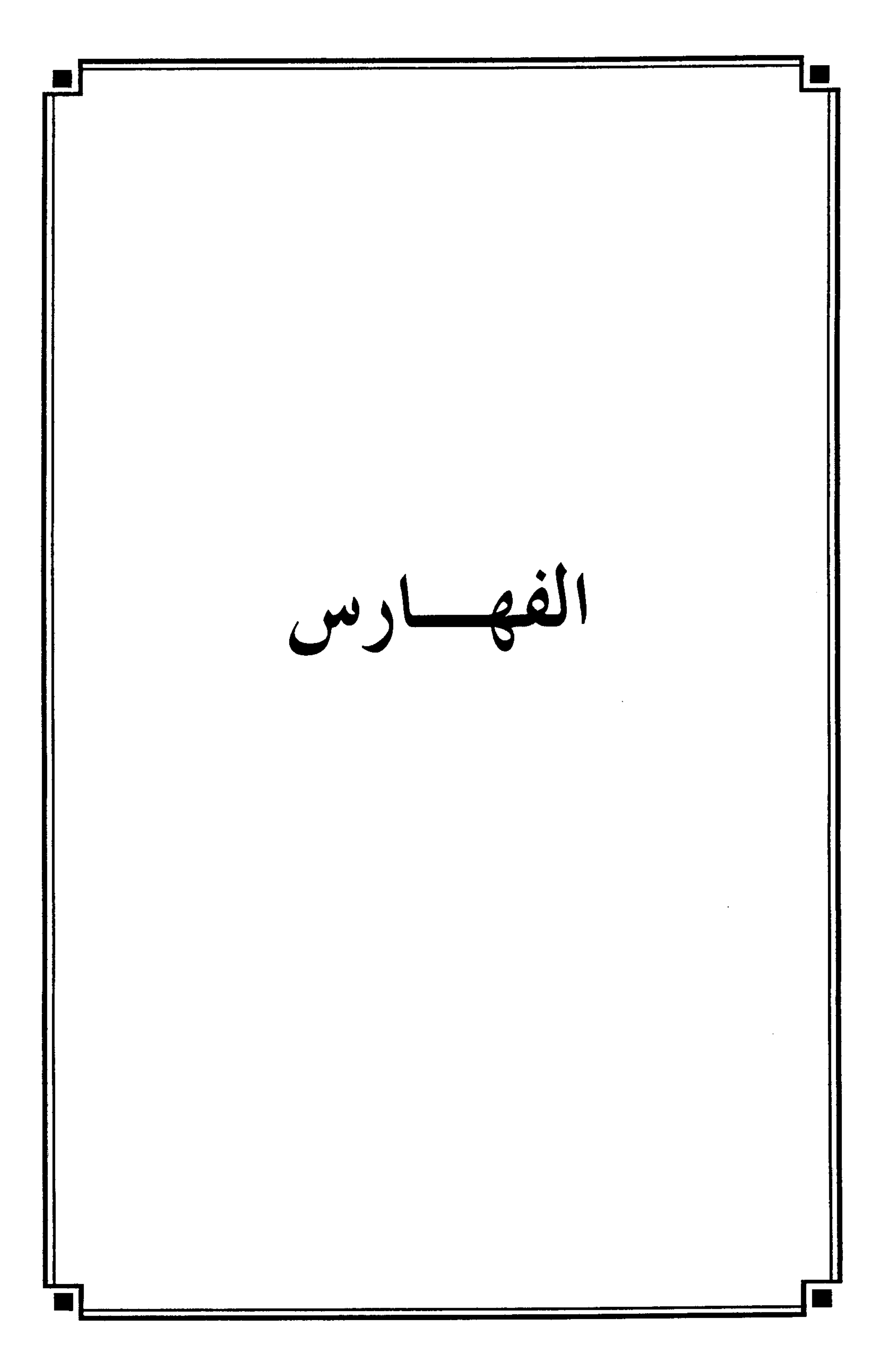
إجمالًا تلك أسس إعداد الجندي في الإسلام. وهي أسس متداخلة لا يمكن تجزئتها، أساسها العقيدة الصحيحة التي يجب دائماً الانطلاق منها في التهيئة والإعداد.

كما يجب أن لا يطغى الاهتمام بالناحية البدنية والتدريبية على غيره من الأسس. حيث من الملاحظ على إعداد الجندي في وقتنا الحاضر، الاعتماد على القوة البدنية والمادية كأحد مقاييس النصر، حتى أصبح التدريب الركيزة الرئيسة في إعداد الجندي، وعليه الاعتماد في تحقيق النصر، وأهمل ما سواه، أو جعل الاهتمام به أمرًا ثانويًّا، وهذا ما ألقى الرعب في قلوب بعض المسلمين من أعدائهم، وجعلهم أذلاء في ديارهم.

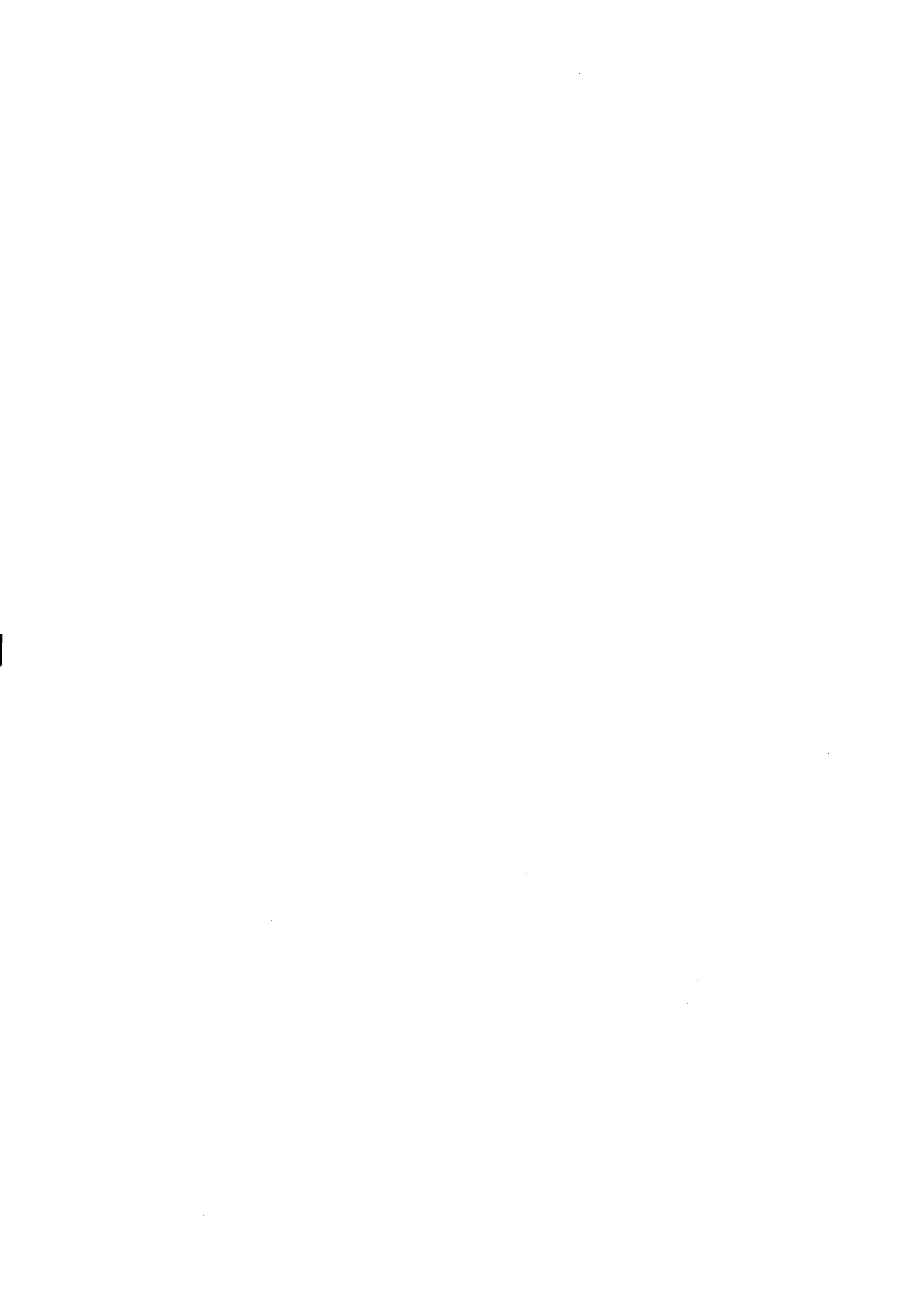
وليس للأمة الإسلامية طريق للخلاص من هذا الذل والهزائم سوى طريق واحد، وهو الاستضاءة بما ورد في الكتاب والسنة، وبسيرة المصطفى ﷺ، وسيرة خلفائه الراشدين، والسلف الصالح من هذه الأمة.

فإعداد الجندي يجب أن يكون في ذلك الإطار الإسلامي الذي أساسه العقيدة الثابتة الراسخة.





الفهـــارس



أولًا : الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾	٧٢-٧٣	٢٨٥
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٧٥	٢١١
﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٧٦	٤٢، ٢٥٥، ٣٥٢
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾	٧٨	٣٦٥
﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ . . .﴾	٨٣	٣٩٦، ٦٥١
﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾	٨٩	٤٩، ٣٨٧
﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾	٩١	٧٢، ١٩٨
﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي. . .﴾	٩٥	٧٢، ٢٧٥، ٢٨٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾	٩٧	٦٥
﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	١٠٢	٥٢٩
﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾	١٠٢	١٣٣
﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾	١١٥	٦٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾	١١٦-١١٧	٢٣٠
﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ﴾	١١٨	٦٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	١٣٦	٢٢٦
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	١٤٥	٢٨٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾	١٥٠-١٥٢	٢٣٣
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾	١٦٥	٦٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾	١٦٧	٧٣
﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾	١٧٢	٢٣١
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٧٤	١٩٦

الآية	رقمها	الصفحة

سورة التوبة

سورة يونس

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

الآية	رقمها	الصفحة

سورة الروم

سورة لقمان

سورة الأحزاب

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة القلم

ثانيًا: الأحاديث والآثار

أول الحديث أو الأثر	الصفحة
«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار»	٣٩٧
«إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين»	٢٧١
«إن الله طيب يحب الطيب»	٤٧٠
«إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكًا»	٣٦٩
«إن الله كتب الإحسان على كل شيء»	٥٧٧
«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا»	٥٨٢
«إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة»	١٥٢، ٢٨١، ٤٩٣
«إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة. . .»	٥٥٦
«إن المقسطين عند الله على منابر من نور»	٥٩٧
«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»	٥٥٦
«إن وجدتم فلانًا وفلانًا فأحرقوهما»	٥٧٧
«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»	٩٥
«إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»	٥٥٣
«إنما الطاعة في المعروف»	٦٥٠
«إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها»	٢٥٣
«إنه ستكون هنات وهنات»	١٠٤
«أوصيك بتقوى الله»	٢٧٣
«أي العمل أفضل»	٢٧٣
«أي الناس أفضل»	٢٨٣
«الأرواح جنود مجندة»	١٩
(ب)	
«بركة الطعام»	٤٧٤
«بشروا ولا تنفروا»	٤٨٣، ٦١٧
«بعثت بالسيف»	٥١١

أول الحديث أو الأثر	الصفحة

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

أول الحديث أو الأثر	الصفحة
«الخيل معقود في نواصيها الخير»	٥٣٥، ٥٤٢
(د)	
«دعوة المظلوم»	٥٤٢
«الدين النصيحة»	٦٨
(ر)	
«رأس هذا الأمر»	٢٨٩
«رأيت الليلة رجلين»	٣٠٣
«رباط يوم وليلة»	١٣٤، ٢٧٦
«رجل يجاهد في سبيل الله»	٢٨٣
«الرجل يقاتل شجاعة»	٢٨١
«الرجل يقاتل للمغنم»	٣٦١
(س)	
«السل شهادة»	٢٩٤
«السواك مطهرة للفم»	٤٧٤
(ش)	
«شر ما في رجل شح هالع»	٤٣١
«الشهادة سبع»	٢٩٣
«الشهداء أربعة»	٣٠٤
«الشهداء خمسة»	٢٩٣
«الشهداء على بارق نهر بباب الجنة»	٣٠٤
«الشهيد لا يجد من القتل»	٣٠١

أول الحديث أو الأثر	الصفحة

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

أول الحديث أو الأثر	الصفحة
«قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»	٣٠٨
«قوموا إلى سيدكم»	٦٥٥
«قيد وتوكل»	٣٤٩
«القتل في سبيل الله شهادة»	٢٩٤
«القتلى ثلاثة»	٣٠٤
(ك)	
«كان الرجل فيمن قبلكم»	٢٢٥
«كفى ببارقة السيوف»	٣٠٠
«كفى بالمرء إثما»	٤٧٠
«كل شيء يلهو به الرجل»	١٥٢
«كلكم راع»	٦٥، ٤٤٩
«كل ما يلهو به الرجل المسلم»	١٥٤
«كل ميت يختم على عمله»	٢٧٦
«كنت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته»	١٥٥
(ل)	
«للشهيد عند الله»	٣٠٠
«لعن الله من آوى محدثًا»	٩٥
«لغدوة في سبيل الله»	٢٧٤
«لك بها يوم القيامة»	٢٨٠
«لكن أفضل الجهاد حج مبرور»	٤٤
«لم تبكي أو لا تبكي»	٣٠٢
«لولا أن أشق على أمتي»	٤٧٤

أول الحديث أو الأثر	الصفحة
«لينبعث من كل رجلين أحدهما»	٧٢، ٤٤٩
«لا ألفين»	٥٧١
«لا إله إلا الله وحده»	٣٨
«لا تتركوا النار»	١٢٣
«لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»	٦٤٧
«لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»	٦٤٧
«لا تسلوا السيوف»	٥٣٣
«لا تقتله»	٥٦٥
«لاتمنعن رجلًا هيبة الناس»	٥٢
«لا سبق إلا في خفتٍ»	١٥٤، ٥٣٦
«لا يبولن أحدكم في الماء الدائم»	٤٧٧
«لا يجتمع كافر وقاتله»	٢٧٢
«لا يحل لثلاثة نفر»	٦٤٦
«لا يخلون رجل بامرأة»	٩١
«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»	٤٧٦
«لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح»	٥٤٩
«لا يوردن»	٤٧٨
(م)	
«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا»	٣٠٥
«ما أسكر كثيره»	٤٧٧
«ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله»	٢٧٢
«ما تعدون الشهيد فيكم»	٢٩٣
«ما ملأ آدمي»	٤٦٩

أول الحديث أو الأثر	الصفحة
«ما من أمير يلي أمر المسلمين»	٤٩٧، ٦٤٠
«ما من ذنب أجدر»	٥٩٨
«ما شيء أثقل في الميزان»	٥٥٦
«ما من عبد يموت»	٣٠٥
«ما من مولود إلا يولد على الفطرة»	٦٨، ٢٢٨
«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي»	٥٣
«ما هذه؟ ألقها»	٤٩٣، ٥١٦، ٦١٣
«ما يعدل الجهاد»	٢٧٣
«مثل المجاهد»	٢٧٣
«مثل المؤمنين»	٢٠٩، ٤٤٨
«من أتاكم وأمركم جميع»	٩٢، ٦٤٤
«من احتبس فرسًا»	١٥٣، ٢٧٧، ٤٩١
«من أطاعني»	٥٩٦
«من أنفق زوجين»	٢٨٠
«من جهز غازيًا»	٢٨٠، ٤٩٠
«من خلف غازيًا في سبيل الله»	٤٤٩
«من خير معاش الناس»	٣٠٧
«من رأى من أميره»	٥٩٦، ٦٤٤
«من رأى منكم منكرًا فليغيره»	٥١، ٦٢
«من رمى بسهم»	٢٧٨، ٤١٥
«من سأل الشهادة بصدق»	٣٠٧
«من سمَّع »	٥٨٢
«من علم الرمي»	٥٣١

أول الحديث أو الأثر	الصفحة
«من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالًا»	٢٨٢
«من غشنا فليس منا»	٧٩
«من فرق بين والدة وولدها»	٥٧٥
« من قاتل تحت راية عمية»	٢٩٦
«من قاتل لتكون كلمة الله أعلى»	٤٣
«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»	٤٣، ٢٨٢، ٣٦١
«من قتل دون ماله»	٢٩٣
«من قتل قتيلًا له عليه بينه»	٤٩٦، ٦٤٠
«من قتل معاهدًا»	٥٦١
«من كان بينه وبين قوم»	٥٦١
«من كان يؤمن بالله»	٣٩٧
«من كتم على غال»	٥٧٢
«من لقي الله بغير أثر من جهاد»	٢٨٣
«من مات ولم يغز»	٢٨٣
«من يتصبرَّ»	٣٤٤
«المائد في البحر»	٢٩٤، ٥٢٠
«المؤمن القوي»	١٥٥، ٣٦٩، ٤٧٢
«المجاهد من جاهد نفسه»	٤٤
«المجاهد من جاهد نفسه في الله»	٤٥
«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»	٤٠٨
(ن)	
«نفي لهم بعهدهم»	٥٨٠

أول الحديث أو الأثر	الصفحة
(و)	
«وأعدوا لهم»	٥١٥
«ولا تذعرهم عليَّ»	٦٥١
«والذي نفس محمد في يده»	٢٨١
«والذي نفسي بيده»	٤٦، ٦٤
«والذي نفسي بيده لا يكلم»	٢٧٢
«والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا»	٣٠٦
«والله لا يؤمن»	٥٥٤
(ي)	
«يا أبا سعيد»	٢٧١
«يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو»	٢٥٨، ٣٤٥، ٦٤٠
«يا ابن الخطاب»	٣٥٣
«يا معشر يهود»	٤٣٨
«يا نبي الله»	٣٠٣
«يتعاقبون فيكم ملائكة»	٢٣٢
«يسرا ولا تعسرا»	٦٤٧
«يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين»	٣٠١
«يوشك أن تداعى عليكم الأمم»	١٤٩

ثالثًا : الأعلام

الاســـم	الصفحة

(أ)

(ب)

الاســـم	الصفحة

الاســـم	الصفحة

الاســـم	الصفحة

الاســـم	الصفحة

(س)

الاســـم	الصفحة

(ط)

(ع)

الاســـم	الصفحة

الاســـــم	الصفحة
«عروة بن مسعود»	٤٣٦، ٥٠٧، ٥٠٨
«عقبة بن نافع»	٢٠٥
«عقيل بن أبي طالب»	٣٦٣
«عكاشة بن محصن»	٥٤٢
«عكرمة بن أبي جهل»	٤٣٢
«علقمة بن مجزر»	١٣٨، ٥٢٠، ٥٢١
«علي بن أبي طالب»	٨٢، ٨٥، ١٠٤، ١٦٩، ١٧٣، ٢٦٢، ٤٣٩، ٤٨٠، ٥٤٢، ٥٧٥
«عمار بن ياسر»	١٧٤، ٤٢٢
«عمر بن الخطاب»	٣٠، ٣٦، ٣٧، ٨٣، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ١٠٠، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٨١، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤١١، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٧١، ٤٨١، ٤٩١، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٣٤، ٥٣٨، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٦٢، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٧، ٦٠١، ٦١٠، ٦١١، ٦١٥، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٣١، ٦٣٦، ٦٤١، ٦٥٦، ٦٦٠، ٦٦٥، ٦٦٦
«عمر بن عبد العزيز»	١٧٦، ٢٠٦، ٢٤٨، ٣٦٤، ٤١١، ٤٥٣، ٥٦٩، ٥٨٥، ٦٠٠، ٦١٤، ٦١٨، ٦٣٣
«عمر بن مالك»	١٥٧

الاســـم	الصفحة

(ق)

(ك)

الاســـم	الصفحة

الاســـم	الصفحة

(هـ)

(و)

(ي)

الاســـم	الصفحة

ب: النساء

رابعًا: فهرس البلدن والأماكن والمعارك

البيـــــان	الصفحة

(أ)

(ب)

البيـــــان	الصفحة
	٢٦٢، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٥١، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٢، ٥٣٣، ٥٤٥، ٥٧٤، ٥٧٩، ٦٢١، ٦٢٧، ٦٣٥، ٦٥٨
برزية	٥٧٦
برك الغماد	٢٣٧
بطحان	٥٤٧
بعاث	٣٨٩
بغداد	٨٦، ٢١٧، ٣٩٩، ٤١٥، ٥٠٤
بلغراد	٢٠٧
بلنجر	٣٩٥
بهرسير	٥٠٦، ٥٠٧
بيكند	٤٣٣
الباب	٣٩٥
البحر الأحمر	٢٢، ٥٢١
البحر المحيط	٢٠٦
البحرين	٥٠٣، ٥١٤، ٥٢٢
البذ	٥٠٦
البصرة	٨٩، ٩٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ٥٣٩، ٦٦٠
البويب	٢٤٢، ٤٥٢، ٦٢٢

(ت)

البيـــــان	الصفحة
تبوك	٣٤، ١٣٧، ١٥٣، ١٦٢، ١٩٤، ٣٩٤، ٤٩٠، ٥٣٥، ٦٢٠
تستر	٣١٠

البيـــــان	الصفحة
تكريت........................	٤٢٩
تهامة........................	١٧٥

(ث)

ثنية الوداع........................	١٣٧، ٥٣٦، ٥٤٨

(ج)

جبل طارق........................	٣٤٧
جبلة........................	٥٠٣
جرش........................	٥٠٧
جزيرة دارين........................	٥٢١
جزيرة الروضة........................	١٢٥، ٤٩٥
جلولاء........................	١١٧، ٥١٩
جند يسابور........................	٤٠٥، ٥٨٤
الجزيرة........................	١٤٣، ١٥٨
الجسر........................	٦٥٤

(ح)

حضرموت........................	٢٢٥
حطين........................	٢٦٥، ٤١٦، ٥٠٩، ٥٧٨
حلب........................	٦١٢
حلوان........................	١٤١، ٥١١
حمراء الأسد........................	١٧٨، ٤٢٧، ٤٤٥
حنين........................	٢٥٩، ٣٤٥، ٣٧٢، ٣٧٨، ، ٤٩٢، ٥١٨، ٦٠١، ٦٣٨، ٦٥٨
حمص........................	١٣٨، ١٤١، ١٤٤، ٤٣٠، ٤٣٥، ٥٨٢، ٥٨٣، ٦٢٧

البيـــــان	الصفحة
الحديبية..........................	١٩٣، ٣٥٣، ٤٣٦، ٤٥١
الحفياء..........................	٥٣٦، ٥٤٨
الحيرة..........................	٣٢، ٢٠٤، ٣٧٦، ٥١١، ٥٢١، ٥٧٣

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ط)

(ع)

(ف)

البيـــــان — الصفحة

(م)

البيـــــان	الصفحة

خامسًا: المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أرسلان: شكيب.

لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم. مراجعة: الشيخ حسن تميم. بيروت: دار مكتبة الحياة.

٣- الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح. ت (٨٥٠هـ).

- المستطرف في كل فن مستظرف. الطبعة الثانية. شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٤- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالوهاب الشيباني. ت (٦٣٠هـ).

- أسد الغابة في معرفة الصحابة. بيروت: دار الفكر.

- الكامل في التاريخ. بيروت: دار الفكر ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٦- الأزهري: محمد بن أحمد. ت (٣٧٠هـ).

- تهذيب اللغة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مراجعة: علي محمد البجادي. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٧- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق المطلبي. ت(١٥١هـ).

- كتاب السير والمغازي. الطبعة الأولى. تحقيق: د. سهيل زكار. دار الفكر. ١٣٩٨ هـ -١٩٧٨م.

٨- ابن أعثم الكوفي: أبو محمد أحمد. ت (٣١٤هـ).

كتاب الفتوح. الطبعة الأولى. بيروت: دار الندوة الجديدة.

٩- الأعشى: ميمون بن قيس. ت(٧هـ).

- ديوان الأعشى. بيروت: دار صادر.

١٠- الأعظمي البغدادي: علي ظريف.

- تاريخ ملوك الحيرة. مصر: المطبعة السلفية ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠م.

١١- الألباني: محمد بن ناصر.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الطبعة الأولى. الكويت: الدار السلفية. عمان: المكتبة الإسلامية ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). الطبعة الثانية. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م.

١٣- برجاوي: سعيد أحمد.

- الحروب الصليبية في المشرق.

الطبعة الأولى. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٤- بك المحامي: محمد فريد.

- تاريخ الدولة العليّة العثمانية. الطبعة الثانية. تحقيق: إحسان حقي. بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥- الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الأندلسي. ت (٤٩٤هـ).

- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس. الطبعة الأولى. مصر: مطبعة دار لسعادة، ١٣٣١هـ

١٦- البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن بردزبه. ت (٢٥٦هـ)

- صحيح البخاري. استانبول: المكتبة الإسلامية.

١٧- البلاذري: أبو الحسن.

- فتوح البلدان. الطبعة الأولى. تحقيق: لجنة تحقيق التراث في دار مكتبة الهلال، بيروت ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٨- البليهي: صالح بن إبراهيم.

- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين. الطبعة الأولى. الرياض: المطابع الأهلية، ١٤٠١هـ.

١٩- البنا: حسن.

- السلام في الإسلام. دار الفكر الإسلامي.

٢٠- البهوتي: منصور بن يونس بن إدريس.

- كشاف القناع عن متن الإقناع. راجعه وعلق عليه: هلال مصيلحي، مصطفى هلال. الرياض: مكتبة النصر الحديثة.

٢١- البهي: محمد.

- الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٢٢- البوصيرى: أحمد بن أبي بكر. ت (٨٤٠هـ).

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه. تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، د. عزت علي عطية. القاهرة. دار الكتب الإسلامية.

٢٣- البيهقي : محمد بن إبراهيم. ت (٣٢٠هـ).

- المحاسن والمساوئ. بيروت: دار بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٤- التاج الصاحبي: محمد بن كامل. ت (٧٠٠هـ).

- الحلبَّة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. تحقيق عبدالله الجبوري. الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٥- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت (٢٧٩هـ).

- سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح. تحقيق وتصحيح: عبدالوهاب عبداللطيف. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢٦- ابن تغري: يوسف. ت(٨٧٤هـ).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٢٧- ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم. ت (٧٢٨هـ).

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. تصوير عن الطبعة الأولى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. ت (١٣٩٨هـ)

- العقيدة الواسطية، الطبعة السادسة. القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٥٢هـ.

- العبودية. الطبعة الخامسة. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ.
- الإيمان. الطبعة الثالثة. بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. دار المعرفة.
٣٢ - ثابت : نعمان.
- الجندية في الدولة العباسية. وقف على طبعه وراجعه: عبدالستار الفرغولي. إبراهيم الزهاوي. مطبعة بغداد، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
٣٣- ثامسطيوس.
-رسالة ثامسطيوس إلى يوليان الملك في السياسة وتدبير المملكة. تحقيق وشرح: محمد سليم سالم. مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.
٣٤- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر. ت (٢٥٥هـ).
-كتاب الحيوان. الطبعة الثالثة. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م.
- البيان والتبيين. الطبعة الرابعة. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. مصر: مكتبة الخانجي، ١٣٩٥هـ -١٩٧٥م.
٣٥- الجزائري: أبو بكر .
- منهاج المسلم. الطبعة السادسة. جدة: دار الشروق، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
٣٦- الجعوان: محمد ناصر.
القتال في الإسلام. أحكامه وتشريعاته، دراسة مقارنة. الطبعة الثانية. الرياض: مطابع المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٣٧- الجندي: أنور.
- بماذا انتصر المسلمون. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.
٣٨- ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي بن محمد. (٥٩٧هـ).
- زاد المسير في علم التفسير. الطبعة الأولى. دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. الطبعة الثانية. تحقيق: زينب إبراهيم القاروط بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

- تاريخ عمر بن الخطاب. بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ.

٤٢- الجوهري: إسماعيل بن حماد. (ت٣٩٣هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.

٤٣- الحاكم: أبو عبدالله محمد النيسابوري. (ت٤٠٥هـ).

- المستدرك على الصحيحين. الرياض: مكتبة النصر الحديثة.

٤٤- حبنكة الميداني: عبدالرحمن حسن.

- الأخلاق الإسلامية وأسسها. الطبعة الأولى. دمشق، بيروت: دار القلم، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٤٥- ابن حبيب: أبو جعفر محمد. (ت ٢٤٥هـ).

- المحبر. تصحيح د. ايلزمه ليمثن شتير. المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف. المكتبات المدرسية.

٤٤- أبو حبيب: القاضي سعدي.

- مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية. بيروت: دار لسان العرب، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٤٥- ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني. (ت ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت: دار الكتاب العربي.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تصحيح وتحقيق: الشيخ عبدالعزيز ابن باز. نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والإفتاء، والدعوة والإرشاد.

- لسان الميزان. الطبعة الثانية. الهند: طبع مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٩٧١م - ١٣٩٠هـ.

٤٩- ابن حزم: أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد. (ت ٤٥٦هـ).

- جوامع السيرة. تحقيق د. إحسان عباس. د. ناصر الدين الأسد. مراجعة: أحمد محمد شاكر. لاهور: دار نشر الكتب الإسلامية.

٥٠- حسن : حسن إبراهيم.

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. الطبعة السادسة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م.

٥١- حسن : حسن إبراهيم، حسن: علي إبراهيم.

- النظم الإسلامية الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.

٥٢- الحسن بن عبدالله.

- آثار الأول في ترتيب الدول. (موجود في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

٥٣- حسيني: مولى سي . أ.ق.

- الإدارة العربية. ترجمة: د. إبراهيم أحمد العدوي، عبدالعزيز عبدالحق. الحلمية الجديدة: المطبعة النموذجية.

٥٤- الحسيني: محمد، الشاذلي: محمد.

- العلاقات الدولية، محاضرات في الفقه الإسلامي.

٥٥- الحلبي الشافعي: علي بن برهان الدين.

- السيرة الحلبية. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٥٦- الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله.

- معجم البلدان. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

٥٧- ابن حنبل: أحمد بن محمد. (ت٢٤١هـ).

- المسند بيروت: دار صادر.

- المسند. الطبعة الثالثة. شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر. مصر: دار المعارف للطباعة و النشر، ١٣٦٩هـ -١٩٥٠م.

٥٩- الحوفي: أحمد محمد.
-الجهاد. القاهرة: إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سلسلة لجنة التعريف بالإسلام، الكتاب السابع والخمسين، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
٦٠- خالد: حسن.
- الشهيد في الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧١م.
٦١- الخرشي: محمد بن عبدالله بن علي. (ت ١١٠١هـ).
- الخرشي على مختصر سيدي خليل. بيروت: دار صادر.
٦٢- خطاب: محمود شيت.
- الرسول القائد. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. بغداد: دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة. ١٩٦٠م.
- المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.
- الوحدة العسكرية العربية. الطبعة الثانية. بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م.
- دروس في الكتمان من الرسول القائد ﷺ. الطبعة الأولى. بيروت: دار الإرشاد للطباعة و النشر والتوزيع، ١٣٨٨ هـ -١٩٦٩م.
- إرادة القتال في الجهاد الإسلامي. الطبعة الثانية. دار الفكر، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.
- الإسلام والنصر. الطبعة الأولى. دار الفكر، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- بين العقيدة و القيادة. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الفكر ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- العسكرية العربية الإسلامية، عقيدة وتاريخًا وقادةً وتراثًا ولغةً وسلاحًا. الطبعة الأولى. بيروت. القاهرة: دار الشروق. ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٧٠- خليل شوقي.
- عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي. دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٧١ - الخطيب البغدادي: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي. (ت٤٦٣هـ).
- تاريخ بغداد. أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتاب العربي.
٧٢ - الخطيب الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد. (ت٩٧٧هـ).
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع. الطبعة الأخيرة. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠هـ.
٧٣- الخطيب: عبدالكريم.
- الحرب والسلام في الإسلام. الطبعة الأولى. دمشق: دار الفكر، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
٧٤- الخطيب: عمر عودة.
- المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
٧٥- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ).
- المقدمة. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- تاريخ ابن خلدون. المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩١هـ -١٩٧١م.
٧٧- الخلفات: جمال يوسف، أسعد: بهاء الدين محمد.
- العسكرية الإسلامية وقادتها العظام. الطبعة الثانية. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
٧٨- ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر. (ت٦٨١هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة.
٧٩- الخولي: أمين.
- الجندية والسلم واقع ومثال. الطبعة الأولى. القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦٠م.

٨٠ - دروزة : محمد عزة.

- الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٦ هـ -١٩٦٦م.

٨١- الدارمي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن. (ت٢٥٥هـ).

- سنن الدارمي. تخريج وتحقيق وتعليق: السيد عبدالله هاشم يماني المدني. باكستان: نشر حديث أكاديمي نشاط آباد فيصل آباد. توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

- سنن الدارمي حقق نصه وخرَّج أحاديثه وفهرسه: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨٢- أبوداود: الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. (ت٢٧٥هـ).

- سنن أبي داود. مراجعة وضبط وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨٣- الدردير: أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد. (ت١٢٠١هـ).

- الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨٤- الدقدوقي: وفيق.

- الجندية في عهد الدولة الأموية. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥م.

٨٥- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان. (ت ٧٤٨هـ).

- سير أعلام النبلاء. الطبعة الأولى. أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط. بيروت. مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ -١٩٨١م.

- السيرة النبوية. الطبعة الأولى. تحقيق: حسام الدين القدسي بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١ هـ -١٩٨١م.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد البجادي. بيروت: دار المعرفة.

٨٨- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر. (ت٦٩١هـ).
- مختار الصحاح. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨٩- الراوي: محمد.
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية. بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
٩٠ - ابن أبي الربيع: شهاب الدين أحمد. (ت: ٢٧٢هـ).
- سلوك المالك في تدبير الممالك. الطبعة. الأولى مصر: مطبعة كردستان العلمية، ١٣١٩هـ.
٩١- ابن رشد: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي الأندلسي. (ت ٥٩٥هـ).
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد. الطبعة الثانية. راجع أصوله وعلق عليه: عبد الحليم محمد عبدالحليم. الأزهر: دار التوفيق النموذجية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩٢- زيدان: جرجي.
- تاريخ التمدن الإسلامي. بيروت: دار مكتبة الحياة.
٩٣- الزبيدي: محمد مرتضي. (ت ١٢٠٥هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس. الطبعة الأولى. مصر: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة .
٩٤- الزركلي: خير الدين.
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. الطبعة السادسة. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
٩٥- الزيلعي الحنفي: فخر الدين عثمان بن علي. (ت ٧٤٣هـ).
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق. الطبعة الثانية. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
٩٦- سابق: سيد.
- عناصر القوة في الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

- فقه السنة. جدة: دار الأصفهاني، نشر مكتبة الخدمات الحديثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٢م.

- إسلامنا. بيروت: دار الكتاب العربي.

٩٨- سراج الدين : كمال، عداس: محمد مروان.

- الواجبات العامة لقوات الأمن الداخلي في المملكة العربية السعودية. طبعة عام ١٣٨٩ هـ -١٩٦٩م.

٩٩- سلسلة الكتب الصادرة عن دار العلم للملايين.

- صلاح الدين الأيوبي بطل حطين. الطبعة الثامنة. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧م.

١٠٠- السباعي: محمود. ت (١٣٦٣هـ).

- إدارة الشرطة في الدولة الحديثة. الطبعة الأولى. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

١٠١- السرخسي: شمس الدين محمد بن أحمد. (ت٤٨٣هـ).

- المبسوط. الطبعة الثانية. صححه الشيخ: محمد راضي الحنفي . بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

١٠٢- ابن سعد: محمد.

- الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر.

١٠٣- ابن سلام: أبو عبيد القاسم. (ت٢٢٤هـ).

- الأموال. صححه وعلق هوامشه: محمد حامد الفقي.

- كتاب السلاح. الطبعة الثانية. تحقيق: د. حاتم صالح الضامن. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠٥- السلوم: يوسف.

- تطوير أنظمة الخدمة العسكرية في المملكة العربية السعودية. الطبعة الثالثة. الرياض: مطابع القوات المسلحة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٠٦- السهارنفوري: خليل بن أحمد.
- بذل المجهود في حل أبي داود. الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع.
١٠٧- السهيلي: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الحنفي. (ت٥٨١هـ).
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. قدم له وعلق عليه وضبطه: طه عبدالرؤوف سعد. بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
١٠٨- ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى. (ت٧٣٤هـ).
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر.
١٠٩- ابن سيده: علي بن إسماعيل. (ت٤٥٨هـ).
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. الطبعة الأولى. تحقيق: عبدالستار أحمد فراج. مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.
- المخصص. بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٨هـ.
١١٠- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن. (ت٩١١هـ).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م.
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
١١٢- شديد: محمد.
- الجهاد في الإسلام. الطبعة الخامسة. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١١٣- الشافعي: أبو يحيى زكريا الأنصاري. (ت ٩٢٦هـ).
- شرح روض الطالب من أسنى المطالب. المكتبة الإسلامية.

١١٤- الشافعي الصغير: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي.

- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. الطبعة الأخيرة. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م.

١١٥- أبو شريعة: إسماعيل إبراهيم محمد.

- نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية. الطبعة الأولى. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

١١٦- الشكعة: مصطفى.

- سيف الدولة الحمداني، أو مملكة السيف ودولة الأقلام. الطبعة الثانية. بيروت: عالم الكتب، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١١٧- الشوكاني: محمد بن علي. (ت١٢٥٠هـ).

- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٣م- ١٩٧٣م.

- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

١١٩- الشيباني: محمد بن الحسن (ت١٨٩هـ).

- شرح السير الكبير. أملاه: محمد بن أحمد السرخسي. تحقيق د. صلاح الدين المنجد. مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٧١م.

١٢٠- ابن الشيخ محمد: عبدالرحمن بن الشيخ حسن بن .

- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين. بيروت: دار مكتبة الحياة. حاشية: محمد بن عبدالوهاب، كتاب التوحيد.

١٢١- الصالح: صبحي.

- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٨٥ هـ -١٩٦٥م.

١٢٢- الصنعاني: محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ).

- سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام . الطبعة الرابعة. مراجعة وتعليق: محمد عبدالعزيز الخولي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٢٣- طراد: نجيب إبراهيم.

- تاريخ الرومانيين من بناء رومية إلى تلاشي الحكومة الجمهورية. بيروت: المطبعة اللبنانية، ١٨٨٦هـ.

١٢٤- الطبراني: ابن القاسم سليمان بن أحمد. (ت٣٦٠هـ).

- مكارم الأخلاق. الطبعة الأولى. تحقيق: فاروق حمادة. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

١٢٥- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير. (ت٣١٠هـ).

- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار سويدان.

١٢٦- عارف: حازم إبراهيم.

- الجيش العربي الإسلامي في التخطيط السوقي الاستراتيجي للرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، نظرية عصرية. الرياض : دار الرشيد للنشر والتوزيع.

١٢٧- العالم: محمود.

- فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق، في فضل الجهاد والترغيب فيه والحث عليه، انتهي من اختصاره، وتهذيبه في ٢٨/ صفر/ ١٢٩٠هـ (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (٢١٦,٧/ م ع ف) المكتبة المركزية.

١٢٨- ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن أحمد.

- الدرر في اختصار المغازي والسير. الطبعة الثانية. خرَّج نصوصه وعلَّق عليه: د. مصطفى ديب البغا. دمشق، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٢٩- ابن عبدالحكم: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله. (ت٢٥٧هـ).

- سيرة عمر بن عبدالعزيز. الطبعة الثانية. نسخها وصححها وعلق عليها: أحمد عيد عابدين. مكتبة وهبة.

- فتوح مصر وأخبارها، ليدن: مطبعة بريل. ١٩٣٠م.

١٣١- ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد. (ت٣٢٨هـ).

- العقد الفريد. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩ هـ -١٩٤٠م.

١٣٢- ابن عبدالسلام: عز الدين عبدالعزيز (ت٦٦٠هـ).

- أحكام الجهاد وفضائله. الطبعة الأولى. حققه وقدم له وعلق عليه: نزيه حماد. جدة: مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع.

١٣٣- ابن عبدالوهاب: سليمان بن عبدالله بن محمد. (ت ١٢٣٣هـ).

- تيسير العزيز الحميد، في شرح كتاب التوحيد. الطبعة الخامسة. بيروت، دمشق. المكتب الإسلامي. ١٤٠٢هـ.

١٣٤- عثمان: فتحي.

-الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

١٣٥- العثيمين: محمد بن صالح.

- عقيدة أهل السنة والجماعة. الأحساء: مكتبة ابن الجوزي.

- رسائل في العقيدة. الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م. الرياض: دار طيبة.

١٣٧- عزام: عبدالرحمن.

- الرسالة الخالدة. الطبعة العربية الرابعة. بيروت: دار الشروق، دار الفكر، ١٩٦٩م.

١٣٨- علوان: عبدالله ناصح.

- تربية الأولاد في الإسلام. الطبعة الثالثة. حلب، بيروت: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

١٣٩- علي: جواد.

- تاريخ العرب قبل الإسلام. مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٤ هـ - ١٩٦٤م.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. الطبعة الأولى. بيروت: دار العلم للملايين بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٧٠م.

١٤١- عون: عبدالرؤوف.
- الفن الحربي في صدر الإسلام. مصر: دار المعارف. ١٩٦١م.
١٤٢- العجلاني : منير.
-عبقرية الإسلام في أصول الحكم. الطبعة الثانية. دار الكتاب الجديد. ١٩٦٥م.
١٤٣- ابن أبي العز الحنفي: علي بن علي بن محمد. (ت٧٩٢هـ).
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. تحقيق: أحمد شاكر. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.
١٤٤- العسكري: أبو هلال. (ت٣٩٥).
- الأوائل. الطبعة الثانية. تحقيق: د. وليد قصاب، محمد المصري. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ -١٩٨٢م.
١٤٥- العلياني: على نفيع.
- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه. الطبعة الأولى. الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.
- محاضرة الحرب النفسية، طبيعتها وخصائصها، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الحلقة العلمية السابعة وموضوعها: الإشاعة والحرب النفسية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٤٦- ابن العماد: عبدالحي (ت١٠٨٩).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٤٧- العوفي: فايز.
- الدفاع المدني، إطفاء إنقاذ، إسعاف.
١٤٨- عويس: منصور محمد محمد.
-الرسول ﷺ والحرب النفسية. طرابلس: مكتبة النجاح.
١٤٩- ابن عيسى الشرمي: أحمد بن إبراهيم.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم. الطبعة

الأولى. دمشق: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

١٥٠- غيث: فرج محمد.

- غاية الإرشاد إلى أحكام الجهاد. الطبعة الأولى. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

١٥١- الغزالي: محمد.

- خلق المسلم. الطبعة الثالثة. دمشق: بيروت: دار القلم، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

١٥٢- فرج: محمد.

- المدرسة العسكرية الإسلامية. الطبعة الثانية. دار الفكر العربي.

- الاستراتيجية العسكرية الإسلامية، النظرية والتطبيق. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. نشر: صيدا، بيروت: المكتبة العصرية.

١٥٤- الفراء: القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين. (ت٤٥٨هـ).

- الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥٥- أبو فرحة: الحسيني.

- محاضرة عن خصائص الأخلاق الإسلامية. الرياض: كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، العام الدراسي ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م.

١٥٦- الفيروزآبادي: مجد الدين بن يعقوب. (ت٨١٧هـ).

- القاموس المحيط. بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

١٥٧- الفيروزاباذي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف. (ت ٤٧٦هـ).

- المهذب في فقه الإمام الشافعي. الطبعة الثالثة. مصر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

١٥٨- قطب: سيد.

- العدالة الاجتماعية في الإسلام. الطبعة السادسة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

- معالم في الطريق. الطبعة الثانية. الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.
- في ظلال القرآن. الطبعة الثانية عشرة. بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- طريق الدعوة في ظلال القرآن. جمع وإعداد : أحمد فائز. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
١٦٢- قطب: محمد.
- منهج التربية الإسلامية. بيروت، القاهرة، جدة: دار الشروق.
١٦٣- القادري: عبدالله بن أحمد.
- الجهاد في سبيل الله، حقيقته وغايته. المدينة المنورة: مكتبة طيبة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- المسؤولية في الإسلام. الطبعة الثانية. الطبعة الأولى. جدة: دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م.
١٦٥- القاسمي: ظافر.
- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، السلطة القضائية. الطبعة الأولى. بيروت: دار النفائس، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
١٦٦- القاسمي : محمد جمال الدين.
محاسن التأويل. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
١٦٧- ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم. (ت٢٧٦هـ).
- عيون الأخبار. بيروت: دار الكتاب العربي.
١٦٨- القثامي: حمود.
- رجل الأمن والممارسات الإدارية. الطبعة الثانية. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٦٩- ابن قدامة: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد. (ت ٦٢٠هـ).
- المغني من مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، والدعوة

والإرشاد. الرياض: مكبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

١٧٠- القرضاوي: يوسف.

- الصبر في القرآن الكريم. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

١٧١- القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد. (ت٦٧١هـ).

- الجامع لأحكام القرآن. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب. بيروت: دار الكتاب العربي. هامش: ابن حجر، الإصابة.

١٧٣- القسطلاني : أحمد بن محمد. (ت٩٢٣هـ).

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٧٤- القطان: مناع.

- الحاجة إلى الرسل في هداية البشر. محاضرة ألقاها على طلاب الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للعام ١٤٠٣هـ -١٤٠٤هـ.

١٧٥- القلقشندي: أحمد بن علي. (ت٨٢١هـ).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٧٦- القنوجي البخاري: أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني. (ت١٣٠٧هـ).

- العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة. الطبعة الأولى. تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

- الروضة الندية شرح الدرر البهية. بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٨م.

١٧٨- ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر. (ت٧٥١هـ).

- زاد المعاد في هدي خير العباد. الطبعة الثامنة. حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
- تحفة المودود بأحكام المولود. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية. تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفروسية. دار التراث العربي للطباعة والنشر.

١٨٢- كاستلان: جورج.
- تاريخ الجيوش. ترجمة: كمال دسوقي. نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦هـ.

١٨٣- كلية القيادة والأركان. المنهج الدراسي العام لطلاب الدورة الرابعة عشرة.

١٨٤- كلية الملك عبدالعزيز الحربية. منهج كلية الملك عبدالعزيز الحربية العام والمعمول به في العام الدراسي ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ.

١٨٥- كمال: أحمد عادل.
- سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية. الطبعة الثالثة. بيروت: دار النفائس، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٨٦ - الكاتب: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان. (ت ٣٣٥هـ).
- البرهان في وجوه البيان. الطبعة الأولى. تحقيق: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي. ساعد على نشره: جامعة بغداد. ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

١٨٧- الكاساني: الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود. (ت٥٨٧هـ).
- كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. الطبعة الثانية. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٨٨- الكتاني: عبد الحي.
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية. بيروت: الناشر: حسن جعنا.

١٨٩- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل. (ت٧٧٤هـ).

- البداية والنهاية. الطبعة الخامسة. بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

- تفسير ابن كثير. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- الاجتهاد في طلب الجهاد. الطبعة الثانية. حققه وعلق عليه: د. عبد الله عبدالرحيم عسيلان. الرياض: دار اللواء، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٩٢- الكلبي الغرناطي: عبدالله بن محمد بن جزي.

- كتاب الخيل. تحقيق : محمد العربي الخطابي. بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٩٣- الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف. (ت ٣٥٠هـ).

- كتاب الولاة وكتاب القضاة. صححه: رفن كست. بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م.

١٩٤- اللحيدان: صالح بن سعد.

- الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع. الطبعة الثالثة. الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

١٩٥- مالك بن أنس. الموطأ. صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

- المدونة الكبرى. بيروت: دار صادر. طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

استانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

١٩٧- مجلة الجندي المسلم: إدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة، الرياض. العدد التاسع والعشرون. (١٤٠٣هـ).

١٩٨- مجلة الدعوة: مؤسسة الدعوة الإسلامة الصحفية. الرياض : العدد (١٠٢٢)، ١٨/ ٤/ ١٤٠٦هـ.

١٩٩- د. إبراهيم أنيس، د. عبدالحليم منتصر. عطية الصوالحي. محمد خلف الله أحمد.

- مجمع اللغة العربية . المعجم الوسيط. قام بإخراج هذه الطبعة : أشرف عليها: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين. استانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٠٠- محفوظ : محمد جمال الدين.

- المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

- العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية. سلسلة شهرية تصدر في كل شهر عربي عن إدارة الصحافة والنشر. رابطة العالم الإسلامي. السنة الرابعة. العدد (٣٧) ربيع الآخر ١٤٠٥هـ.

٢٠٢- محمد : محمد سيد.

- المسؤولية الإعلامية في الإسلام. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٠٣- مركز ومدرسة سلاح المدفعية. مادة الثقافة الإسلامية لطلاب دورة الضباط التأسيسية رقم (٢٢). مطبعة مركز ومدرسة سلاح المدفعية.

- مادة الثقافة الإسلامية لطلاب دورة الضباط المتقدمة رقم (٧). مطبعة مركز ومدرسة سلاح المدفعية.

- المنهاج العام لدورات مركز ومدرسة سلاح المدفعية لعام ١٤٠٧هـ.

٢٠٦- مركز ومدرسة سلاح المشاة. مادة الثقافة الإسلامية لضباط الصف والجنود لعام ١٤٠٧هـ. مطبعة مركز ومدرسة سلاح المشاة.

- مادة الثقافة الإسلامية، دورة الضباط التأسيسية رقم (٥٦) و(٥٧). مطبعة مركز ومدرسة سلاح المشاة.

- مادة الثقافة الإسلامية لطلاب دورة الضباط المتقدمة رقم (٣١- ٣٢). مطبعة مركز ومدرسة سلاح المشاة.

- المنهج المفصل لدورات مركز ومدرسة سلاح المشاة لعام ١٤٠٧هـ.

٢١٠- مسلم: الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ت٢٦١هـ).

- صحيح مسلم. الطبعة الثانية. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢م.

٢١٢- مشهور: مصطفى.

- بين القيادة و الجندية على طريق الدعوة. الإسكندرية: دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١٣- منصور: علي علي.

- نظم الحكم والإدارة في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية. الطبعة الأولى. مطبعة مخيمر، ١٣٨٤هـ -١٩٦٥م.

٢١٤- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي.

- الأحكام السلطانية. دار الفكر.

٢١٥- ابن المبارك: عبدالله. (ت١٨١هـ).

- كتاب الجهاد. تحقيق. د. نزيه حماد. جدة: دار المطبوعات الحديثة. طبع دار العلم.

٢١٦- المتقي الهندي: محمد المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري. (ت ٩٧٥هـ).

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. الطبعة الأولى. ضبطه وفسر غريبه: بكري جياني. صححه ووضع فهارسه ومفتاحه: صفوة السقا. حلب: مكتب التراث الإسلامي، ١٣٩١هـ -١٩٧١م.

٢١٧- المديني البلوي : أبو محمد عبدالله بن محمد. ت. ق(٤٠٠هـ).

- سيرة أحمد بن طولون. تحقيق: محمد كرد علي. دمشق: مطبعة الترقي، ١٣٥٨هـ.

٢١٨- المرزباني: أبو عبيد الله بن عران. ت (٣٨٤هـ).

- معجم الشعراء. القاهرة: نشر مكتبة القدس، ١٣٥٤هـ.

٢١٩- ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد. (ت ٤٢١هـ).

- تجارب الأمم. تصحيح: هـ. ف. آمدروز. مصر: شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٢هـ -١٩١٤م.

٢٢٠- المشرف : محمد، سالم: سيد.

- أمن وحراسة المنشآت الحيوية. مادة مقررة على طلبة معهد الضباط بالرياض، للعام الدراسي ١٤٠٥- ١٤٠٦هـ .

٢٢١- المعلمي: يحيى، الأمن والمجتمع، ١٣٩٣هـ.

٢٢٢- ابن مفلح: شمس الدين المقدسي أبي عبدالله محمد. (ت٧٦٣هـ).

- الفروع. الطبعة الثالثة. راجعه: عبدالستار أحمد فراج. بيروت: عالم الكتب، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٧م.

٢٢٣- المقري التلمساني: أحمد بن محمد. (ت١٠٤١هـ).

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. حققه ، وضبط غرائبه، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٢٤- المقريزي : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي. (ت ٨٤٥هـ).

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية. بيروت: دار صادر.

٢٢٥- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (ت ٧١١هـ).

- لسان العرب. بيروت: دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٢٦- المودودي: أبو الأعلى.

- الجهاد في سبيل الله. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢٧- نار: أحمد.
- القتال في الإسلام. المنصورة: دار الوفاء.
٢٢٨- نصر: صلاح.
- الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد. الطبعة الثانية. القاهرة: دار القاهرة للطباعة و النشر، ١٩٦٧م.
٢٢٩- نوفل: أحمد.
- الحرب النفسية من منظور إسلامي. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م.
٢٣٠- الندوي: أبو الحسن.
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام. الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ -١٩٦٠م.
٢٣١- النسائي: الحافظ أبي عبدالرحمن بن شعيب. (ت٣٠٣هـ).
- سنن النسائي (المجتبى). الطبعة الأولى. مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م.
٢٣٢- النووي: الإمام الحافظ أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (ت ٦٧٦هـ).
- صحيح مسلم بشرح النووي. المملكة العربية السعودية. نشر وتوزيع رئاسة إدارت البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- المجموع. شرح المهذب. دار الفكر.
٢٣٣- النويري: أحمد بن عبد الوهاب. (ت٧٣٢هـ).
- نهاية الأرب. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و الطباعة والنشر.
٢٣٤- ابن هذيل الأندلسي: علي بن عبدالرحمن.
- حلية الفرسان وشعار الشجعان. تحقيق: محمد عبدالغني حسن. دار المعارف للطباعة والنشر.
٢٣٥- الهرثمي: أبو سعيد الشعراني. (ت. ب. (٢٢٤هـ).
- مختصر سياسة الحروب. تحقيق: عبدالرؤوف عون. مراجعة : د. محمد مصطفى زيادة. المؤسسة المصرية العامة .

٢٣٦- الهرفي: محمد بن علي.

- العزة للإسلام. الدمام: دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع.

٢٣٧- ابن هشام: أبو محمد بن عبدالملك. (ت٢١٣هـ).

- السيرة النبوية . قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت : دار الجيل.

٢٣٨- ابن الهمام الحنفي : محمد بن عبدالواحد. (ت٨٦١هـ).

- شرح فتح القدير. الطبعة الأولى. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م).

٢٣٩- الهيثمي: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر. (ت ٨٠٧هـ).

- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد. تحرير الحافظين: العراقي، وابن حجر. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ -١٩٨٢م.

٢٤٠- وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة.

- إدارة التخطيط والبرامج والميزانية. اللائحة المالية، والتعاقد. والإضافات التي طرأت عليها، ونظام الإسكان في المدن العسكرية. الطبعة الثالثة. مطابع القوات المسلحة، ١٣٩٨هـ.

- إدارة تدريب القوات البرية، قسم التدريب الخاص . نشرة دورات مركز ومدارس وأسلحة القوات البرية لعام ١٤٠٧هـ .

- إدارة الثقافة والتعليم. إدارة الثقافة و التعليم ودورها في القوات المسلحة. النشرة الأولى. مطابع القوات المسلحة، ١٣٩٧- ١٣٩٨هـ.

-إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة. قسم الصحافة والنشر، شعبة المعلومات.

- التوجيه التدريبي للقوات البرية، لعام ١٤٠٧هـ . إدارة تدريب القوات البرية. قسم التدريب الخاص. هدف تدريب القوات البرية.

- نظام الكليات العسكرية واللائحة الداخلية. مطابع القوات المسلحة، ١٤٠١هـ.

٢٤٦- وهبة: توفيق.

- الجهاد في الإسلام، دراسة مقارنة بأحكام القانون الدولي العام. الطبعة الرابعة. الرياض: دار اللواء ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٤٧- الواقدي: محمد بن عمر. (ت٢٠٧هـ).
- المغازي. الطبعة الثالثة. تحقيق: د. مارسدن جونس. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٢٤٨- ياسين : د. محمد نعيم. أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة. حولي: دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.
- الجهاد ميادينه وأساليبه. الطبعة الثانية. عمان : مكتبة الأقصى. طبع: جمعية عمال المطابع الوطنية، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
- حقيقة الجهاد في الإسلام. الطبعة الأولى. النقرة: دار الأرقم للنشر والتوزيع، ١٤٠٤ هـ -١٩٨٤م.
٢٤٩- يالجن: مقداد.
- جوانب التربية الإسلامية الأساسية. الطبعة الأولى. موسوعة التربية الإسلامية، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٢٥٠- يحيى: لطفي عبد الوهاب.
- اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ١٩٧٩م.
٢٥١- اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضع. (ت٢٩٢هـ).
- كتاب البلدان. الطبعة الثالثة. النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م.
٢٥٢- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم. (ت١٨٢هـ).
- الخراج. تحقيق وتعليق: د. محمد إبراهيم البنا. دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع.

سادسًا: فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة